برنامج جامعة اليرموك الأردنية

في أكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية/ إسطنبول

التَقويـــم التَربـــويّ في السُنّـة النبويّـــة

The Educational Evaluation in Sunnah Nabawia

أُعِدت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلبات الحصول
على درجة الدكتوراه في الدراسات الإســـــلامية،
تخصص التربية الإسلامية

إعداد الباحث

محمود مصطفى أحمد أبو محمود

إشـراف

الدكتور أحمد يحيى العوّامي

العام الدراسي 1444هـ/ 2023م

توقيعات لجنة المناقشة والتحكيم

كلية الشريعة

قسم الدراسات الإسلامية

برنامج جامعة اليرموك في أكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية

التَقويم التَربويّ في السُنّة النبويّة

The Educational Evaluation in Sunnah Nabawia

إعداد الباحث

محمود مصطفى أحمد أبو محمود

ماجستير تربية إسلامية، برنامج جامعة اليرموك في أكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية – 2019م

قُدمت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية

تخصص التربية الإسلامية

بعد اطلاع لجنة المناقشة، فقد قام الطالب بإجراء التعديلات الطفيفة التي طلبتها اللجنة في جلسة المناقشة التي عقدت

يوم الجمعة الخامس عشر من شوال 1444هـ- الموافق الخامس من مايو 2023م

أعضاء لجنة المناقشة

ت	الاســـــــــم	التـــوقـــــع
1	**د. أحمد يحيى العوّامي**	
2	**أ. د. عماد الدين الرّشيد**	
3	**د. محمد همام ملحم**	
4	**د. ميس أمين امرير**	

الإهداء

إلى روح والدي الحبيب – رحمه الله تعالى – وأدخله فسيح جناته.

إلى أمي وقرة عيني الغالية، بارك الله في عمرها وصحتها.

إلى زوجتي (شـادن الصـالحي) وأبنائـي وبناتـي.

إلى أخي الشهيد خالد – رحمه الله تعالى – وكل إخوتي وأخواتي.

إلى كل معلم، وكل مربٍّ، وكل داعٍ إلى الله تعالى ومجاهدٍ في سبيله.

إليهم جميعًا.. أُهدي هذا العمل راجيًا من الله –عزّ وجلّ– القبول والرضى.

الباحث

الشكر والتقدير

الحمد والشكر أولًا وآخرًا لله –سبحانه وتعالى – فبنعمته تتم الصالحات، آمنتُ به، لا إله إلا هو عليه توكلتُ وهو ربّ العرش العظيم، ثم الصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، النبيّ العربي الهاشمي، رسول الإسلام العظيم وخاتم النبيّين والمرسلين؛ نؤمن بنبوته ونصدِّق برسالته ونهتدي بسُنّته. وما هذه الدراسة إلا تتبعٌ لقبس من النور الذي بعث رحمة للعالمين، فهو حقًّا – صلى الله عليه وعلى آله وسلم– جدير بكل معاني التقدير والشكر، ومنهجه القويم الذي بُعث به حريٌّ بالاتباع.

ثم الشكر لأكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية في إسطنبول – ممثلة برئيسها أ. د. عماد الدينِ الرشيد، وعميدِ كليةِ الشريعةِ فيها د. أحمد السعدي، والعاملين فيها– على ما بذلوه في مساندتي شخصيًا وعلى ما يقدمونه من جهود متواصلة في خدمة طلبة العلم. والشكر موصول لأساتذة كلية الشريعة في أكاديمية باشاك شهير، وأساتذة كلية الشريعة في جامعة اليرموك في الأردن فجزاهم الله خيرًا. وأخصُّ بالشكر والعرفان المشرف على هذه الأطروحة العلمية: فضيلة د. أحمد يحيى العوّامي، فجزاه الله عنَّا كل خير، ونفعنا والمسلمين بعلمه، وأسبغ عليه ثوب الصحة والعافية.

وأتوجه بكل الاحترام والتقدير إلى لجنة مناقشة الأطروحة والحكم عليها والمكونة من السادة العلماء الأكارم: د. أحمد يحيى العوّامي، أ. د. عماد الدين الرّشيد، د. محمد همام ملحم، د. ميس أمين امرير.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى السادة العلماء الأفاضل والزملاء الأكارم الذين تفضلوا بمشاركتي آراءهم ومقترحاتهم لتطوير محتوى هذه الأطروحة واستدلالاتها بما يخدم موضوعها، وأخصُّ بالشكر أصحاب الفضيلة في هيئة علماء فلسطين.

وأختم بدعائي لكل من أسهم بتمام هذه الدراسة وتدقيقها وإخراجها، فجزى الله الجميع خيرًا وأجزل لهم الثواب.

الباحث

فهرست المحتويات

توقيعات لجنة المناقشة والتحكيم ..... ج
الإهداء ..... د
الشكر والتقدير ..... هـ
فهرست المحتويات ..... و
الملخَّص ..... ك
Abstract ..... م
الفصل الأول: الإطار العام للدِراسة 2
مقدمة 2
1- مشكلة الدراسة وأسئلتها 5
2- أهداف الدراسة 6
3- أهمية الدراسة 7
4- حدود الدراسة 8
5- منهج الدراسة 8
6- خطوات الدراسة 9
7- مصطلحات الدراسة 10
الفصل الثاني: الإطار النظري للدراسة 12
المبحث الأول: الدراسات السابقة 12
المطلب الأول: دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها الكتاب والسُنّة النبويّة 13
المطلب الثاني: دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها السُنّة النبويّة 17
المبحث الثاني: التقويم التربوي في التربية المعاصرة والمفاهيم المرتبطة 20
المطلب الأول: مفهوم العملية التربوية ومنهجها وتأصيلها 20
المطلب الثاني: مصطلح التقويم التربوي والمفاهيم المرتبطة 26
المطلب الثالث: مجالات التقويم التربوي في التربية المعاصرة وأغراضه 38
المطلب الرابع: خطوات التقويم التربوي في التربية المعاصرة 41
المطلب الخامس: أنواع التقويم التربوي في التربية المعاصرة 42

المبحث الثالث: التقويم الواقعي واستراتيجياته 45
المطلب الأول: مفهوم التقويم الواقعي وميزاته 45
المطلب الثاني: استراتيجيات التقويم التربوي الواقعي 48
الفصل الثالث: مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وأغراضه وضوابطه 53
المبحث الأول: مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 53
المطلب الأول: مفهوم السُنّة النبويّة ومكانتها وحجيتها 53
المطلب الثاني: مفردة "التقويم" في القرآن والسُنّة وبيان مفهومه التربوي في الدراسة 59
المبحث الثاني: أغراض التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 67
المطلب الأول: أغراض التقويم التربوي للكشف والتشخيص 67
المطلب الثاني: أغراض التقويم التربوي للتكوين والعلاج 70
المطلب الثالث: أغراض التقويم التربوي للتحفيز والتعزيز 80
المطلب الرابع: أغراض التقويم التربوي الوقائية 86
المطلب الخامس: أغراض التقويم التربوي التنظيمية 87
المبحث الثالث: ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 91
المطلب الأول: ضوابط التقويم التربوي الشرعية 91
المطلب الثاني: ضوابط التقويم التربوي الأخلاقية 94
المطلب الثالث: ضوابط التقويم التربوي الإدارية 102
الفصل الرابع: أنواع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 107
المبحث الأول: التقويم القَبلي 107
تمهيد: 107
المطلب الأول: المقابلات الأولية 109
المطلب الثاني: المعايشة القَبلية 110
المطلب الثالث: السجلات التاريخية للمتعلمين 111
المطلب الرابع: الامتحانات القَبلية الخاصة 112
المطلب الخامس: شهادة الأقران 113
المطلب السادس: المسابقات والمبارزات 114

المبحث الثاني: التقويم البِنائي 116
تمهيد: 116
المطلب الأول: برنامج التزكية اليومي 118
المطلب الثاني: مؤتمر الجمعة الأسبوعي 120
المطلب الثالث: البيعة مع المربِّي 122
المطلب الرابع: نظام المؤاخاة 125
المطلب الخامس: مدرستي رمضان والحج 128
المبحث الثالث: التقويم الخِتامي 130
تمهيد: 130
المطلب الأول: التقويم الختامي في "مراجعة القرآن الكريم". 132
المطلب الثاني: التقويم الختامي تقديرًا المتعلمين وإبرازًا لتميزهم. 133
المطلب الثالث: التقويم الختامي عقب المواقف والسرايا والغزوات. 136
المطلب الرابع: التقويم الختامي في وصف المجاميع وطرق التعامل معهم. 137
الفصل الخامس: مبادئ التقويم التربـوي في السُنّة النبويّة، وخصائصه ومجالاته 143
المبحث الأول: مبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 143
المطلب الأول: تحرِّي العدل من جميع الأطراف في التقويم التربوي 144
المطلب الثاني: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين أثناء تقويمهم التربوي 148
المطلب الثالث: مراعاة التدرُّج في التقويم 155
المطلب الرابع: دمج التقويم في التعلم والتعليم 160
المطلب الخامس: مراعاة التيسير في التقويم 163
المطلب السادس: تشجيع المتعلم على تقويم مكتسبات تعلِّمه ومشاركته في تطوير معاييرها ... 170
المطلب السابع: التثبت من الأخبار والبيانات قبل إصدار الحكم التقويمي 176
المبحث الثاني: خصائص التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 180
المطلب الأول: الشّمول والعموم 182
المطلب الثاني: التنوع 189
المطلب الثالث: الاستمرارية 190

المطلب الرابع: تقويم واقعي 193
المطلب الخامس: تقويم ممتد الأثر 197
المطلب السادس: تقويمٌ مَحَكِّي المرجع 200
المطلب السابع: تقويم تعاوني 203
المبحث الثالث: مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 208
المطلب الأول: التقويم في مجال أهداف العملية التربوية النبويّة 208
المطلب الثاني: التقويم في مجال التعامل مع محتوى الرسالة النبويّة 223
المطلب الثالث: التقويم في مجال طرائق التربية والتعليم 245
الفصل السادس: استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة 261
المبحث الأول: استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على الأداء 261
تمهيد 261
المطلب الأول: الأداء العملي في العبادات 264
المطلب الثاني: المشروع 267
المطلب الثالث: إدارة المواقف وحلّ المشكلات 272
المطلب الرابع: المحاكاة ولعب الأدوار 274
المطلب الخامس: التقديم (العرض والإلقاء) 276
المبحث الثاني: استراتيجية التقويم التربوي المعتمد على التواصل 279
تمهيد 279
المطلب الأول: المقابلة 282
المطلب الثاني: الأسئلة والأجوبة 284
المطلب الثالث: الرسل والمراسلات 286
المطلب الرابع: الزيارة 291
المطلب الخامس: المؤتَمر 294
المطلب السادس: المعايشة 299
المبحث الثالث: استراتيجية التقويم التربوي المعتمد على الملاحظة 307
تمهيد 307

المطلب الأول: الأدلة على الملاحظة التقويمية 309
المطلب الثاني: أنواع الملاحظة التقويمية 310
المطلب الثالث: تهيئة البيئة في الملاحظة المقصودة 311
المطلب الرابع: وسائل الملاحظة التقويمية وشواهدها في السُنّة النبويّة 313
المبحث الرابع: استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمد على الأقران 328
تمهيد 328
المطلب الأول: مفهوم التقويم بالأقران ومكانته في السُنّة النبويّة 330
المطلب الثاني: أنماط التقويم التربوي بالأقران في السُنّة النبويّة 332
المطلب الثالث: انطلاق تقويم الأقران من التوجيه النبوي 338
المطلب الرابع: تقويمات الصحابة في حضرة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– 340
المطلب الخامس: إقرار النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لتقويمات أصحابه 343
المطلب السادس: مجالات التقويم بالأقران في السُنّة النبويّة 347
المبحث الخامس: استراتيجية التقويم التربوي المعتمد على مراجعة الذات 358
تمهيد: 358
المطلب الأول: أشكال المراجعة الذاتية التربوية ومستوياتها وأدواتها وعوامل نجاحها 359
المطلب الثاني: المراجعة الذاتية التربوية في المنهج التربوي الإسلامي 367
المطلب الثالث: تطبيقات عملية للمراجعة الذاتية في السُنّة النبويّة 374
المبحث السادس: استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمد على الورقة والقلم 384
تمهيد 384
المطلب الأول: غياب الاختبارات التحريرية عن السُنّة النبويّة 385
المطلب الثاني: ممارسات تقويمية مرتبطة بالورقة والقلم في السُنّة النبويّة 387
الخاتمة 396
نتائج الدراسة 397
التوصيات 406
المراجع 409

الملخَّص

أبو محمود، محمود مصطفى. التقويم التربوي في السُنّة النبويّة. أطروحة دكتوراه، برنامج جامعة اليرموك في أكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية، 2023م.

(المشرف: د. أحمد يحيى العوّامي).

هدفت الدراسةُ في إطارها العام إلى تأصيل "التقويم التربوي" باعتباره عنصرًا من عناصر المنهج التربوي الإسلامي الذي بُعث به النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– لهداية الناس وتزكيتهم وتعليمهم. وتقصَّدَت أن يكون جهدها التأصيلي مُنصَبًّا على السُنّة النبويّة بما تشمله من أحاديث وسيرة في سنوات البعثة الثلاث والعشرين. وفي إطار الأهداف التفصيلية سَعَت الدراسة للكشف عن مبادئ التقويم التربوي الأساسية وخصائصه ووظائفه وضوابطه ومجالاته وأنواعه واستراتيجياته؛ من خلال تتبع الأحاديث النبويّة وبيان الشواهد والدلالات التقويمية فيها. واستخدم الباحث المنهجين: الاستقرائي والوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة، التي كان من نتائجها استنباط سبعة مبادئ أساسية للتقويم التربوية في السُنّة النبويّة، وهي: تحرّي العدل في الأحكام وإجراءات التقويم التربوي، ومراعاة ما بين الناس من فروق فردية أثناء التقويم، ومراعاة التدرُّج في التقويم، ودمج التقويم في التعلم والتعليم، ومراعاة اليسر والتيسير في التقويم، وتشجيع المتعلم على المشاركة الفعلية في تقويم ذاته وتقويم مكتسبات تعلمه ومشاركته في تطويرها، وكذلك التثبت من الأخبار والبيانات التقويمية. كما استنبطت سبع خصائص للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي: "الشمول والعموم"، والتنوع، والاستمرارية، والواقعية، وأن أثره ممتد، وأنه مَحَكّي المرجع، وتعاوني. وبيَّنت الدراسةُ خمسة أغراض للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة وهي: الكشف والتشخيص، والتكوين والعلاج، والتعزيز والتحفيز ، والوقاية، والتنظيم. وفصَّلت في ثلاثة أنواع من ضوابط التقويم: الشرعية، والأخلاقية، والإدارية. وأبرزَت ثلاثة مجالات للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي: مجال الأهداف التربوية، ومجال التعامل مع المحتوى، ومجال الطرق والأساليب. ثمّ تتبعت الدراسةُ تأصيلَ استراتيجياتِ التقويمِ التربويِ من السُنّة النبويّة، ففصَّلَتْ في: التقويم المعتمِد على التواصلِ،

والتقويم المعتمِد على الأداء، والتقويم المعتمِد على الذات، والتقويم المعتمِد على الملاحظة، والتقويم المعتمِد على الأقران. وبيَّنت الدراسة –بشواهد من السُنّة النبويّة– أنواع التقويم التربوي بالنسبة لزمن تنفيذه، وهي: التقويم القَبلي، والتقويم البِنائي، والتقويم الختامي. وبذلك تكون الدراسة قد قدَّمت وصفًا لحالة التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وأثره الكبير في تسديد العملية التربوية النبويّة ونجاحها، وتكون أيضًا قد أكدت أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– استخدم في عمليته التربوية كل وسائل التقويم التربوي المتاحة في بيئته وعصره، واستثمرها على أحسن ما يكون، وأنه – صلّى الله عليه وسلّم– حاز السبق التربوي في كثير من تفصيلات عملية التقويم التربوي التي أدركها الباحثون والتربويون في عصرنا هذا. وقد ختمت الدراسة بتوصية الباحثين التربويين بالمضي قُدمًا في تأصيل العلوم التربوية من السُنّة النبويّة، وإطلاق دراسات تستكمل الجهد التأصيلي للتقويم التربوي من القرآن الكريم. كما أوصت الدراسة بمراعاة نتائجها عند صياغة المناهج التربوية، والعناية بالإعلان عنها والتعريف بها وتطبيقها في الميدان التربوي؛ تمسكًا بسنّة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، وتأسيًا به كما أوصانا ربنا – سبحانه وتعالى–، كما أوصت الدراسة بضرورة تعزيز التعاون بين المربين والدعاة والمختصين من أهل التكنولوجيا؛ لتفعيل كل أدوات العصر المتاحة في مجال التقويم التربوي بإتقانها واستثمارها في عمليات التربية والدعوة والإصلاح.

الكلمات المفتاحية: (التقويم التربوي، السُنّة النبويّة، استراتيجيات التقويم، مجالات التقويم، خصائص التقويم، مبادئ التقويم).

Abstract

The Educational Evaluation in Sunnah Nabawia

By: Mahmoud Mustafa Abu Mahmoud

Supervisor: Dr. Ahmed Yahya Alawami

2023, Başakşehir Islami Akadamisi, Yarmouk University Program

The present study aimed at rooting educational evaluation as an element of the Islamic educational curriculum that the prophet Mohammed -PBUH- had sent to guide, teach, and recommend people. The study aimed at being the rooting effort much fair on (Sunnah Nabawia) with all that included (Hadeeth and Sira of the prophet Mohammed) -PBUH-. This is through the following situations and instructions related to the evaluation of educational performance during the educational process carried out by the Prophet Mohammed -PBUH-, with regard to the detailed objectives of the story, which aims to discover the principles, characteristics, and functions of educational evaluation as well as its controls, scopes, kinds, and Strategies this is by following (Sunnah Nabawia), locating and identifying evidence of educational evaluation in these (Ahadeeth). In this study, the descriptive Inductive analytical method was used. It deduced seven characteristics, which are comprehensiveness, generality, diversion, continuity, realism, and long-term impact. It's a real reference as well as cooperative. On the other hand, seven basic education evaluations have been extracted from (Sunnah Nabawia) which are: investigating justice in judgments and procedures of evaluation and taking into consideration individual differences. It's important to integrate evaluation with the learning-teaching process. The study has shown the functions of educational evaluation which are a function of personal discovery, remedial construction, and systematic administration. It is detailed in three forms of systematic evaluation: (Shariaá), ethical, and administration. It focused on three scopes of

work which are the educational objectives, contents, and methodologies scopes. It also detailed the rooting of five educational evaluation strategies in detail which are communicational evaluation, evaluation based on performance, evaluation based on individual, evaluation based on observation, and evaluation based on mates. The study concluded with shreds of evidence from (Sunnah Nabawia) on kinds of educational evaluation and the rate of time for performance. They are pre-evaluation, formative, and summative evaluations. So, the study has introduced a description of educational evaluation in (Sunnah Nabawia) and its influence on the success of (Sunnah Nabawia) in the educational process. Therefore, the study has emphasized that the prophet -PBUH- employed all means and media of educational evaluation in his era and used them in the best ways. The study has recommended that all researchers and studies must continue rooting educational knowledge in (Sunnah Nabawia). It also recommended that other studies must be performed forward to rooting educational evaluation in Holy Quran. It also recommended considering the results of this study, especially during the designing of educational curricula, as well as identifying them and applying them in the educational field. The study finally recommended the necessity of cooperation between teachers at preachers who have good knowledge of applying technology in all fields of educational evaluation. This is to be invested in the educational process and reform.

KEYWORDS:(Educational evaluation, Sunnah Nabawia, Evaluation strategies, Evaluation fields, Evaluation properties, Evaluation principles).

الفصل الأول:
الإطار العام للدراسة

يتكون هذا الفصل من العناوين الآتية:

* مقدمة

١. مشكلة الدراسة وأسئلتها

٢. أهداف الدراسة

٣. أهمية الدراسة

٤. حدود الدراسة

٥. منهج الدراسة

٦. خطوات الدراسة

٧. مصطلحات الدراسة

الفصل الأول: الإطار العام للدِراسة

يأتي الفصل الأول تمهيدًا يبين منطلقات هذه الدراسة، وقد احتوى: المقدمة ومشكلة الدراسة وأسئلتها وأهميتها وحدودها ومنهجها وخطواتها ومصطلحاتها الرئيسة، على النحو الآتي.

مقدمة

إن الحمدَ لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإنَّ تحليق العقل والرُّوح في فضاءات حياة الجيل الأول من أصحاب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يفتح للمرء مغاليق الأفكار، ويَشْرَع أبواب المنهجية الراشدة في التربية على مصاريعها؛ فثمة عملية تربوية كبرى خضع لها هذا الجيل الفذُّ من الصحابة – رضي الله عنهم– تتجلَّى معالمها في آيات القرآن الكريم، وتنتشر لافتاتها على امتداد سبيل الحق الذي ترسمه السُنّة النبويّة، وقد كان المعلم الأول والرائد الذي لا يكذب أهله في هدايةٍ أو تربيةٍ هو النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– الذي زكّاه الله – سبحانه وتعالى– فأحسن تزكيته وعلّمه فأحسن تعليمه، وربَّاه فأحسن تربيته، قال تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مُبِينٍ﴾ [سورة آل عمران: 164]. وما أعظم ما تحمَّله النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في سبيل إنجاح هذه المهمة التربوية العظيمة، فهو من لحظة أن أمره ربه تعالى بالقيام منذرًا ألقى عنه دِثاره، وودَّع الفِراش الوثير، وشمَّر لهداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم، فأدى أمانة التبليغ، وأمانة التربية بأحسن أداء في الطرائق والأساليب، وكان يقول – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا))[1]، وكان إذا خُيِّر بين أمرين أخذ بأيسرهما ما لم يكن إثمًا؛ رفقًا بالناس وتدرجًا في تقويمهم؛ فاستحق ثناء الله تعالى عليه بما اتصف به

---

[1] مسلم: ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت– لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت)، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية، (1104/2– ح: 1478). (معنتًا ولا متعنتًا) أي مشددًا على الناس، وملزمًا إياهم ما يصعب، ولا متعنتًا؛ أي: طالبًا زلتهم.

من الرأفة والرحمة ولين الجانب، فقال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: 128]، وقال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشاورهم في الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران: 159]. وقد كان هذا البعد الأخلاقي في شخصية النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– عاملًا مؤثرًا في اختياره طرائق التربية والتعليم والتقويم التي كانت فاعلة؛ فحققت أحسن النتائج التربوية على المستويين الفردي والجماعي؛ مما يؤكد أننا أمام خير معلم عرفته البشرية على مدار التاريخ.

ومن هنا فإن السُنّة النبويّة تستحق الدراسة والبحث والاتباع، فهي الروح التي تنبعث في الجسد الهامد فتحييه، وتنتشر بين زوايا وخبايا الركام المتهالك فتهزُّه؛ لتدب في أوصاله القوة، فتبني أركان المجتمع الإنساني الصالح، وتُغربّله لِتُسقط أرضًا ما يُفسِده، وتدكَّ في أركانه أوتاد هذا الدين المتين، وترفع في بناء المجتمع ما يُصْلِحُه، فتعيد بناءَ أمَّة قوية صالحة.

لقد تميَّز النبيّ المعلم محمد – صلّى الله عليه وسلّم– بتقويمه التربوي؛ فكان لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [سورة النجم: 4]، يوحى إليه من الله تعالى الذي أنار في قلبه وسمعه وبصره من نوره؛ فجعله إمامًا ورحمة للعالمين، فلم يخل يوم من حياته – صلّى الله عليه وسلّم– دون أن يكون للتقويم التربوي أثر مبارك في التكوين، والبناء، وتصحيح السلوك، وتطوير الأداء لأعيان الصحابة وجموعهم – رضي الله عنهم– حتى شمخ بناء مجتمعهم، وكان القرن الذي عاش فيه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– خير القرون بما فيه من رقي أخلاقي، وسمو روحي، وحسن اتباع وعمل، وتناصح، وتعاون، ونصرة للحق، وعدل، ودفاع عن المظلوم.

ومن الجدير ذكره أن هذا التقويم التربوي النّبويّ لم يكن صبغة جامدة تحمل لونًا، وأسلوبًا واحدًا، بل كان التنوع، والمرونة، والشمول، والواقعية، والتيسير سماتٍ بارزةً فيه، فكان لكلِّ مقامٍ وحال مقال، وتقويم مناسب، ولكلِّ شخصية من الصحابة الكرام تقويم تربوي خاص، راعى الظروف، والأحوال، والقدرات، والمهارات. وكان يوازي ذلك ويسير معه تقويم تربوي جماعي

اختصَّـت به ثُلَّةٌ مؤمنة من المهاجرين والأنصـار ونحوهم ممن دخل في الإسـلام قبل الفتح وبعده.

إننا نحتاج أن نسـتلهم من السُـنّة النبويّة طرق التربية، وأسـاليب التقويم في بيوتنا؛ مع أزواجنا وأبنائنا، نحتاجه في حيّنا مع جيراننا وأصـدقائنا وفي أعمالنا، وعند اختلاطنا مع بعضـنا؛ وكيف يتصـور أن تمشـي هذه الأمة في طريق نهوضـها دون أن تدرس تفاصـيل العملية البنيوية التربوية، ومن معينها الصـافي السُـنّة النبويّة، وتدرس كل موقفٍ، وكلمةٍ، ووصـفٍ، وحالٍ تم فيها، والتي مثَّل التقويم التربوي النّبويّ دور الراصـد فيها والموجِّه الحكيم، والمحرِّك الفعَّال لتطويرها وتحسين أدائها. نعم، إنه حِريٌّ بنا أن نسـترشـد ونهتدي بهدي خير الأنام محمد – صلّى الله عليه وسلّم– ونقتفي أثره في تقويمه التربوي؛ فندرس كلَّ لَحْظٍ، وقَوْلٍ، وفعلٍ، وتقريرٍ، وغضبٍ، وبَشاشةٍ، وتحفيزٍ، وتوبيخٍ، وإنفاقٍ، وإمساكٍ، وصمتٍ، واعتزالٍ، وكل ما صـدر في سـياق عملية التقويم التربوي التي نُفِّذت في فترة الوحي والرسـالة خلال الثلاث والعشرين سنة التي عاشها – صلّى الله عليه وسلّم– معلِّما ومربِّيًا قبل أربعة عشر قرنًا.

وانطلاقا من كل ما سبق، وغيره مما يبعث على الاقتداء، واقتفاء الأثر؛ وحيث إن التقويم التربوي يعدُّ ركيزة أساسية في أي عملية تربوية، وإنه ضرورة للمراجعة والتحسين في إطار تجويد المُدْخَلات والمُخْرَجات، وفي تحسين الوسائل والأدوات؛ فقد جعلت أطروحتي لإتمام متطلبات دراسة الدكتوراه مُنصبَّة على هذا الموضوع، وبعنوان "التقويم التربوي في السُنّة النبويّة"، والتي نرجو أن يتقبلها الله – عز وجل– وأن يجعلها مفتاحًا لأبواب خير تعود على أمتنا بالنفع العظيم، ونسأله سبحانه التوفيق، والقبول، والرضى؛ إنَّه ولِيُّ ذلك والقادر عليه.

1- مشكلة الدراسة وأسئلتها

بدأت فكرة موضوع هذه الدراسة بعد الاطلاع على جانب من "موسوعة التصنيف الموضوعي للسُنّة النبويّة"، وهي موسوعة ما زالت قيد الإعداد لم تنشر بعد، ويعمل على إنجازها ثلةٌ من طلبة العلم المختصين في الحديث والتربية. وبحكم العلاقة مع القائمين على هذه الموسوعة فقد حظيتُ بفرصة للاطلاع على جانب من الجهود الكبيرة المبذولة فيها –من جمع وتصنيف للأحاديث النبويّة وتوجيه لدلالاتها–، وقد كان اطلاعي موجّهًا إلى تصنيف الموسوعة للأحاديث المندرجة في إطار التربية والتعليم، وفي جانب التقويم التربوي على وجه الخصوص، فوجدناها في الموسوعة بلغت أكثر من خمسمائة حديث محكوم على صحتها ومبين الشاهد فيها والدلالة التقويمية. فكان ذلك ملهمًا بفكرة أن تكون هذه الدراسة في إطار التقويم التربوي في السُنّة النبويّة[1].

وأيَّد هذه الفكرة ما درسناه عن الحاجة لمتابعة جهود التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية رجاء الإسهام في مشروع بناء نظرية المنهاج الإسلامية والنظرية التربوية الإسلامية، ورجاء زيادة الوعي بما تمتلكه هذه الأمة في تراثها العظيم من رصيد تربوي زاخر.

وفي ظل ندرة الدراسات العلمية المتخصصة في موضوع التقويم التربوي الذي نفَّذه النبيّ المعلم محمد – صلّى الله عليه وسلّم– أثناء العملية التربوية التي بُعث بها للعالمين، ومع الإيمان بالحاجة لتمسيك الناس بهذه السُنّة النبويّة وتطوير طرق التعامل معها والنظر فيها، ورجاءً أن نكون من الذين أشارت لهم الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿والذين يمسكون بالكتاب وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: 170].

وانطلاقًا من كل ما سبق فقد هُدينا –بفضل الله– للمضي في هذه الدراسة التي تسهم في تأصيل التقويم التربوي كما هو في السُنّة النبويّة.

---

(1) ملحم، همام سعيد، وآخرون، موسوعة التصنيف الموضوعي للسُنَّة النبويّة، موسوعة أحاديث التربية والتعليم (موسوعة منهجية لتصنيف أحاديث كتب السُنّة النبويّة الشريفة)، غير منشورة، إعداد مركز دراسات السُنّة النبويّة الشريفة، عمَّان، الأردن، إشراف د. همام سعيد، الوصول من خلال د. محمد ملحم، تاريخ التصفح: 15 تموز 2021م.

وعليه فيمكن صياغة السؤال الرئيس الذي ستحاول الدراسة الإجابة عنه على النحو الآتي:

كيف كان التقويم التربويّ في السُنّة النبويّة؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس، الأسئلة الآتية:

1. ما أغراض التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
2. ما ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
3. ما أنواع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
4. ما المبادئ الأساسية للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
5. ما خصائص التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
6. ما مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟
7. ما استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة؟

2- أهداف الدراسة

متوقعٌ من الدراسة بعد تمامها أن:

1. تبين أغراض التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.
2. توضح ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.
3. تبين أنواع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.
4. تكشف عن المبادئ الأساسية للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة.
5. توضح خصائص التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.
6. تحدد مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.
7. تفصّل في استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

3- أهمية الدراسة

تكتسب هذا الدراسة أهميتها النظرية من الآتي:

- أنها تنطلق من السُنّة النبويّة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي في ذات الوقت المصدر الثاني من مصادر التربية الإسلامية بعد القرآن الكريم.
- كونها تأتي في الإطار التأصيلي للعلوم التربوية، فقد اعتنت باستقراء الأحاديث النبويّة والمواقف المرتبطة بالتقويم التربوي باعتباره واحدًا من عناصر المنهج التربوي. (فهذه الدراسة تسهم في الكشف عن مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة ومبادئه وخصائصه، ووظائفه وضوابطه، واستراتيجياته، وأنواعه، وما يرتبط بهذه العناوين من تفصيلات وتطبيقات نبوية).
- سعت هذه الدراسة لتقديم صورة تفصيلية عن العديد من الإجراءات التقويمية التي قام بها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أثناء تربيته أصحابه – رضي الله عنهم– وتزكيتهم وتعليمهم، وتكشف عن أنماط الاستراتيجيات التي استخدمها وتعرض آثارها ونتائجها التقويمية على العملية التربوية النبويّة.

وبالمقابل يؤمل أن تفيد الدراسة الجهات الآتية في تطبيقاتها العملية:

1. التربويين: المشرفين التربويين، المعلمين، المديرين، الدعاة، الوالدين؛ إذ تثري هذه الدراسة المعرفة العلمية المؤصلة في مجال التقويم التربوي، وتعرض لإجراءات نبوية تقويمية عملية، يمكن أن تناسب كثيرًا من أحوال المتعلمين وظروف العملية التربوية في عصرنا.
2. واضعي المناهج والبرامج التربوية ومصمميها: ليتأسوا بالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في طرقه وأساليبه واستراتيجياته التقويمية، والتي هي أَولى بالاتباع من غيرها، كونها مسدَّدة من الله – سبحانه وتعالى– خالق البشر والعالم بما يصلح لهم.
3. الباحثين والمعنيين بتأصيل العلوم التربوية؛ رجاء أن يكملوا مشوار التأصيل التربوي، ويتوسعوا فيما أشارت إليه هذه الدراسة، ويبنوا على نتائجها، متابعين في مسيرة أسلمة العلوم التربوية والاجتماعية.

4.متوقع أن تعزز نتائج هذه الدراسة الدوافع الإيجابية لدى أطراف العملية التعليمية والمتأثرين بها، فيزداد تقبلهم وتفاعلهم مع إجراءات التقويم التربوي ويزداد الوعي بأهميته باعتباره من الهدي النّبويّ الذي أُمرنا باقتفائه وامتثاله.

4- حدود الدراسة

الحدود الموضوعية: تتناول الدراسة التقويم التربوي بتأصيله من المصادر التي جمعت أحاديث السُنّة النبويّة وسيرته – صلّى الله عليه وسلّم–.

الحدود الزمانية: اقتصر مجال البحث في هذه الدراسة على الفترة الزمنية ما بين بعثة النبيّ ووفاته – صلّى الله عليه وسلّم– وهي الفترة التي أشرف فيها النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– بنفسه على سير عملية التربية والتعليم والتقويم.

5- منهج الدراسة

استخدمت الدراسة لأجل الإجابة عن أسئلتها وتحقيق أهدافها منهجين، هما:

أولاً: المنهج الاستقرائي: وكان أساسًا في تتبُّع الأحاديث وإحصاء المواقف من السُنّة النبويّة ذات العلاقة بالموضوع وتفصيلاته.

وثانيًا: المنهج الوصفي التحليلي: ومن خلاله كان يتم تشخيص المواقف التربوية التقويمية ووصفها وتحليل أسبابها ونتائجها.

وبالإجمال فإن المسار المنهجي لهذه الدراسة اعتمد على استقراء النصوص المرتبطة، ثم وصف المواقف وتحليلها، والوقوف على شواهدها ودلالاتها، واستنباط أدبيات التقويم التربوي من السُنّة النبويّة.

6- خطوات الدراسة

قام الباحث أثناء كتابته بمراعاة جملة من الخطوات والإجراءات المنهجية، كان أبرزها ما يأتي:

أ- مراجعة الأدب النظري في التربية المعاصرة وما تضمنه من عناوين وموضوعات مرتبطة بالتقويم التربوي. وتتبع الدراسات السابقة في التقويم التربوي ومراجعة محتواها، والوقوف على مناهج البحث فيها وطبيعة الإنجاز الأكاديمي فيها ومجالاته ومستواه.

ب- جمع وتوفير جملة من المراجع القديمة والحديثة المرتبطة بموضوع التقويم التربوي، والحصول على إمكانية الولوج الإلكتروني لمكتبة جامعة اليرموك ومكتبة المنظومة. وكذلك المكتبة الشاملة، والتواصل مع بعض الباحثين والحصول على نسخة من أبحاثهم، ونحوه.

ج- عمل (استقراء) لجمع الأحاديث من كتب السُنّة النبويّة وتخيّر الروايات المناسبة للموضوعات وأصحها وتجنب الضعيف منها.

د- دراسة معاني عبارات النصوص من كتب شروح الأحاديث. وتحليل النصوص الحديثية وبيان الشواهد ووجه الدلالة. ثم القيام بعملية الاستنباط والتوجيه في إطار الإجابة عن أسئلة الدراسة، وبما يناسب العناوين المندرجة تحتها في سياق التقويم التربوي.

هـ- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها في سورها وبيان أرقامها عقب الآية في المتن.

و- عزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها؛ وإن كان الحديث أو الأثر من الصحيحين أو في أحدهما فيكتفي الباحث بأخذه من أحدهما، ويعزوه إلى مصدره، ويذكر اسم الكتاب، ثم اسم الباب، ورقم الجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث. وأما إن كان الحديث في غير الصحيحين، فإن الباحث كان – بعد عزوه إلى مصدره: يذكر اسم الباب ورقم الجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث– ثم يذكر حُكمًا على صحته من أحد علماء الحديث.

ز- حرص الباحث على تفسير المفردات الغريبة أو المصطلحات العلمية.

ح- عمل الباحث على الترجمة للأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة، ووثق مصادرها.

ط- استخدمت الرموز التالية في هوامش الدراسة أثناء توثيق المصادر: (د. ت) بدون تاريخ نشر، (د. ط) دون طبعة، (د. م) دون مكان نشر، (ح) رقم الحديث، (ت) تاريخ الوفاة.

ي- كان يتم كتابة تفاصيل كاملة عن المرجع حال وردوه أول مرة، ومختصرًا عند وردوه مرة أخرى.

7- مصطلحات الدراسة

ترتكز الدراسة على مصطلحين أساسيين، وهما:

أ- التقويم التربوي:

مصطلح مركب من كلمتين، فالتقويم فيه لبيان الإجراء، والتربية فيه لبيان المجال المستهدف، وهما معًا يعبّران عن عملية منهجية كبرى وأساسية مجالها التربية والتعليم، وتتضمن إجراءات جزئية متوالية ومتداخلة تبدأ بالقياس والتشخيص والتقدير وإصدار الأحكام، وتنتهي بالمعالجة التربوية المناسبة.

وتُعرّف الدراسة الحالية "التقويم التربوي" إجرائيًا، بأنه:

عملية تربوية تستند إلى معايير، وتتضمن إجراءات منهجية موجهة للموقف التربوي أيا كان فاعله، لوزنه وتقديره، أو تتميم بنائه، أو تعديل اعوجاجه، أو تثبيته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف منشودة.

ب- السُنّة النبويّة:

مصطلح متداول ومعروف في الأوساط العلمية والشرعية. وينظر له طلبة العلم الشرعي من زوايا عديدة تبعًا لتنوع الاختصاصات، لكن يجمعها كلها جامع وهو "رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وطريقته وما ورد عنه".

وقد وجد الباحث أن تعريف "همام سعيد" للسُنّة النبويّة، متوافقًا مع إجراءات البحث، وحدود الدراسة، وبعدها التربوي. حيث عرّف السُنّة النبويّة بأنها: "ما صدر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلّم– من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية من مبدأ بعثته إلى وفاته، وقد تأتي قولا أو فعلاً من الصحابة أو التابعين باعتبارهم شهود عصر النبوة والمقتبسين من مشكاتها"[1].

[1] ملحم، همام سعيد، التمهيد في علوم الحديث، دار الفرقان، عمان– الأردن، ط1، 1412هـ–1992م، (ص:11).

الفصل الثاني:
الإطار النظري للدراسة

يتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: الدراسات السابقة.

المبحث الثاني: التقويم التربوي في التربية المعاصرة والمفاهيم المرتبطة.

المبحث الثالث: التقويم الواقعي واستراتيجياته

الفصل الثاني: الإطار النظري للدراسة

يأتي الفصل الثاني في ثلاثة مباحث، ليكون إطارًا نظريًا وأساسًا علميًا تعتمد عليه الدراسة؛ فقد خُصص المبحث الأول فيه لبيان الدراسات السابقة والتعقيب عليها.

وخُصص المبحث الثاني لبيان المفاهيم التربوية المرتبطة بعنوان الدراسة وموضوعها، وتوضيح المفهوم الرئيس الذي سعت لتأصيله الدراسة وهو: "التقويم التربوي في السُنّة النبويّة"، ثم إيجاز يبين مجالات التقويم التربوي وخطواته وأغراضه وأنواعه كما هي في التربية المعاصرة. أما المبحث الثالث فقد خُصص للتعريف بالتقويم الواقعي وأسماء استراتيجياته.

المبحث الأول: الدراسات السابقة

يلاحظ المتتبع للبحوث العلمية والدراسات المرتبطة بموضوع هذه الدراسة تناولَ العديد من الباحثين جوانبَ عديدة من التربية النبويّة؛ كالأساليب التربوية وطرائق التعليم وأساليب تصحيح الأخطاء وتعديل السلوك.

وضمن إمكانات الباحث وظروفه؛ فقد راجع قواعد بيانات المكتبات الإلكترونية في كل من: جامعة اليرموك، والجامعة الأردنية، وجامعة العلوم والتكنولوجيا في الأردن. ثم راجع محركات البحث عبر الإنترنت – في متصفح الكتب والبحوث في قوقل– وفي موقع مكتبة عين الجامعة، ودار المنظومة عبر الإنترنت، فلم يعثر الباحث على دراسة تحمل عنوان درستنا الحالية: التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

وعند استعراض البحوث العلمية القريبة في مجالها من موضوع هذه الدراسة، فقد وجدت دراسات سابقة قيّمة عديدة لباحثين فضلاء عالجت جوانب من موضوع التقويم التربوي، وقد تنوعت حدود تلك الدراسات وأهدافها ونتائجها. وفيما يلي استعراض لبعضها، وقد صنَّفها الباحث على نوعين، في مطلبين على النحو الآتي:

– دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها الكتاب والسُنّة النبويّة

– دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها السُنّة النبويّة

المطلب الأول: دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها الكتاب والسُنّة النبويّة

اطلع الباحث على أربع دراسات تبحث في التقويم من المنظور الإسلامي، أو كما هو في التربية الإسلامية، بمعنى أنها جعلت حدود مجتمعها البحثي الكتاب والسُنّة. وهي:

1- دراسة: "الحسن" (1989م)[1]:

وكان عنوانها: "مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة – دراسة تحليلية مقارنة". وهدفت الدراسة إلى بيان مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الحديثة، واستنباط مبادئ التقويم التربوي الأساسية التي اشتمل عليها القرآن الكريم والسُنّة النبويّة، وعرض ما تميزت به مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية عن غيرها من مبادئ التقويم الأساسية في التربية الحديثة. واستخدم الباحث المنهج التحليلي لاستخلاص المبادئ، والمنهج المقارن لتمييز أوجه التشابه والاختلاف. وكان من نتائجها: استخلاص ثمانية مبادئ أساسية للتقويم التربوي في التصور الإسلامي؛ وهي: الشمول، والاعتماد على الكفايات، والتشاور، والاستمرارية، والموضوعية، والارتباط بالتقوى، والتعاون، وأن التقويم عملية تحكمها الأخلاق الفاضلة. وأكدت الدراسة تميز هذه المبادئ عن تلك المبادئ التقويمية في التصور الحديث؛ بارتباطها بالتقوى والأخلاق، والثبات، والشمول لجوانب الحياة على اختلاف مجالاتها.

التعقيب على الدراسة: كانت دراسة الحسن في عام 1989م وهي مبكرة نسبيًّا، وكان مجتمع البحث فيها القرآن الكريم والسُنّة النبويّة وكتب التربية الحديثة. وقد ركّزت على معالجة جانب من جوانب التقويم التربوي، وهو المبادئ الأساسية للتقويم، فقامت بحصر مبادئ التقويم الأساسية في التربية الحديثة، ثم استنباط مبادئ التقويم من الكتاب والسُنّة، وعقد المقارنة بينهما، وبيان ما تميزت به مبادئ التقويم الأساسية المستنبطة من التربية الإسلامية. ولاحظ الباحث أن الدراسة جعلت المبادئ والخصائص في قالب واحد ولم تميز بينهما. في حين أن الدراسة

[1] الحسن: أحمد جوهر، مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة – دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، 1989م.

الحالية ميّزت بين خصائص التقويم التربوي ومبادئه الأساسية. كما فصلَّت في عناوين وموضوعات مندرجة تحت التقويم التربوي لم تستهدفها دراسة "الحسن".

2- دراسة: "سورمارو" (1995م)[1]:

وكان عنوانها: "التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي". وهدفت الدراسة إلى بيان مفهوم التقويم في الدعوة إلى الله ومشروعيته، وأركان التقويم في الدعوة وبيان أنواعه ومجالاته ووسائله وخصائصه وعوائقه في العهد النبوي، وكيفية التغلب عليها؛ كما هدفت إلى بيان آثار التقويم الدعوي في العهد النبوي، واستخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي. وكان من نتائجها: تأكيدها أن التقويم في الدعوة هو محاسبة النفس، وبذل النصيحة للغير في العقيدة والشريعة والعبادة والأخلاق؛ لتصحيح أخطائها أو تثبيت صوابها. وبيَّنت الدراسة فوائد التقويم وأهميته وآثاره على الفرد والمجتمع، وفصلَّت في مجموعة من هذه الفوائد؛ كدوره في تنقية المجتمع الإسلامي في العهد النّبويّ من الهفوات والشوائب في العمل. وأثره في تماسك وحدة الصف الإسلامي أمام ضغوط أعداء الدعوة في السلم والحرب. وبينت الدراسة أن الهدف الحقيقي للتقويم الدعوي هو طاعة الله ورسوله – صلّى الله عليه وسلّم– على الوجه المشروع. وبينت الدراسة أن التقويم له أربعة أركان: المقوِّم، والمقوَّم، وموضوع التقويم، ووسيلة التقويم. ورأت الدراسة أن التقويم نوعان: التقويم الذاتي، وتقويم الغير. وأن مجالاته تشمل جميع أمور الدين الإسلامي؛ لأن الدين الإسلامي كلٌّ لا يتجزأ. ثم عرضت الدراسة مجموعة من وسائل التقويم في العهد النّبويّ المعتمدة على القول والقوة والقدوة. وبينت مراحل التقويم الدعوي. ثم عرضت لجملة من خصائص التقويم الدعوي كالاستمرارية، والشمول، والفورية.

التعقيب على الدراسة: كان مجتمعُ البحث في دراسة "سورمارو" المباركة القرآنَ الكريم والسُنّة النبويّة ضمن حدود العهد النبوي. ولكونها انطلقت من كلية الدعوة والإعلام فقد ركّزت عنايتها على "التقويم الدعوي". ولم تتخصص في تتبع التقويم التربوي بما يشمله من تعليمٍ وتزكية

---

[1] سوماورو، ساموكا بن داود، التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض – السعودية، 1995م.

وتنشئة وبناء لشخصية المسلم، إلا ما تخللها من ذكر لبعض جوانب التقويم التربوي المتقاطعة مع التقويم الدعوي. في حين أن الدراسة الحالية ركّزت على التقويم في إطار عمليات التربية والتعليم النبويّة، التي استهدف أبناء الأمة الإسلامية أفرادًا وجماعاتٍ صغارًا وكبارًا.

3- دراسة: "أبو إسماعيل" (2006م)[1]:

وكان عنوانها: "التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية". وهدفت الدراسة إلى تعرّف كيفية التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية، والأسباب التي تدعو الشخصية الإسلامية لتقويم ذاتها، والمعايير المعتمَدة لدى الشخصية الإسلامية في تقويم ذاتها وبيان قواعد التفكير الموضوعي في التقويم الذاتي. واستخدمت لتحقيق أهدافها: المنهج الوصفي التحليلي. وكان من نتائجها أن: التقويم الذاتي للشخصية من القواعد الأساسية في التربية الإسلامية. وإباحة التقويم الذاتي العلني لتحقيق مصلحة أو دفع مفسدة. وأن التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية يشمل تقويم الجوانب المادية والرُّوحية على حد سواء، وأن التقويم الذاتي للنشاط الذي تقوم به الشخصية يدفع إلى إتقان العمل، والقيام به على أكمل وجه.

التعقيب على الدراسة: كانت دراسة "أبو إسماعيل" رسالة علمية قيّمة، وكان مجتمع البحث فيها واسعًا، فقد شمل القرآن الكريم والسُنّة النبويّة، وقد ركزت على موضوع التقويم الذاتي حصرًا، وهو واحد من أهم الاستراتيجيات التقويمية التي عالجتها دراستنا هذه.

في حين أن الدراسة الحالية فصلّت في استراتيجيات تربوية أخرى، تتعدى تقويم الذات إلى تقويم الآخرين، وهذه لم تستهدفها دراسة "أبو إسماعيل"، كاستراتيجية التقويم المعتمِد على الأداء، واستراتيجية التقويم المعتمِد على الملاحظة، واستراتيجية التقويم من خلال التواصل، واستراتيجية التقويم المعتمِد على الأقران، واستراتيجية التقويم المعتمِد على الورقة والقلم. إلى غير ذلك من العناوين والموضوعات التفصيلية المندرجة تحت التقويم التربوي.

---

[1] أبو إسماعيل: أكرم عبد القادر، التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة اليرموك، إربد – الأردن، 1993م، نشرتها دار النفائس، عمان – الأردن، 2006م.

4- دراسة: "مقبل" (2015م)[1]:

وكان عنوانها: "التقويم التربوي من منظور إسلامي". وهدفت الدراسة إلى تعرف التقويم التربوي من منظور إسلامي، من خلال بيان نماذج تطبيقية لعملية التقويم في القرآن الكريم وفي السُنّة النبويّة وفي عهد الصحابة – رضي الله عنهم–، وصياغة معايير للمُقَوِّم من المنظور الإسلامية. وإبراز جملة من الأساليب العملية للتقويم في المنظور الإسلامي. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الاستنباطي. وكان من نتائجها بيان أن: التقويم التربوي في منظوره الإسلامي مبنيٌّ على أسس علمية دقيقة، ويتسم بالشمول والاستمرارية وممارسة عملية التقويم في المجتمع الإسلامي مسؤولية مشتركة، وأنه عملية شاملة لحياة الإنسان ونشاطه وبيئته. واستنبطت الدراسة سبعةَ معايير أساسية من النصوص القرآنية والنبويّة ينبغي أن يراعيها كل من تصدر لعملية التقويم، منها: تنوع أساليب التقويم وتعددها تبعًا لتنوع القضايا والمشكلات، وقد توصل البحث إلى أحدَ عشرَ أسلوبًا مستنبطًا من الآيات والأحاديث. وعرض نماذج تطبيقية للتقويم مستنبطة من القرآن والسُنّة ومن حياة الصحابة – رضي الله عنهم.

التعقيب على الدراسة: كانت "دراسة مقبل" بحثًا علميًّا مقدمًا لمجلة علمية محكمة، وكان مجتمع البحث فيها واسعًا، فقد شمل القرآن الكريم والسُنّة النبويّة وحياة الصحابة – رضي الله عنهم–، ولم يكن من أهدافها استيعابُ أطراف موضوع التقويم التربوي، لذا ركَّزت على إبراز خصائص التقويم التربوي من منظور إسلامي، ومعايير المقوِّم، وجملة من أساليب التقويم التربوي ونماذج من تطبيقاتها. في حين أن الدراسة الحالية توسعت في عناوينَ وموضوعاتٍ أخرى تندرج تحت التقويم التربوي مما لم تستوعبها دراسة "مقبل"؛ مثل استراتيجيات التقويم التربوية وأنواعه ومجالاته.

---

[1] مقبل، أحمد إسماعيل، التقويم التربوي من منظور إسلامي، "مجلة جامعة الملك خالد للعلوم التربوية، مجلد (2)، العدد (1)، 2015م، (9 – 64).

المطلب الثاني: دراسات سابقة في التقويم التربوي مجالها السُنّة النبويّة

1- دراسة: "أبو دف" (2006م)[1]:

وكان عنوانها: "منهج الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر". وهدفت دراسة "أبو دف" للكشف عن المنهج النّبويّ في تقويم سلوكيات الأفراد عبر تتبع الأحاديث النبويّة المرتبطة بالموضوع. واتبع الباحث المنهج الوصفيَّ واستخدم أسلوب تحليل المحتوى كأداة للدراسة، وكانت أبرز نتائج الدراسة استخلاص مجموعة من السمات العامة للمنهج النّبويّ في تقويم السلوك، ومنها: التنوع والشمول والمعيارية ومراعاة الفروق الفردية والرفق واللين في التعامل، واستخدام المقارنة والحوار وإدراج البدائل الصحيحة للأنماط السلوكية الخاطئة، إلى جانب استثمار العاطفة وإثارتها في توجيه الأفراد نحو السلوكات الصحيحة التي ترضي الله – عز وجل- واستعمال طرق العقاب المعنوي بأساليب تصاعدية متدرجة تبعًا للموقف أو القضية.

التعقيب على الدراسة: كانت دراسة "أبو دف" بحثًا علميًّا مقدمًا في مؤتمر، وكان مجتمع البحث فيها كتب السُنّة النبويّة، وسلك فيها منهج تحليل المحتوى، وركّز البحث على موضوع تقويم السلوك وبعض الأساليب المتبعة لأجل ذلك، ومهَّدَ لها ببيان جملة من خصائص المنهج النّبويّ في تقويم السلوك دون التعرض لتقويم باقي عناصر المنهاج أو باقي أطراف العملية التربوية. في حين أن الدراسة الحالية فصلَّت في عناوينَ وموضوعاتٍ أخرى مندرجة تحت التقويم التربوي لم تستهدفها دراسة "أبو دف"؛ كمجالات التقويم التربوي ووظائفه، وضوابطه، واستراتيجياته، وأنواعه.

---

[1] أبو دف: محمود خليل، منهج الرسول – صلى الله عليه وسلم- في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر، بحث لمؤتمر تطوير برامج كليات التربية، جامعة الزقازيق، مصر، 2006م.
https: //slpemad. files. wordpress. com/2014/12/d985d986d987d8ac-d8a7d984d8b1d8b3d988d984-d981d98a-d8aad982d988d98ad985-d8a7d984d8b3d984d988d983. pdf

2- دراسة: "كتبي" (2007م)[1]:

وكان عنوانها: "المنهج التربوي النّبويّ في معالجة مواقف من أخطاء أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب السيرة النبويّة لابن هشام". وهدفت الدراسة إلى: التعرف على أهمية السيرة النبويّة في التربية ومكانة سيرة ابن هشام في ذلك، وإبراز خصائص المجتمع المدني قبل الهجرة وبعدها. واستخراج مجموعة من المناهج التربوية في كيفية معالجة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لمواقفَ من أخطاء أفراد من المجتمع المدني، والتطبيقات التربوية والسلوكية المستفادة. واستخدم الباحث المنهجين التاريخي والوصفي. وكان من أهم نتائجها استخراجُ ثمانية مناهج –كما سمَّاها الباحث– لمعالجة الأخطاء ثم شرحها وذكر شواهد وتطبيقات لها.

التعقيب على الدراسة: يكفي أن نشير إلى المحددات التي كانت في دراسة "كتبي"، فقد حصرت اهتمامها وحدودها في مجتمع المدينة المنورة، ولم تستهدف الفترة المكية على أهميتها. وجعلت مصدرها من كتاب سيرة ابن هشام حصرًا. كما أنها ركّزت عنايتها على استنباط مجموعة من الطرق والأساليب النبويّة في معالجة أخطاء أفراد الناس في العهد النّبويّ المدني.

في حين أن الدراسة الحالية توسعت في حدودها لتشمل الفترتين المكية والمدنية من حياة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كما أنها لم تكتف بطرق معالجة أخطاء الأفراد، بل توسعت لوصف حالة التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وما يندرج تحت ذلك من عناوين؛ كخصائص التقويم التربوي، ومبادئه، ومجالاته، ووظائفه، وضوابطه، واستراتيجياته، وأنواعه.

---

[1] كتبي: أحمد إسماعيل، المنهج التربوي النّبويّ في معالجة مواقف من أخطاء أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب السيرة النبويّة لابن هشام، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، كتاب شهري محكم، إدارة الدعوة والتعليم، رابطة العالم الإسلامي، السنة الثالثة، العدد (222)، 2007م.

3- دراسة: "الشطي" (2010م)[1]:

وكان عنوانها: "المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء". وهدفت الدراسة إلى تعرّف المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء وجوانبه النظرية والعملية -بصورة مجملة- والفنون والمهارات والأصول التي على المربي مراعاتها قبل المباشرة بالتقويم التربوي للآخرين. وقد استخدم فيها الباحث المنهج الوصفي التحليلي. وكان من نتائجها عرض نماذج عملية من المنهج النّبويّ في التقويم التربوي، واستخلاص خمسةً وأربعين أصلًا من الأصول التربوية المستنبطة من المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء، والاستدلال عليها من السُنّة النبويّة والقرآن الكريم، ونذكر منها: استخدام أسلوب تكرار العبارة لاستثارة المشاعر نحو الخطأ. وأسلوب التوبيخ والتقريع. والدعاء على المتكبر والمعاند. والتأني في معالجة الأمور. والرفق واللين في تعليم الجاهلين. والتوجيه الحسن والكلمة الطيبة مع بيان الفعل الصحيح... وخلص الباحث إلى أن أمثل الأساليب وأفضل الطرق لتصحيح الأخطاء وتقويمها هو ما كان مأخوذًا من سنة المصطفى - صلّى الله عليه وسلّم- كونه خير قدوة للناس جميعًا.

التعقيب على الدراسة: دراسة "الشطي" المباركة كان مجتمع البحث فيها السُنّة النبويّة، وقد ركزت على مفهوم الخطأ وأنواعه، واستنباط ملامح المنهج النّبويّ في التصدِّي للأخطاء، وركّزت الدراسة نتاجها في خمسةٍ وأربعين أصلًا تربويًا تم شرحها والاستدلال عليها من خلال مواقف عملية في السُنّة النبويّة، وحرَص الباحث على تضمينها توصيات عملية للدعاة والمربين والمعلمين مستمدة من المواقف والأحاديث.

في حين أن الدراسة الحالية فصلَّت في عناوينَ وموضوعاتٍ أخرى في التقويم التربوي لم تستهدفها "دراسة الشطي" -على فضلها- مثل استراتيجيات التقويم التربوي وأنواعه، ومجالاته، وخصائصه.

---

[1] الشطي: محمد يوسف، المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، 2010م. طبعتها المكتبة العامرة، ط1، الكويت، 1430هـ - 2009م.

المبحث الثاني: التقويم التربوي في التربية المعاصرة والمفاهيم المرتبطة

نتناول في هذا المبحث المطالب الخمسة الآتية:

- المطلب الأول: مفهوم العملية التربوية ومنهجها وتأصيلها
- المطلب الثاني: مفهوم التقويم التربوي في التربية المعاصرة
- المطلب الثالث: مجالاته التقويم التربوي في التربية المعاصرة وأغراضه
- المطلب الرابع: خطوات التقويم التربوي في التربية المعاصرة
- المطلب الخامس: أنواع التقويم التربوي في التربية المعاصرة

المطلب الأول: مفهوم العملية التربوية ومنهجها وتأصيلها

في هذا المطلب نوضَّحُ ثلاثة من المفاهيم المرتبطة بموضوع الدراسة، وهي:

* العملية التربوية، * المنهج التربوي، * التأصيل التربوي. على التفصيل الآتي:

1. العملية التربوية

يدل مفهوم "العملية" في العلوم الاجتماعية على التغير مع "الزمن"، أو يدل على تاريخ النشاط البشري في بناء ناحية معينة[1]. وعُرّفت مفردة "العملية" بأنها: سلسلة من الأنشطة والخطوات التي تحوّل المدخلات إلى مخرجات، وهذه السلسلة تضيف قيمة للمدخلات بإجراء التعديلات الضرورية عليها لتنتج شيئًا جديدًا ذا قيمة[2].

وإذا كانت هذه "العملية" تتم في إطار التربية، فإنه يمكن تعريفها بأنها:

سلسلة من الأنشطة والخطوات المتتابعة في إطار إحداث التغيير المرغوب عند المستهدفين بإكسابهم المعارف والمهارات والقيم والاتجاهات وبناء السلوكات؛ وفقا لمعايير وأهداف تربوية معينة.

---

[1] خضر، عبد العليم عبد الرحمن، المسلمون وكتابه التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415 هـ-1995م، (ص: 36).

[2] إبراهيم، السعيد مبروك، إدارة المكتبات الجامعية، المجموعة العربية للنشر والتوزيع، 2012، ط 1، القاهرة، (ص: 276).

العملية التربوية والعملية التعليمية

ويجدر التنويه بأن العملية التربوية أعمّ وأوسع من العملية التعليمية؛

فالتربية تشمل التعليم والتزكية، وتعتني أكثر ببناء القيم والسلوك والاتجاهات وصناعة الدوافع. بينما يركّز التعليم على تلقين المعلومات وإكساب المهارات، وغالبًا ما يبدأ التعليم من سن يسمح بتعلم القراءة والكتابة في محاضن تؤسس خصيصًا لأجل التعليم كالمدارس والمعاهد والجامعات ومراكز التدريب ونحوها. أما التربية فهي تتعامل مع الإنسان منذ ولادته وحتى وفاته وتسعى لإحداث التغيرات والتطورات والتوجيهات المرغوبة في سلوك المرء لتشكّل أسلوب حياته ونمط تفكيره المؤثرة في علاقاته وتصرفاته. وهي تتسع لتشمل تأثير كل وسط يتحرك فيه الإنسان وكل بيئة يعيش فيها كالأسرة والمساجد والأندية وكذلك تأثير أجهزة الإعلام من قنوات تلفزة ومطبوعات الكتب والصحف والمجلات ووسائل الاتصال بأنواعها، وعن طريق الأقران والحي والشارع، فكل ما يحيط بالفرد يسهم في عملية التربية ويؤثر في جوانب الإنسان العقلية والنفسية والجسمية والاجتماعية والخُلُقية والروحية والعاطفية [1].

عناصر العملية التربوية

ويمكن ملاحظة أن عناصر العملية التربوية هي:

أ- المربّي: وهو الذي سينفذ عملية التربية ويديرها، وقد يكون معلِمًا أو والدًا أو قرينًا ونحوه.

ب- والمتربي: وهو المستهدف بالتربية سواء أكان ابنًا أو تلميذًا أو طالب تزكية أو كان قرينًا من الأقران ونحوه.

ج- محتوى المنهج التربوي: وقد يكون في صورة مقرر أو كتاب ويتضمن الأهداف التربوية والأفكار والمفاهيم والمعارف ونحوها، ويحتوي سلسلة الأنشطة والتمارين والخطوات المتتابعة التي يسير وفقها المربي ويهتدي بها المتربي.

---

[1] انظر: المبروك، فرج عمر، مدير المدرسة والادارة المدرسية، دار حميثرا للنشر والترجمة، القاهرة، مصر، 2017م، (ص: 32). https://2u.pw/iGhUgz

د- الطرق والأساليب والأدوات المستخدمة في تنفيذ عملية التربية والتي تنسجم وتتوافق مع محتوى المنهج التربوي وتحقق أهدافه وتتناسب مع طبيعة المستهدف ومرحلته.

هـ- البيئة: وهي الحاضنة التربوية كالأسرة والمسجد والمدرسة والنادي ونحوها، وهي تحوي أيضا جملة المؤثرات من وسائل وأدوات وإمكانات يستعان بها لتنفيذ العملية التربوية وتسهيلها.

و- التقويم: ومن خلاله تتم متابعة التنفيذ وفحص مناسبة المحتوى وتحقق الأهداف ووزن الإجراءات وقياس النتائج والأثر، والحكم على باقي العناصر والتعامل معها بالمعالجة المناسبة.

2. المنهج التربوي

أصل مفردة المنهج من: النَّهْج، وهو الطريق. وَنَهَجَ لي الأمر: أوضَحَه. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيق أيضًا، والجمع: مَنَاهِج[1].

ويعتبر المنهج أساسًا في أي عملية تربوية أو برنامج تربوي. وثمة مفهوم تقليدي له يحصره في المقررات الدراسية التي تركز جلّ عنايتها على الناحية المعرفية في العملية التربوية.

وفي عصرنا يجري تداول مفهوم أوسع للمنهج يستوعب إلى جانب المقرر الدراسي الخبرات والفعاليات والمهارات ويتضمن كل ما من شأنه أن يؤثر في حياة المتعلم عبر توجيهات المؤسسة التعليمية والممتدة خارجها؛ إضافة إلى الاهتمام الواسع بالنواحي المعرفية والمهارية والوجدانية. وعليه، وبواسطة المنهج بمفهومه الواسع سيكتسب المتعلم سلوكًا جديدًا، أو يعدّل سلوكه الحالي أو يثبته أو يزيله[2].

---

[1] ابن فارس: أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، (5/ 361).

[2] انظر: بحري، منى يونس، المنهج التربوي (أسسه وتحليله)، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط 1، 1433هـ-2012م، عمان- الأردن، (ص: 17).

ويُعرّف المنهج التربوي بأنه: "منظومة الخبرات التربوية التي تهيئها المؤسسة التربوية لتلاميذها لمساعدتهم على النمو الشامل المتكامل المتوازن؛ إيمانيًا وخلقيًا وجسميًا وعقليًا ونفسيًا وجنسيًا واجتماعيًا"[1].

وعرّف "مدكور" منهج التربية في التصور الإسلامي بأنه: "نظام من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة، ينبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ويهدف إلى تربية الإنسان، وإيصاله إلى درجة كماله، التي تمكنه من القيام بواجبات الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها، وترقية الحياة على ظهرها، وفق منهج الله تعالى"[2].

ولنا أن نؤكد أن المنهج التربوي في السُنّة النبويّة منهج لا تنسحب عليه صفات المنهج التقليدي المحصور في مقررات الدراسية؛ بل هو منهج ذو مفهوم واسع ومتكامل العناصر؛ له أهدافه ومحتواه – الذي يشمل إلى جانب القرآن الكريم المسطور كل تفصيلات السُنّة النبويّة بما فيهما من مفاهيم وقيم ومعتقدات ومنهجيات–، وهو يطبق من خلال العديد من الاستراتيجيات التربوية بما تتضمنه من طرق وأساليب ووسائل وأدوات، وما يرافقها من مناشط وتكليفات تعليمية وتربوية وتقويمية تتجاوز حيز المؤسسة التعليمية لتشمل نواحي الحياة المختلفة وبيئاتها، ولا تترك جانبًا من جوانب الشخصية إلا وتسعى لإحداث التغيير المرغوب فيه.

ويجدر التنويه إلى عناصر أي منهج تربوي أربعة– كما اشتهر في كتب التربية المعاصرة– وهي: أهداف المنهج، ومحتواه، والطرق والوسائل والأساليب، والتقويم. وإن هذه العناصر يؤثر بعضها في بعض وبينها علاقات تنظيمية تجعلها في تفاعل مستمر وتداخل وتكامل[3].

---

[1] موسى، فؤاد محمد، علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي، مكتبة زهرة المدائن، (د. ط)، (د. ت)، (ص: 6). وانظر: ملكاوي، فتحي حسن، بحوث المؤتمر التربوي، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان– الأردن، 1411هـ–1990م، (ج: 2)، (ص: 60).

[2] مدكور، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، (ص: 61).

[3] انظر: موسى: علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي، (ص: 9).

3. التأصيل التربوي

"الأصل" في اللغة هو: أسفل كل شيء[1]. وأصّلَ الشيء: أي جَعَل له أصلًا ثابتًا يُبنى عليه[2]. وعُرّف التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية: بأنه "تأسيس تلك العلوم على ما يلائمها في الشريعة الإسلامية من أدلة نصية أو قواعد كلية أو اجتهادات مبنية عليها، وبذلك تستمد العلوم الاجتماعية أسسها ومنطلقاتها من الشريعة الإسلامية ولا تتعارض في تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها مع الأحكام الشرعية"[3].

وقد عبّر إسماعيل الفاروقي– رحمه الله – عن "التأصيل" باستخدامه مصطلح "أسلمة المعرفة"، فقال إنها عملية: "إعادة صياغة المعرفة على أساس علاقة الإسلام بها، يعني أسلمتها، أي إعادة تعريف المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها، وأن يُقوَّم من جديد ما انتهى إليه من استنتاجات وأن يعاد تحديد الأهداف، على أن يتم كل ذلك بحيث يجعل تلك العلوم تثري التصور الإسلامي وتخدم قضية الإسلام[4].

وعرّف عماد الدين خليل "التأصيل"، بأنه: "ممارسة النشاط المعرفي كشفًا وتجميعًا وتركيبًا وتوصيلًا ونشرًا من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان"[5].

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، (11/ 16).

(2) مختار، أحمد، وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، 1429هـ – 2008م، (1/ 99).

(3) الميمات، بدرية صالح. والسالوس، منى علي، النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور، المدينة المنورة، السعودية، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، ط 1، 1435هـ–2014م، (ص: 265).

(4) الفاروقي، إسماعيل راجي، أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل، ترجمة: عبد الوارث سعيد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 1404هـ– 1984م، (ص: 50).

(5) خليل، عماد الدين، المدخل إلى إسلامية المعرفة، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1427هـ– 2006م، (ص: 9).

أما إبراهيم رجب، فقد عرّف التأصيل بأنه: "إعادة بناء العلوم في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والوجود والمجتمع وفق رؤية منهجية يتكامل فيها الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد كمصادر للمعرفة"[1].

ويقول محمد قطب في توضيحه لمفهوم التأصيل للعلوم التربوية: "إن مهمة المشتغلين بالتأصيل الإسلامي في مجال التربية هي إعادة اكتشاف المنهج، وتفصيل الحديث في جوانبه المتعددة، وفي شموله وتوازنه، مع محاولة إجراء التجارب العملية التي تُوصِل إلى تحويل المنهج من نظريات إلى واقع قابل للتطبيق[2].

وتندرج عملية التأصيل تحت مشروعات تحديث أدوات قراءة التراث بمعنى الانطلاق من المناهج الأصيلة للتصور الإسلامي، ثم تطويره وتجديده من الداخل بحسب أدواته الذاتية، والاستعانة بما يخدمه من أدوات أخرى؛ ويمكن توصيفها بأنها جزء من منهج التجديد، وأنها مشروعات قائمة على جهود علماء مسلمين مُجدّدين، يرومون أفقاً يرتقي ويحمل جذور الاستئناف العلمي الإسلامي المطلوب[3].

وسوف تعتني هذه الدراسة بتأصيل "التقويم التربوي" بعون الله تعالى، من خلال: استقراء النصوص المرتبطة ووصف المواقف وتحليلها والوقوف على شواهدها ودلالاتها واستنباط أدبيات التقويم التربوي من السُنّة النبويّة بحيث تكون منبثقة عن السُنّة وغير مخالفة لها.

---

(1) رجب، إبراهيم عبد الرحمن، التأصيل الإسلامي للعلوم المفهوم والمنهج، لجنة التأصيل الإسلامي للعلوم، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1425 هـ-2004م، (ص: 8). https: //2u. pw/CGvsp8

(2) قطب، محمد إبراهيم، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1418هـ-1998م، (ص: 179).

(3) انظر: سرميني، محمد أنس، منهجية التعامل مع السُنّة النبويّة في عالم ما بعد الحداثة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر- مكتب الأردن، المجلد (26)، العدد (101)، 1442 هـ- 2001م، الصفحات (101-142)، (ص: 134). https: //citj. org/index. php/citj/article/view/5469/4597

المطلب الثاني: مصطلح التقويم التربوي والمفاهيم المرتبطة

في هذا المطلب نقف على دلالة جملة من المفاهيم التربوية المرتبطة بموضوع الدراسة وعنوانها، وهي:

- التربية، التربية الإسلامية، القياس، التقييم، التقويم، التقويم التربوي.

على التفصيل الآتي:

1. التربية:

ترجع مفردة التربية إلى أصلها اللغوي من الفعل (رَبَّ)، وعند ابن فارس: أن الرَّاء وَالْبَاء، تدلان على أصول ثلاثة:

الأول: إصلاح الشيء والقيام عليه. يقال رَبَّ فُلَانٌ ضَيْعَتَهُ، إِذَا قَامَ عَلَى إِصْلَاحِهَا. وَرَبَبْتُ الصَّبِيَّ أَرُبُّهُ، وَرَبَّبْتُهُ أُرَبِّبُهُ.

والأصل الآخر: لُزُومُ الشَّيْءِ وَالْإِقَامَةُ عَلَيْهِ، يُقَالُ أَرَبَّتِ السَّحَابَةُ بِهَذِهِ الْبَلْدَةِ، إِذَا دَامَتْ.

والأصل الثالث: ضَمُّ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، يُقَالُ لِلْخِرْقَةِ الَّتِي يُجْعَلُ فِيهَا الْقِدَاحُ رِبَابَةٌ[1].

ويُعرِّف القاضي عِياض التربية، بأنها: القيام على الشَّيْء والإصلاح والمعاهدة لَهُ، يُقَال ربَّهُ وربَّاهُ وربَّبه ببائين، وربَّته بِالتَّاءِ كُله بِمَعْنى حضنه وَقَامَ عَلَيْهِ[2].

وعرَّف الأصفهاني التربية بأنها: إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدِّ التمام؛ يقال: رَبَّهُ، وربَّاه ورَبَّبَهُ[3]. وعند البيضاويّ في تفسيره، أنَّ التربية هي: تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا[4].

---

(1) ابن فارس: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، (2/ 381).

(2) القاضي عِياض، عياض بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، الطبعة القديمة، 1333 هـ، (1/ 280).

(3) الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط 1، 1412 هـ، (ص: 336).

(4) البيضاوي، عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1418 هـ، (1/ 28).

مما سبق يلاحظ أن المعنى اللغوي لمفردة التربية يجمع معاني مؤثرة في صياغة التعريف الاصطلاحي للتربية، وهذه المعاني تشمل:

- القيام على الشيء ولزومه
- الإصلاح والمعاهدة والمتابعة
- التدرج بالبناء والتنشئة شيئًا فشيئًا ومن حال إلى حال
- ضمَّ الشيء إلى الشيء
- الاستمرارية في التنشئة والدوام عليها حتى بلوغ التمام والكمال.

وعرّف "دراز" التربية اصطلاحًا، بأنها: "تعهُّد الشيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية، والأخذ به في طريق النضج والكمال الذي تؤهِله له طبيعته"[1]. وهذا التعريف ينسحب على تربية الإنسان وتربية غيره من الكائنات الحية التي يتعهدها المرء كالأنعام والخيل مثلًا.

وعرّف "الحجاوي والهياجنة" التربية اصطلاحًا، بأنها: "عملية التكيف والتفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها، وعملية التكيف والتفاعل هذه تعني تكيف مع البيئة الطبيعية، والبيئة الاجتماعية ومظاهرها، وهي عملية طويلة الأمد، ولا نهاية لها إلا بانتهاء الحياة"[2]. وهذا التعريف ركّز على التكيف والتفاعل بين الإنسان وبيئته، دون أن يشير إلى دور المربي وما يقوم به من رعاية وتنشئة وإصلاح ونحوه.

ويمكن أن نصوغ تعريفًا اصطلاحيًا "للتربية" من وحي المعاني والتعريفات السابقة، بأنها: بناء ورعاية للشخصية الإنسانية من كافة جوانبها، عبر كل مراحل حياتها، والارتقاء بها من حال إلى حال، وتعهدها بالتعليم والتزكية والإصلاح.

---

[1] دراز، محمد عبد الله، مبادئ علم الاخلاق، وندسور – المملكة الممتحدة، مؤسسة هنداوي، (د.ط)، 2021م، (ص:39).

[2] حجازي، عبد الحكيم ياسين، الهياجنة، وائل سليم، مفاهيم أساسية في التربية، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ط 1، 2016م – 1436هـ، (ص: 17).

2. التربية الإسلامية:

فصّل "دراز" في الجوانب[1] والمسارات التي تعمل فيها التربية – عمومًا–، فذكر أنه معنية بالمجالات العشرة الآتية:

1. تنمية لجسم الإنسان، وحفظًا لصحته، وهذه هي التربية البدنية.
2. وتقويمًا للسانه وإصلاحًا لبيانه، وهي التربية الأدبية.
3. وتثقيفًا لعقله وتسديدًا لتفكيره وأحكامه، وهي التربية العقلية.
4. وتزويدًا له بالمعلومات الصحيحة النافعة، وهي التربية العلمية.
5. وترويضًا له على وسائل الكسب لعيشه، وهي التربية المهنية.
6. وإيقاظًا لشعوره بجمال الكون، ومعاونة له على التعبير عن هذا الشعور وهي، التربية الفنية.
7. وتعريفًا له بحقوق المجتمع الذي يعيش فيه، وبما فيه من نظم وقوانين، وهي التربية الاجتماعية والوطنية.
8. وتوسيعا لأفق شعوره بالأخوة العالمية، وهي التربية الإنسانية.
9. وتوجيهًا مستمرًا لأعماله على سُنَن الاستقامة، تتكون منها العادات الصالحة والأخلاق الحميدة الراسخة، وهي التربية الخُلُقية.
10. ثم تساميًا بروحه إلى الأفق الأعلى بإطلاق وهي التربية الدينية.

فهذه الجوانب بتفصيلاتها هي المحتوى التربوي الذي يمكن أن تعتني بها أي تربية، ويبقى، هل يهتم بها جميعها بنفس الدرجة، أو يقدم بعضها ويؤخر الآخر؛ فهذا مرتبط بعوامل كالدين وثقافة المجتمع وعاداته والبيئة وظروفها والمرحلة العمرية وحاجة المتعلم.

وتنصبغ التربية عندنا كمسلمين بصبغة الوحي والأخلاق، وتسمى بالتربية إسلامية، باعتبار أن الوحي هو معيارها ومرجعيتها ومنه تستلهم غاياتها ومحتواها.

---

[1] دراز، محمد عبد الله، مبادئ علم الاخلاق، (ص:39).

ورغم أن التربية الدينية والخُلُقية مجال من مجالات التربية الإسلامية، إلا إنها ليست منعزلة أو منفصلة عن باقي مجالاتها، بل هي متداخلة معها جميعها، ومؤثرة فيها، وضابطة لمسارها؛ كما يقول "دراز": "إن سلطان الأخلاق منبسط على وجوه النشاط الإنساني كلها، لا يشذ عنه عمل تربوي ولا غير تربوي، ولا يتفاوت في حكمه نشاط بدني أو عقلي أو فني أو أدبي أو روحي، فالفنان الذي يجافي بفنّه قانون الحشمة واللياقة، ويهتك به ستر الحياء والعفاف؛ يتصدى لمقت الضمير الحي وإن لم تؤاخذه قواعد الفن. والمعلم الذي يختار مادة تدريبه العقلي واللغوي للناشئين من أحاديث الرفث والإثم، يُسيء من حيث يحسب أنه يُحسن.. وهكذا سائر أنواع التربية وشُعبها؛ فإنها وإن اتخذت لها أهدافًا أخرى اشتقت لنفسها منها أسماء معينة، إلا أنها يجب أن تخضع في وسائلها وأساليبها وبواعثها لقواعد الآداب وأن تقيس ذلك كله بمقاييس الفضيلة".

وضمن هذا الفهم الشمولي للتربية الإسلامية، جاءت تعريفات الباحثين لتعبر عن دلالتها، فعرفّها "الخطاطبة" بأنها: "منظومة المفاهيم النظرية والتطبيقات العملية المبنية على أصول الإسلام، في تعليم وتزكية وإصلاح الأمة المسلمة أفرادًا وجماعات، بشكل مستمر، ومتكامل، وبكل الوسائل المشروعة، بقصد تحقيق العبودية لله –سبحانه وتعالى– في الدنيا، والفوز برضوانه في الآخرة"[1]. مع ملاحظة أن مقصد تحقيق "العبودية لله سبحانه" الوارد في تعريف الخطاطبة – كما يتصوره الباحث– يتسع بمفهومه العام ليشمل محيا الإنسان كله وما فيه من عمارة الأرض وخلافة الله سبحانه فيها، وهو مفهوم دلالة قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163].

أما "ريم عبد الرزاق" فقد قدّمت في دراستها تعريفًا للتربية الإسلامية، بأنها "عمليه توظيف المدخلات التربوية، المتمثلة بالأمر الإلهي، وما وافقه من اجتهادات بشريه، في المعالجة الناجعة

---

[1] خطاطبة، عدنان مصطفى، أصول التربية الإسلامية وتطبيقاتها، عمان – الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط 1، 1440هـ – 2019م، (ص: 40).

بشقيها التعليمي والتزكوي، الموجّهة للنفس الإنسانية، عبر مراحل نموها المختلفة، بغيه استواء المخرج السلوكي والمجتمعي[1]. وعرّف "أنور الجندي" التربية الإسلامية، بأنها: "الإعداد الروحي والنفسي للفرد بحيث يكون مؤهلا لتلقي التعليم والثقافة على نحو موجّه، فيأخذ ما هو أساسي وبنّاء وما يمدّه بالقدرة على أداء رسالته في الحياة والمجتمع، هذه الرسالة الجامعة بين هدفي الدنيا والآخرة، من حيث البناء والعمل والسعي الى آفاق التقدم، دون أن يكون ذلك على حساب القيم الخُلُقية أو المسؤولية الفردية"[2]. ويمكن للدراسة الحالية أن تصوغ تعريفًا اصطلاحيًا للتربية الإسلامية متضمنًا ركائز التعاريف السابقة، بأنها:

البناء المستمر للإنسان من كل جوانب شخصيته، المستند إلى الأدلة الشرعية الكلية والتفصيلية، بغية صلاح وفلاح الفرد والجماعة في الدارين، تحقيقا لعبودية لله عز وجل والاستخلاف في الأرض.

فالتربية الإسلامية هي التي تُحوّل الإطار النظرية في محتوى المنهج الإسلامي وأهدافه إلى سلوك وتطبيق عملي في واقع الحياة، من خلال عملية بناء منهجية مستمرة ومتدرجة ومهذّفة وإيجابية وموجّهة للإنسان المُسلم، فهي تعتني بتنمية شخصيته المتكاملة من جوانبها الجسدية أو الروحية أو العقلية أو الاجتماعية، وتتعهدها بالإصلاح والتطوير عبر كل مراحل حياتها، مستندة في ذلك إلى:

- الأدلة الشرعية الكلّية؛ سواء أكانت أدلة شرعية أصلية كالكتاب والسُنّة. أو كانت أدلة شرعية تبعية كالإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والاستصحاب والعرف.
- الأدلة الشرعية التفصيلية كنصوص الكتاب والسُنّة وجزئيات الأدلة الشرعية الأخرى.

وهذ الاستناد في المرجعية إلى الأدلة الشرعية والأخلاق والقيم الإسلامية يمتد أثره في كل مجالات التربية وأنواعها؛ ويضبط أداء كل العاملين فيها.

---

[1] عبد الرزاق: ريم عبد الرزاق، النمو المعرفي في التربية الإسلامية وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعه اليرموك، 2019م، (ص:26).

[2] الجندي، أنور، التربية وبناء الأجيال في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥، ط1، (ص:١٥٣).

3. القِياس:

القِياس في اللغة من القَيْسِ وهو مصدر قِسْتُ. والقَيسُ بمنزلة القَدْر. تقول: عُودٌ قَيسُ إِصْبَع أي قدر إِصْبَع. وتقول: قِس هذا بذاك قِياسًا وقَيسًا. والمِقياس: المقدار[1].

وقاسَ الشَّيْءَ إذا قدَّره. تقول: قِسْته وقُسْته أَقُوسُه قَوْسًا وقِياسًا. والْقَائِسِ هو الذي يقيس. والمِقْياس: ما قِيسَ به[2].

والقياس في الاصطلاح: "عملية منظمة يتم من خلالها تحديد مقدار أو كمية ما هو موجود في الشيء أو الشخص من السمة أو الخاصية التي يراد قياسها"[3]. وهذا تعريف دقيق ويعبر عن مفهوم القياس عمومًا، وهو مناسب لاستخدامه في هذه الدراسة الحالية.

ويُفهم من هذا التعريف أن هذه العملية: تستخدم أدوات قياس أو اجراءات مناسبة يُتحصّل من خلالها قراءات كمية أو رقمية ضمن خطة منهجية لجمع البيانات اللازمة حول الأشياء أو الأشخاص أو المواقف، لتكون مقدمة ضرورية تعين على التقييم وإصدار الحكم والنتيجة.

ومتصور أن تختلف أدوات القياس المستخدمة لتناسب طبيعة الأمر أو الشيء المراد قياسه. ففي المجال الطبي مثلًا تستخدم أدوات قياس مناسبة لفحص البصر، وهي تختلف عن أدوات فحص السمع وقياس الضغط ونحوه. وفي المجال التربوي ثمة أدوات قياس عديدة، وتعتبر الاختبارات الشفوية والملاحظة والمقابلة من أبرز الأدوات الصالحة لقياس جوانب السلوك البشري، أو الميول والاتجاهات، أو القدرات والمهارات.

ومن الجدير بالذكر أن "القياس" عملية تنتهي حال قراءة ما تظهره أدوات الوزن والتشخيص والفحص والملاحظة من نتائج رقمية أو كمية والتي تظهرها الأدوات المستخدمة؛

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت)، (5/ 189).

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط 3، 1414 هـ، (6/ 187).

[3] انظر: موسى، علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي، (ص: 166).

فالقياس بأدواته المناسبة يتقدم بإجراءاته التشخيصية، والتي تسبق عمليتي التقييم والتقويم وتعتبر أساسًا لازمًا لهما[1].

4. التقييم:

يرجع أصل مفردة "التقييم" إلى الجذر: (ق ي م)، والفعل منه (قَيَّمَ) بمعنى قدَّر، وهذا لم يَرِد في المعاجم القديمة[2].

وحسب مجمع اللغة العربية المعاصرة فإن: (قيَّمَ يُقيِّم تقييمًا، فهو مُقَيِّم، والمفعول مُقَيَّم)؛ بمعنى قدَّر قِيمَة الشَّيْء. وتقول: قيَّم العملَ. أي قدَّر قيمته وما الجهد المبذول فيه. وقيَّم السِّلعةَ: حدَّد ثمنها. وقيَّم وضْعًا: استعرض نتائجَه وما حقَّقَهُ من تقدُّم، ثم قرَّر قيمةَ تلك النتائج[3].

ويُعرَّف "التقييم" في الاصطلاح بأنه: "الإجراءات التي تهدف إلى تقدير ما يبذل من جهود لتحقيق أهداف معينة في ضوء ما أتفق عليه من معايير وما وضع من تخطيط مسبق والحكم على مدى فاعلية وكفاءة هذه الجهود وما يصادفها من عقبات وصعوبات في التنفيذ بقصد تحسين الأداء[4]. وعرِّف أيضًا بأنه: "نشاط إداري يقيس بدقة مدى تحقيق الأهداف والغايات المطلوبة... ويتمحور حول متابعة عملية التنفيذ، ورصد الأخطاء فيها، وتقديم تقرير بذلك لاتخاذ القرار المناسب بشأنها"[5]. وتُعرّف الدراسة الحالية التقييم بأنه:

عملية منهجية دقيقة تقدر من خلالها الأحكام المتعلقة بنتائج القياس والملاحظة.

---

(1) انظر: حمود، رفيقة سليم، التقويم والقياس التربوي، مصر، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، 2023، (د.ط)، (ص: 19).

(2) مختار، أحمد عمر وآخرون، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، القاهرة – الأردن، عالم الكتب، ط 1، 1429 هـ – 2008م، مادة رقم 1660، (1/ 251).

(3) مختار، أحمد، وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (3/ 1886).

(4) أبو النصر، مدحت، وياسمين مدحت، أبعاد وأطراف وفلسفة ومبادئ التنمية المستدامة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة– مصر، 2017م، (ص: 117).

(5) عبد الغفار: هشام، الفرق بين التقويم والتقييم، على شبكة الإنترنت 2021/11/23م.
https: //rs. ksu. edu. sa/issue-1206/7232

ويفهم من التعريف السابق للتقييم بأن القياس بأدواته أو بالملاحظة أساس ومقدمة لازمة لعملية التقييم، ومن ثم وبناء على قراءاته وتشخيصاته الرقمية أو الوصفية يصدر الحكم والنتيجة وهو ما يعبّر عنه بالتقييم. كحال الطبيب حين يفعّل أسئلته وملاحظته أو يستخدم أجهزة خاصة لفحص درجة الحرارة وقياس الضغط ونحوه، ومن ثم بخبرته يدرك مغزى هذه القراءات ويتوصل إلى "تقييم" حولها، ويعطي نتيجة أو وصفًا حول وضعها ويحكم عليها. وبذلك يأخذ "التقييم" مكانته قبل المباشرة في وصف المعالجة وإجراءاتها عمومًا.

4. التقويم:

التَّقْوِيم في اللغة على ضربين: الأول: يتضمن معاني التعديل والتسوية والتصحيح وإزالة الاعوجاج والاستقامة. وهو يأتي من الجذر: (ق و م)، تقوَّمَ يتقوَّم، تقوُّمًا، فهو مُتقوِّم. وتقوَّم العودُ: اعتدل وزال عَوجُه واستوى[1]. وقَوَّمْتُه: عَدَّلْتُه، فَهُوَ قَوِيمٌ ومُسْتَقِيمٌ. يُقَال: رُمْحٌ قَوِيمٌ، وقَوَامٌ قَوِيمٌ، أَي: مُسْتَقِيمٌ[2].

والمعنى الثاني للتقويم: هو التقدير، مثل قولك: قوَّمت المتاع؛ أي جعلت له قيمة معلومة[3]. تقول: قَوَّمْتُ السِّلْعَةَ تَقْوِيمًا، أي ثمنتُها وقدَّرت قيمتها[4]. وعند ابن فارس: قَوَّمْتُ الشَّيْءَ تَقْوِيمًا، وَأَصْلُهُ أَنَّكَ تُقِيمُ هذا مكان ذاك. وكان أَهْل مكة يقولون: اسْتَقَمْتُ الْمَتَاعَ، أَيْ قَوَّمْتُهُ[5].

---

(1) مختار، أحمد، وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (3/ 1875).

(2) الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: على شيري، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1424 هـ، (17/ 594).

(3) حماد، نزيه، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دمشق – سوريا، دار القلم، ط 1، 1429هـ – 2008م، (ص: 399).

(4) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، (17/ 594).

(5) انظر: ابن فارس: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، (2/ 381).

أما التعريف الاصطلاحي للتقويم، فقد عُرّف بأنه "عملية إصدار حكم على قيمة الأشياء أو الموضوعات أو المواقف أو الأشخاص، اعتمادًا على معايير محددة"[1]. وهذا التعريف يقصر مفهوم "التقويم" على إصدار الحكم. وهو بهذا المعنى يكون مرادفًا لمفهوم التقييم. ولا يعبّر عن المعنى الشمولي لعملية التقويم.

– ونجد بعض الباحثين عند تعريفهم "التقويم" يجعلون تعريفهم من شقين: الشق الأول يشار فيه إلى دلالة مفهوم التقييم وما يتضمنه من عمليات القياس والتشخيص والوزن وإصدار الحكم، ويشار في الشق الثاني من تعريفهم إلى دلالة مفهوم التقويم الذي يتضمن العلاج والتعديل والتطوير ونحوه. وكلا الشقين معا يشكلان عملية التقويم. كما في دراسة الشيباني التي عرّفت التقويم بأنه: "إصدار الأحكام على الأشياء من أجل اتخاذ قرار بشأنها"[2]. وكذا مثلها دراسة "الحوامدة" حيث عرّفت التقويم بأنه: "عملية منهجية تتضمن جمع معلومات عن أمر معين تستخدم في الحُكم عليه على أساس أهداف ومعايير محددة مسبقًا من أجل تطويره وتحسينه"[3].

وتعرّف الدراسة الحالية "التقويم" اصطلاحًا، بأنه:

عملية تستند إلى معايير، وتتضمن إجراءات منهجية موجهة، غرضها المعالجة بالإصلاح أو التطوير، بعد تمام القياس والتقدير.

ويفهم من التعريف أننا إذا أردنا تقويم برنامج أو موقف أو حالة متعلم فإننا –عمومًا– سنسير ثلاث خطوات متتالية متلازمة في الأولى" القياس" بالوزن والفحص والملاحظة ونحوها.

وفي الخطوة الثانية "التقييم" بالتقدير واستصدار قرار التشخيص المناسب بناء على قراءات القياس، فتعطى الحالة حكمها المناسب أو وصفها أو القرار بشأنها.

---

(1) لجنة معيار التدريس والتعلم، استراتيجية التدريس والتعلم والتقويم، وحدة ضمان الجودة، كلية التربية النوعية، مصر جامعة المنيا، (د. ط). (د. ت). (ص: 20). https: //2u. pw/vVwG4B

(2) خليفة، عبد السلام الشيباني، الاتجاهات المعاصرة في التقويم التربوي ودورها في تطوير العملية التعليمية، مصر، مجلة فكر وإبداع، مجلد (86)، 2014م، الصفحات (485–506)، (ص: 487). https: 403rVE/2u. pw//

(3) الحوامدة، سليمان حماد، منهج التقويم في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة كراتشي، كراتشي – باكستان، 2002م. (ص: 18).

وفي الخطوة الثالثة يكون البدء بوصف مسار المعالجة التربوية المناسبة [1] وتنفيذ القرارات والتوصيات والأحكام. انظر الشكل الآتي:

5. التقويم التربوي:

نجد في التربية الحديثة تعريفات وأوصافًا متقاربة للتقويم التربوي نذكر منها ما قالته:

"الحريري" بأنه: "العملية التي يتم من خلالها تشخيص جوانب القصور في العملية التربوية ووصف العلاج اللازم لتعديل جوانب الضعف – فيها–، واكتشاف مواطن القوة في العملية التربوية وتعزيزها. وهو عملية مستمرة شاملة لكل العناصر التي تتداخل وتتشابك فيما بينها لتشكل كل أركان العملية التربوية وذلك بغية تحقيق الأهداف المرجوة. وتهدف عملية التقويم–

---

(1) المعالجة المناسبة: تتضمن مطلق المعالجة، والتي تبدأ من توصيف مسار المعالجة ثم مزاولتها بتمرس واقتدار حتى تمامها. يقول ابن فارس: "الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَمَرُّسٍ وَمُزَاوَلَةٍ، والْمُعَالَجَةِ، هي مُزَاوَلَةُ الشَّيْءِ. وَالْعِلَاجُ: مُزَاوَلَةُ الشَّيْءِ وَمُعَالَجَتُهُ. تَقُولُ: عَالَجْتُهُ عِلَاجًا وَمُعَالَجَةً. وَاعْتَلَجَ الْقَوْمُ فِي صِرَاعِهِمْ وَقِتَالِهِمْ. وَيُقَالُ لِلْأَمْوَاجِ إِذَا الْتَطَمَتْ: اعْتَلَجَتْ. وَعَالَجْتُ فُلَانًا فَعَلَجْتُهُ عَلْجًا، إِذَا غَلَبْتُهُ. وَفُلَانٌ عِلْجُ مَالٍ، أَيْ يَقُومُ عَلَيْهِ وَيَسُوسُهُ". انظر: ابن فارس: أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، (4/ 121).

وعليه فتتعدى دلالة المعالجة التربوية الغرض الاسترجاعي المتمثل بالإصلاح والتصويب، إلى الغرض الاستشرافي والبعيد الذي يحمل في دلالته معاني التعديل، والتطوير، والوقاية، والقيام على الشيء بما يبقيه صالحًا حالًا ومستقبلًا.

أيضًا– إلى التطوير والتجديد إضافة إلى معرفة مدى ما تحقق من الأهداف، ووضع المقترحات لتحقيق ما لم يتم تحقيقه منها"[1].

وعرَّفه "أبو شعبان وعطوان" بأنه: "إصدار أحكام عن طريق جمع البيانات بطرق القياس المختلفة، ثم استخدامها في التوصل إلى أحكام عن فاعلية العمل التربويّ سواء أكان تدريسيًّا أم غيره، وتستند هذه الأحكام إلى معايير الفاعلية بدلالة مدى تحقق الأهداف التربوية. أو هو العملية التي تحكم من خلالها على مدى نجاح العملية"[2]. ويلاحظ في تعريف "أبو شعبان" إغفاله الدلالة العلاجية للتقويم التربوي.

وعرّف "موسى" التقويم في العملية التعليمية التعلمية بأنه "مجموعة الأحكام التي نزن بها أي جانب من جوانب التعليم والتعلم، وتشخيص نقاط القوة والضعف فيه، واقتراح الحلول التي تصحح مساره وتقوّي دعائمه"[3].

وعرَّف "علي مدكور" التقويم كعنصر من عناصر المنهج التربوي، بأنه: "عملية تشخيص وعلاج لموقف التعلم أو أحد جوانبه أو للمنهج كلِّه في ضوء الأهداف التربوية المنشودة"[4].

وتصف دراسة "حمود" التقويم التربوي كما في التربية المعاصرة بأنه: عملية دراسة مستمرة للمؤسسة التعليمية؛ بمختلف مكوناتها من أبنية ومرافق ومربين وأهداف ومناهج وطرائق واستراتيجيات وأنشطة وأساليب مستخدمة، ووسائل تقويم... إلخ؛ بهدف الكشف عن نقاط القوة والضعف فيها لاتخاذ المناسب حيالها؛ ولهذا تعتبر عملية التقويم عمليةً تشخيصية وعلاجية في الوقت نفسه، ملازمة للعملية التربوية، وتوجه النشاط التعليمي ككل، وتساعد المتعلم على اكتشاف نتائج تعلمه وقدراته واستعداداته وميوله، كما تساعد المربين على فهم المتعلم ومعرفته أكثر، وبالتالي على توجيهه ومساعدته، كما تساعدهم على تحسين طرائقهم وأساليبهم وأنشطتهم

---

[1] الحريري، رافدة، التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط 1، 1433 هـ – 2012م، (ص: 18).

[2] أبو شعبان وعطوان، القياس والتقويم التربوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د. ط)، 2019م، (ص:12).

[3] انظر: موسى، علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي، (ص: 166).

[4] مدكور، علي أحمد، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، (ص: 261).

ووسائل التقويم التي يستخدمونها نفسها. بالإضافة إلى ذلك، فإن عملية التقويم تزود أولياء الأمور بمعلومات عن مدى تقدم أبنائهم[1].

وتُعرّف الدراسة الحالية "التقويم التربوي" إجرائيًا بأنه:

عملية تربوية تستند إلى معايير، وتتضمن إجراءات منهجية موجهة للموقف التربوي أيا كان فاعله، لوزنه وتقديره، أو تتميم بنائه، أو تعديل اعوجاجه، أو تثبيته ووقايته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف منشودة.

فالتقويم في المجال التربوي عملية منهجية مستمرة متدرجة تبدأ بالقياس ثم التقييم وتنتهي بالمعالجة التربوية المناسبة، وهي تتوجه لتقويم الموقف التربوي بكل ما يؤثر فيه أو يتأثر به، فتزن وتقدّر وتشخص وتصف وتكشف الخلل إن ثمة وتصلحه، أو تباشر بالتطوير بالتحسين والبناء وإعادة التوزيع والترتيب، وتقديم الدعم والتعزيز والتحذير لتلافي أخطاء المستقبل المتوقعة.

---

[1] انظر: حمود، رفيقة سليم، التقويم والقياس التربوي، مصر، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، 2023، (د.ط)، (ص: 12).

المطلب الثالث: مجالات التقويم التربوي في التربية المعاصرة وأغراضه

نوضح في هذا المطلب مجالات التقويم التربوي في التربية المعاصرة، ثم نشير لأبرز أغراضه التربوية.

مجالات التقويم التربوي

يشكل "التقويم" العنصرَ الضابط لأداء العملية التربوية، والضامنَ لسلامة مسارها، وذلك لأهمية دوره؛ إذ يعدُّ من عناصر المنهج التربوي وأحد مكوناته الأربعة والتي هي: "أهداف المنهج، ومحتوى المنهج، وطرائق وأساليب التعليم، وطرائق وأساليب التقويم والتطوير"[1].

ويحضر التقويم باكرًا من وقت صياغة الأهداف التربوية، ويستمر مواكبًا لتصميم محتوى المنهج والمقرر التربوي، ويتابع مسار تنفيذ العملية التعليمية والتربوية، ويصدر الأحكام التمهيدية والبنائية والختامية، ويقدِّم التغذية الراجعة للمعنيِّ بها.

وعليه فيدخلُ في مجالات عمل التقويم التربوي كلَّ ما له ارتباط بالعملية التربوية، سواء عناصر المنهج الأربعة، أو الأطراف المشاركة والمؤثرة في الموقف التربوي أيًا كانوا.

أغراض التقويم التربوي وأهدافه

يجدر التنويه إلى أن الهدف التربوي هو "النتيجة" أو "الإنجاز" أو "التغير" المراد الوصول إليه. كما عرّفه "الدغشي" فقال إن الهدف التربوي هو: "التغيّر المرغوب الذي تسعى العملية التربوية إلى تحقيقه في أي مجال من المجالات التربوية سواء كان ذلك قريبًا أم بعيدًا، مرحليًا جزئيًا متدرجًا أم نهائيًا غائيًا كليًا"[2].

وثمة مستويين للهدف، فالمستوى الأول: أهداف تشكّل "المقاصد والأغراض النهائية" التي يراد إنجازها وتحقيقها من التقويم التربوي. والمستوى الثاني أهداف في صورة وسائل وأدوات

---

[1] مذكور: نظريات المناهج التربوية، (ص: 227).

[2] انظر: الدغشي: أحمد محمد، دراسات في أصول التربية الإسلامية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان-الأردن، ط1، 2017م، (ص: 66).

واجراءات فعّالة وخادمة للأهداف النهائية[1]. وكلًا من المستويين لازم للآخر وبينهما تكامل؛ فالهدف النهائي بثباته وقوته يشكّل المحرك والدافع والموجّه والضابط للإجراءات والوسائل الموصلة للنتيجة النهائية. وعلى سبيل المثال: فإذا كان الهدف النهائي "إيقاف الفساد"، فإن إجراءات ووسائل محاربة الفساد بأنواعها تشكّل أغراضًا مرحلية على الطريق. وأيضا.. إذا كان المقصد النهائي هو تحقيق الاستقرار النفسي والأسري للفرد والمجتمع فإن إجراءات بناء الأسرة وحمايتها من التفكك تشكل أغراضًا مرحلية في سبيل ذلك[2].

وتشكّل الأهداف في المنهج التربوي الإسلامي منظومة غائية كبيرة تدخل فيها الفلسفة الحاكمة للمجتمع المسلم وسياسة التعليم وفلسفة التربية وأهداف التربية، وينبثق عنها أهداف المرحلة التعليمية، فأهداف المقررات فأهداف الدروس فأهداف المواقف التعليمية، ومن هذه المجاميع تصنع المصفوفات التي تشكل الخارطة الغائية للمنهج عمومًا، وهي موزعة – متدفقة– على المراحل والصفوف والمقررات والمواقف التعليمية"[3].

وعلى ضوء ذلك تصاغ المقررات الدراسية وينظم محتواها، ويُتخيّر لتطبيقها أنسب الطرق والوسائل والأنشطة والفعاليات والبرامج التربوية. ويتم تهيئة البيئة والمدارس، وينتخب المعلمون الأَكْفِيَاء ليباشروا مهمتهم الجليلة في بناء الجيل وصناعة المستقبل.

ويبقى التقويم التربوي حاضرًا ليكون داعمًا ومراقبًا لسلامة التطبيق وجودة النتائج ويحكم على المؤثرين من العناصر وأطراف العملية التربوية ويطور من أدائهم.

وعلى وجه العموم فجملة الأغراض الإجرائية للتقويم التربوي تدور حول الكشف عن مواطن الضعف ومواطن القوة. على التفصيل الآتي:

- ففي مجال "الأهداف التربوية"، يكون غرض التقويم التدقيق في مصادر الأهداف وشمولها وتنوع مستوياتها وتحديد أنواعها: عامة أم خاصة، قريبة أم بعيدة، مرحلية جزئية متدرجة أم

---

[1] انظر: المرجع السابق، (ص: 66).

[2] انظر: لويس ورد، الفرق بين الهدف والغرض، مقالة على الانترنت، 5 فبراير 2021م، https://ar.natapa.org/difference-between-goal-and-purpose-3234

[3] الرشيد، عماد الدين محمد، ملاحظات إثرائية، مرسلة للباحث مباشرة، بتاريخ 30 مايو 2023م.

نهائية غائية كلية، وكما من غرضه التدقيق في صياغتها ووضوحها ووسائل الإعلان عنها، وكذلك مراحل تنفيذها، وتقويم مدى تحققها، ونحو ذلك[1].

- وفي مجال "محتوى المنهج التربوي" – المقررات الدراسية– فإن أغراض التقويم تبدأ من تشخيص دقة المحتوى المعرفي وضمان سلامته من الأخطاء عمومًا، وتدرج السيل المعرفي فيه، كما من أغراضه التدقيق في مصادره وتنظيمه وترتيبه ومدى ملاءمته وتوفره ووضوحه وتعبيره بصدق عن أهداف العملية التربوية التعليمية[2].
- وفي مجال الطرائق والأساليب وتحقيقها لأهداف المنهج ومناسبتها لمستوى المتعلمين والبيئة المحيطة، فإن أغراض التقويم التربوي تتمثل بالتأكد من تنويعها ومناسبتها للموقف التربوي ومراعاتها للفروق الفردية، ويكشف التقويم التربوي عن نجاعة طريقة أكثر من أخرى، ومناسبةِ أسلوب أكثر من آخر من خلال مراقبة التنفيذ، وتقويم الجدوى، وتقدير التكاليف؛ ولا شك أن بعض هذه الطرق والأساليب خاضعة للتجريب، ويكون دور التقويم الحكم عليها باعتمادها أو تركها إلى غيرها[3].
- ويهدف تقويم "التقويم" إلى تشخيص فعالية الإجراءات التقويمية عمومًا وتطوير أدواتها واستراتيجياتها؛ لتكون مناسبة للتشخيص والمعالجة بما تسمح به القدرات وإمكانات البيئة[4].

ويجدر التنويه إلى أن ثمة علاقة بين أغراض التقويم وبين مواقيت تنفيذه، فالقياس والتشخيص والاستكشاف أغراض غالبًا ما تكون في بدايات العملية التربوية لوصف حالة المتعلم وتعلُّماته السابقة. أما التحفيز والتعزيز والتكوين والعلاج فهي أغراض تتخلل العملية

---

(1) انظر: حمود، رفيقة سليم، التقويم والقياس التربوي، مصر، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، 2023، (د.ط)، (ص: 42). وانظر: حسين، عبد المنعم خيري، القياس والتقويم في الفن والتربية الفنية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان– الأردن، ط1، 2010م، (ص: 55).

(2) انظر: وصوص، ديمة، والجوارنة، المعتصم بالله، الإشراف التربوي ماهيته تطوره أنواعه أساليبه، دار الخليج دار الخليج للنشر والتوزيع، 2014م، (ص: 371).

(3) انظر: مدكور: نظريات المناهج التربوية، (ص: 378). وانظر: خوالدة، أكرم صالح، التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، عمان – الأردن، دار الحامد للنشر، 2012م، (د. ط)، (ص: 35–36).

(4) انظر: الكريمين، رائد إبراهيم، استراتيجيات التدريس الفعَّال بين الكفايات التعليمية ونظريات التعلم، عمان – الأردن، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط 1، 2017م، (ص: 247–279).

التربوية لتعديل مسارها وتطويرها. وفي حال كان التقويم ختاميًّا فهو يحقق أغراضًا؛ من أبرزها: الوظيفة التجميعية لبيان تحصيل المتعلم من كمّ الدرجات والحكم على أدائه عمومًا، ومنحه الإجازة أو الترفيع المناسب، ونحو ذلك من التصنيف أو التوزيع.

المطلب الرابع: خطوات التقويم التربوي في التربية المعاصرة

لأن التقويم عملية دقيقة ونتائجه مؤثرة في تطوير مسار العملية التربوية والحكم على المنخرطين فيها، ولأنه واجبٌ بحكم الرعاية والمسؤولية؛ لذا فإنه ينبغي أن يتم بطريقة سليمة، ولا بد من تصور واضح لغاياته وخطواته المترابطة. وعند مراجعة ما كتبه التربويون عن خطوات التقويم التربوي كما عند الحريري[1]، وأبو شعبان[2]، وأبو دية[3] فإنه يمكن القول بأن خطوات التقويم الجيد ينبغي أن تتم ضمن الترتيب الآتي:

1. تعيير أهداف العملية التربوية أو البرنامج أو المرحلة، بتحويلها إلى أهداف جزئية أو مؤشرات أداء يمكن قياسها أو متابعة تحققها.
2. تحديد المجالات المراد تقويمها؛ هل يراد تقويمُ الأهداف التربوية، أم محتوى المنهج، أم الطرق والوسائل، أم طرق التقويم وأدواته، أم أنَّ التقويم موجَّهٌ لأحد أطراف الموقف التربوي، أو أنَّهُ موجَّهٌ للبيئة التربوية وما فيها من وسائل متاحة وإمكانات.
3. تحديد الفئة المستهدفة بالتقويم: من حيث جنُسها –رجالًا أم نساء– ومن حيث المرحلةُ العمرية، ومستواها التربوي، وهل تتكون من المستجدين أم من الخبراء؟ ليكون التقويم التربوي مراعيًّا للفروق بينها.
4. تحديد الغرض من التقويم؛ من خلال تصور الغايات والقرارات التي ستبنى على نتيجة هذه التقويم؛ كالترفيع، أو التصنيف والتوزيع، أو أنه لخلق التنافس والتحفيز، أو بقصد

---

[1] الحريري: التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه، (ص: 161).

[2] انظر: أبو شعبان وعطوان، القياس والتقويم التربوي، (ص: 29).

[3] أبو دية، عدنان أحمد، أساليب معاصرة في تدريس الاجتماعيات، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م، (ص: 315).

التشخيص والاستكشاف، أو أنه في إطار التقويم البنائي التكويني المصاحب للعملية التربوية للعلاج والتعزيز.

5. الاستعداد للتقويم؛ بتحديد مسار التقويم المناسب: هل هو في إطار التقويم التمهيدي القَبْلي، أم البنائي التكويني، أم هو في إطاره الختامي.
6. تحديد وسيلة التقويم المناسبة وتصميمُها وتهيئةُ الموقف والظروفِ التي يمكن من خلالها جمع البيانات والأدلة.
7. **التطبيق والتنفيذ: بجمع البيانات التشخيصية؛ باستخدام أدوات القياس المناسبة والمتاحة.**
8. تحليل البيانات وإطلاق الأوصاف وإصدار الأحكام والقرارات.
9. عملية المعالجة والتحسين ومتابعة تنفيذ القرارات، واستقبال التغذية الراجعة.

المطلب الخامس: أنواع التقويم التربوي في التربية المعاصرة

اشتهرت في الأدب التربوي المعاصر تصنيفات عديدة لأنواع التقويم التربوي، ويأتي تنوعها نتيجة لتعدد زوايا الاهتمام والنظر والغايات من التقويم، وبمجموع هذه التصنيفات تكتمل صورة التقويم التربوي؛ لأن كلًّا منها يُعبّر عن حالة من حالات التقويم التربوي أو جزئية فيه.

ومن التصنيفات لأنواع التقويم التربوي التي اشتهرت في الكتب التربوية المعاصرة:

1. تصنيف أنواع التقويم التربوي على أساس وظائفه وأغراضه؛ كالتقويم التشخيصي، والتكويني، والوقائي والعلاجي[1].
2. تصنيف التقويم التربوي بِناءً على الجهة التي يصدر عنها؛ كالتقويم الرسمي الذي تُعدُّه وتُنفِّذُهُ مؤسسات الدولة الرسمية، وغيرِ الرسمي الذي يُعدَّه ويجريه المربّي لتلاميذه في صفِّه.
3. تصنيف التقويم التربوي بِناءً على الجهة المستهدفة؛ كالتقويم الذاتي، وتقويم الآخرين.
4. ثمة تصنيف ثنائي آخر يجعل التقويم التربوي في نوعين بناءً على طريقة تفسير نتائجه، الأول يوصف بأنه تقويم معياري المرجع يعتمد طريقةً اعتبرت تقليدية؛ كون غرضها ينحصر

[1] الحريري، التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه، (ص: 48).

في مقارنة الفرد بمجموعته التي ينتمي إليها، كقولك: إن علامة هذا الطالب سبع وثمانون، أو إن ترتيبَهُ الثالث في صفه الذي يتكون من ستة وثلاثين طالبًا[1]. فهذا الشكل من التقويم؛ يكشف عن مستوى المتعلم بالنسبة إلى مجموعة من نفسِ المستوى العمري أو التعليمي، وضمن إمكانات وظروف متقاربة، فتعطي قراءة هذا التقويم ترتيبَ المتعلم بين أقرانه، وتبين مدى تقدمه أو تأخره عنهم. وفي هذا النوع من التقويم قد يكون أحد المتعلمين الأوَّلَ على مستوى مجموعته، ولكن بأداءات متدنية ودرجات منخفضة؛ كون مجموعته كلها محدودة القدرات وضعيفة المستوى.

أما عند تصدير نتائج التقويمات استنادًا لمستوى أداء مهاري أو سلوكي معين مرتبط بمؤشر من مؤشرات الأهداف، فيوصف هذا النوع من التقويم بأنه "تقويم مَحَكِّي المرجع"[2]؛ لأنه يعتمد في تفسيره وقراءاته لنتائج التقويم على تفريد التقويم؛ كونه يقارن أداء المتعلم وإنجازه المهاريَّ أو السلوكي أو المعرفي بالنسبة إلى الأهداف؛ بغض النظر عن مستوى أقرانه.

ويُستخدَم التقويم المَحَكِّي المرجع عادة في تقويم التعلم الإتقاني، أو التقويم التكويني، أو البنائي، أو التقويم التشخيصي، أو تقويم التحصيل المبني على الأداءات[3].

ويفيد التقويم مَحَكِّي المرجع في الحكم على جودة البرامج التعليمية والتربوية، ومدى فاعليتها وتحقيقها أهدافها؛ حيث إنها تربط الأداء بالهدف[4].

5. تصنيف التقويم التربوي على أساس مجالاته العديدة: كتقويم الأهداف التربوية، وتقويم محتوى المنهج، وتقويم الطرق والأساليب، وتقويم البيئة التعليمية، ونحوه.

6. تصنيف التقويم التربوي اعتمادًا على توقيت إجرائه بالنسبة إلى العملية التربوية، وهذا على ثلاثة أنواع:

- تقويم تمهيدي؛ ويكون قبل عملية التربية والتعليم وتمهيدًا لانطلاقتها.

---

(1) الحسن: مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية، (ص: 27).

(2) انظر: عبد الحميد، الاختبارات محكية المرجع، على شبكة الإنترنت 4 يونيو 2021م.
https: //2u. pw/ldPiU

(3) انظر: الكريمين، استراتيجيات التدريس الفعَّال بين الكفايات التعليمية ونظريات التعلم، (ص: 245).

(4) الحسن: مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية، (ص: 27)

- والنوع الثاني: تقويم تكويني؛ ويكون خلال عملية التربية والتعليم، ويطلق عليها التقويم البنائي أو التلازمي.
- والنوع الثالث: التقويم الختامي؛ ويكون مع نهاية فعاليات التربية والتعليم، وقرب نهاية مراحلها، ويطلق عليه التقويم البَعدي أو النهائي.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأنواع الثلاثة من التقويم ترتبط بالمحتوى التعليمي من جانب، وبتوقيت أجراء التقويم من جانب آخر؛ فأي برنامج تربوي محتاج لأنواع التقويم الثلاثة: تقويم تمهيدي يسهِّل انطلاقة التعلم من نقطة مناسبة، وتقويم بنائي يتم خلال تنفيذ التعلُّمات ويدعم تكونها الصحيح، وتقويم ختامي يقوِّم المخرجات ويصدر الأحكام.

المبحث الثالث: التقويم الواقعي واستراتيجياته

أُشتهر التقويم الواقعي في الأدب التربوي المعاصر، كما أُشتهرت استراتيجياته، ونعرض في المطلب الأول توضيحًا لمفهوم التقويم الواقعي وميزاته وعلاقته بالتقويم الحقيقي والتقويم البديل، وفي المطلب الثاني نوضح مفهوم الاستراتيجية التقويمية، ثم نبين أنواعها في مجال التقويم الواقعي.

المطلب الأول: مفهوم التقويم الواقعي وميزاته

مفهوم التقويم الواقعي وعلاقته بالتقويم الحقيقي والبديل

يسمَّى التقويم التربوي الذي يراعي توجهات التقويم الحديثة بالتقويم الواقعي. ويُعرَّف بأنه: التقويمُ الذي يعكس إنجازات المتعلم ويقيسها في مواقف حقيقية[1].

يكونُ التقويم واقعيًّا كلما جعل من عملية التقويم خادمةً للواقع الحقيقي الذي يعيشه المتعلم، أو الذي سيخوضه بعد تعلُّمه وتدريبه. فالجندي أو الطبيب أو المهندس وفي أثناء فترة تدريبهم، فإن عليهم الانخراط في مهام معينة، والعمل تحت ظروف تشبه –إلى حدٍّ بعيد– الواقعَ والمهام التي سيخدم فيها لاحقًا؛ فالجندي يُقَوَّم من خلال مشاركة حقيقية في مناورات عسكرية ميدانية، والطبيب يُقَوَّم من خلال معاينة المرضى والمشاركة في عمليات جراحية حقيقية مع أساتذته، والمهندس يُقَوَّم من خلال إصلاح آلات أو صناعة أخرى. والتقويم على هذا النحو يكون تقويمًا واقعيًّا حقيقيًّا.

ويطلق على التقويم الواقعي اسم التقويم الحقيقي أو التقويم الفعلي، وبه يُعلم ما إذا ما كان الطلاب قادرين على استخدام ما تعلموه في مواقف الحياة المدرسية التي تقترب كثيراً من مواقف الحياة الفعلية، وإذا ما كانوا قادرين على التجديد والابتكار في المواقف الجديدة[2].

---

[1] الثوابتة وفريق عمل: استراتيجيات التقويم وأدواته، عمّان– الأردن، مديرية الاختبارات، (د. ط)، 2004م، (ص: 9).

[2] أبو شعبان وعطوان، القياس والتقويم التربوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د. ط)، 2019م، (ص:27).

ويُعرّف التقويم الحقيقي بأنه: العملية التي يتم من خلالها جمع الشواهد حول تعلم الطالب ونموه في سياق حقيقي وتوثيق تلك الشواهد[1].

وأثناء السعي لتطبيق التقويم الواقعي –الحقيقي– في التربية المعاصرة ظهر ما يسمى بالتقويم البديل، واشتهرت له جملة من الاستراتيجيات تعتمد على تقويم الأداء وتقويم الذات وتقويم الأقران والتقويم بالملاحظة وبالتواصل وكذلك التقويم بالورقة والقلم.

وتعتمد فكرة التقويم البديل في أساسها على إمكانية تكوين صورة متكاملة عن المتعلم في ضوء مجموعة من البدائل[2]. ويُعرّف التقويم البديل بأنه: طريقة بديلة ندرك من خلالها ماذا يعرف الطالب أو ماذا يستطيع أن يعمل، بهدف متابعة تطوره وتقدمه بعيدًا عن الاختبارات التقليدية والمقننة[3].

ميزات التقويم الواقعي

1. يركِّز على الفاعلية والأثر الناتج –والنهائي– عن عملية التعلم والتقويم، أي إنه يرقب الأداء بأشكاله –كمخرجات حقيقية للتعلُّم والتعليم– ويجعل من تجاوز تحديات الواقع جسرًا لتجاوز التحديات المستقبلية المتوقعة؛ فالمشكلات والمهام والأعمال التقويمية المطروحة للتنفيذ؛ تكون واقعية وذاتَ أهميةٍ تربوية، تمسُّ حاضر المتعلم ومستقبله وتضيف له مهارة أو تطورًا في أدائه أو معرفته[4].

---

(1) الهوش، أبو بكر محمود، إدارة الجودة الشاملة في المجالين التعليمي والخدمي، دار حميثرا للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، 2018م، (ص:165).

(2) أبو شعبان وعطوان، القياس والتقويم التربوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د. ط)، 2019م، (ص:27).

(3) انظر: البستنجي: مراد أحمد، واقع التقييم في التربية الخاصة في الأردن، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمّان، 2007م، (ص: 9)

(4) الحريري: التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه، (ص: 44).

2.يُبنَى على أن تعلَّم الطالب وتقدُّمه في العملية التعليمية؛ يمكن تقويمه بواسطة أعمال ومهام وإنجازات تتطلب انشغالًا نشطًا في البحث والتحرِّي؛ لحل المشكلات المعقدة أو القيام بالتجارب الميدانية والأداء المرتفع[1].

3.يجعل المتعلمين ينغمسون في مهمات ذات قيمة ومعنى بالنسبة لهم، فيبدو التقويم كنشاطات تعلُّم وليس كاختبارات سرِّية. وهو يتطلب استخدام مهارات تفكير عُليا كالترتيب والتصنيف والتركيب وعقد المقارنات وتمييز العلاقات، والتحليل والاستنتاج والمواءمة بين مدى واسع من المعارف؛ مع استخدام للتفكير التأملي الذي يساعد في معالجة المعلومات ونقدها وتحليلها؛ مما يوثق الصلة بين التعلم والتعليم وبالتالي يساعد الطالب على التعلم مدى الحياة[2].

4.يتيح للمتعلم دورًا مؤثرًا في مسار التقويم، من خلال تقويمه لذاته، أو تقويمه لأقرانه، وتبادل التغذية الراجعة مع معلمه وزملائه[3].

5.كما تظهر الواقعية في التقويم من خلال "استخدام استراتيجيات وأدوات تقويم متعددة لقياس الجوانب المتنوعة في شخصية المتعلم"[4]؛ فلا تقتصر على نمط واحدٍ من الاختبارات والتقويمات. مع مراعاة ألَّا يشكل توفير هذه الأدوات التقويمية المتنوعة أي ضغوطات اقتصادية أو نفسية على المعلم أو المتعلم، فمن الواقعية استثمار الظروف المتاحة والتعامل مع إمكانات البيئة.

6.يعتمد على ما ينجزه المتعلمون لا ما يحفظونه... فهو يُقوِّم المهامَّ كما هي في الواقع ويحاكيها على هذا الأساس[5].

---

(1) أبو سالم، طلعت، التقويم الواقعي ضرورة أم حاجة؟ مقالة في موقع تعلم جديد، تاريخ المقالة 12\2\2019، تاريخ التصفح 29\9\2022م. https: //www. new-educ. com/?p=25670

(2) العياصرة، وليد رفيق، التربية البيئية واستراتيجيات تدريسها، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، (د. ط)، 2012م، (ص: 429).

(3) انظر: المرجع السابق، (ص: 11).

(4) انظر: الهاشمي، عبد الرحمن عبد وآخرون، استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الإسلامية، عمان – الأردن، دار عالم الثقافة، ط 1، 2010م، (ص: 399).

(5) أبو شارب، سليمان محمد، استراتيجيات التقويم في التربية المهنية، عمان – الأردن، دار غيداء، ط 1، 1436 هـ – 2015م، (ص: 35– 37).

7.يطبِّق التقويم التربوي الواقعي مبدأ التقويم لأجل التعلم أو دمج التقويم في التعليم.

8.من أهم مبادئ التقويم الواقعي أنه محكِّيُ المرجع؛ ويقتضي ذلك أنه يتجنب المقارنات بين المتعلمين[1] بل يتم التقويم بالمقارنة مع معايير معدَّة سابقًا مستمدة من الأهداف.

المطلب الثاني: استراتيجيات التقويم التربوي الواقعي

مفهوم "الاستراتيجية"

مفردة إسْتراتيجيَّة لفظ أعجمي مقتبس من اللغة الفرنسية والإنجليزية، وكانت دلالتها في هاتين اللغتين على: "فن قيادة الحرب والجيش". ثم اتسعت دائرة استعمال المصطلح في العصر الحديث ليصبح دالًا على "فنّ التخطيط" أو "فنّ التدبير في جميع مجالات الحياة المعاصرة"[2].

ونجد تعريف "الاسْتراتيجيَّة" في معجم اللغة العربية المعاصرة بأنها: "فن وعلم وضع خُطط الحرب وإدارة العمليَّات الحربيَّة. أو هي خُطَّة شاملة في أي مجال من المجالات. كما أنها تعبير عن براعة التَّخطيط [3].

وعُرِّفت الاستراتيجية بأنها: "فن استخدام الإمكانات والوسائل المتاحة بطريقة مُثلى لتحقيق الأهداف المرجوة على أفضل وجه ممكن"[4]. وهي أيضًا: "خطة منظمة ومتكاملة من الإجراءات تضمن تحقيق الأهداف الموضوعة لمدة زمنية محددة"[5].

---

[1] انظر: الثوابتة وفريق عمل: استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 11).

[2] انظر: بريش، محمد، تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي مدخل إلى التغيير الثقافي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، العدد التاسع، 1418هـ-1997م، (ص: 81).

[3] أحمد مختار وفريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، (1/ 90).

[4] شحاتة، حسن، والنجار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 2003م، (ص: 9).

[5] عمادة ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي، استراتيجيات التعلم والتعليم والتقويم، (ص: 17). على شبكة الإنترنت. https: //2u. pw/f8YE1

وعرّفها قاموس المصطلحات الاقتصادية بأنها: "خطة للتعامل مع الظروف المستقبلية غير المؤكدة. وهي عبارة عن مجموعة من القواعد تعتمد من خلالها التصرفات على الظروف المحيطة، بما في ذلك الأحداث الطبيعية وتصرفات الأفراد الآخرين"[1].

وعرّف "بريش" الاستراتيجية، فقال: بأنها تعبئة الموارد والطاقات البشرية والمادية وتوجيهها لتحقيق شامل وأوسع وأفضل وأمثل للأهداف المسطرة والموضوعة[2].

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن بنقاط أن نبرز المعاني التي يتضمنها مفهوم الاستراتيجية، على النحو الآتي:

1. أنها جزء من خطة شاملة منظمة ومتكاملة تبين كيفية تحقيق الأهداف.
2. تتسم بالبراعة في التخطيط والتنفيذ والتنسيق.
3. تستحضر المخاطر والتحديات وتخطط للتعامل مع البدائل والمتغيرات.
4. استثمار الموارد والطاقات البشرية والمادية بشكل أشمل وأمثل.
5. تتخير حزمة من الطرق والأساليب والإجراءات والمبادئ تتماشى مع الاستراتيجية.
6. كلمة استراتيجي تعطي دلالة على أن هذا الأمر بالغ الأهمية[3].
7. تتميز بالتركيز على عنصري الإقدام والمخاطرة من جهة، وعنصري استشراف المستقبل وتوقع ردود الفعل من الأطراف الأخرى[4].

وبناء عليه فتصوغ الدراسة تعريفًا اصطلاحيًا للإستراتيجية بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات المنهجية المتكاملة، يتم من خلالها استثمار أشمل وأمثل للطاقات البشرية وموارد وإمكانات البيئة وظروفها لتحقيق أهداف ضمن خطة معينة.

---

(1) يوسف، محمد حسن، معجم المصطلحات الاقتصادية ، على المكتبة الشاملة الذهبية، (1/ 40).

(2) انظر: بريش، محمد، تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي مدخل إلى التغيير الثقافي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، العدد التاسع، 1418هـ-1997م، (ص: 81).

(3) مسعود، جبران، معجم الرائد، المصدر: الشاملة الذهبية (ص: 85).

(4) المرجع السابق

الاستراتيجية التربوية

عرَّفَت "الحريري" الاستراتيجية التربوية بأنها: "الطريقة المثلى لاتخاذ القرار حول الاستخدام الفاعل للإمكانات المتوفرة، بتحديد الإجراءات التي تكفل الوصول إلى الأهداف المنشودة بدقة ومهارة؛ أي إنها الخطة المنتقاة التي يتم بموجبها تحديد إجراءات التنفيذ بشكل محكم، ودقيق بما يضمن تطبيق عملية التعليم والتعلم، وبطريقة مرنة تضمن تحقيق الأهداف المرسومة، وذلك باستغلال كافة الإمكانات المتاحة أقصى استغلال"[1].

وعرّف كل من "جيدوري والنجم" الاستراتيجية التربوية بأنها: "مجموعة من الأفكار والمبادئ التي تأخذ في الاعتبار ميادين النشاط التربوي بصورة شاملة متكاملة، وتوجيه أساليب العمل الدائرة فيها، بقصد إحداث تغييرات من أجل الوصول إلى أهداف محددة"[2].

ويمكننا أن نصوغ تعريف الاستراتيجية التربوية، على النحو الآتي:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، يتم من خلالها استثمار أشمل وأمثل للطاقات البشرية ومورد وإمكانات البيئة وظروفها وتوجيهها لتسيير عملية التربية والتعليم وتحقيق أهدافها المخطط لها.

استراتيجية التقويم التربوي

يمكننا أن نعرّف – اجرائيًا– استراتيجية التقويم التربوي بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، يتم من خلالها استثمار أشمل وأمثل للطاقات البشرية ومورد وإمكانات البيئة وظروفها وتوجيهها للموقف التربوي أيا كان فاعله، لوزنه وتقديره، أو تتميم نقصه، أو تعديل اعوجاجه، أو تعزيزه وتطويره؛ في إطار تحقيق أهداف خطة تربوية.

---

[1] الحريري، التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه، (ص: 161).

[2] جيدوري، بشار عوض، والنجم، زياد عبد الكريم، التطور الدلالي لمفهوم فلسفة التربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019م، (ص: 130).

وكما في التعريف فإن استراتيجية التقويم التربوي ليست مجرد طريقة منفصلة، أو مهارة منعزلة؛ أو وسيلة مستقلة، بل هي إطار واسع جامع لها كلها، يتخير فيها أنسب التقنيات والأساليب والأدوات، ضمن حزمة من الإجراءات التفصيلية والفعاليات المترابطة والمبادئ التربوية الداعمة، والتي تندرج تحت مسار الاستراتيجية وتتماشى معها لتحقيق أغراضها التقويمية.

ويجدر التنويه إلى أن الاستراتيجية تهتم بالمستقبل واحتمالاته المتعددة، ومن ثم فإنها قابلة للتعديل وفق مقتضياته، فهي تستوعب خبرات الماضي، وخصائص الحاضر واحتمالات المستقبل[1].

وقد اشتهرت في كتب التربية المعاصرة، جملة من الاستراتيجيات للتقويم التربويّ وهي تشكل مسارات تربوية تقويمية تتوازى أحيانًا وتتقاطع أحياناً أخرى، لكنها تتكامل مع بعضها لتقويم العملية التربوية، نذكرها في هذا المقام، ثم نعود لنبسط في تأصيلها في فصول الدراسة الآتية، وهذه الاستراتيجيات هي:

- استراتيجية التقويمِ المعتمِد على أداء المتعلم.
- واستراتيجية التقويمِ المعتمِد على التواصل.
- واستراتيجية التقويمِ المعتمِد على الملاحظة.
- واستراتيجية التقويمِ المعتمِد على المراجعة الذاتية.
- واستراتيجية التقويمِ المعتمِد على الأقران.
- واستراتيجية التقويمِ المعتمِد على الورقة والقلم.

[1] جيدوري، بشار عوض، والنجم، زياد عبد الكريم، التطور الدلالي لمفهوم فلسفة التربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019م، (ص: 130).

الفصل الثالث:

مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وأغراضه وضوابطه وأنواعه

يتكون هذا الفصل من أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

المبحث الثاني: أغراض التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

المبحث الثالث: ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

الفصل الثالث: مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وأغراضه وضوابطه

يتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، خُصص المبحث الأول لبيان مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وخُصص المبحث الثاني لبيان خمسة أغراض للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، أما المبحث الثالث فخُصص لبيان ثلاثة أنواع من الضوابط للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

المبحث الأول: مفهوم التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

نتتبع في هذا المبحث مفهوم السُنّة النبويّة ومكانتها، ومفردة "التقويم" وبعض معانيها الواردة في القرآن الكريم والسُنّة النبويّة، ومن ثم نوضح مفهوم الدراسة للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

المطلب الأول: مفهوم السُنّة النبويّة ومكانتها وحجيتها

نبين في هذا المطلب مفهوم السُنّة النبويّة ومكانتها بالنسبة للقرآن الكريم وأدلة حجيتها على النحو الآتي:

أولًا: مفهوم السُنّة النبويّة:

السُنّة النبويّة مصطلح متداول ومعروف في الأوساط العلمية والشرعية، وينظر له طلبة العلم الشرعي من زاويا عديدة تبعًا لتنوع اختصاصاتهم، لكن يبقى جامع لكل هذه النظرات، وهو أن الجميع يقتفي أثر "رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وطريقته وما ورد عنه".

وتُعرّف السُنّة في اللغة بأنها: الطَّرِيقَةُ والسِّيرَة، وإذا أُطلقت في الشرع، فيراد بها ما أمر به النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وما نهى عنه قولًا وفعلًا، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسُنّة أي القرآن والحديث[1]. والسُنّة: هي طريقة النبيّ المصطفى – صلّى الله عليه وسلّم– التي كان يتحرَّاها[2] ويأمر الناس باتباعها.

---

[1] انظر: ابن منظور: لسان العرب، (13/ 225).

[2] المناوي، عبد الرؤوف بن تاج، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة – مصر، عالم الكتب، ط 1، 1410هـ – 1990م، (ص: 198).

كما تطلق السُنّة على ما يقابل الفرض من العبادات، وعلى ما صدر من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من الأفعال أو الأقوال التي ليست للإعجاز[1].

وقد عرَّفها الحافظ ابن حجر، بأنها: "ما جاء عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من أقواله وأفعاله وتقريره وما همَّ بفعله"[2].

وعرَّفها العيني، بأنها: ما صدر عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– غير القرآن، من قول –ويسمى الحديث– أو فعل أو تقرير[3].

وعرَّف السباعي السُنّة النبويّة بأنها: "ما أُثِرَ عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خِلْقية، أو خُلُقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة النبويّة أو بعدها"[4]. وكما يظهر من تعريف السباعي؛ فإنه أدخل السيرة في تعريف السُنّة، كما أنه جعل ما قبل البعثة مما ورد من الأحاديث داخلًا في السُنّة.

والحقيقة أن مصطلح السيرة أعم من مصطلح السُنّة وأكثر اتساعًا، فالسيرة تتناول تفاصيل حياته – صلّى الله عليه وسلّم– قبل البعثة وبعدها وما فيها من وصف للأحداث المرافقة، والوقائع وإرهاصات النبوة ودلائلها، وتفصِّل في مجريات الغزوات والسرايا وبنود الاتفاقات والعهود. أما السُنّة فلا تُعنى بأخبار ما قبل البعثة.

ويجدر التنويه إلى أن مصطلح "الحديث" وهو أيضًا أعم من مصطلح السُنّة وأكثر اتساعًا، حيث يدخل في الحديث ما ثبت من صفات النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الخِلْقيَّة كلون بشرته وجسمه وطول شعره وصحته ومرضه ونحوه. فهذه تندرج تحت الحديث، ولا تدخل في

---

(1) الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول شرح منهاج الوصول، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط 1، 1420 هـ–1999م، (ص: 249).

(2) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (13/ 245).

(3) العيني، محمود بن أحمد، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط 1، 1429 هـ – 2008 م، (2/ 148).

(4) السباعي، مصطفى حسني، السُنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط 3، 1402 هـ–1981م، (ص: 74).

السُنّة، باعتبار أن صفات النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الخِلْقيَّة صفات فِطريه وليست موضع اقتداء، ولا يستفاد منها حكم شرعي"[1].

وقد وجد الباحث أن تعريف "همام سعيد" للسُنّة النبويّة، متوافق مع إجراءات البحث، وحدود الدراسة، وبعدها التربوي. حيث عرّف السُنّة بأنها:

"ما صدر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلقية من مبدأ بعثته إلى وفاته، وقد تأتي قولا أو فعلا من الصحابة أو التابعين باعتبارهم شهود عصر النبوة والمقتبسين من مشكاتها"[2].

نذكّر بأنه يدخل في السُنّة النبويّة كلًا من: الحديث المرفوع وهو ما انتهى سنده إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، والموقوف وهو الذي انتهي سنده إلى الصحابي، والمقطوع الذي انتهي سنده إلى التابعي. ويعتري هذه الأنواع الثلاثة صفة الحديث الصحيح أو الحسن أو الضعيف [3]. وقد سعت الدراسة الحالية للاستغناء بالحديث الصحيح والحسن عن الضعيف.

ومن الجدير بالذكر بأن السُنّة النبويّة تؤخذ من مظانِّها المتوفرة؛ ككتب الصِّحاح، وكتب السُّنَن، والمَسانِيد والمعاجم التي جمعت الحديث النبوي، وكذلك كتب السيرة النبويّة التي جمعت أخبار النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومغازيه وجهاده ودعوته.

ومن اللافت: الكثرة الكثيرة للمصنفات التي جمعت السُنّة والسيرة، وقد أَلَّفَ الكتاني (ت: 1345هـ) رسالةً ضمَّنها أسماء أكثر من ألف وأربعمِئَة كتابٍ مما اشتهر من كتب في مجالَيْ السُنّة والسيرة[4].

---

[1] انظر: ملحم، همام سعيد، التمهيد في علوم الحديث، (ص:12).

[2] المرجع السابق، (ص:11).

[3] انظر : المرجع السابق، (ص:59–62).

[4] الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُنّة المشرفة، المحقق: محمد المنتصر الزمزمي، بيروت – لبنان، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط6، 1421 هـ–2000م.

ثانيًا: مكانة السُنّة النبويّة:

تُعد السُنّة النبويّة المصدرَ الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وهي في الوقت ذاته من أهم المصادر التي تمثل المرجعية العلمية لكثير من الدراسات التربوية الإسلامية وتطبيقاتها.

ومن المهم تصور أنَّ محتوى المنهج التربوي في الرسالة الإسلامية كان وحيًا من الله تعالى تنزل في شكلين:

الأول: وحي القرآن الكريم المعجز المتعبد بتلاوته.

والثاني: وحي السُنّة النبويّة وهي التطبيق العملي المفصِّل والشارح لكثير من آي القرآن الكريم وأحكامه.

كما يجدر التأكيد على أن كلًّا من القرآن والسُنّة في المصدرية سواء، كما أخبر ربُّ العزة، فقال سبحانه: ﴿وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحي يوحى﴾ [سورة النجم: 3-4][1].

وكما صحَّ عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-: ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ))[2].

يقول ابن القيّم – معلقًا على عبارة ((وَمِثْلَهُ مَعَهُ)) -: "وهذا هو السُنّة بلا شك –وأضاف ابن القيم– تعليقًا على قوله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ [سورة النساء: 113]، وهما القرآن والسُنّة"[3].

---

[1] انظر: الجيزاني، محمد بن حسين، معالم أصول الفقه عند أهل السُنّة والجماعة، السعودية، دار ابن الجوزي، ط 5، 1427هـ، (ص: 134 – 135).

[2] أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل، ط 1، (د. م)، دار الرسالة العالمية، 1430هـ، كتاب السُنّة: باب في لزوم السُنّة، (4/ 200– ح: 4604)، وإسناده صحيح، كما بيّن الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

[3] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة، (ص: 249)

ثالثًا: حجية السُنّة النبويّة:

مما يستدل به العلماء على حجية السُنّة النبويّة: قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهوأطيعوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِوَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]. وقوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]. وقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العقاب﴾ [الحشر: 7].

ومن الأحاديث المثبتة لحجية السُنّة: قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي))[1]. وقوله: ((ألا إنّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشِكُ رَجُلٌ شَبعانُ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وَجَدتُم فيه من حلالٍ فأَحِلُّوه، وما وجدتُم فيه من حَرَامٍ فحَرِّمُوه، ألا لا يَحِلُّ لَكُم لحمُ الحِمَارِ الأهليّ، ولا كُل ذي نابٍ من السَّبُع...))[2].

وأيضًا حديث النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((لا أُلْفِيَن أحدَكُم مُتَّكئًا على أريكَتِهِ يأتيه الأمرُ من أمري مِمَّا أمرْتُ به أو نَهَيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه))[3].

وقد اتفقت الأمة على أنَّ السُنّة النبويّة تأتي بالاحتجاج بها بعد كتاب الله، فيما إذا لم تجد الأمة الحكم فيه، أو جاء مجملًا، أو عامًّا، أو مطلقًا، وبيَّنتْ السُنّة تفصيلَه، أو تخصيصَه،

---

(1) ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، (د. ط)، (د. ت)، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديّين، (1/ 16 – ح: 43). وصحَّح إسناده الشوكاني، محمد بن علي، في الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، (د. ط)، (د. ت). (5/ 2229).

(2) أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب السُنّة، باب لزم السُنّة، (7/ 13– ح: 4604). وصحّح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه مسند أحمد.

(3) أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب السُنّة، باب لزم السُنّة، (7/ 15– ح: 4605). وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (1/ 190– ح: 368).

أو تقييدَه، أو نسخَه. فإن وجِد الحُكم في كتاب الله – جل جلاله– وجب الوقوف عنده، وإن لم يوجد فُتِّشَ عنه في سنة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–[1].

وقال الشافعي: "أجمع الناس على أن مَنْ استبانت له سنة عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– لم يكن له أن يَدعَها لقول أحد [من الناس] [2].

وأكَّدَ ابنُ تيمية مبينًا المكانة العظيمة للسُّنة وحجيتها بعد القرآن الكريم ونقل اتفاق الصحابة والتابعين على ذلك، فقال: "وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة الدين؛ أنَّ السُنّة تفسر القرآن وتبيّنه وتدل عليه وتعبِّر عن مجمله، وأنها تفسِّر مجمل القرآن من الأمر والخبر "[3].

---

[1] أبو الحاج وآخرون، المدخل إلى الفقه الإسلامي وأصوله، الأردن، جامعة آل البيت، ط 1، 2007م، (ص: 73).

[2] ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: مشهور حديثة، السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 1، 1423هـ، (4/ 40).

[3] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد، ط 3، 1416 هـ – 2005م، (17/ 432).

المطلب الثاني: مفردة "التقويم" في القرآن والسُنّة وبيان مفهومه التربوي في الدراسة

نتتبع في هذا المطلب ورودَ مفردة "التقويم" في القرآن الكريم، والسُنّة النبويّة ومعانيها، ومن ثَمَّ نوضح مفهوم هذه الدراسة للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

أولًا: مفردة "التقويم" في القرآن الكريم:

ورد الجذر (ق و م) ومشتقاته اللغوية مرات عديدة في آيات القرآن العظيم، ونذكر بعضها مما نرى أنه ارتبط معناه بالإصلاح والتعديل والتسوية، كما في الجدول الآتي:

الآية	الكلمة	المعنى في سياق الآية
﴿فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه﴾ [سورة الكهف: 77].	أَقَامَهُ	الإصلاح والترميم والتسوية[1].
﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ [سورة الإسراء: 9].	أَقْوَمُ	أي الطريقة أو الحالة التي هي أتم استواء وأشد من سائر السبل[2].
﴿ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا﴾ [البقرة: 282].		أصوب للشهادة. وأصله من: "أقمتُه من عَوَجه"، إذا سويته فاستوى[3].
﴿ولم يجعل له عوجا * قيما﴾ [سورة الكهف: 1-2].	قَيِّمًا	مستوية ليس فيها اعوجاج[4].
﴿فيها كتب قيمة﴾ [البينة: 3].	قَيِّمَة	
﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [سورة التين: 4]	تَقْوِيم	في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه[5].

---

(1) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي – الخواطر، القاهرة– مصر، مطابع أخبار اليوم، (د. ط)، 1997م، (14/ 8965).

(2) الكرماني، محمود بن حمزة، غرائب التفسير وعجائب التأويل، جدة – السعودية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، (د. ط)، (د. ت)، (1/ 622).

(3) الطبري: محمد بن جرير، تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420 هـ- 2000م، (6/ 77).

(4) القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 2000م، (3/ 753).

(5) النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط 1، 1419 هـ - 1998م، (3/ 660).

﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معكولا تطغوا﴾ [هود: 112]	اسْتَقِمْ	الاستقامة هي الاستمرار في اتجاه واحدة من غير ميل لجهة اليمين أو الشمال(1).

ومن خلال قراءة الجدول أعلاه: يظهر أن مفردة التقويم وردت في القرآن الكريم مرات عديدة، ودلَّت على معان: الإصلاح والترميم والتسوية، كما دلَّت على اعتدال الأمر وصوابيَّتِهِ واستقامته وخلوه من الاعوجاج.

ثانيًا: مفردة "التقويم" في السُنّة النبويّة:

ورد الجذر (ق و م) ومشتقاته اللغوية مرات عديدة في الأحاديث النبويّة، في أكثر من سياق، فأخذت معانٍ عدة، نذكر منها ما يلي:

أ- التقدير والتسعير وتحديد القيمة: كما في حديث دَيْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ- رضي الله عنهما- : ((فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِئَةَ أَلْفٍ))[2]؛ بمعنى كم قدَّرت قيمتها؟ وقد وردَ التقويم في السُنّة النبويّة بمعنى تحديد قيمة الأشياء وتسعيرها بسعر ثابت، كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري – رضي الله عنه- قال: "غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالُوا لَهُ: لَوْ قَوَّمْتَ لَنَا سِعْرَنَا"، فقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-: ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُقَوِّمُ، -أو الْمُسَعِّرُ- إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُفَارِقَكُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ، فِي مَالٍ وَلَا نَفْسٍ))[3]. أيْ لو حَدَّدْت لنا قِيمَتَهَا. والتسعير أن يأمر السلطان أو نائبه أو كل من وَلِيَ من أمور المسلمين شيئًا أهلَ السوق أن لا يبيعوا سلعهم إلا بسعر كذا؛ فيمنعوا من

---

(1) انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية ط 2، 1384 هـ - 1964م، (9/ 107).

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر. ط 1، بيروت، دار طوق النجاة، (د. ت)، كتاب فرض الخمس، باب بركة الغازي في ماله حيًّا وميِّتًا، (4/87- ح: 3129).

(3) الشيباني، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421 هـ- 2001م، مسند أبي سعيد الخدري، (18/ 328- ح: 11809). ((اللَّهُ هُوَ المُقَوِّمُ)) أي: هو الذي يرخص الأشياء ويغليها، أي: فمن سعر فقد نازعه فيما له تعالى. وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه مسند أحمد.

الزيادة عليه أو النقصان للمصلحة. -ودلالة الحديث- أنه لا يكلِّف الناس بالتسعير، ولكن يؤمرون بالإنصاف والشفقة على الخلق والنصيحة لهم[1].

وأخرج البخاري حديثًا بالدلالة ذاتها عَنْ عبدِ الله بن عُمَرَ - رضي الله عنهما-: أَنَّ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((مَنْ أَعْتَقَ شِرْكًا لَهُ فِي عَبْدٍ، فَكَانَ لَهُ مَالٌ يَبْلُغُ ثَمَنَ العَبْدِ قُوِّمَ العَبْدُ عَلَيْهِ قِيمَةَ عَدْلٍ، فَأَعْطَى شُرَكَاءَهُ حِصَصَهُمْ، وَعَتَقَ عَلَيْهِ العَبْدُ، وَإِلَّا فَقَدْ عَتَقَ مِنْهُ ما عَتَقَ))[2]. والشاهد في هذا الحديث ورود مفردتي " قُوِّمَ" و"قِيمَةَ"؛ للدلالة على تحديد القيمة. وقد ورد هذا الحديث في إطار ما كانت عليه الفتوى من تقدير ثمن العبد المعتَق، إن كان فيه شركاء، حتى ينال من بقي من الشركاء حقهم المالي ومقدار حصتهم فيه.

ب- تعديل السلوك، وإزالة الاعوجاج،: كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم-: ((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))[3]. والشاهد في الحديث ورود عبارة (تُقِيمُهُ) والتي تدل على تعديل السلوك وإزالة الاعوجاج.

ونحوه حديث عَطَاءِ بْنِ يَسَار[4]، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بن العاص - رضي الله عنهما-، قُلْتُ: ((أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلّى الله عليه وسلّم- فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ:

---

(1) انظر: الساعاتي، أحمد البنا، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 2. 1396 هـ، (15/ 65).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العتق، باب إذا أعتق عبدا بين اثنين، (3/ 144- ح: 2522).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم - عليه السلام- وذريته، (4/ 133- ح: 3331).

(4) عطاء بن يسار: تابعي، مدني، من الثقات، وهو مولى ميمونة زوج النبيّ - صلى الله عليه وسلم- وكان صاحب قصص وعبادة وفضل مات سنة 103 هـ في الإسكندرية، وهو ابن أربع وثمانين سنة. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1404هـ-1984م، (5/ 161).

"أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿يا أيها النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: 45]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا))[1]. والشاهد في عبارة: "يُقِيمَ به الملَّة العَوْجَاء": يقول ابن حجر: "أيْ ملَّة العرب، ووصفها بِالْعِوَجِ؛ لما دخل فيها من عبادة الأصنام. والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان"[2].

ج- تصحيح الخطأ، وإتمام النقص وحذف الزيادة. فقد ورد هذا المعنى في رواية زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ – رضي الله عنه– قال: ((كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ أَخَذَتْهُ بُرَحَاءُ شَدِيدَةٌ، وَعَرِقَ عَرَقًا شَدِيدًا مِثْلَ الْجُمانِ، ثُمَّ سُرِيَ عَنْهُ، فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقِطْعَةِ الْكَتِفِ أو كَسْرَةٍ، فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ، فَمَا أَفْرَغُ حَتَّى تَكَادَ رِجْلِي تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقْلِ الْقُرْآنِ حَتَّى أَقُولَ: لا أَمْشِي عَلَى رِجْلِي أَبَدًا، فَإِذَا فَرَغْتُ قال: "اقْرَأْ"، فَأَقْرَأَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقْطٌ أَقَامَهُ، ثُمَّ أَخْرُجُ بِهِ إِلَى النَّاسِ))[3]. والشاهد في عبارة: "فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقْطٌ أَقَامَهُ" والتي تدل على تصحيح الخطأ الذي قد يعتري المحتوى المكتوب، وإتمام النقص فيه أو حذف الزيادة عنه.

د- التثبيت على الحق: كما في حديث النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ، قال: سَمِعْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ: ((مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ، وَكَانَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ: يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ،

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية الصخب في الأسواق، (3/ 66– ح: 2125). (فظًا) في القول، (غليظ القلب) في الفعل. (سخَّاب) ولا يكثر الصياح.

(2) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (343/4).

(3) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، (د. ط)، 1414 هـ– 1994م، باب عرض الكتاب بعد إملائه، (1/ 152– ح: 684). وقال رجاله موثوقون.

ثبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ))[1]. والشاهد في ورود عبارة: "إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ" بمعنى ثبَّته على الحق كما يظهر من الدعاء "يَا مُثبِّتَ الْقُلُوبِ".

ثالثًا: مفهوم "التقويم" في السُنّة النبويّة:

مما سبق يتبين ورود "مشتقات مفردة "التقويم" في السُنّة النبويّة، وأن معانيها دارت حول:

- التقدير وتحديد القيمة.
- تعديل السلوك وإزالة الاعوجاج.
- تصحيح الخطأ وتتميم النقص في الشيء أو حذف الزيادة عنه.
- التثبيت على الحق.

وعليه فتُعرّف الدراسة الحالية التقويم التربوي في السُنّة النبويّة إجرائيًا بأنه:

عملية تربوية تستند إلى معايير، نفذَّها النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه– رضي الله عنهم– خلال فترة البعثة، وتتضمن إجراءات منهجية موجهة للموقف التربوي أيًّا كان فاعله، لوزنه وتقديره، أو تتميم بنائه، أو تعديل اعوجاجه، أو لتثبيته ووقايته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف تربوية نبوية.

دلالة ألفاظ التعريف:

- لفظ عملية: يعطي دلالة على سلسلة من المناشط والأساليب والطرق والخطوات المتتابعة التي تحوّل المدخلات إلى مخرجات في إطار إحداث التغيير المرغوب في الموقف التربوي.
- تتميز المعايير التي تستند لها عملية التقويم في السُنّة النبويّة بأنها معايير مستمدة من الكتاب والسُنّة النبويّة.

---

[1] ابن ماجه: سنن ابن ماجه، باب فيما أنكرت الجهمية، (1/ 72–199). وأصله في صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، (4/ 2045– ح:2654).

- تتمثل الغايات البعيدة لعملية التقويم التربوي في صلاح الفرد والجماعة في الدارين، وتحقيق العبودية لله عز وجل والاستخلاف في الأرض.

- اعتمد التقويم التربوي في السُنّة النبويّة على النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– بالدرجة الأولى باعتبار تكليفه بالرسالة وتحمله أمانة تبليغ الدعوة وتعليم الناس وتزكيتهم وتقويمهم.

- وقعت على جيل الصحابة – رضي الله عنهم – مسؤولية تنفيذ مساحة كبيرة من التقويم التربوي في فترة البعثة، باعتبارهم المتعلمين وشهود عصر النبوة.

- تَظهر المنهجية في العملية التربوية من وضوح الأهداف وتسلسل الخطوات المنظمة والإجراءات وتتابعها نحو تحقيق الأهداف المرحلية والنهائية. كما وتَظهر المنهجية في حسن اختيار الطرق والأساليب والأدوات والوسائل والتنويع المقصود الهادف فيها، والتقديم والتأخير والتدرج الحكيم، بما يناسب الموقف التعليمي وحالة المتعلم وما تسمح به ظروف البيئة وإمكاناتها.

- أما عن مجالات التقويم التربوي النبوي، فمساحة واسعة تشمل التقويم التربوي مطلقًا بكل ما يؤثر في بناء الموقف التربوي أو يتأثر به. ويشمل ذلك العناصر البشرية وعناصر المنهج والبيئة وما تتيحه.

- أما حدود هذه العملية التقويمية التربوية النبوية فهو في إطار دلالة السُنّة النبويّة، التي يخرج منها ما كان قبل البعثة أو ما كان بعد وفاته – صلّى الله عليه وسلّم–. كما ويخرج من دلالتها ما كان من أحاديث وآثار تشتمل على الصفات الخِلقية له– صلّى الله عليه وسلّم– باعتبارها صفات فِطريه وليست موضع اقتداء ولا يستفاد منها حكم شرعي.

أوجه الاتفاق والافتراق بين التقويم التربوي النبوي، والتقويم التربوي المعاصر.

أوجه الاتفاق بين التقويم التربوي النبوي، والتقويم التربوي المعاصر.	
التقويم النبوي	التقويم المعاصر
عملية تربوية مجالهما الموقف التربوي، وكل ما يؤثر فيه أو يتأثر به. الوزن والتقدير أساس فيهما والمعالجة بأنواعها تَعقُب التشخيص فيهما.	

أوجه الافتراق بين التقويم التربوي النبوي، والتقويم التربوي المعاصر.		
	التقويم النبوي	التقويم المعاصر
1. **منطلقه**	الوحي	فلسفة التربية
2. **غايته**	تحقيق مقاصد الشريعة تحقيق العبودية لله تعالى بمعناها الواسع تحقيق عمارة الأرض والاستخلاف فيها	تحقيق أهداف التربية والتعليم
3. **ماهيته**	عملية يندمج فيها التعليم بالتقويم التربوي فلا يشعر المتعلم بأنه يخوض اختبارا	يغلب عليه الفصل بين التقويم والتعليم ويضطر المتعلم للشعور برهبة الامتحان وأجوائه
	مسدد بالوحي، في كثير من تفصيلاته، فأخذ الاعتماد لطرقه وأساليبه	يعتمد على الاجتهاد البشري والخبرات المتراكمة
	يبتعد عن ثقافة الاختبارات التي لها مواقيت محددة وإلزامية	يعتمد بشكل كبير على الاختبارات ذات المواقيت المحددة والإلزامية
	تندر فيه الاختبارات التحريرية ويعتمد كثيرا على الملاحظة والمشافهة والتواصل. ويعوّل كثيرًا على تقويم الأداء المباشر، والمعايشة التربوية وتتقدم فيه استراتيجيات التقويم الذاتي وتقويم الاقران بشكل فعّال.	يعتَمد بشكل كبير على الورقة والقلم، تماشيًا مع الحاجة للتوثيق وتحسبا للمراجعة والمحاسبة، فهي مفضلة في قياس التحصيل الدراسي في المؤسسات التعليمية والتربوية، وعلى أساسها تُمْنَحُ الشهادات والإجازات والترقيات
4. **مسماه وشكله**	عُرف ممارسة دون إعطائه مسمى تقويم أو قياس، ولم تكن له صورته الرسمية، أو المؤسسية كما في عالمنا المعاصر.	أخذ مسماه وشكله النظامي والمؤسساتي ضمن أنظمة الاختبارات والتقويم في المدارس والجامعات.
5. **أبرز أغراضه**	يغلب عليه الغرض التكويني البنائي للقيم والاتجاهات والأداءات والمهارات. ويبرز فيه الغرض الوقائي بشكل كبير	يغلب عليه الغرض التجميعي للدرجات في إطار منح الشهادات.

	مطلق التقويم التربوي	يركّز على تقويم عناصر المنهج الأربعة وتقويم المتعلم بالدرجة الأولى
6. **مجاله**	الموقف التربوي (سواء أكان في الواقع المشاهد أو الافتراضي المتوقع) فهو يجمع بين التقويم الاسترجاعي والاستشرافي. وهو بذلك يؤسس ويبني الاتجاه والسلوك ابتداءً، كبقية أساليب التربية.	يُقَوّم الموقف التربوي بعد حدوثه، وغالبًا ما يكون تعليميًّا، وعليه فهو لا يؤسّس –ابتداءً– توجهًا، بل يغلب عليه المعالجة البَعدية.
7. **قراءة بياناته**	يغلب عليه مقارنة أداء المتعلم وإنجازه نسبة إلى أهداف ومؤشرات؛ بغض النظر عن مستوى الأقران ولا يقارن المتعلم بأقرانه.	يغلب عليه مقارنة المتعلم بمجموعته التي ينتمي إليها، فيكشف عن مستواه وترتيبَه بين أقرانه، ويبين مدى تقدمه أو تأخره عنهم.
8. **ضوابطه**	يراعي الضوابط الشرعية والأخلاقية	يراعي الضوابط التي تفرضها فلسفة التربية وثقافة المجتمع
9. **وجوده في الفرد أو الجماعة**	يعمل التقويم التربوي النبوي بشكل متواز على الصعيدين الجماعي والفردي	يركز على التقويم الفردي
10. **بناء الدافع لتقبله**	يربط العملية التقويمية بالمسؤولية الدينية وواجب بذل النصح، ويبني الدافع لتقبلها والإحسان فيها والاتقان	يجعل العملية التقويمية جسرًا يخوضه المتعلم مجبرًا بدافع الرغبة بالنجاح المرحلي وتحقيق الاستقرار

المبحث الثاني: أغراض التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

نستعرض في هذا المبحث خمسةَ أغراضٍ للتقويمِ التربويّ في السُنّة النبويّة؛ وهيَ:

1. الكشفُ والتشخيصُ
2. التكوينُ والعلاجُ
3. التعزيزُ والتحفيزُ
4. الوقايةُ
5. التنظيمُ.

ونفصِّل فيها ضمن المطالب الخمسة الآتية:

المطلب الأول: أغراض التقويم التربوي للكشف والتشخيص

يواكبُ الغرض التشخيصي العملية التربوية والتعليمية في كلِّ مراحلها، فيكون قبليًّا – تمهيديًّا– يكشف به المعلم عن استعدادات المتعلم، وعن صفاته وميوله ومواقفه وتعلُّماته السابقة، ثم تؤخذ بالاعتبار نتائج تلك التشخيصات لاختيار المحتوى التعليمي المناسب وطريقته وأسلوبه.

وقد يكون التشخيص بعديًّا –ختاميًّا– أو في أثناء العملية التكوينية للكشف عن أثر التعلم على المتعلم، وهل تحققت الأهداف، وهل أتقنت المهارات، وهل تحسنت الأداءات، مما يسهم في تسديد المسار التربوي بتكرار الإجراءات التعليمية أو التدريبية أو تغير طرقها وأساليبها.

ونجدُ أنَّ النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– ومن بدء عمليته التربوية؛ احتاج أن يشخص أحوال المتعلمين من الصحابة – رضي الله عنهم– وكان يتم ذلك عادةً حال تواصله الدعوي معهم، أو بعد دخولهم في الإسلام مباشرة، ثم تستمر إجراءات التشخيص إلى جانب إجراءات التكوين والبناء التربوي.

ويمكن ملاحظة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان في تشخيصه يسير مسارين: مسارًا جماعيًّا عامًّا على مستوى الجماعة (القبيلة أو الفئة)، ومسارًا مع مستوى الحالة الفردية، فمثلًا يمكن ملاحظة محاولته – صلّى الله عليه وسلّم– المستمرة للكشف عن استعداد قبائل

الجزيرة لتقَبُّلِ الإسلام ونصرته، من خلال زياراته ومراسلاته معهم، أو مقابلات مع وجوه القوم منهم؛ تمهيدًا للبدء معهم في مشروعه التربوي؛ كما حدث في أثناء زيارته للطائف؛ حيث كشفت زيارته لهم عن موقف عام لأهل الطائف، وعن مواقف فردية لمن التقاهم وقابلهم كعَدَّاس –من نِينَوَى– وبعض وجوه القوم.

وحصل نحو ذلك مع العديد من وفود القبائل القادمة لمكة في مواسم حجها وأسواقها، كما جرى ذلك في عام الوفود في العام التاسع للهجرة، وكان يرشح عن هذه المقابلات معلومات تفصيلية عن شيوخ العشائر، وطريقة تفكيرهم، وما لديهم من تصورات ومواقف... الأمر الذي كان يسهم في تخير أنسب الطرق الدعوية والتربوية في التعامل معهم.

وأحيانًا كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يستعين ببعض أصحابه في تشخيص حال الناس، أو الكشف عن مواقفهم واستعدادهم، كما في حضور عمّه العباس – رضي الله عنه– بيعة العقبة الثانية؛ ليتوثَّق للنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ويكشف عن مدى استعداد المؤمنين من الأوس والخزرج لتحمُّلِ تبعات نصرةِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وحمايته كما في رواية ابن هشام عن كعب بن مالك – رضي الله عنه–: ((... فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ (عَمُّهُ) الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ. فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ –قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ إنَّمَا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ: الْخَزْرَجَ، خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا–: إنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إلَّا الِانْحِيَازَ إلَيْكُمْ، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إلَيْكُمْ، فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ...))[1]. وقد أدَّى سؤال العباس –وكان صريحًا وقويًّا– إلى

[1] ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 441). وصححه الألباني في تخريجه، كتاب: الغزالي، محمد السقا، فقه السيرة، دمشق، دار القلم، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، ط 1، 1427هـ، (ص: 160).

فتح حوار بين المجتمعين من الأنصار، وأظهر ما لدى القوم من أسئلة كانت تدور في نفوسهم، فأجابَ عنها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حتى زالت مخاوف القوم وتمَّت البيعة.

ومن شواهد التشخيصِ (القَبلي) على المستوى الفردي: ملاحظة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وتشخيصه نبوغَ زيد بن ثابت – رضي الله عنه– وقوة حفظه على صغر سنِّه، فوجَّهه لتعلّم لغة يهود، كما روى ذلك خَارِجَةُ بن زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا – رضي الله عنهما– أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الْمَدِينَةَ، قال زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رسول الله، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وقال: ((يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ فَإِنِّي وَاللهِ ما آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي)). قال زَيْدٌ: "فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ –ما مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ– وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ"[1]. والشاهد دقة التشخيص القبلي لحالة هذا الصحابي الشَّاب من بني النجار –والذي عُرض على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وزَكَّي له أول مرة– فبدا تميزه بالحفظ السريع والإتقان والأمانة. فَكُلِّفَ بمهمة تناسب عمره وأمانته وحفظه. فأتقنها وبرع بها في فترة وجيزة للغاية. وصار ترجمان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وكاتبه.

ومن الشواهد –أيضًا– على التشخيص القبلي؛ كشفه – صلّى الله عليه وسلّم– عن موهبة عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– حين كان غلامًا يرعى الغنم، ومن لقائه الأول به، وحواره القصير معه، فمَسَحَ رَأْسه، وقال له: "يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ"[2]. وقد صار حقًّا كما شخَّص وأخبر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم؛ حيث تميَّز هذا الصحابي – رضي الله عنه– لاحقًا بغزارة علمه وحفظه وفهمه وتأثيره الكبير المبارك في حركة العلم والاجتهاد في زمن الصحابة – رضي الله عنهم–، ومما قاله ابن مسعود – رضي الله عنه– متحدِّثًا عن نفسه،

---

[1] الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث زيد بن ثابت، (35/490– ح: 21618). وحسَّن الأرنؤوط إسناده في تحقيقه مسند أحمد.

[2] الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن مسعود (6/ 82– ح: 3598)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه مسند أحمد.

كما أخرج مسلم: ((وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ ما مِنْ كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ))[1].

المطلب الثاني: أغراض التقويم التربوي للتكوين والعلاج

تتضافر الفعاليات التقويمية مع الفعاليات التربوية التعليمية في مسار البناء التربوي، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل واضح في السُنّة النبويّة في مجالات عدة: كتصحيح المفهوم، وتعديل السلوك، وتصويب الأداء[2].

ولا شك أن البياناتِ الواردةَ من التقويم كانت توجِّهُ مسارَ البناء التعليمي والتربوي، وتخطو معه خطوات للتحسين والعلاج والدعم.

ويمكن القول: إن الوظيفة التكوينية العلاجية هي الغالبة على وظائف التقويم التربوي النبوي، وهذا يتناسب مع طبيعة المهمة الموكلة للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– والتي ركزَّت على التعليم والتزكية وتصحيح العقيدة وتتميم الأخلاق وتصويب المسار السلوكي، وفيما يلي شواهد على ذلك:

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه، (4/ 1913– ح: 2463).

[2] انظر: ملحم، همام سعيد، وآخرون، موسوعة التصنيف الموضوعي للسُّنَّة النبويّة، تصنيف أحاديث التقويم.

أ- تصحيح المفهوم والتصورات:

حرَصَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في أثناء جهده التربوي والدعوي على تصحيح تصورات الناس حول الإنسان والحياة والكون وما فيه من ظاهرات كونية، فمثلًا نفى – صلّى الله عليه وسلّم– لأصحابه أيَّ علاقة تربط بين ظاهرة كسوف الشمس أو خسوف القمر بحياة الناس أو موتهم؛ وأكَّدَ لهم أن الشمس والقمر وحركتهما آيتان من آيات الله تسيران وفق نواميس، فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، وقد جاء تصحيح هذا التصور في الحديث الذي أخرجه البخاري عن المُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ، قال: ((كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللَّهَ))[1]. والشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قوَّم ما كان عند أصحابه من تصورات باطلة حول الكسوف والخسوف، وبيَّن أن ما يحدث لهما آيةٌ من آيات الله الكبرى الدالة على عظمته – سبحانه وتعالى– والتي تتطلب الخضوع له والتوجَّه له بالصلاة والدعاء. وفي الحديث شاهدٌ على عظم صدق هذا النبيّ الكريم، وأنه مبعوث من ربّه، فهو لم يقبل أن يثنى عليه أو يرفع من شأن ابنه المتوفى – عليه السلام– على حساب سلامة العقيدة وصحة تصوراتها.

وفي شأنٍ آخر صحَّحَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مفهومَ "الواصلِ رحمَه" في قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))[2].

وقَوَّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مصححًا تصور الناس حول "الرَّقُوبَ" من الناس و"الشديد" منهم، فقال: ((مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ))؟ قال: قُلْنَا: الَّذِي لا يُولَدُ لَهُ. قال: ((لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا)). قال: ((فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ))؟ قال:

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، باب الصلاة في كسوف الشمس، (2/ 34– ح: 1043).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، (8/ 6– ح: 5991).

قُلْنَا: الَّذِي لا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قال: ((لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[1]. يقول الإمام النوويُّ معقبًا: "معنى الحديث أنكم تعتقدون أنَّ الرَّقُوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا؛ بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه يكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فَرَطًا وسلفًا"[2].

فالمحروم من نعمة الولد في الدنيا فلم يولد له أو مات ولده فهذا كان في عرف الناس هو الرَّقُوب، فصحّح لهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– المفهوم بأن الرَّقُوب في الحقيقة هو رَّقُوب الآخرة، وهو الذي لا يجد له يوم القيامة ولدًا فرطًا وسلفًا كان قد مات له في الدنيا فصبر على فقده وانتفع بأجره.

"وكذلك كانوا يعتقدون أنَّ الصُّرَعَةَ الممدوح القوي الفاضل الذي لا يصرعه الرجال بل يصرعهم، وليس هو كذلك شرعًا، بل هو من يملك نفسه عند الغضب؛ فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قلَّ من يقدر على التخلُّق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول"[3].

وفي ذات الإطار ينبّهُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إلى المفهوم الحقيقي للمفلس، وأنه ذاك الذي يفقد حسناته يوم القيامة فلا يبقى منها شيء. كما روى أَبو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((أَتَدْرُونَ ما الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى ما عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[4].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، (4/ 2014– ح: 2608).

[2] النووي: يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ، (16/ 162).

[3] المرجع السابق

[4] مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (4/ 1997– 2581). المفلس: تؤخذ حسناته لغرمائه يوم القيامة فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضعت عليه ثم ألقي في النار.

فهو – عليه الصلاة والسلام– يريد من أصحابه – رضي الله عنهم– تجاوز المعنى الحرفي المتعارف عليه في دنياهم الفانية إلى المعنى الحقيقي المؤثر والنافع في الآخرة، في إشارة إلى أن دلائلَ الأوصاف ومعانيها تبنى على مآلاتها وآثارها يوم القيامة، فالفائز هناك هو الفائز، والمحروم هناك هو المحروم، والمفلس هناك هو المفلس، والخاسر هناك هو الخاسر. قال تعالى: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران ٱلۡمُبين﴾ [الزمر: 15].

ب– زرع القيم وبناء التوجُّهات.

نذكر شاهدًا على ذلك "قيام الليل بالصلاة والتهجد" فهي قيمةٌ إسلامية تمثلها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وحرَصَ على غرسها وبناءِ التوجُّهِ لأدائها وإدراك فضلها، ومن ذلك أنه استثمر تأويله رؤيا لعبد الله بن عمر – رضي الله عنهما–، فأجاب قائلًا – صلّى الله عليه وسلّم: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ. فكان بَعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلًا))[1]. والشاهد: الثناء على عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– وتوجيهه لعمل صالحٍ غفل عنه، أو أنه لم يكن يواظب عليه، ألا وهو قيام الليل... فأخذ الصحابي بهذا التوجيه، والتزم به.

وفي شأن آخر يُؤَكِّدُ فيه على قيمة ذكر الله تعالى عمومًا آناء الليل وأطراف النهار، وعند النوم والاستيقاظ وفي الصباح والمساء، وعند الأكل والشرب، ومنها ذكر الله عقب العطاس بقول "الحمد لله"، كما في الحديث الذي رواه أَنَسُ بن مالك – رضي الله عنه–، قال: ((عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: هَذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَهَذَا لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ))[2]. والشاهد بناءُ التوجُّهِ لدى الصحابة – رضي الله عنهم– لدوام ذكر الله تعالى من خلال تقديم نوعٍ من الاحترام بتشميت العاطس والدعاء له بالرحمة إذا ذكر الله وحمده.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، (2/49– ح: 1121).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحمد للعاطس، (8/ 49– ح: 6221).

وعلى ذات القيمة يؤكِّدُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على عَلِي بن أبي طالب وفاطمة – عليهما السلام– حين اشتكت فَاطِمَةُ – عليها السلام– ما تلقى من الرحى مما تطحن، فَبَلَغَهَا أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أُتِيَ بِسَبْيٍ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ. تقول فاطمة – عليه السلام–: ((فَأَتَانَا، وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا. حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ))[1]. والشاهد في الحديث: تعظيم قيمة الإكثار من ذكر الله تعالى وفضيلة اشتغال النفس به؛ لما تمنحه للمداوِمِ عليها من قوة الإيمان وما يتبعه من القرب من الله تعالى وتحقق عونه وتوفيقه.

وفيه دلالة على فضيلة اشتغال النفس بالذِّكر بدلًا من الشكوى وكثرة الجدال في تفاصيلها؛ مما يورث الشعور بالطمأنينة وحلول السكينة في البيت المسلم، إضافة إلى استحضارًا أكبر لقضاء الله تعالى وقدره ويعمّق من الرضا به.

وفي سياق آخر يُذكّر بقيمة الصلاة في المسجد وبناءِ التوجّهِ لفضلِ المشي إليها وما يسبقها من طهارة وإسباغٍ للوضوء وانتظار للصلاة بعد الصلاة، كما ورد في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى ما يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رسول الله. قال: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ))[2]. والشاهد تقويمُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تقصير بعض الناس في حضور صلاة الجماعة وما يرتبط بها من مقدمات؛ من خلال الترغيب بأجرها وفضلها عند الله – سبحانه وتعالى–، وهو بذلك يزرع قيمًا؛ كالطهارة والمشي إلى المساجد، والجلوس فيها، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فيها، مؤكدًا أنَّ الحفاظ عليها قيمةٌ تستحق أن يرابط المسلم عليها فلا يتركها.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، (4/ 84– ح: 3113).

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، (1/ 219– ح: 251).

ج- تصويب الأداء:

وردت نصوصٌ عديدة لتصويب أداءاتِ العبادات عمومًا، مثلما جرى في حديث المسيءِ صلاته الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه–، قال: أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– دَخَلَ المَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَرَدَّ وقال: ((ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ... ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا))[1]. والشاهد: تقويمُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أداءَ الرجل في صلاته والحكم عليها، ثم إرشاده للطريقة الصحيحة في أداء الصلاة.

وفي ذاتِ السياق لتعليم الطريقة الصحيحة لأداء الصلاة وتصويب أخطاء المصلين، تذكر السُنّة أنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– صعد المنبر يومًا وصلَّى عليه أمام الناس، وكان هذا مفيدًا في التأكيد على الماهر بالصلاة والتعليم للجاهل بها، روى ذلك سَهْل بن سَعْدٍ – رضي الله عنه– فقال: أَرْسَلَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– إِلَى امْرَأَةٍ... ((انْظُرِي غُلاَمَكِ النَّجَّارَ، يَعْمَلْ لِي أَعْوَادًا أُكَلِّمُ النَّاسَ عَلَيْهَا، فَعَمِلَ هَذِهِ الثَّلاَثَ دَرَجَاتٍ... وَلَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قَامَ عَلَيْهِ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ وَرَاءَهُ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ رَفَعَ فَنَزَلَ الْقَهْقَرَى حَتَّى سَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ عَادَ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ آخِرِ صَلاَتِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلاَتِي))[2].

وأرشد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في موقف آخر الناس لما يجب عليهم من "التيمم بالتراب" استعدادًا للصلاة إذا فقدوا الماء، وصوَّب ما كان منهم من أخطاء في ذلك، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري، يقول فيه عَمَّارُ بن يَاسِرٍ لِعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما– أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ –

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب وجوب القراءة للإمام، (1/ 152– ح: 757).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، (1/ 386– ح: 544).

ذلك- لِلنَّبِيِّ – صلّى الله عليه وسلّم-، فقال: ((إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا؛ فَضَرَبَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- بِكَفَّيْهِ الأَرْضَ، وَنَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ))[1]. والشاهد: تقويمُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- أداءَ الصحابِيَّيْن، مؤكدًا لهما أنَّ الصلاة لا تسقط عن الذي فقد الماء، وأن الطهارة في حال فقد الماء تكون بالتيمم وبيَّنَ طريقته الصحيحة؛ بضرب الأرض بالكفين ثم يمسح بهما المرء وجهه ويديه. وفي موقفٍ آخر يقوّمُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- أداءَ المسافرين إن هم صاموا خلال سفرهم، فقرَّرَ لهم قاعدةً تخفف عنهم، كما في حديث جَابِرِ بن عبد اللهِ – رضي الله عنهما-، قال: كَانَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- فِي سَفَرٍ، فَرَأَى رَجُلًا قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَقَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ما لَهُ؟ قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-: ((لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ))[2]. والشاهد: تقويمُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- لأداء المسافر الذي سقط على الأرض من تعب السفر والصيام، فبين له ولغيره أن ذلك ليس من البر. قال ابن دقيقِ العيد: "أُخِذَ من هذه القصةِ أنَّ كراهة الصومِ في السفر مختصة بمن هو في مثل هذه الحالة؛ ممن يُجهِده الصومُ ويشقُّ عليه، أو يؤدي به إلى ترك ما هو أولى من الصوم من وجوه القُرَب، فينزَّلُ قوله: ((ليس من البرِّ الصومُ في السفر)). على مثل هذه الحالة"[3].

د- تعديل السلوك:

من الشواهد في السُنّة على تعديل السلوك حديثُ الأعرابي الذي بال في المسجد، والذي أخرجه البخاري عن أَبَي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه- قال: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-: ((دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أو

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب: المتيمم هل ينفخ فيهما؟ (1/ 75 – ح: 338).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر، (2/ 786)، (1115).

[3] ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (4/ 184).

سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[1]. وفي الحديث أكثر من شاهد على تعديل السلوك: فقد أُوقِفَ النَّاسُ ومُنِعوا من تعنيف الأعرابي الجاهل، وقُوِّمَ سلوكُ الحاضرين من الصحابة – رضي الله عنهم– بأمرهم بمراعاة التيسير والرفق. وبالمقابل فقد قُدِّمَ النصح المناسب الممزوج بالرفق والتيسير لتقويم سلوك الأعرابي الذي عُذر لجهله، حيث دَعَاهُ رَسُول اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالَ لَهُ: ((إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ – عز وجل– وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ))[2].

وفي موقف آخر يقوّم – صلّى الله عليه وسلّم– بيده سلوك أحدِ أصحابه؛ حين أدار وجهه عن النظر إلى امرأة وَضِيئَة جاءت تَسْتَفْتِي، كما روى ذلك عبد اللَّهِ بن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما–، قال: ((أَرْدَفَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– الفَضْلَ بن عَبَّاسٍ يَوْمَ النَّحْرِ خَلْفَهُ عَلَى عَجُزِ رَاحِلَتِهِ، وَكَانَ الفَضْلُ رَجُلًا وَضِيئًا، فَوَقَفَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لِلنَّاسِ يُفْتِيهِمْ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ وَضِيئَةٌ تَسْتَفْتِي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فَطَفِقَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا، فَالْتَفَتَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وَالفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ فَأَخَذَ بِذَقَنِ الفَضْلِ، فَعَدَلَ وَجْهَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا... الحديث))[3].

وقوَّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– سلوكَ المجاهدين في حديث أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– قال: افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– إِلَى وَادِي القُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ "مِدْعَمٌ"... فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ، حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا، فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بِشِرَاكٍ أو

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: ((يسروا ولا تعسروا))، (8/ 30– ح: 6128). ((السَجْل)) وهي الدلو الممتلئة ماء، وكذلك الذنوب.

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول، (1/ 236– ح: 285).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، (8/ 51– ح: 6228).

بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: شِرَاكٌ –أو شِرَاكَانِ– مِنْ نَارٍ))[1]. والشاهد: تصحيح النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لسلوك المجاهدين ومن سار معهم، فصوَّب طريقة تعاملهم مع الغنائم قبل قسمها، وحذَّرهم من الغلول ولو بالشيء القليل.

وفي موقف آخر يحذِّرُ النبيّ من الحلف بغير الله تعالى أو لعن المؤمن أو تكفيره، أو قتل النفس، باعتبارها سلوكات محرمة ينبغي تجنبها، كما في حديث ثَابِتِ بن الضَّحَّاكِ، عَنِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قال، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ))[2]. والشاهد: التحذير من عدة سلوكات مخالفة للإسلام؛ كالحلف بغير الله، أو الانتحار بأي شكل، أو لعن المؤمن لأخيه، أو وصمه بالكفر.

وفي ذات السياق يقوِّمُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– سلوكَ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– على فضله ومكانته، حين حلف بغير الله تعالى كما أخرج ذلك البخاري عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أَدْرَكَ عُمَرَ بن الخَطَّابِ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ، يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: ((أَلاَ إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أو لِيَصْمُتْ))[3].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (5/ 138– ح: 4234). العائر من السهم والحجارة: هو الذي لا يدري من أين يأتي. الشَّملة: كساء يشتمل به الرجل. والشِّراك: أحد سيور النعل التي تكون على وجهها.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، (8/ 26– ح: 6105). (ثابت بن الضحاك بن خليفة الأوسي أبو زيد المدني: كان ممن بايع تحت الشجرة وكان رديف رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يوم الخندق ودليله إلى حمراء الأسد. مات في سنة 64 هـ). انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، (2/ 8).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، (8/ 132– ح: 6646).

في شاهد آخر يقول النبيّ محذرًا النساء من اللعن وكفران العشير، فقال – صلّى الله عليه وسلّم– ((يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: ((تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ))[1].

والشاهد في الحديث ما جرى من سعي النبيّ لتعديل سلوكات خطأ عند النساء وغرس سلوكات حسنة بديلة، وجاء ذلك في سياق تقويم بنائي تحذيري للمرأة المسلمة، والتأكيد على دورها الإيجابي المهم في المجتمع. ومن دلالة الحديث؛ تخصيص التقويم التربوي "بالصدقة والإكثار من الاستغفار" في إشارة أنهما من أعظم ما يدفع به عذاب الله –تعالى.

كما أن تكرار الاستغفار وكثرته مظنة حصول مراجعة المرأة لنفسها وتحقق التقويم الذاتي. أما الصدقة واعتيادها فهو مظنة الفِكاك من شُحِّ النفوس وتهوين التعلُّقِ بالدنيا الزائلة؛ وهذا مؤثر في التقليل من التذمر والشكوى ونكران العشير بسبب ضيق العيش ونحوه. كما أن الصدقة يتسع مفهومها ليتجاوز صدقة المال إلى الصدقة بالعفو والسماحة والتغافل والكلمة الطيبة والإصلاح بين الناس والعدل بينهم، وقد عنون مسلم في صحيحه فقال: باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف. وذكر حديث النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ))[2].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق، (1/ 86 – ح: 79). (أريتكن) أراني الله إياكن وذلك ليلة الإسراء. (تكثرن اللعن) تتلفظن به كثيرًا. (تكفرن العشير) تجحدن نعمة الزوج وتنكرن إحسانه.

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (2/ 699– ح: 1009).

المطلب الثالث: أغراض التقويم التربوي للتحفيز والتعزيز

يجدر الإشارة بداية أن تحفيز المتعلم للقيام بالفعل أو تجويده يكون قبل الأداء، أما تعزيزه فيكون عقب الأداء كمكافأة له وتقدير. وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أ- **التقويم للتحفيز**:

كما اتَّضح سابقًا من مفهوم التقويم التربوي؛ فإنه إلى جانب رصده للخلل وسعيه لعلاجه، فإنه أيضًا معنيٌ بتحفيز المتعلمين على التقدم والثبات وبذل الجهد المضاعف للتحسين والتجويد. فالتقويم يصنع الحافز ويبني الدافع للفعل أو للترك.

ويحقق التقويم غرضه التحفيزي؛ من خلال ملاحظة المعلم، أو رصده لجوانب القوة والإبداع عند المتعلم، ثم وضع الحافز وتوجيهه للتقدم إلى مستوى أعلى مما هو عليه.

ونذكر فيما يأتي ثلاث وسائل للتحفيز استخدمت في العملية التربوية النبويّة على النحو الآتي:

1. التذكير بالجزاء الحسن المنتظر، كالوعد بالأجر والثواب ونحوه، فنجد في السُنّة النبويّة دوام التذكير بما أعده الله – سبحانه وتعالى– من جزاء حسن للمرء في الجنة. كما في قصة عُمَيْرِ بن الْحُمَامِ ابن الجَمُوْحِ الأَنْصَارِيّ السَّلَمِيّ – رضي الله عنه– التي رواها أنَس بن مالك – رضي الله عنه، فحين قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يوم بدر: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)). قال عُمَيْرُ بن الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ – رضي الله عنه–: يَا رسول الله، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قال: ((نَعَمْ)). قال: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– : ((ما يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ))؟ قال: لا وَاللهِ يَا رسول الله، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قال: ((فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)). فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قال: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قال: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ))[1]. ومن ذلك ما ورد في السُنّة النبويّة من تحفيز الصحابة – رضي الله عنهم– على الثبات، كما في حديث جابرٍ بن عبد الله – رضي الله عنه– أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ((مَرَّ

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، (3/ 1509– 1901).

بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ: أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ))[1]. والشاهد في الحديثين السابقين استخدامُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الوعدَ بالجنة، والتذكير بالجزاء الحسن المنتظر؛ لتثبيت أصحابه ومضاعفة صبرهم، وقد أثمر تحفيزه خيرًا؛ فقام عمير يجاهد حتى استشهد، وصبر آل ياسر حتى نال الزوجين الشهادة صابرين.

وكان يجري تحفيز المتعلمين من الصحابة – رضي الله عنهم– على أداء المهام، خاصَّةً إن كان ثمة ظروف صعبة، كيوم أُحُد، فقد روى ذلك أنَس بن مالك – رضي الله عنه– أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ، قال: ((مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ –أو هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ– فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ أو هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لِصَاحِبَيْهِ: ما أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا))[2]. والشاهد ما فعله النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في غزوة أحد؛ حين دارت الدائرة على المسلمين، وتفرق الناس عنه، حينها تعرض لهجمة شديدة من مقاتلي قريش، وكان بين قلة قليلة من أصحابه الكرام يجاهدون معه ويدفعون عنه، فتطلب الأمر تحفيزًا إضافيًا؛ فوعد بالرفقة في الجنة لمن يردُّ الكافرين عنه. فأثمر هذا التحفيز بسالةً وثباتًا امتدحها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأثنى على أصحابها.

2. "سرد قصص السابقين من الموهوبين والمتفوقين، والتعرض للأسباب التي أوصلتهم إلى العَلياء والقِمَم، وتحبيب شخصياتهم إلى المتعلم؛ ليتَّخذهم مثلًا وقدوة، مع الانتباه إلى جعل هؤلاء القدوة بوابةً نحو مزيد من التقدم والإبداع وإضافة الجديد، وعدم الاكتفاء بالوقوف عند ما حقَّقوه ووصلوا إليه"[3].

---

[1] الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ذكر مناقب عمار بن ياسر – رضي الله عنه– (3/ 438)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، (3/ 1415– ح1789).

[3] العامري، عبد الله، المعلم الناجح، عمان – الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، (د. ط)، 2019م، (ص:82).

وفي هذا السياق نجد أن القرآن الكريم قصّ كثيرًا من قصص الرسل والأنبياء – عليهم السلام– تسليةً للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه – رضي الله عنهم– وهي في ذات الوقت؛ كانت تبني الأسوة بأبطال تلك القصص، فيتحفز المتعلم للتخلُّقِ بأخلاقهم، والتحمُّلِ والثبات والصبر مثلهم، نحو قوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبرهيم والذين معهۥ إذ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [سورة الممتحنة: 4].

وكذلك الحال في السُنّة النبويّة فقد أوردت قصصًا للمؤمنين من الأمم السابقة؛ تحفيزًا للصحابة – رضي الله عنهم– على التأسي بهم، ومن شواهد ذلك ما قاله خَبَّابِ بن الأَرَتِّ – رضي الله عنه– قال: أَتَيْتُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رسول الله، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: ((لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أو عَصَبٍ، ما يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ ما يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، ما يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ))[1]. والشاهد: أنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– جعل من سير السابقين من المؤمنين دافعًا وحافزًا لخباب وغيره من جيل الصحابة – رضي الله عنهم– لتحفيزهم لمزيد من الصبر والتحمل والثبات.

ومن الشواهدِ على التحفيز ما رواه أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه– قال: نَزَلَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((تَعَهَّدْنَا ائْتِنَا)). فَأَتَاهُ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مَا حَاجَتُكَ))؟ فَقَالَ: نَاقَةٌ بِرَحْلِهَا وَبَحْلِبُ لَبَنَهَا أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((عَجَزَ هَذَا أَنْ يَكُونَ كَعَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ)). فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: ((إِنَّ مُوسَى حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ضَلَّ عَنْهُ الطَّرِيقُ فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ – عليه السلام– حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبيّ – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه من المشركين بمكة، (5/ 45– 3852).

مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نخْرجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى تُنْقَلَ عِظَامُهُ مَعَنَا. فَقَالَ مُوسَى: أَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ؟ فَقَالَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَكَانَ قَبْرِهِ إِلَّا عَجُوزٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُوسَى؛ فَقَالَ: دُلِّينَا عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ. قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. فَقَالَ لَهَا: مَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَكَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ؛ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَعْطِهَا حُكْمَهَا. فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا؛ فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مُسْتَنْقِعَةٍ مَاءً، فَقَالَتْ لَهُمْ أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ. فَلَمَّا أَنْضَبُوا قَالَتْ لَهُمُ: احْفِرُوا فَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ فَلَمَّا أَنْ أَقَلُّوهُ مِنَ الْأَرْضِ إِذِ الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ))[1]. والشاهد في الحديث: الدعوةُ إلى التأسِّي بعجوز بني إسرائيل الموفقة والمتميزة، فهي قدمَّتْ أسوةً في تجاوز متاع الدنيا الزائل والنظر إلى الجنة ورفقة الأنبياء – عليهم السلام– في أعالي الدرجات. وقد شكَّلَ موقفها حافزًا يدفع إلى اقتناص فرص النجاح والتطلع لمعالي الأمور.

3. الدعاء للمتعلم والتلطف به والثناء عليه.

وهذا يشعر المتعلم بالتقدير ويحفزه؛ لمزيد من العطاء والثبات وحسن الأداء، ومن الشواهد على الأثر التحفيزي ما رُوي عن أم المؤمنين حفصة؛ حين قصَّتْ على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– رؤيا لأخيها عبد الله بن عمر – رضي الله عنهم– فقال لها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ. فكان بَعْدُ لا يَنام من الليلِ إلا قليلًا))[2]. والشاهد أن التقويم الذي قام به النبيّ لحالة عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– والثناء عليه؛ خَلَقَ عنده حالةً من التحفيز أثمرت تشميرًا واجتهادًا؛ لأداء أفضل في قيام الليل، فكان لا ينام من الليل إلا قليلًا.

ومن ذلك التحفيز ما نقله سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ قال: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ – رضي الله عنه–، يَقُولُ: نَثَلَ لِي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: ((ارْمِ فِدَاكَ أَبِي

---

[1] الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ذكر مناقب عمار بن ياسر – رضي الله عنه– (2/ 439)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، (2/49– ح: 1121).

وَأُمِّي))[1]. وفي ذلك اليوم –يوم غزوة أُحد– أصيب المسلمون، وقلَّ الرجال الثابتون حوله – صلّى الله عليه وسلّم– فجمع في تحفيزه لسعد والديه.

ب- **التقويم للتعزيز:**

يُعرَّف التعزيز بأنه: "تقوية السلوك من خلال إضافة مثيرات إيجابية أو إزالة مثيرات منفرة، الأمر الذي يترتب عليه زيادة احتمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة"[2].

والتجارب والواقع يوكدان الأثر الكبير والمبارك للتعزيز –بنوعيه المادي والمعنوي– وكيف يسهم في تجاوزِ كثيرٍ من تحديات التعلم والتربية والتدريب والحفظ، كما أنه يسرِّع في تعديل السلوك أو تمام الأداء المطلوب.

ويحقِّقُ التقويم غرضه التعزيزي؛ من خلال الرصد لنواتج التعلم، وما وصل إليه المتعلم من إنجازٍ معرفي أو مهاري ونحوه، ثم يقدم له المعلم تعزيزًا معنويًّا بالمدح والثناء والتقدير ونحوه، أو ماديًّا بعطاءٍ محبوب أو رفع شكلٍ من أشكال الضغط المكروهة لديه.

من الجدير ذكرُهُ أن هذا التعزيز مظنة دفع المتعلم لتكرار ما أحسن فيه، أو تقديم مستوى أعلى من الأداء والإبداع فيه أكثر. فالتعزيز بمثابة مكافأة تُعطى لتقوية الاستجابة وزيادة تكرارها[3]. كما يجدر التنويه أن لتعزيز المتعلم أثرٌ مبارك ممتد إلى أقرانه؛ فيُشمّرون للاقتداء والتأسي والسير على ذات الطريق التي جلبت لصاحبهم التقدير والثناء والرفعة.

وثمة شواهد عديدة في السُنّة النبويّة على استخدام التعزيز والثناء على المتعلمين، ونذكر منها على سبيل المثال: تقدير النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لأبي بكر الصديق – رضي الله

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 122]، (5/ 97– ح: 4055). (نثل كنانته) استخرج لي ما فيها من سهام. و(سعد) أسلم مبكرًا، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو أحد الستة أهل الشورى وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان ممن ثبت يوم أحد. ومات سنة (51 هـ) وهو ابن (73سنة). انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (3/ 483).

[2] الكريمين، استراتيجيات التدريس الفعال بين الكفايات التعليمية ونظريات التعلم، (ص: 327).

[3] انظر: دغمان: نجاة محمد، تطوير أداء معلمات التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم المناهج، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، (ص: 86).

عنه– وتعزيزه، كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– قال: سَمِعْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، يَقُولُ: ((مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ –يَعْنِي الجَنَّةَ– يَا عبد الله هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ، وَبَابِ الرَّيَّانِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ما عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وقال: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رسول الله؟ قال: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ))[1]. وفي الحديث مشهدٌ تقويمي يدفع السامع ليتفقد حاله ويسأل نفسه، من أي أبواب الجنة أستحق أن أُدعى؟ إنه مشهد في بدايته تحفيزي وفي نهايته تعزيزي، وهو بالإجمال يدفع للتميز الإيجابي المثمر في أداءات صالحةٍ متنوعة ضمن ما يحسن المرء، وما لديه من إمكانات وميول، فقد يتميز الغني بالصدقة فيدعى من بابها في الجنة، وقد يتميز آخرُ بالصلاة فيدعى من بابها، وقد يتميز القوي الشجاع بالجهاد فيدعى من بابه، وقد يتميز آخر بالصيام فيدعى من بابه، وليس على أحدٍ من سبيل أن يتميز بها كلها فيدعى من كل أبواب الجنة، وهذا الذي سأل عنه أبو بكر – رضي الله عنه– فكان جوابُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– له تقديرًا وتعزيزًا.

ويقدِّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تعزيزًا لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه– في أثناء تفسيره رؤيا له، فقال: ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، شَرِبْتُ، يَعْنِي، اللَّبَنَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي أو فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ. فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ؟ قال: العِلْمَ))[2]. ونحوه قول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في حقِّ عثمان بن عفان – رضي الله عنه– تعزيزًا وثناء: ((مَا ضَرَّ

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحابِ النبيّ – صلى الله عليه وسلم– باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: ((لو كنت متخذًا خليلًا))، (6/5– ح: 3666).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبيّ – صلى الله عليه وسلم–، مناقب عمر، (5/ 10– ح: 3681).

عُثْمَانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ))[1]؛ بسبب مساهمته السخية في تجهيز جيش العسرة في العام التاسع للهجرة.

المطلب الرابع: أغراض التقويم التربوي الوقائية

يمكن تعريف التقويم التربوي الوقائي بأنه: التنبؤ بالأخطاء والمشكلات التي قد يقع فيها المتعلم قبل وقوعها، وذلك استنادًا لخبرة واسعة وممارسة ميدانية سابقة، وتحذيره منها. وهذا الأسلوب التقويمي يعملُ على تجنيب أفراد الفئة المستهدفة أيَّ صعوبات أو عثرات قد تعترض أداءهم لأعمالهم ومهامهم المتصلة بتنظيم التعلم، أو التعليم، أو الإدارة، أو التقويم[2].

وينظر المعلم من حرصه على المتعلمين بعين المستقبل، ويلفت انتباههم لتصحيح البدايات لتسلم لهم النهايات، فيجري تقويمًا وقائيًّا تحذيريًّا بناء على التجربة والخبرة السابقة والتغذية الراجعة، فينبه من الزلل ويُحذِّر من لحوق التقصير، وبالتالي يكسب قلوب المتعلمين ويشعرهم بالوفاء والحب. وقد اهتمَّ الباحثون بالتربية الوقائية، ومما كُتب في هذا المجال؛ رسالتا ماجستير، الأولى بعنوان: التربية الوقائية في القرآن الكريم[3]، والثانية بعنوان: التربية الوقائية في السُنّة النبويّة وتطبيقاتها[4].

ومن شواهد السُنّة النبويّة التي قدَّمها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لأصحابه في إطار التقويم الوقائي، وصيته – صلّى الله عليه وسلّم– لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه– في سياق حديث طويل: ((أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قال: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ

---

(1) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في مناقب عثمان، (5/ 626– ح: 3701). وحسَّنه الترمذي.

(2) انظر: وصوص، ديمة، والجوارنة، المعتصم بالله، الإشراف التربوي ماهيته تطوره أنواعه أساليبه، دار الخليج دار الخليج للنشر والتوزيع، 2014م، (ص: 82).

(3) زيود، حازم حسني، التربية الوقائية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة النجاح، فلسطين، 1430هـ – 2009م.

(4) العنزي، عبد الله عقيل، التربية الوقائية في السُنّة النبويّة وتطبيقاتها على تلاميذ المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، كلية التربية، السعودية، 2018م.

فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أو عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[1]. والشاهد في الحديث التحذير والتنبيه من خطورة اللسان وما يمكن أن يقع به من زلات اللسان، فدعاه لضبطه والحذر من عواقب زلاته وما يصدر عنه.

ومما يندرج من أحاديث تحت "التقويم الوقائي" ما رواه عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ – رضي الله عنهما– عَنِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أَنَّهُ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((وَيْحَكُمْ –أَوْ قَالَ: وَيْلَكُمْ– لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))[2]. وهو بذلك يحذِّرُهم من النكوص إلى الضلال والكفر، وما يتبع ذلك من التنازع والتقاتل.

المطلب الخامس: أغراض التقويم التربوي التنظيمية

دائمًا ما كانت تبرز أمام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– والصحابة – رضي الله عنهم– أمورٌ ومستجدات في أثناء ممارستهم عمليات الدعوة والتربية والتعليم، وكانت هذه تتطلب تنظيمًا وترتيبًا وتقديمًا وتأخيرًا، وكثير منها كان يرفع للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– بوصفِهِ تغذيةً راجعة؛ على شكل مقترح لمسار تربوي مستقبلي، أو تعديل لمسار قائمٍ يقدِّرُهُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أو يوحى له به. فمثلًا وبناءً على تقويمه – صلّى الله عليه وسلّم– لحال الناس في مكة، فقد بدأ بدعوته وتربية أصحابه سرًّا، ثم جاء التوجيهُ للبدء بالعشيرة والأقربين، ثم اتخذ دار الأرقم مدرسة للتربية والتعليم، ثم جهر بالدعوة وصدح بها بعد ثلاث سنوات. وقد كان الجهاد في الفترة المكيّة بالقرآن والحجة والبيان، وأمر بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة تخلصًا من أذى قريش، وادخارًا لفئة مؤمنة تتربى وتتعلم وتعبد الله حُرَّةً بعيدةً عن سطوة الظالمين.

---

[1] الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، (4/ 308–ح: 2616)، وقال: حديث حسن صحيح.

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ((لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض))، (1/ 82– ح: 66). (ويحكم، أو ويلكم) كلمتان للتعجب والتوجع والزجر. (كفارًا) تفعلون فعل الكفار.

ثم توجَّه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للبحث عن نصير لدعوته، وحاضنة للتربية خارج مكة، فتجاوز مدينة الطائف حين رفض أهلها قبول دعوته، حتى وصل به الأمر إلى الهجرة إلى يثرب، وفيها كتب وثيقة المدينة التي نظَّمت علاقات المسلمين بغيرهم من سكان يثرب. وحينما استقر المسلمون في يثرب أمر بالتعرض لتجارة قريش، وشرع لأصحابه القتال بالسيف، ثم عقد الصلح والتحالفات، وأرسل المعلمين والدعاة فحملوا الرسائل إلى أطراف الجزيرة وخارجها؛ كل ذلك ليصل إلى شريحة أكبر من الناس والمتعلمين ثم يباشر معهم مشوار التزكية والتعليم وما يرافقه من تقويم تربوي.

ومن القضايا التنظيمية أيضًا ما ارتبط بمحتوى الرسالة –القرآن الكريم– وما جرى من العناية الكبيرة بكتابة آياته فور نزولها، وما رافق ذلك من النهي عن كتابة غير القرآن الكريم كيلَا يختلط بغيره.

ومن الجدير بالذكر أنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان ينظم مسار العملية التربوية مدركًا مراحلها، ويؤمن يقينًا بنجاحها، لذا لم يكن يتردَّدُ في أن يرفض مشدِّدًا أيَّ محاولة من أصحابه – رضي الله عنهم– لاستعجال النتائج، أو تجاوز المراحل، أو تغيير أدوات التعامل مع المشركين. فكان يربّي أصحابه على الصبر والثقة بوعد الله تعالى وقد بدا نحوٌ من ذلك في توجيهه لخَبَّابِ بن الأَرَتِّ – رضي الله عنه– بعد أن قال: شَكَوْنَا إِلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فقال: ((كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أو عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))[1].

والشاهد: إدراك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لعاملِ الزمن، وأثره في إحداثِ التغيير الإيجابي على مستوى الفرد والمجتمع، وأيضًا ثقته الكبيرة بتحقق وعد الله وانتصار الحق على

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (4/ 201– ح: 3612).

الباطل، لذلك لم يسمح للمندفعين والغيورين –حتى لو كانت نيتهم حسنة– بتغيير المسار التربوي أو الدعوي أو الانتقال إلى مرحلة متقدمة قبل أوانها.

ويمكن ملاحظة عناية النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لتشخيص مدى التقدم في الإنجاز الدعوي والتربوي؛ من خلال طلبه إجراء إحصاء لأعداد من يلفظ الإسلام، وقد ورد ذلك في حديث حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه– الذي أخرجه مسلم: قال: كُنَّا مَعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، فَقَالَ: ((أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ، قال: فَقُلْنَا: يَا رسول الله، أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ ما بَيْنَ السِّتِّمِئَةٍ إِلَى السَّبْعِمِئَةٍ؟ قال: إِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا، قال: فَابْتُلِينَا حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا))[1]. والشاهد هذه العملية الإحصائية التي تمت بأمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للوقوف على بيانات الأعداد والإمكانات، مما يعين على اتخاذ القرار الإداري المناسب الذي يحفظ سلامة المؤمنين ويخفف تبعات المواجهة والابتلاء.

وكان التقويم التربوي يتدخل في تحديد المكان والزمان المناسبين للتقويم، واختيار أدواته والمعلمين المناسبين، والتقديم والتأخير في تنفيذ الإجراءات التقويمية والتدرج فيها. كل هذه الإجراءات التقويمية؛ كان يتم إدارتها وتنظيمها فيما يخدم تقدم العملية التربوية وتقويمها. فقد ذكرت مرويات السُنّة النبويّة اتخاذ دار الأرقم بن أبي الأرقم للتربية والتعليم، وذكرت الهجرتين ومبررات كل منهما، وكان في مقدمتها البحث عن بيئة آمنة ومناسبة للتربية والتعليم. ثم بُنيت المساجد لتكون دارًا للعبادة والتربية.

وقد ذكرت السُنّة النبويّة وصية النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لمعاذ بن جَبَلٍ – رضي الله عنه– بالتدرج في تطبيق المحتوى التربوي وتقويم الناس، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ، فقال له: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ))[2].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الاستسرار للخائف، (1/ 131– ح: 149).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، (2/ 128– ح: 1496).

وقدَّمَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أمورًا فقوَّمها وأخَّر أخرى لحكمة قدَّرها، فترك هدم الأصنام حول الكعبة حتى يوم فتح مكة في العام الثامن للهجرة، وأمر بتطهير بيئتها من مظاهر الشرك والكفر في نهاية العام التاسع للهجرة. وقد ذكرت السُنّة النبويّة ترك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تصحيح بناء الكعبة مراعاة لحالة الناس، وخشيته من فتنتهم إن رأوها تهدم، كما روت السيدة عائشة – رضي الله عنها– فقالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ: ((لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ –أَوْ قَالَ: بِكُفْرٍ– لَأَنْفَقْتُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَجَعَلْتُ بَابَهَا بِالْأَرْضِ، وَلَأَدْخَلْتُ فِيهَا مِنَ الْحِجْرِ))[1].

وسجّلت السُنّة النبويّة حسن إدارته في التعامل مع جيرانه اليهود، فلم يخرجهم أو يقتلهم؛ حتى نقضوا عهدهم وجاهروا بعدواتهم. ونحوه من حسن إدارته في التعامل مع ملف المنافقين وحيلهم، فتجنب فضح أعيانهم أو قتلهم، وأبقى لهم باب التوبة والرجوع مواربًا.

وقد تميزت إجراءات النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على وجه العموم ببعد النظر، والذي تطلب الصبر والحلم على المدعوين والمتعلمين، فلم يترك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قومه، ولم يدعُ بهلاكهم، كما جرى مع بعض من سبقه من إخوانه الأنبياء الكرام – عليهم السلام– بل ظلَّ بينهم مشفقًا عليهم يدعو لهم بالهداية.

وما سبق من شواهدَ تؤكِّدُ أنَّ غرض التنظيم والإدارة في التعامل مع المتعلمين كان حاضرًا في العملية التقويمية التربوية النبويّة، وكان يُراعَى بناءً على تصور الأهداف التربوية النهائية، وبناءً على فهمٍ دقيق لمعطيات البيئة، وظروفِ الواقع، وحال المستهدفين، وتقدير للإمكانات، ومراعاة لميزان المصالح والمفاسد.

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، (2/ 969– ح: 1333).

المبحث الثالث: ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

الضوابط، من الضَّبْط، وهو لُزُومُ الشَّيْءِ وحَبْسُه. وضَبْطُ الشَّيْءِ حِفْظُه بِالْحَزْمِ. يقال: ضَبَطَ عَلَيْهِ وضَبَطَه يَضْبُط ضَبْطًا[1]. والضوابط في هذا المبحث: جملة الشروط الشرعية والأخلاقية والإدارية التي تلزم التقويم التربوي، وتحكم مساره؛ لينجح ويحقق أغراضه بما ينسجم مع أهداف المنهج التربوي.

ونفصّل فيما يأتي في ثلاثةِ أنواعٍ منْ ضوابطِ التقويمِ في السُنّة النبويّة: في الإطارِ الشرعيّ، والأخلاقي، والإداري، ضمن المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: ضوابط التقويم التربوي الشرعية

نعرض فيما يلي بعضًا من الضوابط الشرعية التي كانت تحرس عملية التقويم التربوي، على النحو الآتي:

أ- استحضار نية التعبد في العملية التقويمية مِن قِبل المقوّم والمقوَّم.

ونية التعبد تتمثل بالإخلاص لله – سبحانه وتعالى– في الأقوال والأفعال والنِّيات، وهي تعتبر ضابطًا أساسيًا في قبول أعمال المسلم عمومًا، وفي العبادات خصوصًا. كما هو ظاهر دلالة حديث عُمَرَ بن الخَطَّابِ – رضي الله عنه– قال: سَمِعْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أو إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى ما هَاجَرَ إِلَيْهِ))[2]. ويرتبط هذا الضابط بضابط آخر حتى تقبل الأعمال عند الله تعالى وهو صحة العمل وموافقته للشرع، كما هو ظاهر من دلالة قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [سورة الكهف: 110]. ويتولَّد عن استحضار الإخلاص وسلامة الاتباعِ؛ تجويدُ الأداء والإحسان فيه، ويتحقق فيه جملة من القيم التربوية كالأمانة، والعدل، والسلامة من الغش.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، (7/ 340).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كيف كان بدء الوحي، (1/6–ح: 1).

ب- مراعاة التقويم لقدرات المتعلمين الجسدية والعقلية.

ينبغي أن يراعي المقوّم ما يطيقه المتعلمون من الفهم وما يقدرون عليه من الأداء، فيعذر جهل الصغير، وعجز الكبير، ويدرك أثر البيئة والعرف والزمن في سعة الأفق وضيقه، كما يُفهم ذلك من وصية علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- حين قال: ((حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ))[1]. والشاهد: تأكيده – رضي الله عنه- على المعلمين والمربين عند مخاطبتهم الناس أو تربيتهم أو تقويمهم؛ بضرورة مراعاة ما بين المتعلمين من تفاوت في الأفهام وما يطيقونه من قدرات.

ونحوُهُ حديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه- حين كان رَدِيفَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- عَلَى الرَّحْلِ، فقال له: ((يَا مُعَاذَ بن جَبَلٍ)). قال: لَبَّيْكَ يَا رسول الله وَسَعْدَيْكَ، قال: ((يَا مُعَاذُ)). قال: لَبَّيْكَ يَا رسول الله وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قال: ((مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)). قال يَا رسول الله: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قال: ((إِذًا يَتَّكِلُوا)). وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا))[2]. والشاهد: كما بوَّبَ البخاري: أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- خصَّ بالعلم قومًا دون قوم، كراهية ألَّا يَفهم – من جهل- فيتَّكل. وفي الحديث تقويمٌ مرتبط بالشهادتين ركن الإسلام الأول، فإن قالها صاحبها صدقًا من قلبه؛ حرَّمه الله على النار. ويتعامل العالِم المسلم مع ظاهر الحديث بطريقة إيجابية تدفعه لدوام العمل شكرًا لله – سبحانه وتعالى-، أما الجاهل فقد يتَّكِل عليه ويترك العمل. قال الحافظ ابن حجر- شارحًا-: أيْ إنْ أخبرتهم -يا معاذ- يتّكِلوا فيمتنعوا من العمل؛ اعتمادًا على ما يتبادر من ظاهر الحديث[3].

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، (1/ 37- ح: 127).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، (1/ 37- ح: 128).

[3] انظر: ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (227/1).

ج- مراعاة مشروعية الوسائل والطرق التربوية والأساليب.

فيتحرى المقوّم المباح والأرفق وما أوصى به الشرع من الحكمة والموعظة الحسنة وحسن التدبير ونحوه. ويتجنب كل ما حُرِّم من الطرق والوسائل وما به قسوة وتحطيم للمتعلمين، لقول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-: ((إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ))[1].

وعَنْ عَلِيٍّ – رضي الله عنه- قال: بَعَثَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قال: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ. فَبَلَغَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ: ((لَوْ دَخَلُوهَا ما خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ))[2]. وظاهر الحديث يدل على أنَّ الطاعة تَحرُمُ في المعصية المأمور بها، وأنَّ المطيع فيها يستحق العقاب[3]. وعليه فإن على المتعلم أن يطيع معلمَه طاعة مُبْصرة – أثناء التقويم وإجراءات التعلم والتعليم والتربية – فإن أمره بمعروف أو مباح امتثل، وإن أمره بمعصية فلا طاعة لمخلوق –أيًّا كان- في معصية الخالق. وفي الحديث تقويم لهذه الوسيلة المحرمة التي حاول استخدامها أمير السَرِيَة، وأنه لا مبرر أبدًا أن يعاقب بها أصحابه أو يقوّم سلوكهم بتعريضهم للحرق والهلاك. ومن دلالة الحديث: أنَّ على المقوّم أن يتقيَ الله تعالى فيمن تحت يده من المتعلمين، فيكون تقويمهم بما أباحه الله تعالى من طرق وأساليب ووسائل. وفي المقابل حذَّر الأتباع والمتعلمين من قبول الطاعة في أمر يكون معصيةً لله تعالى فيقع عليهم غضبه، ولا عذر لهم.

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، (3/ 1461- ح: 1830). (الْحُطَمَةُ)؛ هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار، ضربه مثلًا لوالي السوء.

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة، (5/ 161- ح: 4340).

[3] انظر: القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ميستو وآخرون، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، ط 1، 1417 هـ- 1996م، (4/ 40).

فهذه كما قال ابن القيِّم: فتوى عامة لكل من أمره أمير بمعصية الله كائنًا من كان، ولا تخصيص فيها البتة[1].

المطلب الثاني: ضوابط التقويم التربوي الأخلاقية

وفيما يلي بعضٌ من الضوابط الأخلاقية التي أشارت إليها السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

أ. تجنب الاعتماد على الظن؛ لقوله تعالى: ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ [سورة يونس: 36]، ولحديث أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ))[2]. فالظن تخمين وهو مسلك ضعيف غير صالح للبناء عليه في إصدار الحكم على الناس أو تقويمهم.

وقد ذكرت السُنّة النبويّة ما وقع فيه بعض الصحابة – رضي الله عنهم– من زلل حين انساقوا فجاروا المنافقين في قولهم الإفك وظنهم السوء في حقّ الطاهرة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– فجاء تقويمهم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لولا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنون وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [سورة النور: 12]. وفي الموقف قدّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أسوة حسنة في تعامله مع حالات الافتراء وسوء الظن، وأنه ينبغي التثبت والتقصي قبل إصدار الأحكام والشاهدات. فعلى صعوبة الموقف راح – صلّى الله عليه وسلّم– فسأل زوجه عائشة – رضي الله عنها– وحاول أن يستوضح منها. كما استشار المقربين من أهله كأسامة بن زيد وعَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ – رضي الله عنهما– واستمع رأيهم فيما يتناقله الناس على ألسنتهم من إفك، "فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رسول الله، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ بن أَبِي طَالِبٍ؛ فأشار عليه قائلًا: "وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ". وأخذ النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم–: بتوصية علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– فاستدعى الجارية المرافقة للسيدة عائشة – رضي الله عنها– وسألها، فقال: ((يا بريرة هل رأيت فيها شيئًا يريبك؟))، فقالت: "لا

---

[1] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، (6/ 567).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (8/ 19– ح: 6064).

والَّذي بعثك بالحقِّ، إن رأيت منها أمرًا أغمصه عليها قطُّ، أكثر من أنَّها جاريةٌ حديثة السِّنِّ، تنام عن العجين، فتأتي الدَّاجن فتأكله"[1]. والشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – تجنب الاعتماد على الظن، وأنكر ما وقع فيه الناس من سوء الظن بأهله، ورفض أن ينساق لحكمهم وتقويمهم المبني على الكذب والافتراء.

ب. تجنب التجسس وما فيه من تتبع للعورات، ووجوب ردّ الغيبة والنميمة

بداية فإنه لا يجوز شرعًا أن يكون التجسس مصدرًا للمعلومات التشخيصية حول المتعلمين المستهدفين بالتقويم التربوي، لقوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ [سورة الحجرات: 12]، ولحديث أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا))[2]. والشاهد ورود النهي الصريح في الكتاب والسُنّة عن تجسس المسلم على أخيه، أو البحث عن معايبه وأسرارِه التي لا يرضى إفشاءها أو اطِّلاعَ غيرِهِ عليها[3]. فهذا مناقض لحق الأخوة بين المؤمنين، والتي يجب تعاهدها ومراعاتها حتى في عملية التقويم التربوي. وعند النووي: ((ولا تحسسوا ولا تجسسوا))؛ هما بمعنى واحد وهو طلب معرفة الأخبار والأحوال الغائبة. وقيل: التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم، وبالجيم البحث عن العورات والتفتيش عن بواطن الأمور[4]. وقال الماوردي: "وأما ما لم يظهر من المحظورات، فليس للمحتسب أن يتجسس عنها، ولا أن يهتك الأستار"[5].

وقد ورد التحذير من تتبع العورات الناس لما تحدثه من آثار عكسية، منها: فشل التقويم التربوي، وقلة الحياء، والعناد والمجاهرة؛ كما في رواية معاويةَ– رضي الله عنه–، قال: سمعتُ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، (3/ 173– ح:2661).
(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (8/ 19– ح: 6064).
(3) العسكري: معجم الفروق اللغوية، (ص: 118).
(4) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (16/ 119).
(5) الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية، القاهرة، دار الحديث، (د. ط)، (د. ت)، (ص: 365).

رسولَ الله –صلّى الله عليه وسلّم –يقول: "إنَّكَ إن اتَّبعتَ عَوراتِ الناسِ أَفْسَدْتَهُم، أو كِدْتَ أن تُفْسِدَهُم"[1]. ويظهر فسادهم عند ظهور قلة الحياء، ومجاهرتهم بالمعايب، والقيام بها عنادًا.

وقد ثبت التحذير النبوي من تتبع عورات المؤمنين، في الحديث الذي أخرجه الترمذي

عَنْ ابْنِ عُمَرَ– رضي الله عنهما– قَالَ: ((صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ)) [2].

وقد أوردت السُنّة النبويّة امتثال علماء الصحابة – رضي الله عنهم – وتأكيدهم على تحريم التجسس والغيبة والنميمة، وعدم التعامل مع أي بيانات ترد من خلالها، وأنها لا تصلح لبناء الأحكام التقويمية على أساسها. فقد أخرج الحاكم وأبو داود عن زيدِ بنِ وهب، قال: أُتي ابنُ مسعودٍ– رضي الله عنه–، فقيل: هذا فلان تقطُرُ لحيتُه خمراً، فقال عبد الله: إنا قد نُهِينا، عن التجَسُّس ولكن إن يظهَرْ لنا شيء نأخُذْ به[3]. والشاهد أن ابنُ مسعودٍ– رضي الله عنه– رفض التعامل مع المعلومة التي وردت عن طريق التجسس والوشاية أو تتبع العورات.

وفرّق ابن رجب الحنبلي بين الغيبة والنصيحة، فقال: "واعلم أن الناس على ضربين: أحدهما: من كان مستورًا لا يُعرف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة، أو زلة، فإنه لا يجوز كشفها، ولا هتكها، ولا التحدث بها، لأن ذلك غيبة محرمة. والثاني: من كان مشتهرًا

---

[1] أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسُّس، (7/ 250–ح: 4888). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح في تحقيقه كتاب سنن أبي داود.

[2] الترمذي: سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (4/ 378– ح: 2032). وقال: حديث حسن غريب.

[3] أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسُّس، (7/ 250–ح: 4890). وأخرجه الحاكم في: المستدرك على الصحيحين، كتاب الحدود، باب: وأما حديث شرحبيل بن أوس (4/ 418– ح: 8135)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

بالمعاصي، معلنًا بها لا يبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له فهذا هو الفاجر المعلن، وليس له غيبة[1].

وعليه فيربأ المعلم والمربي المسلم بنفسه عن السير في طريق التجسس وتتبع العورات، أو الاستماع للغيبة والنميمة، ويرفض اعتبار ذلك مسلكًا للتشخيص أو التقويم التربوي.

ومن جانب آخر فإن على المربي أن يبقى متيقظًا ترقب عيناه وأذناه بوادر نحو هذه السلوكات المرضية عند المتعلمين، والذين قد يرفعونها إليه جهلًا بحكمها، أو حسدًا وغيرة، أو تزلفًا ونفاقًا، أو فتنة وإفسادًا، أو صرفًا للهمم نحو الخلاف والنزاع والقيل والقال.

ويبقى أن نوضح كيف ينبغي أن يتعامل المربي مع الواشي أو ناقل الأخبار والمتتبع لعورات إخوانه والماشي بينهم بالغيبة والنميمة؟ وقد أورد الإمام الغزالي، في كتابه الإحياء جملة من الاجراءات التقويمية التربوية، في سياقة توصياته لعلاج وتقويم هذه الظاهرة، ومنها[2]:

الأول: أن لا يصدقه، لأن النمّام – والمتتبع للعورات– فاسق وهو مردود الشهادة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة**﴾ **[سورة الحجرات: 6]**. وعليه فهذا النمّام الواشي لا ينبغي أن يُقدّر على نميمته، ولا أن يُشكر على وشايته، حتى وإن أقسم مؤكدًا نزاهته وسلامة نيته وحرصه. يقول مصعب بن الزبير[3] : إن قبول السعاية شرّ من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دلّ على شيء فأخبر به، كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي فلو كان صادقاً في قوله لكان لئيماً في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة.

---

(1) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 7، 1422 هـ- 2001م، (292/2).

(2) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، (د، ط)، 1402هـ- 1982م، (61/3).

(3) مصعب بن الزبير بن العوام – رضي الله عنهما– ولّاه أخوه عبد الله بن الزبير العراق فبدأ بالبصرة فنزلها ثم خرج في جيش كثير إلى "المختار بن أبي عبيد" وهو بالكوفة فقاتله حتى قتله وفرق عماله، وبعث برأسه إلى أخيه عبد الله بن الزبير، قتله جيش عبد الملك بن مروان سنة اثنتين وسبعين. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، (5/ 140).

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويُقبّح عليه فعله، قال الله تعالى: ﴿وأمر بالمعروف وانه عَنِ المنكر ﴾ [سورة لقمان: 17]. ويحذّره من قبيح صنيعه وأثره الخطير على دينه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن النبيّ –صلى الله عليه وسلم– قال: ((إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ البَيْنِ فَإِنَّهَا الحَالِقَةُ))[1].

الثالث: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء، لقول الله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات: 12].

الرابع: أن لا يحملك ما حُكي لك؛ على التجسس والبحث للتحقق، اتباعاً لقول الله تعالى: ﴿لا تَجَسَّسُوا﴾ [سورة الحجرات: 12].

الخامس: أن لا ترضى لنفسك ما نَهيتَ النمّام عنه، ولا تحكي نميمته، فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نمّاماً ومغتاباً، وقد تكون قد أَتيتَ ما عنه نَهيت.

والخلاصة أن على المعلم أو المربي أن يربأ بنفسه عن السير في طريق التجسس وتتبع عورات طلابه وزملائه، ويرفض اعتبار ذلك مسلكًا للتشخيص والتقويم والحكم على الناس.

ج. سلامة العملية التقويمية من أخلاق السوء كالغش والتزوير والكذب والرياء والخداع والخيانة، وهذه جملة من أخلاق المنافقين، قال تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ [سورة النساء: 142].

وقد حذَّرَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كلَّ المؤمنين على اختلاف مستوياتهم الإدارية ووظائفهم –من الاتصاف بصفات المنافقين أو بعضها في أثناء المعاملات عمومًا، كما في حديث عبد الله بن عمرٍو – رضي الله عنهما– أَنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قال: " أَرْبَعٌ

---

[1] الترمذي، سنن الترمذي، (4/ 663–ح: 2508). وقال: هذا حديث صحيح غريب. ومعنى قوله (وسوء ذات البين) إنما يعني العداوة والبغضاء، وقوله (الحالقة) يقول: إنها تحلق الدين.

مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[1].

ورفض النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ممارسةَ الخيانة في أثناء تقويم الناس أو معاملتهم، حتى لو عبر إيماءة بالعين، كما أخرج أبو دواد أنه لمَّا كان يوم فتح مكة؛ اختبأ عبد الله بن سعْدِ بن أبي سَرحٍ عندَ عثمانَ بن عفَّان – رضي الله عنه، فجاء به حتى أوقفه على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقال: يا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بايع عبد الله، فرفَع رأسَه، فنظر إليه، ثلاثًا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاثٍ، ثم أقبل على أصحابِه فقال: "أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ، يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعتِه فيقتلَه؟ "فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك؟ ألَّا أومأتَ إلينا بعينك؟ قال: ((إنَّه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكونَ له خَائِنَةُ الأعينِ))[2].

وبلا شك؛ فإن أخلاق المنافقين إن صدرت من أي طرف في العملية التربوية التقويمية فإنها كفيلة بتحريف مسار التقويم وتزييف نتائجه، مما يلحق الضرر على الفرد والمجتمع ولو بعد حين. لذا حذَّرَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من أشكال الغش والتزوير فقال: ((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))[3]. وقال – صلّى الله عليه وسلّم– ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))[4].

وإذا كان الغش من المتعلمين محرَّمٌ، فهو من المعلمين أو المقوّمين من باب أولى، فهم بحكم مسؤوليتهم مطالبون بتحري العدل في معاملتهم وفي تقويمهم، كما في حديث مَعْقِلِ بن يَسَارٍ الْمُزَنِيّ الذي ذكره عُبَيْدُ اللهِ بنُ زِيَادٍ عندما عاده في مرضه الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قال معقل –

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (1/ 16– ح: 34).

[2] أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، (4/ 319– ح: 2683). وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، (3/ 47– ح: 4360).

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: ((من غشَّنا فليس منا))، (1/ 99– ح: 102).

[4] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، (3/ 26–ح: 1903).

رضي الله عنه–: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً ما حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ))[1]. ودلالة الحديث أنَّ الغش والخيانة أخلاقٌ مذمومة ومحرمة على عوام المسلمين، وهي في حق الإمام أو الراعي أشدُّ حرمة لتعدِّي أثرها في كلِّ الرعية، فكان تحريم الجنة على الإمام الغاش رعيته ترهيبًا وتخويفًا.

د. مراعاة السرية والستر في أثناء التقويم التربوي؛ لأن مقصود التقويم التربوي إزالة الخطأ أو تعديل السلوك أو تصحيح الفهم، وليس تحقير الناس أو فضحهم؛ لذا نجد في السُنّة النبويّة استخدام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في معرض تقويمه عبارة ((ما بال أقوام)) مركزًا على الفعل لا على الفاعل، نحو قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ...))[2]. وقوله – صلّى الله عليه وسلّم– ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ))[3]. وقوله – صلّى الله عليه وسلّم– ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ...))[4]. والنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بهذه الأحاديث يقدِّمُ أسوة من نفسه –خاصة عند حديثه العام على المنبر– فيراعي الستر، ويُبقي المسلمين في دائرة الاحترام المتبادل، ويبتعد بهم عن الفضيحة وما يتبعها من تعيير وإهانة وتجريح. كما أنه يتيح بذلك فرصةً أكبر لتوبة المقصر، ورجوع العاصي، ويحفظه من الكبر والإصرار. وبذلك يتحقق المطلوبُ من توجيهه وتقويمه – صلّى الله عليه وسلّم– دونما آثار جانبية سلبية.

هـ. سلامة أطراف العملية التقويمية من الكِبْر والاستعلاء، فلا يتكبر المربّي أو المعلم ولا يستعلي على طلابه بل يخاطبهم كأبنائه بعيدًا عن الاحتقار أو الإهانة أو الإذلال بالقول أو

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، (1/ 125– ح: 142).
(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر، (1/ 98– ح: 456).
(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، (1/ 150– ح: 750).
(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، (8/ 26– ح: 6101).

الفعل. وبالمقابل فلا يستكبر المتربي عن تقديم الاحترام لمعلمه بسؤاله وطاعته وأخذ العلم عنه، وتقبُّل النصح والإرشاد.

إن الكِبْر والتكبر: ثمرة العُجْب، وقد هلك به كثير من الناس ولم يسلم منه حتى العلماء والدعاة والزهاد والمربيّن، ويظهر إعجاب المرء بنفسه حين ينسى فضل الله عليه وكيف كان من قبل؛ حينها يرى المرء نفسه أكبر من غيره وأعظم؛ فيحتقر الناس ويزدريهم ويتعالى عليهم فلا يستمع لنصح ناصح ولا وعظ واعظ؛ استكبارا وعلوًا. كما قال تعالى: ﴿وإذا قيل له اتق الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ [سورة البقرة: 206]، وبذلك يضيّع هذه المتكبر على نفسه فرصة إصلاحها أو تقويمها، ويفوّت فرصة الإفادة من ثمرة إخلاص الأقران والمحيطين الذين يريدون له الخير ويبذلون له النصح.

وفي هذا السياق روى سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ – رضي الله عنهما– أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ[1]. والشاهد في الحديث أن الرجل كان يأكل بشماله، فأمر بالأكل باليمين تذكيرًا وتنبيهًا لعله كان غافلًا، لكنه لم يستجب واعتذر بعدم الاستطاعة ولم تقبل تقويم النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– فحرم نفسه أجر الطاعة واستحق الدعاء عليه. يقول النووي – رحمه الله–: "وفي هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل، واستحباب تعليم الآكل آداب الأكل إذا خالفه[2].

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، (3/ 1599– ح: 2021).

[2] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (13/ 192).

المطلب الثالث: ضوابط التقويم التربوي الإدارية

نشير فيما يلي إلى اثنين من الضوابط الإدارية التي كانت تتدخل في مسار عملية التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وتضبط مساره؛ على النحو الآتي:

أ. وجود مرجعية للبت والفصل في صلاحية الأداء التقويمية حال التنازع أو الاختلاف، الأمر الذي يحدث –غالبًا– في أثناء تقويم الأقران لبعضهم، أو مراجعات المتعلمين في الأحكام الصادرة حول المواقف والأشخاص. وقد مثَّل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في أثناء حياته هذه المرجعية لأصحابه بحكم وجوده بينهم، ومقام نبوته وعلمه والوحي المنزل عليه. وقد سبق التوجيه القرآني بوجوب تحكيم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حال التنازع والاختلاف، كما في قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ [سورة النساء: 59]. يقول صاحب الظلال: إذًا فيجبُ على المختلفين أنفسهم أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله – صلّى الله عليه وسلّم– فإنَّ الردَّ إلى كتاب الله: هو الردُّ إلى القرآن، والرد إلى الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– يكون إليه في حياته، وإلى سنته – صلّى الله عليه وسلّم– بعد وفاته[1].

ويمكن تتبع العديد من الشواهد على رجوع الصحابة – رضي الله عنهما– إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للفصل بينهم فيما شجر بينهم، نذكر منها:

– بعد أن زار سلمان الفارسي أخاه أبا الدرداء – رضي الله عنهما– في بيته وقوَّم طريقته في العبادة، بقوله: ((إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: صَدَقَ سَلْمَانُ))[2]. والشاهد أن نتيجة هذا التقويم كانت تحتاج إلى الاعتماد والإقرار

---

(1) قطب، سيد إبراهيم، في ظلال القرآن، بيروت– القاهرة، دار الشروق، ط 17، 1412 هـ، (1/ 140).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، (3/ 38– ح: 1968). (سلمان الفارسي) أسلم عند قدوم النبيّ – صلى الله عليه وسلم– المدينة، وأول مشاهده الخندق، أوخي بينه وبين أبي الدرداء، مات بالمدائن في خلافة عثمان سنة "33"، ولقب بسلمان الخير. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (4/ 139). (أبو الدرداء): عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر وشهد أحدًا وأبلى فيها، مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، (8/ 176).

من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ليقول رأيه فيها، وقد أقر صحة موقف سلمان الفارسي – رضي الله عنه– وصدقه في تقويمه.

– ما أخبر به مَعْنُ بنُ يَزِيدَ – رضي الله عنهما– قال: كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: وَاللَّهِ ما إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، فَقَالَ: ((لَكَ ما نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ ما أَخَذْتَ يَا مَعْنُ))[1]. والشاهد ما جرى من اختلاف بين الأب وابنه في مسألة أحقية أخذ مال الصدقة، وتقدير كل منهما أنه على صواب فيما فعل، فرفع الأمر إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقال مبينًا أن للأب ما نوى وما قصد من الأجر والثواب، وللابن ما أخذ من الصدقة – رضي الله عنهما–.

– حين حدث خلاف بين الصحابة – رضي الله عنهم– في فهم دلالة أمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بعد قوله: ((لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوْتَ الْوَقْتِ، فَصَلَّوْا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: لا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرَنَا رسول الله، وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ، قال: فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ))[2]. والشاهد رجوع الصحابة – رضي الله عنهم– إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ليقوّمَ اجتهادهم؛ لكنه – عليه السلام– لم يعنِّف أيًّا منهما.

ب. مراعاة الشفافية في إجراءات التقويم وعند تعليل أحكامها، وهذا مؤثر جدًّا في جعل المتعلمين أكثر تقبُّلًا للتقويم ونتائجه، ويتيح لهم الفرصة للاعتراض أو التظلم إن اقتضى الأمر، مما يحافظ على سلامة العلاقات البينية بين أطراف العملية التقويمية، ويفيدُ أيضًا في نقل الخبرات التقويمية عبر توضيح آليات تنفيذها.

وفي السُنّة النبويّة كانت تُعَالَجُ الكثير من المواقف التقويمية ومن بدايتها، على مرأى ومسمع من الصحابة المقربين من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم، وكانت واضحة بمقدماتها

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على ابنه وهو لا يشعر، (2/ 111– ح: 1422).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين، (3/ 1391– ح: 1770). بني قريظة: فرقة من اليهود سكنوا يثرب.

ونتائجها، وأحيانًا كان يستدعي الأمر تعميمًا لتفاصيل المشهد التقويمي على الملأ، أو على المنبر كإجراء وقائي حتى يتعظ الناس، ويأخذوا العبرة.

ونجدُ نحوًا من هذه الشفافية في مرويات السُنّة؛ حين فصَّلت وبيَّنت ملابساتٍ دقيقة في أثناء وعقب حادثة الإفك التي وجهت فيها سهام المنافقين نحو الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– وأهل بيته الطاهرين. ونجدها أيضًا في مشهد تقويم المخلَّفين الثلاثة عن غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة، فقد عرض كعب بن مالك – رضي الله عنه– في رواية طويلة الإجراءاتِ التقويميَّةَ بأدق تفصيلاتها، مما يؤكد الوضوح والشفافية في إجراءات التقويم.

وظهرت الشفافية أثناء تقويم موقف حَاطِبِ بن أَبِي بَلْتَعَةَ – رضي الله عنه– حين حاول تمرير رسالة لقريش يسرِّبُ فيها معلومات عن تحركات المسلمين لفتح مكة. يقول القرطبي: وَكَتَبَ فِي الْكِتَابِ: أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يُرِيدُكُمْ فَخُذُوا حِذْرَكُمْ... وَنَزَلَ جِبْرِيلُ – عليه السلام– فَأَخْبَرَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بِذَلِكَ[1]. ويصف عَلِيُّ بن أبي طالب – رضي الله عنه– تفاصيل الموقف، فيقول: بَعَثَنِي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بن الأَسْوَدِ، قال: ((انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا)). فَانْطَلَقْنَا تَعَادى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ،.. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فقال: ((يَا حَاطِبُ ما هَذَا؟ قال: يَا رسول الله، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لَقَدْ صَدَقَكُمْ))[2]. والشاهد وضوح الإجراءات التقويمية، والتي بدأت وتتابعت على مرأى ومسمع من نفر من الصحابة، فأحضرت الرسالة قبل وصولها لقريش، وحقق مع حاطب واستفسر منه عن سبب إرسالها، واستمع لتبريره، ثم

---

[1] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، (18/ 51).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الجاسوس، (4/ 59– ح: 3007). روضة خاخ: موضع قرب المدينة على طريق مكة. (ظعينة) هي المرأة في الهودج، ثم اتسع فيه وأُطلق على مطلق المرأة. (عقاصها) جمع عقيصة أو عقصة وهي ضفائر الشعر.

حكم بصدقه. وردّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– المقترح بقتله، رغم أن ما فعله صنعة الجاسوس الذي يهدِّدُ مسار الأمة المسلمة، ويعرِّضُ أمنها للخطر، لكن سابقةً لحاطب – رضي الله عنه– وسجله التاريخي وصدقه شفع له؛ فهو من أهل بدر. ونزلت آيات في مطلع سورة الممتحنة تعقيبًا على الحادثة، وافتتحت بتوجيه الخطاب للمؤمنين، في إيحاء أن حاطبًا – رضي الله عنه– مؤمنٌ رغم خطئه الكبير.

الفصل الرابع:

أنواع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

يتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: التقويم القَبْلي في السُنّة النبويّة..

المبحث الثاني: التقويم البِنائي في السُنّة النبويّة.

المبحث الثالث: التقويم الخِتامي في السُنّة النبويّة.

الفصل الرابع: أنواع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

نستعرض في هذا الفصل بالشواهد والأدلة أنواع التقويم التربوي بِناء على زمن تنفيذها في العملية التربوية النبوية، وهي:

1. التقويمُ القَبْلي (التمهيدي).
2. التقويمُ البنائي (التكوينيُّ).
3. التقويمُ الختامي.

ضمن المطالب الآتية:

المبحث الأول: التقويم القَبلي

نمهد في بداية هذا المبحث ببيان مفهوم التقويم القَبلي وأغراضه في التربية المعاصرة، ثم نبين أدواته في السُنّة النبويّة وشواهده.

تمهيد:

يوصف التقويم القَبلي في التربية المعاصرة بأنه تشخيص قدرات المتعلم ومدى استعداداته ومستواه في مجال ما، قبل المباشرة بتربيته وتعليمه، ويُجرى عادة في بداية العملية التربوية، أو قبل انطلاق مرحلة منها، أو قبل البدء بمحتوى تعليمي جديد. ويطلق عليه أيضًا التقويم التمهيدي كونه يمهّد لما يأتي بعده.

وقد عرَّفَ الباحثون "التقويم القَبلي" بتعريفات متقاربة، وكان جلّ تركيزهم في تعريفاتهم على وقت تنفيذه، كما فعلت "الديلمي" حين ذكرت أنه التقويم الذي يجري قبل عملية التعليم أو التعلم ويهدف إلى تحديد مستوى المتعلم تمهيدا للحكم على صلاحيته في مجال ما [1].

وعرّفه "حسين" بأنه التقويم الذي يتم في بداية البرنامج التعليمي للتعرف على حالة الطلبة وما يمتلكونه من المعلومات ومهارات وقدرات قبل بدء البرنامج [2].

---

[1] الديلمي، ناهدة عبد زيد، مفاهيم في التربية الحركية، دار الكتب العلمية، 2011م، (ص: 159). وانظر: خوالدة: التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، (ص: 37).

[2] حسين، القياس والتقويم في الفن والتربية الفنية، (ص: 240).

لأن التشخيص هو الغرض الأبرز من التقويم القَبلي، فقد أطلق عليه بعض الباحثين التقويم التشخيصي –القَبلي–. فمن خلاله يُكْشَفُ عن قدرات المتعلمين وقابليتهم ومهارتهم وميولهم نحو تعلم موضوع ما. كما ينتج عنه تحديد مواطن الخلل، إن وجدت في التعلُّمات السابقة بهدف معالجتها قبل الانتقال إلى غيرها؛ لضمان استيعاب الخبرة الجديدة[1].

ويجدر التنويه إلى أن التقويم بغرض التشخيص لا ينحصر في التقويم القَبلي، بل يبقى التشخيص مستمرًا على امتداد مراحل التربية والتعليم، وتتنوع غاياته التفصيلية حسب المرحلة التي يجرى فيها.

ومما يتميز به التقويم القَبلي أن نتائجه تسهمُ في تصحيح ودعم عملية التعلم والتعليم كلما انطلقت مع متعلم جديد أو مرحلة جديدة أو برنامج جديد، فهي: توضح للمعلم النتائج المخفية عن مستوى المتعلمين في مسار تعلُّمي معين، فمثلًا؛ إذا بدا أن المتعلمين لم يتمكنوا من السلوكات – أو بعض المعارف– القبلية؛ فيجب أن تتوفر لهم مادة علاجية –أو استدراكية– قبل أن ينتقلوا إلى تعلُّمٍ جديد[2]. كما إذا كان المتعلم مستجدًا فإن التقويم القَبلي يساعد في البدء بالمحتوى التعليمي المناسب لمستواه المعرفي أو المهاري.

يمكن تصور مفهوم "التقويم التربوي القبلي في السنة النبوية" بأنه تشخيص قدرات المتعلمين من الصحابة –رضي الله عنهم– أفرادًا وجماعات، وتحديد مدى استعدادهم ومعرفتهم السابقة وميولهم والفروق بينهم ومستواهم في مجال ما، قبل المباشرة بتزكيتهم وتعليمهم أو تكليفهم بالمهام التربوية المناسبة. وفيما يلي: ثلة من الأحاديث والمواقف من السنة النبوية؛ تظهر بعض أدوات التقويم القبلي التشخيصي في السنة النبوية.

---

[1] انظر: أبو شعبان وعطوان: القياس والتقويم التربوي، (ص: 24).

[2] مدانات، أوجيني، الإشراف التربوي لتعليم أفضل، عمان – الأردن، دار مجدلاوي، ط 1، 1423 هـ–2002م، (ص: 166).

المطلب الأول: المقابلات الأولية

تعد المقابلات في بداية العلاقة التربوية بين المعلم والمتعلم –وما تتضمنه من أسئلة موجَّهَةٌ وأجوبة– الأداةَ التقويمية الأبرز في تشخيص حالة المتعلم عمومًا قبل البدء معه بعملية التعلم والتعليم، فهي تمنح فرصة كبيرةً لتدفق معلومات قيّمة حول شخصية المتعلم ونمط تفكيره، وتاريخه الدراسي والصحي وإنجازاته وهواياته ونحوه.

وفي قصة إسلام أبي ذَرٍّ – رضي الله عنه– أنموذج لما كان يمارسه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من مقابلات أولية؛ يمكن إدراجها تحت التقويم القبلي بغرض الكشف والتشخيص للداخلين الجدد في الإسلام على المستوى الفردي. ويتحدث أبو ذَرٍّ – رضي الله عنه– عن مقابلته الأولى مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فيقول: ((كُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، قال: فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رسول الله؛ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ قال: مَنْ أَنْتَ؟ قال قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، قال: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ، فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قال: مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا؟ قال قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَا هُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قال: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قال قُلْتُ: ما كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رسول الله، ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، فَانْطَلَقَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَأَبُو بَكْرٍ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا))[1].

والشاهد ما دار في أثناء هذه المقابلة الأولى من حوار بين أبي ذَرٍّ والنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تعرَّفا من خلاله على بعضهما، وأبدى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ردة فعل بوضع أصابعه على رأسه. وعند ابن سعد: "قال فعجب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لأنهم كانوا يقطعون الطريق. فجعل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يرفع بصره فيه ويصوبه تعجبًا من ذلك؛ لما كان يعلم منهم[2]. ثم تابع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يسأل أبا ذَرٍّ عن سبب قدومه إلى مكة، وكيف كان يعتاش فيها خلال الثلاثين يومًا التي قضاها في مكة؛ في محاولة

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، (4/ 1919– ح: 2473).

[2] انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (4/ 168).

لتشخيص حال الرجل. ثم يوافق النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على ترك أبي ذَرٍّ في ضيافة أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما– مما أتاح فرصة إضافية لمزيد من المحاورة خلال المعايشة والضيافة بينهما؛ فتتوضح جوانب أخرى من شخصية أبي ذَرٍّ – رضي الله عنه– واتجاهاته ودوافعه.

ويعتبر مكوث الصحابي عند النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عدة أيام بعد إسلامه نهجًا نبويًّا يمكن ملاحظته، وهو مثمرٌ؛ كونه يمنح فرصة للكشف عن قدرات المتعلم الجديد، ومواهبه وسجله التاريخي والعائلي، وطرقًا من جوانب شخصيته، وهو مفيد قبل أن يُوَّجه المتعلم في مهمة إلى قومه؛ كما جرى مع أبي ذَرٍّ الغفاري – رضي الله عنه– أُرسِلَ إلى قومه داعيًا ومعلمًا.

المطلب الثاني: المعايشة القَبلية

يجدر التنويه إلى أنَّ حياة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بين قومه في مكة ومعايشته لهم قبل النبوة مدة أربعين عامًا؛ كانت كفيلة بمنحه معرفة تفصيلية عن قريش وكثير من أفرادها وزعمائها وخارطة القبائل المجاورة –أسماءها وقادتها وبعض ميزاتها– وقد استثمر هذا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عندما باشر بدعوتهم والتعامل التربوي معهم.

ومن الشواهد على عظيم أهمية المعرفة المسبقة ما جرى في أثناء المفاوضات التي سبقت صلح الحديبية، حين تتابع المفاوضون المرسلون من طرف قريش للتباحث في شأن الصلح، فكان لمعرفة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– القَبلية بهؤلاء المبعوثين أثرٌ في تحقيق أداء تفاوضي أفضل. وكان من هؤلاء المفاوضين الذين أرسلتهم قريش رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، قال لقريش: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وَأَصْحَابِهِ، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((هَذَا فُلاَنٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ. فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قال: سُبْحَانَ اللَّهِ، ما يَنْبَغِي لِهَؤُلاَءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قال: رَأَيْتُ البُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بن حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ

عَلَيْهِمْ، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بن عَمْرٍو، فقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ))[1].

والشاهد: تشخيصُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للرجال المفاوضين القادمين من طرف قريش –مستثمرًا معرفته السابقة بهم–؛ فعرَّفَ بالقادم –مِنْ بَنِي كِنَانَةَ–، ووصفه بأنه من قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، وأمر ببعثها بين يديه. وعرَّف الآخر –فقال يصفه ((هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ)). ولما قدم سهيل بن عمرو عرفه واستبشر بقدومه وبشَّرَ أصحابه بتيسير أمرهم. فأسهمت هذه المعرفة القبلية في حسن التعامل مع المفاوضين، وأثمرت صلحًا عُدَّ فتحًا للمسلمين كما وصفه القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ [سورة الفتح: 1]، وكان من نتائج هذا الصلح أن فتحت السبل والأبواب للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– لدعوة القبائل، فتيسر أمر التواصل والالتقاء والمباشرة بها في مشوار التربية والتعليم.

المطلب الثالث: السجلات التاريخية للمتعلمين

أبدع بعض الصحابة في معرفة القبائل وأنسابها –منهم– أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– الذي تميَّزَ بما لديه من خبرة ومعلومات تفصيلية محفوظة بمثابة السجلات التاريخية التي تعطي صورةً عن حال المستهدف من المتعلمين ونسبه في قومه. وقد أدرك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أهمية ذلك؛ فاستثمره وأفاد منه قبيل مقابلاته التعليمية والتربوية وفي أثناء دعوته وجهاده ونحوه. ومن الشواهد على ذلك ما أخرجه البخاريُّ أنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– طلبَ من حسان بن ثابت أن يتريث؛ فلا يبدأ بنظم شعره حتى يجلس إلى أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما–؛ ليضعه في تفاصيل أنساب قريش قبل أن يبدأ بهجوهم. فقال له: ((لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رسول الله قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (3/ 195– ح: 2731).

كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قالتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ: هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى))[1]. والشاهد: أنه كان على حسان – رضي الله عنه– قبل مباشرته هجوَ قريش بشِعره دفاعًا عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وعن المسلمين؛ أن يأخذ تفصيلًا ضروريًّا –من متخصص بالأنساب– يضيف له معرفة دقيقة تعينه في هجو المشركين، وتحميه من الزلل والخلط. وكل ذلك كان بتوجيه منه – صلّى الله عليه وسلّم– ومتابعةٍ. وقد أسهمت المعلومات القبلية المقدَّمَةُ من أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– في تحقيق النجاح الكبير لحسان بن ثابت – رضي الله عنه– في مهمته.

المطلب الرابع: الامتحانات القَبلية الخاصة

اقتضى ظرف هجرة بعض المؤمنات من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية إلى إجراء امتحان لهم، وكان ذلك بتوجيه قرآني، كما في رواية عَائِشَةَ – رضي الله عنها– قالتْ: إِنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ((كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ المُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿يا أيها النبي إِذَا جَاءك المؤمنات يبايعنك﴾ [سورة الممتحنة: 12]))[2]. وتفاصيل ذلك أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– كان قد صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يردَّ عليهم من جاء بغير إذن وليه، فلما هاجرت النساء إلى يثرب، أبَى الله – سبحانه وتعالى– أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام... فأمسك رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– النساء وردَّ الرجال[3]. وعَنِ ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما–، قال: كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا أَتَتِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لِتُسْلِمَ، حَلَّفَهَا بِاللهِ – عز وجل– مَا خَرَجَتْ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ، وَبِاللهِ – عز وجل– ما خَرَجَتْ رَغْبَةً بِأَرْضٍ عَنْ أَرْضٍ، وَبِاللهِ – عز وجل–

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، (4/ 1935– ح: 2490).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (5/ 127– ح: 4182).

[3] ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 326).

ما خَرَجَتِ الْتِمَاسَ دُنْيَا، وَبِاللهِ – عز وجل– ما خَرَجَتْ إِلَّا حُبًّا لَهُ – عز وجل– وَلِرَسُولِهِ – صلّى الله عليه وسلّم–[1].

والشاهد: التوجيهُ الإلهي والتنفيذ النبوي؛ لإجراء تقويمٍ للمهاجرات من نساء قريش، بغرض التحري عن دافعهن لترك أزواجهن والهجرة إلى المدينة، أهو الإيمان أم أمر آخر؟ ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [سورة الممتحنة: 10]. قال سيد قطب: وأول إجراء هو امتحان هؤلاء المهاجرات لتحري سبب الهجرة، فلا يكون تخلصًا من زواج مكروه، ولا طلبًا لمنفعة، ولا جريًا وراء حبٍّ فردي في دار الإسلام! [2]. فإن أقسمت المرأة المهاجرة وأقرَّتْ؛ فإنها ستكون بذلك مرشحة للبيعة مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، ثم تبدأ حياتها في المجتمع المسلم، منخرطة في العملية التربوية والدعوية.

المطلب الخامس: شهادة الأقران

يتَّسعُ مفهوم الأقران في هذا المقام ليشمل أفراد الأسرة والوالدين والأخوة والزملاء... ونحوهم.

فإن هؤلاء بما لهم من علاقة مع المتعلم، يمكن أن يوفروا للمعلم بيانات أو توصيات مفيدة جدًّا في إطار التقويم القبلي، مما يختصر الجهد والوقت في اكتشاف قدرات المتعلم ومواهبه.

نَذكرُ شاهدًا على ذلك ما رواه خَارِجَةَ بن زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا – رضي الله عنه– أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الْمَدِينَةَ، قال زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالُوا: يَا رسول الله، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، وقال: ((يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي

---

[1] الطبري: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل القرآن، (23/ 325).

[2] قطب، في ظلال القرآن، (9/ 369).

وَاللهِ ما آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي. قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، ما مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ))[1].

والشاهد: أنَّ الناس قصدوا إلى إحضار زيد بن ثابت – رضي الله عنه– إلى مجلس النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– معرفين به ومزكّين، فقالوا: إنه من بني النجار، وإنه تميز بحفظه بضع عشرة سورة من القرآن الكريم؛ رغم صغر سِنِّه. فأُعجب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بحفظه ومهارته.

وإن ما جرى من تقديم الناس لزيد وتزكيتهم له – رضي الله عنهم– شكلٌ من أشكال التقويم القبلي تم في حضرة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم. وتبعه تكليفه بمهمة مناسبة له، وهي أن يتعلم لغة اليهود. وكان كما ذكر القوم في شهادتهم، فما كانت إلا فترة وجيزة حتى رجع زيد – رضي الله عنه– وقد أتقن لغة اليهود قراءة وكتابة.

المطلب السادس: المسابقات والمبارزات

يمكن أن تحقق المسابقات الرياضية والمبارزات بأنواعها دورًا في إظهار القدرات والكشف عن المهارات؛ فهي شكل من أشكال التقويم القبلي يمكن من خلالها ملاحظة المواهب وفرزها وتوزيعها، ثم تكليفها بمهام تناسبها، فيقدم القوي الصالح لأداء معين ويجاز، ويردُّ الضعيف ويُؤجَّل، حتى لو رغب. ومن الشواهد عليها ما رواه سَمُرَةُ بن جُنْدَبٍ – رضي الله عنه– قال: أُيِّمَتْ أُمِّي، وَقَدِمَتِ الْمَدِينَةَ، فَخَطَبَهَا النَّاسُ، فَقَالَتْ: لا أَتَزَوَّجُ إِلَّا بِرَجُلٍ يَكْفُلُ لِي هَذَا الْيَتِيمَ. فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قال: ((فَكَانَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَعْرِضُ غِلْمَانَ الْأَنْصَارِ، فِي كُلِّ عَامٍ فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ. قال: فَعُرِضْتُ عَامًا، فَأَلْحَقَ غُلَامًا، وَرَدَّنِي؛ فَقُلْتُ: يَا رسول الله، لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِي وَلَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ. قال: فَصَارِعْهُ. فَصَارَعْتُهُ فَصَرَعْتُهُ

[1] الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث زيد بن ثابت، (490/35– ح: 21618). وحسَّن إسناده الأرنؤوط في تحقيقه مسند أحمد.

فَأَلْحَقَنِي))[1]. والشاهد أن ما نقله سمرة – رضي الله عنه– يصفُ شكلًا من أشكال التشخيص والكشف عن القدرات والمهارات؛ كان يجريه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لاستعراض قوة الفتيان فيُلحق من أدرك منهم بمهام الجهاد.

ونقل ابن عمر نحوًا من حديث سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ – رضي الله عنهما– فقال: ((عَرَضَنِي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ، وَأَنَا ابن أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَأَنَا ابن خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي))[2]. وروي نحوه أيضًا عن البَرَاءِ – رضي الله عنه– قال: ((اسْتُصْغِرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَى سِتِّينَ، وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ))[3].

يمكن تصور أن هذا المهرجان السنوي؛ كان يتخلله تقويمٌ قبلي بغرض الفرز والاختيار والتوزيع، حيث كانت تستعرض فيه قوة الفتيان، ويظهرون فيه مهارتهم واستعدادهم الجسدي والمعنوي أمام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، ومن ثم يأتي الحكم بمنح بعضهم شرف الانضمام إلى جماعة المقاتلين، ويُردُّ البعض ليبقى فترة أخرى في تصنيف الغلمان.

ومن دلالة حديث سمرة – رضي الله عنه– جوازُ المراجعة في نتائج التقويم، ولزوم المعلم سماعها وتقبلها، وفي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أسوةٌ حسنة للمعلمين.

---

(1) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، باب: وأما حديث معمر بن رشد، (2/ 69– ح: 2356). وصحَّحه الحاكم. (أُيِّمَتْ) صارت أرملة. (سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ بن هلال الفزاريُّ)، صحابي يكنى بأبي سليمان. وهو من حلفاء الأنصار، قدمت به أمُّه بعد موت أبيه، فتزوجها رجل من الأنصار، وكان غلامًا على عهد النبيّ – صلى الله عليه وسلم– فحفظ عنه. ثم نزل البصرة، وكان شديدًا على الخوارج، مات في حدود سنة ستين هجري. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415 هـ، (150/3).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ، (3/ 1490– ح: 1868). (ابن عمر) أبو عبد الرحمن، أسلم وهو صغير وهاجر وهو ابن عشر سنين مع أبيه، فاستصغر في أحد ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان والمشاهد بعدها، ومات سنة ثلاث وسبعين. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (5/ 328).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، (5/ 73– ح: 3956). (البراء) بن عازب بن الحارث الأنصاريُّ الأوسيُّ، يكنى أبا عمارة. له ولأبيه صحبة، وشهد أحدًا، وروي أنه غزا مع النبيّ – صلى الله عليه وسلم– أربع عشرة غزوة، ومات في (72 هـ) انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (1/ 411).

ومن دلالته أيضًا عنايته – صلّى الله عليه وسلّم– ورعايته للطفولة واستثناؤه الغلمان الصغار من مهام الجهاد والقتال رغم حرصهم، وبالمقابل تشجيعه ودعمه من بلغ من الفتيان وإفساح المجال لهم لمشاركة الرجال في الأداءات الهامة.

المبحث الثاني: التقويم البِنائي

نمهد في بداية هذا المبحث ببيان مفهوم التقويم البنائي وأغراضه في التربية المعاصرة، ثم نبين أدواته في السُنّة النبويّة وشواهده.

تمهيد:

يوصف التقويم البنائي في التربية المعاصرة بأنه التَّقويم الذي يواكب العملية التربوية فيبدأ معها ويستمر إلى قبيل انتهائها، فيرصد جوانب الخلل أثناء بناء التعلُّمات وأداء المهارات أولًا بأول ويعالجها، أو أنه يرصد جوانب القوة فيعززها ويدعمها.

ويعرَّفُ التقويم البنائي في التربية المعاصرة بأنه: عملية تقويمية منظَّمة تحدث في أثناء التدريس، وغرضها تزويد المعلم والمتعلم بتغذية راجعة؛ من أجل تحسين العملية التعليمية، ومعرفة مدى تقدم الطلبة[1]. ويطلق عليه التقويم التكويني، أو التقويم المستمر، أو التقويم التلازمي؛ كونه يصاحب عملية التعلم والتربية، وفيه يتجلى مبدأُ التقويم لأجل التعلم والتعليم، ومبدأ دمج التقويم في التعلم والتعليم. ويمكن القول هنا بأن التقويم التكويني –البنائي– يهتم بتقويم العمليات أو مراقبة تنفيذ الأنشطة[2].

وتتلخص أبرز أغراض التقويم البنائي التكويني في مسارات ثلاثة:

- التشخيص المستمر بأدواته المختلفة.
- العلاج المتجدد لجوانب الضعف.
- تعزيز جوانب القوة وبناء الاتجاهات الإيجابية.

وأضاف "أبو شعبان" أغراضًا أخرى للتقويم البنائي (التكويني)[3] فقال أن من أغراضه:

---

(1) انظر: أبو شعبان وعطوان: القياس والتقويم التربوي، (ص: 25).

(2) الحريري: التقويم التربوي مفهومه وأهميته أهدافه ووظائفه، (ص: 49).

(3) انظر: أبو شعبان وعطوان: القياس والتقويم التربوي، (ص: 25).

- إثارة الدافعية للتعلم والاستمرار فيه.
- توجيه الطلبة في الاتجاه الصحيح.
- مساعدة المعلم على تحسين أسلوبه وإعادة النظر في طريقة تدريسه.

ويركز التقويم البنائي التكويني على ما أحرزه التلاميذ من تقدُّم، وما أخفقوا فيه خلال تعلم موضوع دراسي معين، فإذا فشل أغلبية التلاميذ في التقويم التكويني، وجبَ إعادة النظر في طرق وأساليب التعليم، أما إذا فشل قلة منهم، فيجب إعداد وصْفات من شأنها تصحيح الأخطاء التعلمية الفردية[1]. ويساعد التقويم التكويني على خلق وتجديد عملية التعلم من خلال تفقد تعلّم الطلاب وتبادل التغذية الراجعة لاستخدامها في تحسين تعليمهم وتعلّمهم. فهو أشبه بدورة دائمة حيث يقود المعلمون طلابهم باستمرار لاستحضار معرفتهم القبلية وإشراكهم في أنشطة تعليمية لبناء قاعدتهم المعرفية، ثم استعراض نجاحاتهم التعلمية من خلال أساليب تقويم عديدة، والتأمل في الإنجازات والمهارات. وبعد أن تُستكمل هذه الدورة، فإن العملية برمتها تبدأ من جديد[2].

ويمكن تصور مفهوم "التقويم التربوي البنائي في السنة النبوية" بأنه ذاك التَّقويم الذي كان يواكب العملية التربوية النبوية ويستمر معها أثناء الأداءات والمهام والغزوات ونحوه، فيرصد في الأثناء جوانب الخلل فيعالجها، أو يرصد جوانب القوة فيعززها، أو يبني الاتجاهات الإيجابية ويدعمها.

ويجدر التنويه أن التقويم البنائي في السُنّة النبويّة لم يقتصر تنفيذه على النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم–؛ بل مارسه الصحابة – رضي الله عنهم– في تقويم بعضهم، ومارسه الصحابي الفرد في تقويمه ذاته ومراجعته نفسه وبنائها وتطوير أدائها وسلوكها وعاداتها.

---

(1) الحريري: التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه، (ص: 49).

(2) انظر: شاف، ريان ل، استخدام الألعاب الرقمية كأدوات للتقويم والتعليم، الدمام – السعودية، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، ط 1، 1439 هـ، (ص: 45).

ويجدر التذكير بأن التقويم البنائي من ميزاته أنه مندمج في عملية التعليم، مما يجعل فعالياتهما متداخلة، وينسحب هذا التداخل على أدواتهما ووسائل كل منهما وهذا كان واضحًا في السُنّة النبويّة[1].

كما ينبغي التذكير بأن العديد من الاستراتيجيات التقويمية التربوية؛ تندرج تحت التقويم البنائي والتكويني، كالمعايشة التربوية، وتقويم الأقران، والتقويم المعتمد على التأمل الذاتي، والتقويم المعتمد على الأداء، والتقويم عقب الملاحظة. فهي كلها تجد لها مدى للتطبيق من خلال التقويم البنائي.

ونستعرض فيما يأتي جملة من أدوات التقويم البنائي –التكويني– تميزت بها السُنّة النبويّة:

المطلب الأول: برنامج التزكية اليومي

يمكن ملاحظة أن نصوص الوحي قد وجَّهت المسلمَ إلى برنامج من العبادات اليومي، طاعةً لله وتزكية للروح وتهذيبًا للنفس، ومنها قوله تعالى: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللّهِ أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ [سورة العنكبوت: 45]، والشاهد في الآية الكريمة أنها تضمنت ثلاث مفردات أساسية في برنامج التزكية اليومي عند المسلم، أولًا: تلاوة من القرآن الكريم، وثانيًا: إقامة للصلاة، وثالثًا: الأذكار القولية التي تمتد على مدار اليوم والليلة. وهي بمجموعها تشكل أساس في التقويم الذاتي وبناء النفس وتحصينها وتقوية إرادتها وتنمية دوافع الخير فيها.

نقل القرطبي عن المفسرين أن المراد بـ "أقم الصلاة"؛ إدامتها والقيام بحدودها، ثم أخبر حكمًا منه بأن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر، وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة. والصلاة تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه واذَّكر أنه واقف بين يديه، وأن الله مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه

---

[1] انظر: مبحث مبادئ التقويم التربوي، المطلب الرابع.

وتذللت، وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة"[1].

وبهذا البرنامج العملي اليومي؛ ستكون عند المسلم فرصة أكبر لتقويم نفسه وحملها على الاستقامة وتزكيتها. كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– أَنَّهُ سَمِعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، ما تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ. قَالُوا: لا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا. قال: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا))[2]. والشاهد أن الصلوات الخمس بمثابة الأداة الفعَّالة التي تغسل صاحبها من أثر الآثام، وتقوِّمُ اعوجاجه، وتصلح حاله، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر.

وإذا رُوعِيَ أن تُصلَّى هذه الخمس في جماعة؛ فإن فضلها –بنص الحديث– يتضاعف مرات، كما في رواية عبد الله بن عمر – رضي الله عنه–: أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً))[3]. كما يتضاعف أثرها المبارك على نفس المسلم وأسرته ومجتمعه، حيث يتعاظم شعور المرء بالانتماء للجماعة، وتحصل في صلاة الجماعة فرصةٌ أوفر للتعارف والتعاون على البر، والتأسي بالصالحين، فتتوثق عرى الأخوة ويقوى المجتمع على الخير والمحبة.

وما ذُكر في الآية الكريمة أساسياتٌ في البرنامج اليومي للمسلم، ضمن باقة واسعة من النوافل والصدقات وأعمال التضامن والبر الكثيرة؛ وهي كلها –بالإضافة إلى كونها عبادات يتوجه بها إلى الله– فإنها تؤدي بلا شك وظيفةً تقويمية تكوينية، يتعزز بها التقويم الذاتي المستمر، وتتقوى بها النفس وتتزكى ويتجدد إيمانها، وينمو وازعها الديني الذي ينهاها عن الفحشاء والمنكر. يقول صاحب الظلال: إقامة الصلاة... لا مجرد أداء الصلاة.. إقامتها على أصولها التي تجعل منها صلةً حقيقية بين العبد والرب، وعنصرًا تهذيبيًّا وتربويًّا وفق المنهج

---

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، (13/ 348).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، (1/ 112– ح: 528). (درنه) وسخه. (به) في نسخة (بها). (الخطايا) الذنوب الصغيرة].

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، (1/ 131– ح: 645).

الرباني القويم، وناهيًا عن الفحشاء والمنكر، حياءً من الوقوف بين يدي اللَّهِ بحصيلة من الفحشاء والمنكر ! [1].

المطلب الثاني: مؤتمر الجمعة الأسبوعي

معلوم أن صلاة الجمعة عبادة أسبوعية، يحضرها كل مسلم مكلف[2]، وهي بمثابة "مؤتمر أسبوعي لمسلمي العالم يجتمعون فيه للصلاة، وتبادل الآراء حول ما يهمهم في حياتهم اليومية من قريب أو بعيد"[3]. ويمكن تصور فضل صلاة الجمعة وأثرها في كونها فرصةً أسبوعية متجدِّدَةً هدفها البناء والتقويم. لأجلها يذر المؤمنون بيعهم في وقتها، ويسعون لذكر الله فيها، في مشهد مهيب لا ينبغي أن يتخلف عنه إلا المعذور. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نُودِي لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [سورة الجمعة: 9].

وفي يوم الجمعة وصلاتها وخطبتها وأحكامها وردت أحاديث عديدة، نذكر منها:

عَنْ أَوْسِ بن أَوْسٍ – رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَغَسَّلَ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَدَنَا وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرُ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا))[4]. وعن سَلْمَانَ الفَارِسي – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَتَطَهَّرَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، ثُمَّ ادَّهَنَ أو

---

(1) قطب، في ظلال القرآن، (3/ 212).

(2) ولا تجبُ صلاة الجمعة على أربعة: المرأة، والمريض، والمسافر، والصبي، ومن في حكمهم، ومن حضرها منهم أجزأته. انظر: التويجري، محمد بن إبراهيم، موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية، ط1، 1430هـ– 2009م، (2/ 547).

(3) فلاحة، سوسن فريد، الإمام سفيان الثوري وآراءه الفقهية، الرياض – السعودية، دار العبيكان، ط 1، 2007م، (ص: 647).

(4) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب الجمعة، باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة، (2/ 367– ح: 496). وحسَّنه الترمذي.

مَسَّ مِنْ طِيبٍ، ثُمَّ رَاحَ فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ، فَصَلَّى ما كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ إِذَا خَرَجَ الإِمَامُ أَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى))[1].

ويتجدَّدُ اللقاء التزكوي التعليمي في صلاة الجمعة بين مسلمي كل حي، ويحدث التفقد بينهم والسؤال عن الأحوال وتبادل السلام وتشارك الهموم. وهي فرصة متكررة يرقب فيها الإمام وأهل المحلة مشاكلهم وتحدياتهم، ويقفون معًا لتحليل أسبابها وحلِّها وتجاوز آثارها. كما يظهر من حديث أنَس بن مالك – رضي الله عنه–، قال: ((أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فَبَيْنَا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ يَا رسول الله: هَلَكَ المَالُ وَجَاعَ العِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ما وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ – صلّى الله عليه وسلّم–، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الغَدِ وَبَعْدَ الغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ –أو قال: غَيْرُهُ– فَقَالَ: يَا رسول الله، تَهَدَّمَ البِنَاءُ وَغَرِقَ المَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا. فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ))[2].

وفي ظاهر الحديث شاهدٌ على استجابة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لطلب الأعرابي، في تفاعل منه – صلّى الله عليه وسلّم– مع قضايا الناس ومشاكلهم، وفيه شاهد على أن صلاة الجمعة وخطبتها ودعاءها تستوعب معالجةَ وتقويمَ ما يعاني منه الناس من أحداث ومشاكل. حيث يملك خطيب منبر الجمعة وسيلةً تمنحه أفضلية في استجلاب التغذية الراجعة من الناس، ومن ثَمَّ يعلِّقُ عليها مؤصلًا لحكمها، مبينًا الاتجاهات السليمة والقيم الأصيلة، ويعزز المحسن ويتصدى للمفسد.

وتتكامل الإجراءات الذاتية التي يعتني بها الفرد المسلم ليلة الجمعة ونهارها مع توجيهات خطيب الجمعة وإرشاداته لتدعم تقويميًا تربويًا بنائيًا أسبوعيًا؛ وهي تبدأ حين يستحضر المرء

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب: لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة، (2/ 8– ح: 910).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، (2/ 12– ح: 933).
(سَنَة): شدة وجهد وقحط. (قزعة): قطعة غيم أو الغيم الرقيق.

فضل يوم الجمعة على سائر الأيام، وحين يلتفت إلى زوجه فيهبها من وقته وعطفه، ويلتفت إلى جسده فيغتسل متنظفًا ومتطهرًا، ويرتدي أبهج ملابس أسبوعه، ويمس من العِطر ما تيسر، ويتلو سورة الكهف، ويخرج مبكّرًا وماشيًا إلى مسجده الجامع، مصطحبًا أبناءه وأهله، فيراهم الجيران والأقران، ويحدث السلام والتأسي، ثم يجلسُ حيث ينتهى به المجلس؛ فلا يؤذي أو يفرّقُ بين اثنين مراعيًا النظام وحرمة المسجد، ويصمت بخشوع وينصت بإجلال، ويؤمّنُ على الدعاء، ثم يصلي في صف متراص؛ فتقترب الأجساد، وتتراص الصفوف، وتتآلف الأرواح.

هذه صلاة الجمعة مؤتمر المسلمين الأسبوعي، يتكامل فيها التقويم الذاتي مع التقويم الجمعي، ويأتي في سياق التقويم التكويني المستمر الذي يبني المجتمع ويقف حارسًا على أخلاقه وقيمه.

المطلب الثالث: البيعة مع المربّي

البيعة في اللغة من المُبَايَعَة والتَّبَايُع، وهي عبارة عن المُعَاقَدَةِ والمُعَاهَدَةِ، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره. وقد تكرر ذكرها في الحديث[1]. ويمكن تعريف البيعة في اصطلاح السُنّة النبويّة بأنها: "العهد على الطاعة"؛ كأنَّ المبايع يعاهد أميره على أنه يسلِّمُ له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلِّفُهُ به من الأمر على المنشط والمكره. وكانوا إذا بايعوا الأمير، وعقدوا عهده؛ جعلوا أيديهم في يده تأكيدًا للعهد؛ وصارت البيعة مصافحة بالأيدي[2].

وقد وردت مفردةُ البيعة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوقَ أَيدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: 10]، وفي الآية تعظيم لشأن البيعة وتحذير من نكثها. وقد ورد التوجيه القرآني للنبي الكريم – صلّى الله عليه وسلّم– ببيعة النساء المهاجرات من قريش بعد

---

[1] الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، (20/ 370).

[2] العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2004م، (1/ 45).

امتحانهن، في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لا يشركن بالله شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أيديهن وأرجلهن ولا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رحيم﴾ [سورة الممتحنة: 12]. والشاهد أنَّ الآية الكريمة تضمنت الأمر ببيعة من طلب البيعة واستعد لها وأقر بشروطها؛ مما يؤكد أنها وسيلة صالحة تسهم في تأسيس وتنظيم العلاقة بين المتبايعَين، وتحدث تقويمًا بنائيًا مستقبليًّا سلوكيًّا، فهي تعزز التقويم الذاتي عند المبايع، وتساعده ليبدأ صفحة جديدة مع نفسه ومحيطه؛ وفاء ببيعته وعهده.

وقد ورد مصطلح البيعة في السُنّة النبويّة، فاشتهرت بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية في الفترة المكية، وبيعة الرضوان في الحديبية والتي أشير إليها في قوله تعالى: ﴿لقد رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح: 18].

وكان للنساء حظٌّ كبيرٌ أيضًا في مبايعة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فقد أحصى ابن الجوزي عدد النساء المبايعات فقال: "وقد سميَّنا من أحصينا من المبايعات... أربعمئة وسبع وخمسون امرأة"[1]. وبيَّنت عائشة – رضي الله عنها– طريقة بيعة النساء، فقالت: ((كَانَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ، قال لَهُنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: انْطَلِقْنَ، فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ، وَلَا وَاللهِ ما مَسَّتْ يَدُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ، قالتْ عَائِشَةُ: وَاللهِ، ما أَخَذَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللهُ –تعالى))[2]. وهي تشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [سورة الممتحنة: 12].

وعليه فإن المبايعة يمكن اعتبارها أداةً أساسية في التقويم التربوي النّبويّ البنائي، وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يستخدمها حال دخول الرجل في الإسلام، أو عند الحاجة

---

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1422 هـ، (8/ 246).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء، (3/ 1489– ح: 1866).

لتجديد البيعة بسبب ظرف طارئ كما حدث في بيعة الرضوان. فمن خلال البيعة كان يُؤَكِّدُ على تعلُّمات معينة وأحكام مناسبة للحالة والموقف، كما تبدأ معها رحلة المتعلم في تقويمه نفسه، ويتحرى الثبات على بيعته.

ويجدُرُ التذكير بأن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بايع الناس في إطار تقويمهم؛ كل أحد بحسب ما يحتاج إليه من تجديد عهدٍ أو توكيد أمرٍ، حتى إنه بايع الفتيان؛ كما أخرج مسلم أن النبيّ بايع عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما– وهو ابن سبع سنين أو ثمان[1]. وقد عنون البخاري في صحيحه أبوابًا مرتبطة: كباب بيعة الصغير، وباب بيعة النساء، وباب بيعة الأعرابي.

ونذكر فيما يلي شاهدَين من أحاديث السُنّة النبويّة، تؤكد استخدام البيعة كأداة في التقويم النّبويّ البنائي، على النحو الآتي:

عَنِ ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما– أَنَّ ضِمَادًا الأزدي – رضي الله عنه– قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وكان صديقا للنَّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وكان يتطبَّب ويَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قال فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ)). قال: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قال: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قال: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: وَعَلَى

---

[1] الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ، التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبويّة، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم، ط 2، (د. ت)، (1/ 198). انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحباب تحنيك المولود، (3/ 1689– ح: 2146).

قَوْمِكَ))[1]. والشاهد: استخدام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– البيعة بالمصافحة لتكون وسيلة مناسبة –بعد دخول الرجل في الإسلام– تلزمه بالثبات على الإيمان، وتدفعه للوفاء بما عاهد عليه من مقتضيات الإسلام والسمع والطاعة له – صلّى الله عليه وسلّم-.

وجرى نحوًا من هذه البيعة مع جرير بن عبد الله البجلي – رضي الله عنه– قال: ((بَايَعْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ))[2]. والشاهد أن مضمون البيعة مع الصحابة – رضي الله عنهم– كان يختلف من شخص لآخر في تفاصيل مناسبة لحال المبايع، لكنها كلها تدور حول تحقيق أهداف تربوية تقويمية تعود بالخير على الفرد المبايع أولًا ثم على محيطه وأقرانه ثانيًا، كما في بيعة جرير التي تضمنت النصح لكل مسلم. وقد نقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي أن مبايعة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لأصحابه كانت بحسب ما يحتاج إليه من تجديد عهد، أو توكيد أمر، فلذلك اختلفت ألفاظهم[3].

المطلب الرابع: نظام المؤاخاة

ومما انفردت به التربية الإسلامية في إطار إجراءاتها التقويمية البنائية؛ ما أقامه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من علاقات ثنائية بين المهاجرين والأنصار عقب الهجرة إلى يثرب عرفت بالمؤاخاة تندرج تحت استراتيجية التقويم بالأقران.. يقول ابن إسحاق: ((وآخى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: تآخوا في الله أخوين))[4].

ويجدر بالذكر أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أقام ضمن منهجه التربوي مستويين من العلاقة الأخوية، الأول "أخوة عامة" تجمع كل المؤمنين، ويستشعر بها المرء بانتمائه للجماعة

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (2/ 593–ح: 868). يَرْقِي مِنَ الريح: أَي من الْجِنّ. نَاعُوس الْبَحْرِ: وسطه أو قعره.

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (1/ 75– ح: 56).

(3) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (1/ 139).

(4) ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 505). قال الشحود: صحيح مرسل. انظر: الشحود: علي بن نايف، موسوعة السُنّة النبويّة، (ص: 1751).

المؤمنة ويهبها الولاء والنصرة والتكافل ونحوه، وتندرج تحت قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [سورة الحجرات: 10].

أما المستوى الثاني فهو أخوة خاصة، يُعبَّرُ عنها بالمؤاخاة أو الإخاء، وقد شكَّلت حالةً استثنائية من العلاقة احتيج إليها عقب الهجرة إلى المدينة مباشرة، وكانت بين المهاجرين والأنصار. وتمت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خصاصة﴾ [سورة الحشر: 9].

ويجدر بالذكر أنَّ هذه المؤاخاة التي انفرد بها المنهج التربوي النبوي؛ كان لها أبعاد وآثار تربوية عديدة على الفرد والمجتمع، فقد عملت على تجاوز حالة العَوَز –المادي والمعنوي– التي كان المهاجرون يمرُّون بها؛ بعد أن تركوا خلفهم في مكة بيوتهم وأموالهم وعشيرتهم، فجاءت لتسهم في تجاوز ما يعانونه من تحديات، كما يقول السهيلي في الروض الأنف: آخى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بين أصحابه حين نزلوا المدينة، ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسَهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشدَّ أزر بعضهم ببعض. فلما عزَّ الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله – سبحانه وتعالى– قوله: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كِتَابِ اللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب: 6]، يعني –اقتصر الميراث بين الأرحام– ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [سورة الحجرات: 10]، يعني في التواد[1]. يقول محمد قطب في تعليقه على الآثار التقويمية النفسية للمؤاخاة: حين تمنع النفس –لتقويمها– من شيء من رغائبها؛ فالوسيلة الصحيحة لملء فراغ هذه الرغبة، هي إيجاد نشاطٍ جديد لهذه الرغبة ذاتها، أو لرغبة سواها، فالنفس من الداخل كلها وثيقةُ الاتصال! وهذا ما أدت إليه "المؤاخاة" حين ملأت ما في نفوس المهاجرين من فراغ؛ بسبب قطع علائقهم مع الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد

---

[1] السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام، تحقيق: عمر السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1421 هـ– 2000م، (4/ 177).

من مشركي قريش، فملأت المؤاخاة فراغ نفوسهم حقيقة، وصارت تعدل في حسِّهم صلة الدم، حتى وصلت بهم إلى اقتسام كل شيء[1].

وقد أولى المنهج الإسلامي اهتمامًا عظيمًا بالحاجات النفسية والوجدانية، فعمل على بناء المحبة والإخاء بين المسلمين، وإشباع الحاجة إلى الحبِّ المؤدي لتحقيق المودة والتعاون، وكانت المؤاخاة أداةً لتحقيق ذلك[2]. ويقول مرسي: إن المؤاخاة كانت سببًا للألفة، وقد تولَّد عنها المصافاة والإخلاص والوفاء، وهذه أعلى مراتب الألفة[3]. ويقول النووي مؤكدًا امتداد أثر المؤاخاة –عبر الزمن– إلى التناصح والتعاون وإقامة الحق: "أما المؤاخاة في الإسلام، والمحالفة على طاعة الله، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق فهذا باقٍ لم يُنسخ"[4].

واعتبر محمد قطب المؤاخاة التي عقدها الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– بين المهاجرين والأنصار تدريبًا عمليًّا على "الأخوة الإسلامية" –العامة– التي تبعثها العقيدة الإسلامية في نفوس المؤمنين بها. وكانت كذلك تدريبًا عمليًّا على "التكافل" وهو من المعاني العميقة في بناء الجماعة المسلمة. وكان تدريبًا ناجحًا، فذًّا في نجاحه، فريدًا في التاريخ[5].

يقول الحافظ ابن حجر: إن الإخاء المذكور كان في أول الهجرة، وكانوا يتوارثون به، ثم نسخ من ذلك الميراث، وبقي ما لم يبطله القرآن، وهو التعاون على الحق والنصر، والأخذ على يد الظالم[6].

---

(1) انظر: قطب، محمد إبراهيم، منهج التربية الإسلامية، مصر، دار الشروق، ط 16، 2019م، (1/ 207).

(2) انظر: عاطف السيد، التربية الإسلامية – أصولها ومنهجها ومعلمها، مصر، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، (د. ط)، 2008م، (ص: 41).

(3) مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية – أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، 1425 هـ– 2005م، (ص: 57).

(4) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (16/ 82).

(5) انظر: قطب، منهج التربية الإسلامية، (2/ 305).

(6) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (4/ 473).

وبناءً على ما سبق؛ فيمكن اعتبار المؤاخاة أداةً فعالة في التقويم التربوي البنائي، حيث كان يُفَعَّلُ –من خلالها– تقويمُ الأقران؛ والذي عبَّرت عن جانب منه رواية أَنَسٍ – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رسول الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قال: تَحْجُزُهُ، أو تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ))[1]. وتجدهم يتناصحون ويتعاونون ويكون أحدهم مرآة لأخيه فيقوّم بعضهم بعضًا؛ كما جاء في الحديث الذي أخرجه أَبُو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ))[2]. مما يدل على أن الأخ يدفع عن أخيه وينصره ويعلّمه ويقوّم اعوجاجه ويشاركه المراجعات في طريق بناء الذات، بحكم ما بينهما من علاقة حميمة تتيح إمكانية تقبُّل التدخل والتغيير والتقويم.

المطلب الخامس: مدرستي رمضان والحج

ومما انفردت به التربية الإسلامية في إطار إجراءاتها التقويمية البنائية تشريع عدة مواسم على مدار العام كصيام شهر رمضان المبارك، وما يتم فيه تفصيلات وتدريبات على الصبر وضبط النفس وإدارة الذات، والارتقاء بمستوى التقوى من خلال قيام الليل بصلاة التراويح، وتحري ليلة القدر في العشر الأواخر بالعبادة والذكر وقراءة القرآن.

والشاهد: هذا الأثر التربوي البنائي الذي يخرج به المسلم بعد شهوده شهر رمضان المبارك وما يعقبه الصيام من تنمية للتقوى في النفوس وتعزيز الشعور بالمراقبة والتقويم الذاتي، كما ويحقق صيام النهار ثمرات تربوية واجتماعية كتدعيم الشعور بالتضامن وتفقد الفقراء والمساكين؛ وما يرتبط بذلك من الحض على تفطير الصائمين وبذل الصدقات عمومًا وصدقة الفطر خصوصًا، مما يجعل من رمضان مدرسة تربوية سنوية ترتقي بالمسلم فتزيد من قربه من ربه ومن تضامنه مع غيره.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإكراه، (9/ 22– ح: 6952).

[2] أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة، (4/ 280– ح: 4918). وحسَّن إسناده الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

ونحوًا من ذلك يحدث في أشهر الحج الثلاثة الحج في كل عام، وفي العشر الأوائل من ذي الحجة، ويوم عرفة، ويوم العيد وأيام التشريق، وما يكون فيها من تعظيم لله تعالى بالسفر لأجله، والطواف ببيته الحرام، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف في صعيد عرفة، ورمي الجمرات والمبيت في منى، وذبح الأضاحي، وكثرة الذكر والتلبية. وإن القيام بذلك مع تحمّل تعبه واستسهاله، وضبط النفس في زحام الحج العظيم وتحمّل الأذى، وكفّ اللسان عن الصخب والرفث إنما هو تعبير عن التوحيد الخالص والطاعة له سبحانه والامتثال والبذل في سبيل الله تعالى. وهذه تنعكس خيرًا على نفْس المسلم فيشعر برضا ربه عليه، فتسْلم نفْسه وتطمئن، ويعود من حجه المبرور مغفور الذنب طاهر النفس كيوم ولدته أمه.

المبحث الثالث: التقويم الخِتامي

نمهد في بداية هذا المبحث ببيان مفهوم التقويم الختامي وأغراضه في التربية المعاصرة، ثم نبين شواهده في السُنّة النبويّة.

تمهيد:

يعرِّف التربويون التقويمَ الختامي بأنه: التقويم الذي يستند إلى نتائج الاختبارات التي يعطيها المعلم في نهاية الحصة أو في نهاية الفصل أو في نهاية العام؛ بهدف تحديد المستويات النهائية للطلبة[1].

وعرفه الخوالدة بأنه: العملية التقويمية التي يجري القيام بها في نهاية برنامج تعليمي، يكون المفحوص قد أتم متطلباته في الوقت المحدد، بهدف تحديد درجة تحقيقه للمخرجات الرئيسة لتعلم مقرر ما[2].

ويهتم التقويم الختامي بدرجة أكبر بالأثر والنواتج عن العملية التربوية، بهدف معرفة مدى تحقيق برنامج تعليمي معين لأهدافه المحددة وذلك بعد الانتهاء من تنفيذه[3].

ومما سبق يمكن ملاحظة أن التقويم الختامي يجرى غالبًا في نهاية العملية التربوية أو مرحلة منها، كنهاية فصل منها، أو عقب تنفيذ برنامج أو تطبيق مقرر، أو عند تمام وحدة دراسية، أو عقب مهمة أو تجربة لتقويم آثارها ونتائجها.

وتتقدم الوظيفة التجميعية كغرض بارز للتقويم الختامي، فمن خلالها يُسترجَعُ ما حُصِّلَ من معارف متفرقة ومهارات في أثناء تنفيذ البرنامج التربوي، وتُقَوَّمُ هذه كلها بشكل متكامل يعبر عن حالة الإنجاز، ثم يُصدِر المعلم حكمه على مستوى المتعلم العام.

ويبقى الغرض البنائي- التكويني- حاضرًا في التقويم الختامي لتتميم البناء المعرفي ومراجعته اطمئنانًا على تحققه عند المستهدف بالشكل الكامل والسليم؛ فيكون بذلك آلية للبناء

---

(1) انظر: أبو شعبان وعطوان: القياس والتقويم التربوي، (ص: 26).

(2) خوالدة: التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، (ص: 46).

(3) انظر: الحريري: التقويم التربوي مفهومه، أهميته أهدافه ووظائفه، (ص: 49).

المعرفي والتكوين المهاري عند المتعلم، لأن الاستعداد للتقويم الختامي والتحضر لدخوله يدفع المتعلم إلى مراجعة كامل المحتوى وربط أجزائه الذي تمت دراستها، واستذكار المحفوظات، وتكثيف التدرب على المهارات، ونحوه؛ لذلك لا يملُّ المعلمون الجيدون من إجراء الاختبارات الختامية عقب كل مرحلة أو وحدة دراسية، ويأتي فعلهم الختامي هذا في سياق بنائي تكويني.

كما يحقق التقويم الختامي وظيفة استشرافية توجيهية، فمن خلال نتائجه تتوفر التغذية الراجعة والتي تسهم في تطوير البرنامج التعليمي أو رسم مسارات مستقبلية للمتعلم. كما يشير إلى ذلك صاحب كتاب "المرجع في تربية الموهوبين" مشيرًا إلى وظائف التقويم الختامي، فيقول: يتمثل الاهتمام الرئيس في هذا النوع من التقويم في قضايا مثل: المساءلة وفاعلية البرنامج؛ بمعنى أن للتقويم الختامي جوانبَ استرجاعية وأخرى استشرافية؛ فهو استرجاعي: عندما يحاول تحديد ما إذا كان البرنامج فاعلًا، وهو استشرافي: لأنه يُستخدم –وبشكل متكرر– في اتخاذ قرارات رئيسة حول مستقبل برنامج ما؛ كالاستمرار فيه أو إنهائه[1]. ونحو ذلك مما يرتبط بمستقبل المتعلم وتوجيهه التوجيه المناسب.

---

[1] انظر: كالإنجيل، نيكولاس، وديفيز، غازي، المرجع في تربية الموهوبين، ترجمة صالح أبو جادو، السعودية، دار العبيكان، 2012م، (ص: 339). والمساءلة: من المفاهيم التربوية التي تعتمد اعتمادًا رئيسًا على التقويم التربوي، ولكنها ليست مرادفةً له. فهي تمثل قبول المسؤولية وتحمّلها فيما يتعلق بتحقيق النواتج المرجوة للتعليم والتربية، باعتباره من الخدمات الجماهيرية الأساسية. فالمساءلة تؤكد حق – المجتمع والأسرة– في معرفة ما يجري في – المؤسسات التعليمية– ومدى فاعليتها في تحقيق أهدافها التربوية. ولا تقتصر الغاية من المساءلة على إيقاع العقوبات إذا لم تحقق – المؤسسات التعليمية– هذه الأهداف؛ بل يجري على إثرها توجيه الاهتمام لإعادة تصميم الأنشطة التعليمية والتربوية بما يحقق فاعليتها وفعاليتها. انظر: الحروب، زهير حسن، أساليب حديثة في تقويم أداء المعلم، عمان– الأردن، دار غيداء، ط 1، 2020م، (ص: 22).

ويمكن تصور مفهوم "التقويم التربوي الختامي في السنة النبوية" بأنه ذاك التَّقويم التربوي الذي كان يجرى عقب المراحل والغزوات والحوادث والمواقف لتقويم أداءات الصحابة أفرادًا وجماعات –رضي الله عنهم–. وكذا كان ثمة تقويم ختامي أمكن تتبعه لتعديل طرق التعامل مع المحتوى، وتعديل الطرق والوسائل التعليمية والتربوية لتناسب التقدم في العملية التربوية، وما قد يحصل من تغير في ظروف المتعلم وبيئته.

يمكن تتبع مظاهر التقويم الختامي في السُنّة النبويّة على أكثر من مستوى، نذكر منها ما يأتي:

المطلب الأول: التقويم الختامي في "مراجعة القرآن الكريم".

– في إطار التقويم الختامي السنوي كانت تتم مراجعة القرآن الكريم كاملًا مرة كل عام، وفي العام الأخير من حياة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تمت مراجعة القرآن بينه وبين جبريل – عليه السلام– مرتين[1]. ويظهر ذلك من رواية عائشة – رضي الله عنها– وهي تروي عَنْ فَاطِمَةَ – عليها السلام– أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أخبرها: ((أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي))[2]. ويجدر التنويه بأن هذا كان يجري في رمضان من كل عام.

– ويمكن تصور دلالة عبارة "يعارضني القرآن" فهي تتضمن مراجعة الحفظ، والترتيب النهائي للسور والآيات، وطريقة التلاوة الصحيحة، ونحوه من التأكيد على تثبيت بعض الأحكام أو نسخها، قال الحافظ ابن حجر: "المعارضة" مُفاعَلة من الجانبين كأن كلًّا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع[3]. وقال الطِّيبي: قوله: "يعارضني القرآن؛ أي: يدارسني جميع ما نزل من

---

[1] تمت هذه المراجعة الأخيرة للقرآن الكريم مع جبريل –عليه السلام– في العام العاشر للهجرة قبل حجة الوداع، وقبل وفاته – صلى الله عليه وسلم– والتي كانت في ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة. انظر: العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت)، (8/ 219).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (4/203– ح: 3624). (يعارضني القرآن) من المعارضة وهي المقابلة في القراءة عن ظهر قلب.

[3] ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (9/ 43).

القرآن، من المعارضة والمقابلة، ومنه: عارضت الكتاب بالكتاب؛ أي: قابلته به"[1]. والشاهد أن تقويمًا – من خلال المعارضة– كان يجري سنويًّا لمحتوى القرآن الكريم وأنه جرى مرتين في آخر رمضان عاشه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وكان في ذلك إشارة لاقتراب أجله – صلّى الله عليه وسلّم– وانتهاء مهمته، وتأتي هذه العناية من الله تعالى بكتابه المنزَّل، فالله – سبحانه وتعالى– تعهد بحفظه، وهيأ أسباب ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: 9]. وعليه فيمكن اعتبار ما جرى من هذه المعارضة – نهاية كل عام– تقويمًا ختاميًّا لسلامة محتوى المنهج التربوي النّبويّ –القرآن الكريم–.

المطلب الثاني: التقويم الختامي تقديرًا المتعلمين وإبرازًا لتميزهم.

من الإجراءات في السُنّة النبويّة الدالة على التقويم الختامي تحديد المعلم البديل للناس، وتمكينه، والإعلان عن اسمه، كما يظهر من رواية الجُبَيْرِ بن مُطْعِم – رضي الله عنه– قال: أَتَتِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– امْرَأَةٌ، فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قالتْ: يَا رسول الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ –كَأَنَّهَا تُرِيدُ المَوْتَ–، قال: ((إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِ أَبَا بَكْرٍ))[2]. فالشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حدّد للمرأة بديلًا عنه يقضي حاجتها حال غيابه أو موته.

ومن الطبيعي أن يظهر فرق كبير بين ما كان عليه حال أعيان الصحابة قبل أن يبدءوا مسيرتهم التربوية مع النبيّ الكريم محمد – صلّى الله عليه وسلّم– وبين حالهم بعد إسلامهم وطول صحبتهم. وليس المقام للحديث عن حالهم أيام الجاهلية؛ بل مقام الإشارة إلى ما حققوه من مراتب عالية، وشهادات وأوسمة نبوية وثناء من الله –تعالى– على آحادهم، يقول ابن بطال: "يجوز الثناء على الناس بما فيهم على وجه الإعلام بصفاتهم؛ لتعرف لهم سابقتهم، وتقدمهم في الفضل؛ فينزلوا منازلهم، ويقدّموا على من لا يساويهم، ويقتدى بهم في الخير، ولو لم يجز وصفهم بالخير والثناء عليهم بأحوالهم لم يعلم أهل الفضل من غيرهم، ألا ترى أن النبيّ –

---

[1] الطيبي: شرح المشكاة = الكاشف عن حقائق السنن، (12/ 3902).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، (9/ 81– ح: 7220).

عليه السلام– خصّ أصحابه بخواص من الفضائل بانوا بها عن سائر الناس وعرفوا بها إلى يوم القيامة"[1].

وقد حفلت السُنّة النبويّة بأحاديث تضمنت أوصافًا وأحكامًا في حق الصحابة – رضي الله عنهم– وكانت ترد في سياق تقويمي، كما في رواية أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: ((نَزَلْنَا مَعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– مَنْزِلًا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ، فَيَقُولُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– مَنْ هَذَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَأَقُولُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُ: نِعْمَ عبد اللَّهِ هَذَا، وَيَقُولُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُ: بِئْسَ عبد اللَّهِ هَذَا، حَتَّى مَرَّ خَالِدُ بن الوَلِيدِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: هَذَا خَالِدُ بن الوَلِيدِ، فَقَالَ: نِعْمَ عبد اللَّهِ خَالِدُ بن الوَلِيدِ، سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ))[2]. والشاهد أن هذه التقويمات الوصفية كانت متنوعة، وعلى مستويات، فمنها الحسن، ومنها دون ذلك. وظاهر هذه الرواية يشير أنها كانت متأخرة، وأنها صدرت في سياق ختامي، بدلالة أن إسلام خالد بن الوليد – رضي الله عنه– كان قبيل فتح مكة في العام الثامن للهجرة[3]. وكذلك فإن راوي الحديث أبو هريرة[4] – رضي الله عنه– أسلم متأخرًا في العام السابع للهجرة.

ويمكننا اعتبار أحاديث مناقب الصحابة –عمومًا–، وما نالوه من أوسمة، وألقاب في سياق تقويمي ختامي أيضًا، فأبو بكر– رضي الله عنه– وصف بالصدّيق عقب رحلة الإسراء، وتم اختياره– دون غيره– ليؤم الناس بالصلاة أثناء مرضه – صلّى الله عليه وسلّم– الذي قبض فيه، فقد أخرج البخاري عَنْ عائشة قول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ))[5]. والشاهد: أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من تقويمه الختامي لمستوى أصحابه – رضي الله عنهم– رأى أن أبا بكر هو الأولى بإمامة المسلمين في صلاتهم.

---

(1) ابن بطال: شرح صحيح البخاري، (9/ 255).

(2) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب المناقب، باب مناقب خالد بن الوليد، (5/ 688– ح: 3846). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(3) ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 278).

(4) عبد الرحمن بن صخر الأزدي اليماني، هاجر إلى يثرب في العام السابع للهجرة، وأحفظ من روى الحديث في دهره، عاش ثمانية وسبعين عامًا. وكانت وفاته سنة سبع وخمسين للهجرة. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (7/ 362).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، (1/136– ح: 679).

ومن أهم الأوصاف الختامية الصادرة في حقّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– ما ورد من وصفه بأنه "مُحَدَّث"، كما روى ذلك أَبو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ. وفي رواية: لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ، يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ))[1]. والمُحَدَّث: هو المُلْهَم، كأنه حُدِّث بشيء فقاله، أو هو: من لقي في نفسه شيئًا فيخبِر به حدسًا وفراسة، يخصُّ بها الله من يشاء. وقيل: مصيبٌ إذا ظن فكأنه حُدِّث به[2]. والشاهد في الحديث ما تضمنه من تقويم لعمر – رضي الله عنه– وأنه مُحَدَّث، فقد عُرف بـ موافقاته[3] للقرآن الكريم، والتي أظهر من خلالها فهمًا متقدمًا لمقاصد الشريعة ومبادئها وتفاعلًا منقطع النظير مع محتوى المنهج التربوي، واجتهادًا مستمرًّا لتقديم الحلول الداعمة والمقترحات، وهذا مما قدّمه على كثير من الصحابة الكرام – رضي الله عنهم.

– وفي حديث آخر جمع ثلة من أسماء الصحابة الكرام، ويرويه أَنَس بن مالك، أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيّ بن كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بن ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بن جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ))[4]. والشاهد ما تضمنه الحديث من تقويمات ختامية لسبعة من الصحابة – رضي الله

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبيّ – صلى الله عليه وسلم–، باب مناقب عمر بن الخطاب، (5/ 12– 3689).

(2) الدِّهلوي، عبد الحق بن سيف الدين، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: تقي الدين الندوي، دمشق – سوريا، دار النوادر، ط 1، 1435 هـ – 2014م (9/ 608– ح: 6035).

(3) يقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–: "وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يا رسول الله، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: (وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [سورة البقرة: 125]، وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يا رسول الله، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النبيّ – صلى الله عليه وسلم– فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ". انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، (1/89– ح: 402).

(4) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأُبي، وأبي عبيدة بن الجراح – رضي الله عنه– (5/ 665– ح: 3791). وقال حديث حسن صحيح.

عنهم- كانت كأوسمة لهم أو إجازات لهم في مسارات تخصصاتهم، فأبرزت باب الخير الذي تميز به كل واحد منهم. وكان الإعلان عن هذا مفيدًا في توجيه المتعلمين والأقران لأخذ العلم عن المتخصص فيه.

- ونجد نحو هذا التقويم الختامي في حق أبي ذَر، والبراء بن عازب - رضي الله عنهما- كما في رواية عبد الله بن عَمْرٍو - رضي الله عنهما-، قال: سَمِعْتُ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: ((مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقَ مِنْ أبي ذَر))[1]. وعَنْ أنَس بن مالك، قال: قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم-: ((كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ مِنْهُمُ البَرَاءُ بن مَالِكٍ))[2].

- وتجدر الإشارة إلى أن هذه التقويمات صدرت من النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- بحكم معايشته أصحابه وملاحظته أداءهم، ومعرفته الدقيقة بأحوالهم، أو ما ينقل له من أخبارهم، وما أوردناه منها على سبيل المثال لا الحصر، فالمتتبع سيجد نحوها في حق الكثير من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم-.

المطلب الثالث: التقويم الختامي عقب المواقف والسرايا والغزوات.

يمكن تتبع التقويم الختامي عقب التجارب، والمواقف، والهجرات، والسرايا والغزوات، فكل واحدة منها كان يجري لها شكل من أشكال التقويم الختامي له أسلوبه الخاص، ومحتواه المغاير، وهذا ظاهر في القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال فقد تنزلت آيات من سورة الأنفال تقوّم أداء المؤمنين في غزوة بدر الكبرى، وتَنَزَّلَ بعض سورة آل عمران؛ تعقيبًا وتقويمًا لأداء المؤمنين عقب نزول الرماة من مكانهم الذي أدى لاستشهاد سبعين من المسلمين في غزوة أحد، ونحو ذلك في سورة الأحزاب وما فيها من تقويم تجربة غزوة الخندق وما جرى فيها من أحداث وشدة،

---

[1] الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب المناقب، باب مناقب أبي ذر، (5/ 669- ح: 381)، وقال حديث حسن. (ما أظلت) من الظل. (الخضراء) السماء. (ولا أقلت) من الإقلال. (الغبراء) الأرض.

[2] الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب المناقب، باب مناقب البراء بن عازب، (5/ 692- ح: 3854). وقال حسن غريب. (الطمر) الثوب الخلق. (لا يؤبه له) أي لا يبالي به.

وكذلك سورة التوبة أثناء العودة من غزوة تبوك، ونحوه ما تَنَزَّل من الآيات في سورة النور؛ تعقيبًا وتقويمًا لأداء المؤمنين في تعاملهم المتباين مع حادثة الإفك.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النمط من التعقيب حسب الأحداث، والمواقف كان من حِكم تَنَزُّل القرآن الكريم مُنجَّمًا، كما قال تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تَنْزِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 106]. فقد نزل مفرقًا منجمًا على الوقائع إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– في ثلاث وعشرين سنة، مبينًا ومفسرًا، يبلغه للناس، ويتلوه عليهم على مهل شيئًا بعد شيء[1].

وبلا شك، فإن هذا النزول حسب الوقائع كان يأتي في سياقات تقويمية ختامية، وهذا مما تميزت به العملية التربوية النبويّة، ويمكن اعتبار هذا النمط من التقويم استراتيجية تعليمية تقويمية واقعية، أثبتت نجاعتها؛ فهي استثمرت مواقف المتعلمين الحياتية كما حدثت في الواقع وجعلت منها مادة خصبة للتعلم، والتقويم، وتبادل التغذية الراجعة في إطار التقويم الختامي الاسترجاعي للحكم على ما رشح من الأداءات الفردية والجماعية، وفي إطار التقويم الختامي الاستشرافي للتحسين، وتطوير الأداء المستقبلي.

المطلب الرابع: التقويم الختامي في وصف المجاميع وطرق التعامل معهم.

في السُنّة النبويّة كان يتم التعامل مع مجاميع المهاجرين، والأنصار، ونحوهم من القبائل، والعشائر العربية، فعلى سبيل المثال: فإن العملية التربوية التي نفذت على المؤمنين من الأنصار في يثرب؛ مرت بمراحل تقويمية بداية من التقويم التمهيدي الذي بدأ قبل الهجرة من خلال المقابلات النبويّة مع اليثربيين الأنصار قبل بيعة العقبة الأولى والثانية، فخلالها تم تشخيص حالهم، وموقفهم، وتوجهاتهم. ثم مثلت الجهود التي نفذَّها مصعب بن عمير – رضي الله عنه– وبتوجيهات نبوية دور المعلم الذي راح يبني الأساس الإيماني والمعرفي في بيوت الأنصار حول القرآن الكريم، ومبادئ الإسلام الكبرى، ثم أكدت السيرة على وجود مراسلات، ومقابلات

---

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419 هـ، (5/ 116).

ختامية بين النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومصعب بن عمير – رضي الله عنه– في إطار تقديم التقرير النهائي، والتقويم الختامي لحالة يثرب، وأداء الأنصار خلال العام بعد بيعة العقبة الثانية، ومدى جهوزية يثرب لاستقبال النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم–.

وفي سياق آخر حظي الصحابة المشاركون في غزوة بدر الكبرى بتقويم رباني رفع قدرهم، قال تعالى: ﴿يأيها النبي حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: 64]. كما ظهر شرف البدريين من قصة حَاطِبِ بن أَبِي بَلْتَعَةَ – رضي الله عنه– قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ((إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))[1]. والشاهد هذا التقدير الكبير للصحابة الذين شاركوا في غزوة بدر، وهو ما يمثل تقويمًا ختاميًّا لأدائهم – رضي الله عنهم.

وفي موقف آخر يخبر – سبحانه وتعالى– عن رضاه عن الصحابة الذين بايعوا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تحت الشجرة يوم الحديبية، فقال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: 18]. وفيهم ورد حديث أُمُّ مُبَشِّرٍ – رضي الله عنها– قالت: سَمِعَتِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ –إِنْ شَاءَ اللهُ– مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا. قالتْ: بَلَى، يَا رسول الله فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [سورة مريم: 71]، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: قَدْ قال اللهُ – عز وجل–: ﴿ ثم ننجي الذين اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [سورة مريم: 72]))[2].

ونجد في السُنّة النبويّة نحوًا من ذلك التقدير لعموم الصحابة – رضي الله عنهم–، كما أخرج البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ – رضي الله عنه– قال: قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الجاسوس، (4/ 59– ح: 3007).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، (4/ 1942– ح: 2496).

نَصِيفَهُ))[1]. ونقل النووي عن القاضي عياض قوله في تعليل ذلك: "لأن إنفاقهم كان في نصرته – صلّى الله عليه وسلّم– وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم، وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة﴾ [سورة الحديد: 10]، وهذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة، والتودد، والخشوع، والتواضع، والإيثار، والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء"[2].

في معرض التقويم الختامي للمجاميع تأتي وصية النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بالأنصار – رضي الله عنهم– فقد صَعِدَ المِنْبَرَ في آخر أيامه – صلّى الله عليه وسلّم–، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: ((أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ))[3]. والشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أجرى تقويمًا ختاميًّا لجماعة الأنصار عمومًا، فبيَّن فضلهم، ومكانتهم منه – صلّى الله عليه وسلّم.

وفي حديث آخر يجري النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أثناء عودته من تبوك– تقويمًا ختاميًّا يُبَيِّن فيه الأفضلية في دور الأنصار وعشائرها، فبيَّن الأفضل منها ثم الذي يليه، يقول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ – رضي الله عنه–: قال: غَزَوْنَا مَعَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى المَدِينَةِ قال: ((هَذِهِ طَابَةُ، فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قال: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ؟ قَالُوا: بَلَى، قال: دُورُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي عبد الأَشْهَلِ، ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ –أو دُورُ بَنِي الحَارِثِ بن الخَزْرَجِ– وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ–يَعْنِي– خَيْرًا))[4].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبيّ – صلى الله عليه وسلم–، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: ((لو كنت متخذا خليلا))، (5/ 8– ح: 3673).

(2) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (16/ 93).

(3) البخاري: صحيح البخاري، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: ((اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم))، (5/ 34– ح: 3799).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتب الزكاة، باب خَرْصِ التَّمْرِ، (2/ 125– ح: 1481).

والشاهد هنا أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أجرى تقويمات تفصيلية ختامية لعشائر الأنصار، "وإنما فضل بني النجار؛ لسبقهم في الإسلام، وآثارهم الجميلة في الدين. ومناسبة هذه المفاضلة عودته – صلّى الله عليه وسلّم– من سفر، وغربة عن المدينة، فحين أشرف عليها ذكرها، وذكر جبلها وحبه لها وله، فناسب ذكر محبته لأهلها، ومحبة أهلها له، وجهادهم في سبيل الإسلام. والمراد من المفاضلة بين الدور المفاضلة بين أهل الدور"[1]. وهذه صورة من صور التقويم الختامي التي كان يجريها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للمجاميع، والقبائل، والعشائر من المسلمين.

ومن الإجراءات التقويمية الختامية التي بدأ بها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأوصى بإكمال تنفيذها: إخراج قبائل اليهود من جزيرة العرب؛ تخلُّصًا من إفسادهم وتحريضهم، بعد نقضهم المتتالي للعهود مع المسلمين، فقد تم إجلاؤهم بداية عن المدينة المنورة، ومن ثم هزموا في غزوة خيبر في العام السابع للهجرة، وختامًا جاءت التوصية بإخراجهم من جزيرة العرب، كما أخرج البخاري عن ابن عباس– رضي الله عنهما– أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أوصى وهو على فراش موته، فقال: ((أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ))[2].

ومما تم من التقويم الختامي في نهاية العهد النّبويّ ما جرى من سدّ الأبواب على المنافقين، ومنعهم من الإفساد، وإبقاء باب التوبة مفتوحًا أمامهم، وقد نزلت سورة قرآنية تحمل اسمهم وتحذّر من خطرهم. ونزل نحوًا من ذلك في سورة براءة – وهي من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم[3]– فكشفتهم وفضحت صفاتهم وأفعالهم.

وينبغي التنويه بأن الأخطر في سلوك المنافقين هو ما حدث من انتقالهم من مربع الرياء وإظهار الصلاح والمراقبة الخبيثة، إلى مربع الممارسة السلبية المضللة التي يجتمع فيها الكفر مع المجاهرة بالمعصية والدعوة إليها؛ حيث يمارس المنافقون تقويمًا عكسيًّا، يلبّسون به على الناس؛ فيأمرون بالمنكر ويروجون له، وينهون عن المعروف ويتنكرون لأصحابه، في مسعًى

---

(1) لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، (9/ 95).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، (4/ 99– ح: 3168).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب آخر آية أنزلت آية الكلالة، (3/ 1236– ح: 1618).

هدام– يمسُّ جوانب الحياة المختلفة– ينطلق من فسقهم وتجاوزهم الحدّ في التخريب والإفساد، كما وصفهم الحق – سبحانه وتعالى– فقال: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المعروف﴾ [سورة التوبة: 67]. فقد تضمنت سورة التوبة وصفًا لتحرك خبيث للمنافقين، مرتبط بمسجد الضِّرَار الذي بنوه أثناء انشغال المسلمين في التجهز لغزوة تَبُوكَ، وأرادوه مقرًّا يجتمعون فيه على الكفر والنفاق، ومن مكرهم أنهم دعوا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لافتتاحه والصلاة فيه؛ لِيُضْفُوا عليه مصداقية وشرعية، فقالوا: "إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِذِي الْعِلَّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ وَاللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، وَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنَا، فَتُصَلِّي لَنَا فِيهِ" [1]. ولم يلبث النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حتى كُشف له خبر تخطيطهم الخبيث، وأنهم بصدد مشروع فساد وضِرار في ثوب مسجد، وأنه أقيم؛ إرصادًا لمن حارب الله ورسوله؛ فأمر – صلّى الله عليه وسلّم– بهدمه وحرقه، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قبل﴾ [سورة التوبة: 107]. والشاهد إدراك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مرامي المنافقين فأمر بهدم مسجدهم وحرقه، ولم تُجْدِ تبريراتهم، وأيمانهم الكاذبة في تبرئة ساحتهم. قال تعالى: ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ [سورة التوبة: 107].

والخلاصة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان آخر عهده في تقويم المنافقين: التعامل معهم كأمر واقع، ونهى أصحابه عن قتلهم بشبهة النفاق، بل أمر بمعاملتهم على ظاهر حالهم، وفي الوقت نفسه فصَّل معرِّفًا بأحوالهم، وعلاماتهم، وصفاتهم، وأفعالهم، وترك الصلاة على أمواتهم، وترك الاستغفار لهم، وضيق عليهم ولم يسمح ببناء مؤسسات تجمعهم على الكفر والتفريق وعداوة المؤمنين، حتى لو كانت في صورة مسجد.

---

[1] ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 529).

الفصل الخامس:

مبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وخصائصه ومجالاته

يتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: مبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

المبحث الثاني: خصائص التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

المبحث الثالث: مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

الفصل الخامس: مبادئ التقويم التربـوي في السُنّة النبويّة، وخصائصه ومجالاته

يتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، خُصص المبحث الأول لبيان سبعة مبادئ أساسية للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وخُصص المبحث الثاني لبيان سبع خصائص للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، اما المبحث الثالث فخُصص لبيان ثلاثة مجالات عمل فيها التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

المبحث الأول: مبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

مَبادِئ أي علمٍ أو فن هي: قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها[1]. وهي في هذه الدراسة جملة من المرتكزات، والقواعد الإيمانية، أو الخُلُقية، أو الإدارية التي يستند إليها التقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

ومن خلال تتبع الأحاديث النبويّة، أمكن الوقوف على جملة من المبادئ الأساسية للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي:

1. تحرّي العدل من جميع الأطراف في التقويم التربوي.
2. مراعاة الفروق الفردية أثناء التقويم.
3. مراعاة التدرُّج في التقويم.
4. دمج التقويم في التعلم والتعليم.
5. مراعاة التيسير في إجراءات التقويم التربوي.
6. تشجيع المتعلم على تقويم مكتسبات تعلمه ومشاركته في تطويرها.
7. التثبت من الأخبار والبيانات قبل التقويم.

وفيما يأتي من مطالب تفصيل لهذه المبادئ وبيان شواهدها في السُنّة النبويّة.

---

[1] معجم المعاني الجامع، تعريف ومعنى المبادئ، على شبكة الإنترنت، تاريخ التصفح2023/1/1م، https: shortest. link/cVle//

المطلب الأول: تحرّي العدل من جميع الأطراف في التقويم التربوي

العدل هو: الحكم بالاستواء، ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عِدله. والعدل: نقيض الجَور، تقول: عَدَلَ في رعيته[1]. وفي الاصطلاح: وضع الأشياء في مواضعها التي تليق بها وإنزالها منازلها. وقد تَسَمَّى – سبحانه وتعالى– بالحَكم العدل[2]، فهو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه. فلا يظلم مثقال ذَرَّة، ولا يحمِّل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ [سورة هود: 56][3].

وقد أرسل الله – سبحانه وتعالى– رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط –الْعَدْل– قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ [سورة الحديد: 25]، ولذا كان تحقيق العدل في الأرض من أهم مقاصد الشرائع، وكذا الحال في الرسالة الإسلامية التي حملها لنا رسول الله محمد – صلّى الله عليه وسلّم– لذا نجد أن النصوص في القرآن الكريم أمرت بالعدل صراحة في بضع وعشرين آية[4]. وبالمقابل يمكن تتبع قرابة مائتين وست وسبعين آية في كتاب الله تعالى تحذر من الظلم بأشكاله وتذم الظالمين وتتوعدهم[5].

وكذلك الحال في السُنّة النبويّة فقد راوحت نصوصها بين الأمر بالعدل، وبين تحريم الظلم، مع سيرة عملية له – صلّى الله عليه وسلّم– تتحرَّى العدل، وترفض الظلم بكل أشكاله ومجالاته. ومن الأحاديث المرتبطة نذكر ما يلي:

---

(1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، (4/ 246).

(2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل، تحقيق: محمد الحلبي، بيروت، دار الفكر، 1398هـ – 1978م، (ص: 276).

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن اللويحق، بيروت– لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420 هـ –2000م، (ص: 948).

(4) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، 1945م، (د. ط)، 1945م، (مادة: ع د ل/ 448).

(5) عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (مادة ظ ل م/ 434).

حديث أبي ذَرٍّ – رضي الله عنه– عَنِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فِيمَا يرويه عن ربه – تبارك وتعالى– أَنَّهُ قَال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا))[1]. وإن تحريم الظلم بين الناس يقتضي وجوب تحري العدل بينهم في كل مجالات حياتهم، ومنها عند التقويم في مجال التربية والتعليم.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ))[2]. قال الإسكندراني: "والحديث ليس فيه إلا العدل. ولكن لمَّا خاطب الناس كلهم بالعدل بين الناس، وقد علم أن في الناس الحكام وغيرهم، فكان عدل الحاكم إذا حكم، وعدل غيره إذا أصلح"[3]. ومن دلالة الحديث أن الصدقة لا تكون بالمال فقط؛ بل بالأفعال والأقوال الصالحة ومنها العدل بين الناس. وعن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ قال: ((بَايَعْنَا رسولَ الله – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَمَنْشَطِنَا وَمَكَارِهِنَا، وَعَلَى أَنْ لا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْعَدْلِ أَيْنَ كُنَّا، لا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ))[4]. وفي رواية عند البخاري: ((وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا))[5]. والشاهد أنه ومن وقت مبكر، وقبل قيام الدولة الإسلامية الأولى كان من مضامين بيعة العقبة الأولى التعاهد على قول العدل والحق أينما كان المرء. وإن شهادة المقوّم بالعدل، والعمل به هي أساس نجاح ودقة أي عملية تقويم تربوي.

عن النُّعْمَان بن بَشِيرٍ – رضي الله عنهما–، قال: ((أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رسولَ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَأَتَى رسول الله – صلّى الله

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (4/ 1994– ح: 2577).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس، والعدل بينهم، (3/ 187– ح: 2707). (سلاَمَى) المفصل من مفاصل جسد الإنسان.

(3) الإسكندراني، أحمد بن محمد، المتواري على تراجم أبواب البخاري، تحقيق: صلاح مقبول، الكويت، مكتبة المعلا، ط 1، 1407 هـ–1987م، (ص: 313).

(4) النسائي، المجتبى من السنن= السنن الصغرى، كتاب البيعة، باب البيعة على القول بالعدل، (7/ 139– ح: 4153). وقد أخرج مسلم نحوه، بلفظ "وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّ".

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يباع الإمام الناس، (9/ 77– ح: 7199).

عليه وسلّم– فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رسول الله، قال: أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟، قال: لاَ، قال: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ، قال: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ))[1]. والشاهد عنايته – صلّى الله عليه وسلّم– والصحابة – رضي الله عنهم– بتحقيق العدل في الأسرة، وما جرى من تقويم نبوي رفض فيه تمييز أحد الأبناء بالعطية دون إخوته. وكون التقويم التربوي مادته هي التعامل البشري ضمن عمليات الكشف، والتشخيص، والعلاج وإصدار الأحكام؛ لذا كان مبدأ العدل أساس التقويم؛ ومن هنا صار العدل في التقويم التربوي واجبًا وعرفًا، ولا يتصور تحقق التقويم التربوي بدونه، حيث يتوجب على كل أطراف العملية التربوية تحري العدل وتجنب الظلم؛ فالمعلم والمتعلم والوالدان، والمشرفون والمدراء، كل واحد طرف من هؤلاء عليه مراعاة ميزان العدل فلا يَظلم ولا يُظلم، ولا يقصِّر ولا يحابي.

ولم يكن العدل شعارًا فقط، بل تطبيقًا عمليًّا مؤثرًا في التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، كما يظهر ذلك جليًّا في قصة المرأة المخزومية القرشية التي سرقت، فظن بعض قريش أنهم قادرون على تعطيل ميزان العدل، لكن محاولتهم قوبلت برفض شديد من النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– ثم إنه استثمر الموقف بخطبة بَيَّن فيها أثر غياب العدل في تعجيل هلاك الأمم، فقد أخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها– ((أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَة بن زَيْدٍ، حِب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قال: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))[2]. فأراد النبيّ – صلّى الله عليه

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب الإشهاد في الهبة، (3/ 158– ح: 2587).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (4/ 175– ح: 3475). (ومن يجترئ عليه) أي لا يتجاسر على الكلام في ذلك أحدٌ لمهابته – صلى الله عليه وسلم–. (الحد) عقوبة مقدرة من المشرّع – وحد السرقة قطع اليد–. (الشريف) الذي له شأن في قومه بسبب مال أو نسب أو عشيرة. (الضعيف) من ليس له عشيرة أو وجاهة في قومه. (وأيم الله) من ألفاظ القسم].

وسلّم– تطبيق عقوبة الحدِّ على السارقة –بقطع يدها– امتثالًا لما ورد في كتاب الله تعالى، وعقوبة رادعة في الدنيا تُقَوِّم سلوكها، ويكون فيها عبرة لغيرها، قال تعالى: ﴿والسارق والسارقة فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة المائدة: 38]، يقول ابن تيمية: حذّرنا من مشابهة من قبلنا، في أنهم كانوا يفرّقون في الحدود بين الأشراف والضعفاء، وأمر أن يسوّى بين الناس في ذلك، وكان بنو مخزوم من أشرف بطون قريش، واشتد عليهم أن تُقطَع يد امرأة منهم، فبين النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: أن هلاك بني إسرائيل، إنما كان في تخصيص رؤساء الناس بالعفو عن العقوبات. وأخبر –عليه السلام– أن فاطمة ابنته –التي هي أشرف النساء لو سرقت وقد أعاذها الله من ذلك– لَقَطَعَ يدها؛ ليبين: أن وجوب العدل والتعميم في الحدود، لا يستثنى منه بنت الرسول، فضلًا عن بنت غيره[1].

وعليه فيمكن القول بأن الأحكام الناتجة عن أي تقويم تربوي ينبغي أن يُتحرى فيها العدل، فلا يُفرق ولا يُميز بين غني وفقير، أو قوي وضعيف. وقد أكد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ذلك في حديث أخرجه أبو داود عن يحيى بن راشد، قال: جلسنا لعبدِ الله بن عُمر – رضي الله عنهما– فخرج إلينا فجلسَ، فقال: سمعتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يقول: ((مَن حَالتْ شفَاعَتُهُ دون حَدٍّ من حُدودِ الله، فقد ضادَّ الله، ومن خاصمَ في باطلٍ وهو يعلمُهُ، لم يَزَلْ في سَخَطِ الله حتى يَنزعَ، ومن قال في مؤمن ما ليسَ فيه، أسكنه اللهُ ردْغَةَ الخَبَالِ حتى يَخرُجَ مِمَّا قال))[2]. والشاهد تضمن الحديث التحذير من تضييع العدل أو المضي في المراء دفاعًا عن باطل أو شهادة زور أو القول في مؤمن ما ليس فيه. كما ويفتح النبي – صلّى الله عليه وسلّم–

---

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر العقل، بيروت، لبنان، دار عالم الكتب، ط7، 1419 هـ – 1999م، (1/ 330).

(2) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم، (5/450– ح: 3597). وأخرجه الحاكم وصحَّحه في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، (2/ 32– ح: 2222). (ردْغَة الخَبَال): عُصارةُ أهل النار. والردغة بسكون الدال وفتحها: طين ووحل كثير. والخبال: في الأصل الفساد ويكون في الأفعال، والأبدان، والعقول.

أثناء تقويمه التحذيري في هذا الحديث بابًا واسعًا للمراجعة الذاتية ومحاسبة النفس مظنة أن ترجع النفوس عن الظلم إحقاقًا للحق وإنصافًا للمظلوم.

وقد قوّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– طريقة التعامل مع الشرائح الضعيفة في المجتمع لحماية حقوقها، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((اللهم إني أُحَرِّجُ حق الضعيفَين: اليتيم، والمرأة))[1].

وفي موقف آخر يقوّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– سلوك أبي ذَر – رضي الله عنه– فَقَالَ له: ((أَسَابَبْتَ فُلاَنًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ))[2]. والشاهد عموم التقويم التربوي ليشمل العلاقات المجتمعية، والأسرية، حتى تلك العلاقات مع الضعيف من النساء، واليتامى، والخدم ونحوهم، والتحذير من انتقاص حقوقهم. وفي الحديث تثبيت لمبادئ التعامل مع هذه الشرائح الضعيفة في المجتمع بوجوب عونها، وضمان حقها، والدفاع عنها.

المطلب الثاني: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين أثناء تقويمهم التربوي

عُرِّفت الفروق الفردية بأنها: الانحرافات الفردية عن المتوسط العام للمجموعة في صِفة أو أكثر من صِفات الشخصية، والتي من خلالها يتميز الفرد عن الأفراد الآخرين[3].

وهذا يعني أن على المعلم، أو المربي بداية ملاحظة وإدراك ما بين تلاميذه من فروق فردية في القدرات، والأنماط، والخبرات، والطباع ونحوه، ثم يراعي ذلك في تعليمه، وتقويمه لهم، فيُقوِّم آحادهم وفق ما يحسن كل منهم، ويختبره بما يستطيع، فليس من الحكمة تقويمهم بذات المستوى أو الطريقة أو الأسلوب. ويعبِّر الغزالي عن ذلك فيقول: "وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قَتَلَ أكثرهم، فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من

---

(1) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، وأما حديث سمرة بن جندب، (1/ 131– ح:212). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، (8/ 16– ح: 6050).

(3) الزعبي، أحمد محمد، سيكولوجية الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية، الرياض، مكتبة الرشد، ط 2، 1435هـ– 2014م، (ص: 20).

الرياضة أهلكهم، وأمات قلوبهم؛ بل ينبغي أن ينظر في مرض المُريد، وفي حاله وسِنّه، ومزاجه، وما تحتمله بنيته من الرياضة، ويبني على ذلك رياضته"[1].

ونجد أن النبيّ الكريم – صلّى الله عليه وسلّم– كان أثناء تعليمه، وتقويمه التربوي يراعي الفروق الفردية بين الناس، وقد ذكر القرضاوي – رحمه الله– خمس تطبيقات على مراعاة الفروق الفردية في السُنّة النبويّة، وهي:

أولا: اختلاف وصاياه – صلّى الله عليه وسلّم– باختلاف الأشخاص الذين طلبوا منه الوصية.

ثانيًا: اختلاف أجوبته، وفتاواه عن السؤال الواحد باختلاف أحوال السائلين.

ثالثًا: اختلاف مواقفه، وسلوكه باختلاف الأشخاص الذين يتعامل معهم.

رابعًا: اختلاف أوامره وتكليفاته باختلاف من يكلفهم من الأشخاص، واختلاف قدراتهم.

خامسًا: قبوله من بعض الأفراد موقفًا، أو سلوكًا لا يقبله من غيره لاختلاف الظروف[2].

ونورد فيما يأتي بعض الشواهد التي تؤكد أن مراعاة الفروق الفردية كانت مما تميز به التقويم التربوي النبوي، على النحو الآتي:

1– راعى التقويم التربوي النّبويّ تكليف المتعلم بما يجيد من أداءات تناسب طاقته، ومواهبه، وظروفه، فأوفد النبيّ الكريم – صلّى الله عليه وسلّم– من تميَّز بالعلم، وحسن الدعوة كمصعب بن عمير إلى المدينة لمتابعة دعوة أهل يثرب وتعليمهم القرآن الكريم[3]، وتخيَّر المناسب من الرجال لمهام خاصة كتكليفه علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– بالمبيت مكانه يوم الهجرة، وتوزيع الأمانات على أصحابها في مكة[4]، وأرسل عثمان بن عفان ليكون مبعوث المسلمين إلى قريش قبيل صلح الحديبية[5]، وأُنيطت مهمة التخلص من –عدو المسلمين–

---

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين، (61/3).

(2) القرضاوي: الرسول والعلم، (ص: 134).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبيّ – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه المدينة، (5/ 66– ح: 3925).

(4) ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 482)، (1/ 493).

(5) انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، (2/ 74). وهو في صحيح البخاري، في باب مناقب عثمان بن عفان.

كعب بن الأشرف إلى محمد بن مسلمة، وثلة من رفاقه[1]، وأُرسل زيد بن ثابت لتعلُّم لغة يهود- اللغة السريانية- [2]، وأبو بكر الصديق- جُعل إمامًا للصلاة أثناء مرضه – عليه السلام-[3] وكذا كان أميرًا على الحج في العام التاسع للهجرة[4]، ونحو ذلك كثير من مهام جهادية، ودعوية، وتعليمية كان يتخير لها الأنسب والأقدر من أصحابه – رضي الله عنهم- وكانت هذه المهام تكشف عن جودة أدائهم، وقوة إيمانهم، وتراعي ما بينهم من تميز، وفروق في القدرات والمواهب.

2- تجنب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- تكليف الضعيف وغير المناسب، حتى لو طلب ذلك، كما حدث مع أبي ذَرٍّ الغفاري – رضي الله عنه- حين سأل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- فقال: ((يَا رسول الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قال: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِه، ثمَّ قال: يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا))[5].

3- إجراء المقابلات لفحص القدرات لاختيار الأنسب للمهمات. وقد حصل نحو من ذلك حين أراد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- اختيار شاعر من المسلمين ينافح عنهم، ويهجو عدوهم، كما روت عَائِشَةَ – رضي الله عنها- أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-، قال: ((اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ. فَأَرْسَلَ إِلَى ابنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: اهْجُهُمْ. فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بن مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بن ثَابِت... قالتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-، يَقُولُ لِحَسَّانَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، ما نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ. وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرهن، باب رهن السلاح، (3/ 142- ح: 2510). وانظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (2/ 24).

(2) أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب العلم، باب في كتاب العلم، (5/ 489- ح: 3645). وأخرجه الترمذي في سننه، وقال: حسن صحيح. (5/ 67- ح: 2715).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان، حد المريض أن يشهد الجماعة، (1/ 133- ح: 664).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس، (5/ 167- ح: ج4363).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، (3/1457) 1825).

وَاشْتَفَى))[1]. والشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أجرى عدة مقابلات، وأدرك الفروق في مستوى الأداء بين أصحابه الشعراء – رضي الله عنهم– حتى وقع اختياره على حسان بن ثابت – رضي الله عنه– ورضي منه شعره وهو يذبُّ دفاعًا عن الله ورسوله.

4– اختلاف التوجيه والتوصية بحسب حال السائل: فالناس كانوا يأتون النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يسألونه الوصية، فكان يستثمر سؤالهم هذا في تقويمهم، وتهذيب أخلاقهم وتطوير أدائهم؛ فيوصي كل واحد منهم بما يناسب حاله وظروفه. فمرة أوصى رجلًا، فقال له – صلّى الله عليه وسلّم: ((لاَ تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا، قال: لا تَغْضَبْ))[2]. وأوصى رجلًا يتحضر للسفر، فقال: ((عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ. فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ، قال: اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ))[3]. قال القرضاوي – رحمه الله: "نجد أناسًا عديدين سألوه – صلّى الله عليه وسلّم– أن يوصيهم إما مطلقًا، وإما مقيدًا بما يقربهم إلى الجنة ويبعدهم عن النار، أو نحو ذلك من العبارات الجامعة، فأوصاهم بوصايا مختلفة: فبعضهم قال له: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم. وبعضهم قال له: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن. وبعضهم قال له: قل: آمنت بالله ثم استقم"[4].

5– لجوء النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إلى التقويم الفردي في أحيان كثيرة، كما في تقويمه المسيء في صلاته[5]، وكذا تقويمه لعثمان بن مظعون – رضي الله عنه– حين أكثر من صيام النهار، وقيام الليل على حساب حق أهله ونفسه، فقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة – رضي الله عنهم–، باب فضائل حسان، (1936/4– ح: 2490).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (8/ 28– ح: 6116).

(3) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الدعوات، (5/500– ح: 3445). وقال الترمذي: حديث حسن.

(4) القرضاوي، الرسول والعلم، القاهرة، دار الصحوة، (د، ط)، 2001، (ص: 135).

(5) البخاري: صحيح البخاري، باب أمر النبيّ – صلى الله عليه وسلم– الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، (1/ 158– ح: 793).

: ((يا عثمانُ، أرغِبتَ عن سُنتي؟ قال: لا والله يا رسول الله! ولكن سُنَّتك أطلُبُ، قال: "فإني أنامُ وأصلّي، وأصومُ وأُفطر، وأنكِحُ النساءَ، فاتَّقِ الله يا عثمانُ، فإن لأهلك عليك حقًّا، وإنَّ لضَيفِكَ عليك حقًّا، وإن لنَفسِكَ عليك حقًّا، فصُم وأَفطِر، وصَلِّ ونَمْ))[1]. ونحو من ذلك حدث مع عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما– حين قوَّم له طريقته في ختم القرآن وصيام النهار، وحدَّد له سقفها، فقال له: ((صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ، صَوْم دَاوُدَ، صِيَام يَوْمٍ وَإِفْطَار يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً))[2]. وكذلك قوَّم الشاب الذي جاء يستأذن بالزنا، فحاوره، وأقنعه بأنه ذلك مخالف للفطرة والعقل، وأنه لا يجوز شرعًا، ثم دعا له[3].

6– كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يقطع خطابه العام؛ ليلتفت إلى حالة فردية خاصة، فيعتني بصاحبها إن تطلَّب الأمر، ويرشده ويقوّم حاله. كما في موقفه مع أبي رِفَاعَةَ – رضي الله عنه– حين انْتَهَى إِلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وَهُوَ يَخْطُبُ، فقال: ((يَا رسولَ الله! رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لا يَدْرِي ما دِينُهُ. قال أبو رِفَاعَة: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قال: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[4]. وفي الحديث تقويم للرجل بعلاج جهله بدينه، فهو – كما قال– مستجد وغريب لا يدري ما دينه، فاحتاج خطابًا خاصًّا؛ كونه ليس كغيره من الصحابة – رضي الله

---

(1) أبو داود: سنن أبي داود، باب تفريع أبواب التطوع، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة، (2/ 521– ح: 1369). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، في تحقيقه مسند أحمد.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ من القرآن، (6/ 196– ح: 5052).

(3) الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أَبو أُمَامَةَ، الصُّدَيُّ بْن عَجْلَانَ الْبَاهِلِيُّ، (36/ 545– ح: 22211). وقال الأرنؤوط: صحيح، في تحقيقه سنن أبي داود.

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة، (2/ 597– ح: 876). أَبُو رِفَاعَةَ: تميم بن أسيد العدوي صحابي، يُعد فِي أهل البصرة، وَكَانَ صاحب ليل وعبادة وغزو، استشهد في سرية عليهم عَبْد الرَّحْمَنِ بن سَمُرَة، تهجد فنام عَلَى الطريق فذبح غيلا. [الوفاة: 41– 50 هـ]. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، (2/ 448).

عنهم– من أهل المدينة الذين سبقوه بالعلم والمعرفة. ومما يلفت الانتباه أن الموقف كان أثناء خطبة الجمعة، ومع ذلك فلم يؤجله النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– أو يسكته أو يتجاهله، ولم يرسل له من يتكفل بتعلميه، بل نزل بنفسه إليه، وجلس متواضعًا على كرسي بسيط بين يديه أمام الناس فعلمَّه وقوَّمه ما شاء الله، ثم رجع إلى خطبته فأتمها –صلّى الله عليه وسلّم–.

ومن دلالة الحديث كما أورد النووي: "استحباب تلطف السائل في عبارته، وسؤاله العالم. وفيه تواضع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم. وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي، وتقديم أهم الأمور فأهمها، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور"[1].

7– تعدد مجالات الأسئلة التقويمية؛ لتغطي مجالات عديدة وقدرات مختلفة، كما حدث عند سؤاله – صلّى الله عليه وسلّم– مقومًا الإنجازات الفردية اليومية لأصحابه – رضي الله عنهم– فقال: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قال أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه: أَنَا، قال: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قال أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه: أَنَا، قال: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قال أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه: أَنَا، قال: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قال أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه: أَنَا، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: ما اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[2].

والشاهد تعدد الأسئلة النبويّة التي تشير إلى أبواب الخير والأجر، مما يدل على مراعاته – صلّى الله عليه وسلّم– اختلاف ظروف الناس، واهتماماتهم، وقدراتهم.

8– عطاؤه – صلّى الله عليه وسلّم– لأشخاص دون غيرهم؛ تقويمًا لنفوسهم مما فيها من الجزع والهلع، وتأليفًا لها وتثبيتًا، كما في حديث عَمْرِو بن تَغْلِبَ – رضي الله عنه– ((أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أُتِيَ بِمَالٍ، أو سَبْيٍ، فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا، وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ

---

(1) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (6/ 165).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، (2/713– ح: 1028).

وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى ما جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بن تَغْلِبَ. – قال عمرو– فَوَاللَّهِ ما أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– حُمْرَ النَّعَمِ))[1]. وهذا يدل على إدراكه – صلّى الله عليه وسلّم– للفروق الفردية بين أصحابه – رضي الله عنهم– وتقويمه لهم بناء على ذلك، فكان يعطي أناسًا؛ ليعالج ويقوّم، ويثني على غيرهم، ويعززهم بما فيهم من صفات حميدة كالقناعة والرضا، كحال عمرو بن تغلب – رضي الله عنه.

9– كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يأمر أصحابه أن يراعوا الفروق بين الناس، وكان يعاتبهم إن هم تركوا ذلك، كما في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري – رضي الله عنه– قال: ((أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي، فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ، أو النِّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ. وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ، أو أَفَاتِنٌ، ثَلاَثَ مِرَارٍ: فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ، وَالضَّعِيفُ، وَذُو الحَاجَةِ))[2]. والشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أنصف الرجل، وشدَّد في عِتاب معاذ بن جبل – رضي الله عنهما– وذكَّره بضرورة مراعاة حال من هم خلفه من المصلين، وأن لا يفتنهم بطول قراءته كما حدث مع الرجل الذي قطع صلاته وخرج من المسجد لحاجته.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، (2/10– ح: 923). (سبي) ما يؤخذ من العدو من النساء والأطفال. (عتبوا) سخطوا في أنفسهم. (الجزع) الضعف عن الصبر وتحمل ما ينزل به مكروه. (الهلع) أشد الفزع والخوف. (أَكِلُ) أترك. (الغنى) النفسي والتعفف. (الخير) الإيمان الحامل على الصبر والرضى. (أن لي بكلمة) بدل كلمة. (حمر النعم) الإبل الحمراء وكانت أعجب الأموال وأحبها إلى العرب.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، (142/1)–: ح705). (بناضحين) مثنى ناضح وهو ما استعمل في سقي الشجر والزرع من الإبل. (فانطلق الرجل) فارقه ولم يتم صلاته معه.

10- تعدد مستويات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تبعًا للفروق الفردية[1]، وقد بدا ذلك واضحًا في التوجيه النّبويّ التقويمي الظاهر في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أَبي سَعِيد الْخُدْرِيّ، قال: سَمِعْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))[2]. والشاهد ما تضمنه الحديث من مستويات ثلاثة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي لم تترك أي مسلم إلا وجعلته مُلْزَمًا لاتخاذ موقف من المنكر، وأن عليه أن يضع نفسه تحت واحد من هذه المستويات الثلاثة بما يناسب طاقته التي هو أدرى بها والقادر على تحمّل نتائجها؛ وفي ذلك مراعاة للفروق في قدرات الناس والمربين وإمكاناتهم. ومن جهة أخرى فثمة فروق بين الناس في مستوى الوعي والفهم والعمر وتفاوت في الجاه والمنصب والغنى ونحوه، وهي فروق واقعية ينبغي مراعاتها عند تقويم المتعلمين الذين قد يقع بعضهم في شيء من الأخطاء والمنكرات، ومن شأن هذه الفروق التأثير في طريقة التصرف معهم وزيادة تقبلهم للتقويم التربوي والنصيحة المرتبطة.

المطلب الثالث: مراعاة التدرُّج في التقويم

التدرُّج لغة، هو المضي في الشيء خطوة خطوة لا دفعة واحدة، كما ورد تعريفه في المعجم المحيط: وهو من تدَرَّجَ يَتَدَرَّجُ تَدَرُّجًا: أي تَقدَّم شيئًا فشيئًا، أي درجة فدرجة[3]. ويقصد بالتدرج في التقويم التربوي النبوي: ما كان يراعيه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- من التقدم شيئًا فشيئًا، وخطوة خطوة أثناء تقويم أصحابه تربويًّا وتعديل سلوكهم.

يقول أبو حامد الغزالي – رحمه الله: "ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسًا، أو بترك صفة أخرى، ولم يسمح بضدها دفعة؛ فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم

---

(1) التويجري وآخرون، علم النفس التربوي، الرياض، مكتبة العبيكان للنشر، ط 9، 1434 هـ- 2014م، (ص: 312).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (1/ 69- ح: 49).

(3) اللجمي وآخرون، المعجم المحيط، المراجعة: أديب اللجمي- نبيلة الرزاز، 1993م، (ص: 2301).

إلى خلق مذموم آخر أخف منه[1]. فهو يوصي بمراعاة التدرّج في التقويم ويؤكد على ضرورة عناية المربّي بالانتقال خطوة خطوة حتى يصل إلى مراده بما يناسب ظروف المتعلم وحاله.

ومعلوم أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بُعِثَ في مجتمع جاهلي، عبد أهله الأوثان دهرًا، وجهلوا عبادة الله وحده، فكان من حكمته – صلّى الله عليه وسلّم– أن قدَّم لهم الدِّين الإسلامي كما يُقدَّم العلاج للمريض، فلم يفاجئهم بتسفيه أحلامهم، وشتم آلهتهم، بل دعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، متدرجًا معهم في بيان أحكام الله وشرائعه، وتطبيقها في واقع حياتهم، فاستجاب الناس له، وأقبلوا يدخلون في دينه أفواجًا[2].

ومن الجدير ذكره أنَّ التدرُّج سُنة من سنن الله الاجتماعية في خلقه، فمن أراد أنْ يغيّر أو يصلح فعليه مراعاة هذه السُنّة، فيتدبر أولًا واقع الناس الذي يريد تغييره، فإنْ كانت طبيعته تقتضي التدرُّج تدرج، وإلا فإنَّه سيخالف سُنَّة الله التي جَبَلَ الناس عليها. كما أكد ذلك "حبنكه" فقال: "ورغبتنا بالإنجاز التام السريع على خلاف طبائع الأشياء معاكسة لسُنُّة الله في كونه"[3][4].

وقد تتبع باحثون[5] مسالك التدرج في السُنّة النبويّة فوجدوها تأتي من مسارات ثلاثة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعملية التقويم التربوي، على التفصيل الآتي:

أولًا– التدرج في تَنزُّل محتوى المنهج التربوي، حيث كان يؤثر التقديم والتأخير في تقبُّل المتعلمين للتقويم وتجاوبهم معه. ووفقًا لما جرى في العملية التربوية النبويّة فقد تم تقديم التوحيد وما ارتبط به من أركان كالإيمان بالله واليوم الآخر؛ حتى إذا ما استقر في قلوب المؤمنين

---

(1) الغزالي: إحياء علوم الدين، (3/ 62).

(2) انظر: المطلق، إبراهيم بن عبد الله، التدرج في دعوة النبيّ – صلى الله عليه وسلم–، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1417هـ، (ص: 10).

(3) حبنكه، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق – دار القلم، ط 5، 1420هـ– 1990م، (ص: 195).

(4) انظر: سيد، معاوية أحمد، فقه التدرج في التشريع الإسلامي فهما وتطبيقًا، اليمن، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 1425 هـ– 2004م، (ص: 24).

(5) انظر: إبراهيم المطلق في بحثه "التدرج في دعوة النبيّ – صلى الله عليه وسلم–". وعبد الرحمن المصري في بحثه "التدرج في التشريع". ومحمد الأشقر في بحثه "التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية". ومعاوية أحمد في بحثه "فقه التدرج في التشريع الإسلامي فهمًا وتطبيقًا".

وثبت، راحت الأحكام والتشريعات التفصيلية تتنزل تباعًا. وقد بدا ذلك واضحًا من ظاهر رواية عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ – رضي الله عنها– حيث قالت: ((إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ ما نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ – صلّى الله عليه وسلّم– وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بل الساعة مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمَرُّ﴾ [سورة القمر: 46]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ))[1]. والشاهد في الحديث هذا التدرُّج الحكيم في تَنزُّل محتوى الرسالة؛ مراعاة لحال المخاطبين، والمتعلمين رجاء تحقق الامتثال وحدوث التقويم التربوي المنشود. قال تعالى: ﴿وقرآنا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 106].

ثانيًا– التدرُّج في وسائل التقويم وطرقه، فقد بدأ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بالسِّرِّية في الدعوة والتربية، ثم انتقل الحال إلى الجهرية بعد ثلاث سنين، وبعد الهجرة فتح الله على المسلمين فبنيت المساجد. وانتقل المسلمون من حالة السلمية التي كانت في المرحلة المكية إلى حالة أُذِنَ لهم باستخدام القوة كوسيلة من وسائلهم في التعامل مع أعداء الدين سواء أكانوا في داخل المجتمع الإسلامي أم خارجه.

ثالثًا– يظهر التدرج في توسيع دائرة المستهدفين بالتقويم من خلال بدء النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بإنذار أهل بيته، وعشيرته الأقربين، وأصحابه الموثوقين، ثم توسع تجاه الناس عمومًا وتدريجيًّا، فخرج من مكة إلى الطائف، وعرض نفسه على الحجيج، والقبائل، وانتقل إلى يثرب، ونشر المعلمين، والدعاة، والقضاة حاملين رسائله الدعوية والتربوية إلى عموم الناس في أطراف الجزيرة وخارجها.

وقد أشار (معاوية أحمد) في بحثه إلى نوعين من التدرُّج في السُنّة النبويّة: الأول: تدرج في التشريع، والثاني: تدرج في التطبيق. وقال: "أن التدرج التشريعي ارتبط بتنزل الوحي وانتهى بوفاة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–. وأمَّا التدرج في التطبيق، فإنه يرتبط بالمكلَّف –المعلم

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (6/ 185– ح: 4993).

والمتعلم- وهو باقٍ إلى اليوم. فإذا سُئِلَ المربّي أو المعلم مثلًا عن شرب الخمر فإنه يفتي بتحريم شربها، ولكن يبقى أمام فسحة في التدرُّج في تطبيق هذا الحكم على مدمن شربها، فيتدرج معه حتى يترك الخمر كليًّا"[1]. وقد استدل الباحث معاوية على بقاء التدرُّج في التطبيق حتى بعد استقرار الأحكام والتشريعات، بحديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه- حين بعثه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- إلى اليمن، في أواخر حَيَاةِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- بعد استقرار كثير من الأحكام، فأوصاه فقال: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ))[2]. والشاهد في الحديث وصية النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- لمعاذ – رضي الله عنه- بالتدرج في تعليم أهل الكتاب في اليمن حتى بعد استقرار الأحكام وتمام نزولها، فأمره أن يبدأ معهم بتقويم عقيدتهم من خلال الإقرار الشهادتين أولًا، فإن هو اطمأن لتقبلهم ذلك؛ انتقل بهم تباعًا إلى أحكام العبادات كالصلاة والزكاة ونحوه.

ومن الشواهد على تطبيق النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- التدرج في تشريع العبادات: الصوم في شهر رمضان، فهو لم يفرض دفعة واحدة، بل فرض على مراحل ثلاث، كما بيَّن ذلك مُعَاذ بْن جَبَلٍ – رضي الله عنه- قَالَ: ((أُحِيلَ الصِّيَامُ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ... قَالَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم- كَانَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَيَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ [البقرة: 183] إِلَى قَوْلِهِ ﴿طعام مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: 184]، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَصُومَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُفْطِرَ، وَيُطْعِمَ كُلَّ يَوْمٍ مِسْكِينًا، أَجْزَأَهُ ذَلِكَ، وَهَذَا حَوْلٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: 185]،

---

[1] انظر: أحمد، فقه التدرج في التشريع الإسلامي فهمًا وتطبيقًا، (ص: 26).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، (2/ 128- ح: 1496). ذكر ابن حجر: أن مبعثه كان ما بين السنة الثامنة إلى العاشرة للهجرة. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (3/ 358).

إِلَى ﴿أَيامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184]، فَثَبَتَ الصِّيَامُ عَلَى مَنْ شَهِدَ الشَّهْرَ وَعَلَى الْمُسَافِرِ أَنْ يَقْضِيَ، وَثَبَتَ الطَّعَامُ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْعَجُوزِ اللَّذَيْنِ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصَّوْمَ))[1].

يقول ابن القيم: وكان للصوم رتب ثلاث، إحداها: إيجابه بوصف التَّخْيِيرِ. والثانية: تَحَتُّمُهُ، لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يطعم حَرُمَ عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة، فنُسخ ذلك بالرتبة الثالثة، وهي التي استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة[2]. والحكمة في هذا التدرّج أن في عبادة الصوم مشقة على النفوس يلزمها صبر واستعداد وعادة، فدرج التشريع في فرضه على مراحل لا دفعة واحدة.

ومن الشواهد القرآنية على التدرُّج في تعديل السلوك ما أوصى به – سبحانه وتعالى– في معالجة حال المرأة الناشز عن طاعة زوجها، بالتدرج في أساليب تقويمها رجاء صلاح حالها: بالموعظة الحسنة بداية وتذكيرها بتقوى الله تعالى وحقّ الزوج، فإن بقيت على حالها عالجها بهجرها في المضاجع، فإن أصرت في نشوزها أذن بعلاجها بالضرب تخويفًا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كان عليا كبيرا﴾ [سورة النساء: 34].

ويجدر التنبيه إلى أن التدرج أيضًا كان سلاحًا بيد شياطين الإنس والجن يسلطونه لغواية الناس، فيأخذونهم من منكر صغير إلى منكر كبير متدرجين في ذلك خطوة خطوة، فطريق الزنا مثلًا مُعبَّدٌ بذنوب اللَّمم التي يستهين بها كثير من الناس، كما نقل ابن عباس – رضي الله عنه– فقال: "ما رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قال أَبُو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– عَنِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابن آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ))[3].

---

[1] أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، (1/ 140– ح: 507). وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

[2] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 27، 1415هـ–1994م، (2/ 30).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، (8/ 54– ح: 6243).

وهذا المعنى الدقيق للتدرج يمكن فهمه من نهيه – سبحانه وتعالى– عباده عن الاقتراب من الفواحش والزنا، في قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [سورة الأنعام: 151]. وقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ [سورة الإسراء: 32]، يقول صاحب الظلال: "كان التعبير: (وَلَا تَقْرَبُوا).. للنهي عن مجرد الاقتراب؛ سدًّا للذرائع، واتقاء للجاذبية التي تضعف معها الإرادة؛ لذلك حرمت النظرة الثانية، بعد الأولى غير المتعمدة، ولذلك كان الاختلاط ضرورة تتاح بقدر الضرورة. ولذلك كان التبرج –حتى بالتعطر في الطريق– حرامًا، وكانت الحركات المثيرة، والضحكات المثيرة، والإشارات المثيرة، ممنوعة في الحياة الإسلامية النظيفة، فهذا الدين لا يريد أن يعرض الناس للفتنة، ثم يكلِّف أعصابهم عنتًا في المقاومة! فهو دين وقاية قبل أن يقيم الحدود ويوقع العقوبات. وهو دين حماية للضمائر، والمشاعر، والحواس، والجوارح. وربك أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير"[1].

المطلب الرابع: دمج التقويم في التعلم والتعليم

ونقصد به ما يحدث من تداخل، وتزامن بين إجراءات التقويم، وإجراءات التعلم والتعليم، فلا يفصل بينها بحدود زمنية أو مرحلية. وقد أشار "الخليلي" لهذا المبدأ، فقال: "إن التقويم الحقيقي إجراء يرافق عمليتي التعلم والتعليم ويربطهما معًا في جميع مراحلهما، بقصد تحقق بلوغ كل طالب لمحكَّات الأداء المطلوبة، وتوفير التغذية الراجعة الفورية له حول إنجازاته، بما يكفل تصويب مسيرته التعليمية ومواصلة عملية التعلم"[2].

ومما ينتج عن هذا الدمج بين التقويم وبين التعلم والتعليم المرونة في الإجراءات التقويمية، والوفرة في التغذية الراجعة المتبادلة بين الأطراف، والتي تفضي لتعديل الأنشطة وطريقة

---

[1] قطب: في ظلال القرآن، (4/ 136).

[2] الخليلي: خليل يوسف، التقييم الحقيقي في التربية، مجلة التربية، العدد (126)، 1998م، الصفحات (118–132).

التفكير، وتحسن من جودة المنتج التعليمي، وتعزز باستمرار فرص تطوير الأداء في المرات القادمة[1].

كما ينتج عن دمج التقويم في التعلم والتعليم جعل التقويم بحد ذاته تعلمًا، ففيه يكون التركيز على دور المتعلمين في ربط التعلم بالتقويم. مما يجعلهم أكثر نشاطًا وفاعلية وتأثيرًا ونقدًا، فيستطيعون استخدام التعلم الحالي، وربطه بالمعرفة السابقة، واستثماره في تعلم جديد. وهذه العملية التنظيمية المستمرة تعوِّد المتعلمين على مراقبة ما يتعلمونه، وتعزز التقويم الذاتي[2].

ومن خلال تتبع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة نجده يبتعد عن ثقافة الاختبارات التحصيلية الكتابية، وما يرتبط بها من مواقيت محددة، وأجواء اختبارية خاصة، ومواعيد إلزامية. ويمكن ملاحظة حالة الدمج في السُنّة النبويّة بين مهام التعلم، ومهام التقويم في شواهد ومواقف عديدة، فيُرى التداخل فيها، والتزامن، والتقديم، والتأخير، دون أن تكون هناك حاجة للتنويه، أو الفصل بينهما؛ حيث كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يبدأ موقفه التعليمي، ثم يختمه بتقويم مناسب، أو يبدأ بالتقويم ثم يعقِّب مفسِّرًا ومعلِّمًا ومرشدًا. أو كان يستخدم طريقة تضيف علمًا ومعرفة، وفي نفس الوقت تبني توجهًا ودافعًا لإحداث تقويم ذاتي عند المتعلم.

ويمكن القول بأن هذا التداخل والتشابه والتزامن بين موقف التقويم، وموقف التعليم له تبريره كما يقول شحاتة: فمهام التعلم ومهام التقويم مشابهة كثيرًا لبعضها البعض؛ لأن الهدف من مهمة التعلم هو حثُّ المتعلمين على تنمية، وتعزيز الكفاءات التي يجب أن تتوافر لديهم، ومهمة التقويم تتطلب من المتعلمين أن يظهروا، ويوظفوا هذه الكفاءات نفسها بدون تلقي مساعدات إضافية[3]. ويبقى التمييز على عاتق المعلم فهو من يحدد الغرض من الموقف، هل

---

(1) انظر: الثوابتة وفريق عمل، استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 11).

(2) انظر: درندري، إقبال زيد العابدين، نحو تقييم موجه للتعلم، بحث على شبكة الإنترنت، https: fliphtml5. com/xtjxv/touj/basic//

(3) انظر: شحاتة، حسن سيد، التقويم الواقعي من أساليب التقويم الحديثة نموذج خماسي، في المؤتمر العلمي السنوي، اتجاهات معاصرة في تطوير التعليم في الوطن العربي بني سويف، جامعة بني سويف، مجلد (1)، (2010)، (ص: 104).

يريده موقفًا تعليميًّا أم تقويميًّا، وهل يريده تقويمًا تكوينيًّا يبني المعارف والمهارات، أم يريده تقويمًا تجميعيًّا لإصدار الأحكام واتخاذ القرارت الختامية.

ونذكر فيما يلي شواهد من السُنّة النبويّة على ما كان يجري من دمج بين إجراءات التقويم وإجراءات التعلم والتعليم، وما كان بينهما من تشابه وتداخل وتزامن، على النحو الآتي:

1- في موقف يبدأ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- بالتقويم لسلوك صحابي جليل، كان قد أخطأ فعيَّر رجلًا بأمه، فاستنطقه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- فأقر، فأنكر عليه مقولته، ثم استثمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- الموقف مرشدًا ومعلمًا للناس عمومًا من خلال خطابه التربوي لأبي ذَرٍّ – رضي الله عنه- فقال – صلّى الله عليه وسلّم- مؤدبًا: ((إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ))[1]. والشاهد تضمن الحديث تقويمًا وتعليمًا، وارتباطهما وتساندهما معًا لمعالجة الموقف، وتقدم فيه التقويم على التعليم.

2- ونجد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- في موقف آخر جمع في خطابه لأصحابه بين التعليم والتقويم في آن واحد، فلا يكاد يفصل بينهما، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ، وَاسْتَغْفَرَ، وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ، ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [سورة المطففين: 14]))[2]. فالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- أوضح في الحديث معلومات دقيقة بشأن أثر المعاصي على القلوب. وأثناء تقريره وبيانه حرص على بناء توجُّه عند أصحابه، ودافع لتجديد التوبة والاستغفار، والحذر من الاستهانة في المعصية، أو التمادي بها.

3- وفي موقف يصفه معَاذ بن جَبَلٍ – رضي الله عنه- قال: ((كُنْتُ مَعَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رسول الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ؟ قال: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب العتق، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم-: ((العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون))، (3/ 149- ح: 2545).

[2] الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب التفسير، باب ومن سورة ويل للمطففين، (5/ 434- ح: 3334). وقال الترمذي حسن صحيح.

اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ،... ثُمَّ قال: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قال: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أو عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[1]. وفي هذا الحديث تأكيد من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على مجموعة محكّات أساسية ينبغي على المسلم أداؤها كأركان الإسلام الخمس، ونوافلها، والجهاد في سبيل الله. وفيه تنبيه على معيار جودتها وسبب قبولها عند الله تعالى وهو الإخلاص فيها. ثم يتوجه النبيّ لتقويم اللسان، ويحذر من فوضى الكلام التي تبطل الأعمال وتضيع الأجور، ثم أَخَذَ – صلّى الله عليه وسلّم– بِلِسَانِهِ، وقال: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا". وإن هذا الدمج الرائع المنسجم بين التعليم والتقويم في موقف واحد، بلا فاصل ولا تنويه؛ يُعدُّ من مبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، ويأتي في سياقه دون اضطراب أو خلل، بل هو ما تقتضيه واقعية الموقف وما يحتاجه المتعلم.

المطلب الخامس: مراعاة التيسير في التقويم

التيسير، من الْيُسْر والسماحة، وفيه معاني السهولة، والتخفيف، والرفق، واللين. وضده التعسير، من الْعُسْرِ بمعنى الضِّيق والشِّدَّة والصُّعُوبَة[2]. يقول العسكري: "الرِّفْق هُوَ الْيُسْر فِي الْأُمُور والسهولة فِي التوصل إِلَيْهَا، وخلافه العنف وَهُوَ التَّشْدِيد فِي التَّوَصُّل إِلَى الْمَطْلُوب"[3]. ويضيف الرازي بأن "السماحة والْمُسَامَحَةُ بمعنى الْمُسَاهَلَةُ، ومنه قول القائل: تَسَامَحُوا بمعنى: تَسَاهَلُوا"[4].

---

(1) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، (4/ 308–ح: 2616)، وقال حديث حسن صحيح.

(2) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (13/ 27).

(3) العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: بيت الله بيات، قم – إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ط 1، 1412 هـ، (ص: 259).

(4) الرازي: محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ، بيروت، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط 5، 1420 هـ – 1999م، (ص: 153).

وقد وردت نصوص قرآنية عديدة تؤكد عناية الشارع بالتيسير ونبذ التعسير، كما في قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [سورة البقرة: 185]، وقوله تعالى: ﴿وما جعل عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: 78]، وقوله تعالى: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الْإِنسَانُ ضَعِيفا﴾ [سورة النساء: 28]. وقد أدى هذا التأكيد المتكرر إلى سريان روح التيسير في تفاصيل الأحكام، والمعاملات، والأخلاق، فصار اليسر والتيسير سمة هذا الدِّين، كما في قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا))[1].

وكذلك تسرب اليسر إلى كل إجراءات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، حتى صارت سمة غالبة عليه، فيمكن ملاحظة أن من أهم كفايات المعلم والمربي تحلّيهما بأخلاق الرفق، واللين، والسماحة، والتجاوز، والعفو، والتخفيف، والحلم، وسعة الصدر، وهي جميعها أخلاق مرتبطة باليسر والتيسير. وكلها تمثلت في خلق النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أثناء تعليمه الناس، وتزكيتهم، وتقويمهم، وهذا زاد من إقبال الناس على دينه والالتفاف حول، قال تعالى: ﴿فبما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهم في الأمر﴾ [سورة آل عمران: 159].

ويمكن تتبع مظاهر اليسر والتيسير في التقويم التربوي النّبويّ من خلال العناوين الآتية وشواهدها في السُنّة النبويّة:

1– التيسير على ضعفاء المسلمين والمعذَّبين منهم في الفترة المكية بالإذن لهم أن يقولوا ما يخفف عنهم، ويدفع عنهم العذاب. فقد أخرج الحاكم في مستدركه ((أَن الْمُشْرِكُينَ أخذوا عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ – رضي الله عنه– فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: مَا وَرَاءَكَ؟ قال: شَرٌّ يَا رسول الله، ما تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ قال: كَيْفَ تَجِدُ

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، (1/ 16– ح: 39).

قَلْبَكَ؟ قال: مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ قال: إِنْ عَادُوا فَعُدْ))[1]. وقد نزل فيه وفي أمثاله قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النحل: 106]، يقول الحافظ ابن حجر: "وهو وعيد شديد لمن ارتد مختارًا، وأما من أكره على ذلك فهو معذور بالآية؛ لأن الاستثناء من الإثبات نفي فيقتضي ألا يدخل الذي أكره على الكفر تحت الوعيد. والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر"[2]. والشاهد من الآية الكريمة والحديث ما تضمناه من رفع الحرج عن المكره على الكفر، والتيسير عليه بقبول هذا المستوى من الأداء بسبب الإكراه ما دام قلبه مطمئنًا بالإيمان.

2- جرى تيسير كبير على الضعفاء، والمرضى، وعلى الذين لا يجدون نفقات الجهاد، فرُفع عنهم الحرج، وقبلت أعذار المتخلفين منهم عن الغزوات والهجرة، بل وعدهم بكتب أجر نيتهم الصالحة وحرصهم على الخروج، كما في حديث أنَس بن مالك – رضي الله عنه– أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، ما سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رسول الله، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قال: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ))[3]. والشاهد في الحديث تضمنه تقويمًا فيه تقدير لحال العاجزين عن المشاركة في الأعمال الجهادية، وقبول نيتهم وحرصهم مما منحهم دعمًا معنويًّا جبر خواطرهم. ومن جانب آخر ففي الحديث إيحاء بكفِّ ألسنة الناس عنهم، وترك كل ما يجرح مشاعر القاعدين بسبب العذر. كما فيه تيسير على الناس بقبول هذا المستوى من الأداء بسبب العجز، وقلة الحيلة.

---

(1) الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ–1990م، كتاب التفسير، تفسير سورة النحل، (2/389– ح: 3362). وصحَّحه.

(2) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (12/312). وأورد الحافظ ابن حجر روايات للحديث وقال إنها مراسيل تَقوَّى بعضها ببعض.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، (6/ 8– ح: 4423).

3- التيسير بالتجاوز عن الخطأ والعفو عن الجاهل بالحكم، كما حصل مع الأعرابي الذي بالَ في المسجد، كما روى أبو هُرَيْرَةَ: ((أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم–: دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أو سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[1]. يقول ابن دقيق العيد: "الحديث أصل في الرفقِ بالجاهل، واللطفِ في تعليمه، واستمالةِ قلبِهِ للحقّ"[2].

4- التيسير باختيار أيسر الأمرين، وقد أخبرت بذلك عائشة – رضي الله عنها– فقالت: ((مَا خُيِّرَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ))[3]. والشاهد وصف عائشة – رضي الله عنها– حال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وكيف كان يراعي في خياراته التي تعرض له، فيأخذ بأَيسر الأمرين ما دام مباحًا. قال النووي: "فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا"[4]. ومن دلالة الحديث أن على المربي أو المعلم في حال تقويم الناس، أو إصلاحهم أن ينحو مسار التيسير في أدواته وطرقه وأساليبه ما دامت مباحة، وتُحقّقُ الغرض التقويمي المطلوب.

5- التيسير بالتخيير، حيث يقدم المعلِّم للمتعلم مجموعة من الخيارات، فيأخذ بما تميل له نفسه أو يقدر عليه، حدث نحوٌ من ذلك يوم فتح مكة. أخرج مسلم ((أن أَبا سُفْيَانَ– جاء النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حين توجَّه لفتح مكة– فَقَالَ: يَا رسول الله، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قال أَبُو سُفْيَانَ: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: مَنْ دَخَلَ

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: ((يسروا ولا تعسروا))، (8/ 30– ح: 6128).

[2] ابن دقيق العيد، محمد بن علي، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، تحقيق: محمد خلوف، سوريا، دار النوادر، ط2، 1430 هـ – 2009م، (1/ 524).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبيّ – صلى الله عليه وسلم–، (4/ 189– ح: 3560).

[4] النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (15/ 83).

دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ))[1]. وفي رواية عند أبي داود، قال فيها العباس –رضي الله عنه–: ((فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، فَأَسْلَمَ، قُلْتُ: يَا رسول الله، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قال: نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ))[2]. والشاهد توسيع خيارات طرق النجاة أمام أفراد المشركين من قريش يوم فتح مكة، فخيار واحد لم يكن ليسعهم وفيه تضييق عليهم؛ لكن بهذا التخيير والتنويع في الخيارات جرى تيسير أدى لنجاتهم، وتسهيل تحولهم ودخولهم في الإسلام.

6- التيسير بقبول أكثر من أداء بناء على اجتهاد يحتمله الأمر النبوي، كما في حادثة صلاة العصر في بني قريظة التي رواها عبد الله ابن عُمَرَ – رضي الله عنهما–، فقَالَ: ((نَادَى فِينَا رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَوْمَ انْصَرَفَ عَنِ الْأَحْزَابِ: أَنْ لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوْتَ الْوَقْتِ، فَصَلَّوْا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: لا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرَنَا رسول الله، وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ، قال: فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ))[3]. فتخوف ناس فوت الوقت فصلَّوا في الطريق، وتمسك آخرون بظاهر الأمر فلم يصلُّوا إلا بعد وصولهم بني قريظة، فما عنَّف النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أحدًا من الطرفين من أجل الاجتهاد المسوغ، والمقصد الصالح[4]. والشاهد: التيسير في ترك تعنيف الناس، والتيسير في قبول تحقق الغاية والنتيجة النهائية، وهي والوصول سريعًا إلى بني قريظة، والتجاوز عن الطريقة التي تحقق فيها المقصود ما دام النص مَرِنًا ويسمح بالاجتهاد.

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، (3/ 1407– ح: 1780).

(2) أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب الخراج والفيء، باب ما جاء في خبر مكة، (3/ 162– ح: 3022). وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين، (3/ 1391– ح: 1770). بنو قريظة: فرقة من اليهود سكنوا يثرب.

(4) انظر: الشنقيطي، محمد الخَضِر، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1415 هـ – 1995م، (4/ 40).

7- التيسير برفض التشدد أو الغلو في الدين أو النذر بما لا يطيق، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- ((أَدْرَكَ شَيْخًا يَمْشِي بَيْنَ ابْنَيْهِ، يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-: ما شَأْنُ هَذَا؟ قال ابْنَاهُ: يَا رسولَ الله، كَانَ عَلَيْهِ نَذْرٌ، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-: ارْكَبْ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكَ، وَعَنْ نَذْرِكَ))[1]. ومثله حديث عَائِشَةَ – رضي الله عنها-، قالتْ: ((كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قُلْتُ: فُلاَنَةُ لا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذُكِرَ مِنْ صَلاَتِهَا، فَقَالَ: مَهْ! عَلَيْكُمْ ما تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا))[2].

8- ويظهر التيسير في التقويم التربوي في التأكيد على تحقيق التوازن بين حاجات الجسد، وتطلعات الروح، ومتطلبات حقوق الآخرين. فعندما نحا بعض الصحابة للتشديد على أنفسهم في العبادة، جاءهم التقويم من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- يُلزمهم بالتوازن، وأمروا بالبقاء في دائرة الاعتدال، مؤكدًا لهم أن هذه سنّتة ومنهجه. بدا ذلك واضحًا في حديث الرهط الثلاثة الذي قال لهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-: ((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[3]. وحديث سلمان الفارسي في وصيته لأخيه أبي الدرداء – رضي الله عنهما-، قائلا له: ((إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-: صَدَقَ سَلْمَانُ))[4]، ومنها أيضًا موقفه – صلّى الله عليه وسلّم- في تقويم عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو – رضي الله عنهما- حين دَخَلَ عَلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ له: ((أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة، (3/ 1264- ح: 1643).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد، (2/ 54- ح: 1151).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (7/ 2- ح: 5063).

[4] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، (3/ 38- ح: 1968).

قُلْتُ: بَلَى، قال: فَلاَ تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))[1]. وكذلك ما روي عن عائشة: أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بَعَثَ إلى عثمان بن مظعونٍ – رضي الله عنه–، فجاءه، فقال: ((يا عثمانُ، أرغِبتَ عن سُنتي؟ قال: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ، ولكن سُنَّتك أطلُبُ، قال: فإني أنامُ وأصلِّي، وأصومُ وأُفطر، وأنكِحُ النساءَ، فاتَّقِ الله يا عثمانُ، فإن لأهلك عليك حقًّا، وإنَّ لضَيفِكَ عليك حقًّا، وإن لنَفسِكَ عليك حقًّا، فصُمْ وأَفطِرْ، وصَلِّ ونَمْ))[2]. وأخرج البخاري عن سعد بن أبي وقاص، قال: ((رَدَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى عُثْمَانَ بنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا))[3].

وأخرج البخاري عَنْ أنَس بن مالك – رضي الله عنه–، قال: ((دَخَلَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: ما هَذَا الحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: لاَ، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ))[4].

والشاهد في عموم الأحاديث السابقة أنها تؤكد أن التيسير كان من أبرز مبادئ التقويم التربوي التي طبَّقها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وحرص على ترسيخه أثناء تقويمه أصحابه – رضي الله عنهم.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حق الضيف، (8/ 32– ح: 6134).

(2) أبو داود: سنن أبي داود، باب تفريع أبواب التطوع، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة، (2/ 521– ح: 1369). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، في تحقيقه مسند أحمد.

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، (2/ 1020–ح: 1402). (التبتل) هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح لأجل التفرغ للعبادة. (عثمان بن مظعون الجمحي): أسلم في مكة بعد ثلاثة عشر رجلًا. وهاجر إلى الحبشة هو وابنه، الهجرة الأولى، توفي بعد شهوده بدرًا في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة (4/ 381).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد، (2/ 53– ح: 1150). (الساريتين) مثنى سارية وهي الأسطوانة والدعامة التي يقوم عليها السقف. (لزينب) بنت جحش إحدى زوجاته – صلى الله عليه وسلم.

المطلب السادس: تشجيع المتعلم على تقويم مكتسبات تعلِّمه ومشاركته في تطوير معاييرها

كانت مشاركة المتعلم في التقويم تأتي منه على شكل مقترحات، وتغذية راجعة حول محتوى المنهج التربوي، أو بعض الطرق والأساليب المستخدمة في التدريس والتربية. وهي تشير إلى ارتقاء مستوى الأداء والفهم والتحليل لدى المتعلمين، وتعبر عن تفاعلهم الإيجابي مع العملية التربوية.

إن "تقويم المتعلمين لمكتسبات التعلم" يعطيهم فرصة للتأمل في عمليات تفكيرهم، ليصبحوا أكثر وعيًا بما يقوّي، أو يعوق تعلُّمهم، كما يدعم فرصة للطلبة للتقييم الذاتي لمدى شعورهم باكتساب المعارف والمهارات، والاتجاهات، أو الميول الجديدة. إن هذا الأسلوب يعمل على انخراط الطلبة في التعلم وتزداد الدافعية له عند إدراكهم أنَّ التغذية الراجعة المقدمة منهم تؤخذ بعين الاعتبار من المعلم[1].

وفي السُنّة النبويّة جُعل الباب مشرعًا للنقد البناء والنصيحة والدعم للرسول – صلّى الله عليه وسلّم– في إطار ما كان يقوم به المتعلمون من تحليل للمواقف وفهم للمحتوى وتقويم للأداءات ومراقبة لجودة الأساليب والمخرج التربوي. ويجدر التذكير بأن الصحابة – رضي الله عنهم– لم يكونوا متعلمين متلقين فقط؛ بل كانوا شركاء حاملين همَّ الدعوة، والتعليم والتربية. يقول البيضاوي في تعليقه على دلالة قوله – صلّى الله عليه وسلّم– : ((فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[2]. "خطاب مع الحاضرين من الصحابة، جعل بعثته إليهم للتيسير، بمنزلة بعثتهم كذلك؛ لأنهم خلفاؤه ونوابه في ذلك"[3].

---

(1) انظر: بيج كيلي، التقييم البنائي في العلوم– 75 استراتيجية لربط التقييم والتدريس والتعليم–، ترجمة جبرين الجبر، الرياض، دار جامعة الملك سعود، 2014 هـ، (ص: 267).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: ((يسروا ولا تعسروا))، (8/ 30– ح: 6128).

(3) البيضاوي، عبد الله بن عمر، تحفة الأبرار شرح مصابيح السُنّة، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، (د. ط)، 1433هـ – 2012م، (1/ 212).

لذلك كان – عليه الصلاة والسلام– يصغي، ويتقبل، ويستشير، ويثني على هذه المبادرات؛ رفعًا لقدر أصحابه – رضي الله عنهم– ومشاركة لهم في بناء المسار والقرار. وقد قابل الصحابة – رضي الله عنهم– ذلك بإيجابية دفعتهم لتقديم المزيد من المبادرات.

ومنذ بدايات التكليف يوم نزول الوحي على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أول مرة في غار حراء، وكان ما جرى أمرًا مفاجئًا وغريبًا لدرجة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– خشي على نفسه، فرجع إلى أهله خائفًا يقول: زملوني. فاستقبلته السيدة خديجة – رضي الله عنها– فقدمت له دعمًا مناسبًا فدفعت عنه الأوهام والخوف، وشدَّت من أزره. وكان لاستعانتها بابن عمها ورقة بن نوفل أثر مبارك في تفسير أبعاد ما جرى في الغار؛ فاستجمع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– نفسه سريعًا، وشمّر لمهمته، وراح يرقب عودة الوحي إليه. روى ذلك البخاري فقال: إن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((أَيْ خَدِيجَةُ! ما لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قالتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ...)) الحديث [1]. والشاهد هذه المشاركة الفاعلة من السيدة خديجة – رضي الله عنها– في مساندة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في هذا المستجد غير المعهود، وتحليل ما جرى في موقف غار حراء، وكيف أنها هديت فاستعانت بالسجل التاريخي المشرّف للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– لتثبيته ودعمه، وبعلم ابن عمها ورقة بن نوفل.

وفي موقف لاحق عقب صلح الحديبية مباشرة، والذي كان من بنوده أن يرجع المسلمون دون عُمرة في عامهم ذلك، فشقَّ ذلك على الصحابة – رضي الله عنهم– وهم المشتاقون لمكة ويقفون على تخومها؛ فأمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الناس بالتحلل، والاستعداد للعودة إلى يثرب، فقال لهم: ((قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا، قال الراوي: فَوَاللَّهِ ما قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قال

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من الوحي، (173/6– ح: 6982).

ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا ما لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا))[1]. وبذلك تكون أم سلمة – رضي الله عنها– قد هديت فحلّلت الموقف وأدركت أبعاده، ووفّقت حين أشارت على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بطريقة تربوية حكيمة ترفع عنه وعن أصحابه حرج الموقف، فأشارت عليه، فبدأ بنفسه – صلّى الله عليه وسلّم– فحلق ونحر؛ مما جعل الناس يتيقنون تمام أمر الصلح مع قريش، وأنه لا مفرَّ من الرجوع عن مكة دون عمرة هذا العام.

وتذكر السُنّة أن عائشة – رضي الله عنها– راجعت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في أمر إمامة والدها واقترحت بديلًا عنه، واستعانت بحفصة – رضي الله عنها– على ذلك. قالت عائشة – رضي الله عنها: إنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال فِي مَرَضِه: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ. قالتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: مَهْ، إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ))[2]. وفي الحديث ردٌّ لمقترح عائشة – رضي الله عنها– رغم إلحاحها وتعليلها رأيها.

وأخرج البخاري أن السيدة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها– كَانَتْ لا تَسْمَعُ شَيْئًا لا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، ومن ذلك أَنَّ النبيّ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ. قالتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ تعالى: ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ [سورة الانشقاق: 8]، قالتْ: فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ))[3].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (93/3– ح: 2731).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، (136/1– ح: 679).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه، (32/1– ح: 103).

وفي موقف آخر تقدم حفصة أم المؤمنين – رضي الله عنها– مراجعة بين يدي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حين قال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا. قالتْ: بَلَى، يَا رسول الله فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [سورة مريم: 71]، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: قَدْ قال اللهُ – عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [سورة مريم: 72]))[1]، وفي الحديث: "دليل على المناظرة في العلم، وجواز الاعتراض والسؤال فيه لاستخراج الفائدة، وهو مقصد حفصة إن شاء الله، لا أنها قصدت ردَّ مقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقولها: (بلى) جاء طلبًا لشأن ما أشكل عليها، واحتاجت إلى تفسيره من هذا الظاهر المخالف، لما سمعته منه – صلّى الله عليه وسلّم–[2].

والشاهد أن كلًّا من حفصة وعائشة – رضي الله عنهما– قد قدمتا مداخلات ومراجعات مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أثناء تلقي العلم، في محاولة منهما لإزالة اللبس في الفهم خاصة عند المقابلة بين الآيات والأدلة في محتوى الرسالة. وكان النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– يستوعب هذه المراجعات ويتقبلها؛ لأنها كانت في سياق الاستفهام الذي يتبعه تقويم للفهم وإرشاد للصواب.

ويجدر التنويه إلى تنوع المقترحات وشكل المشاركات من الصحابة – رضي الله عنهم– واختلاف تقديراتهم في المسألة الواحدة، فكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يميل لبعضها ويترك بعضها، كما حدث في قضية أسارى قريش يوم بدر. يقول ابن عباس – رضي الله عنه– : فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لأبي بكر، وعمر: ((مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، (4/ 1942– ح: 2496).

(2) القاضي عياض، عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق، يحيى إسماعيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1419 هـ – 1998م، (7/ 540).

وسلّم- ما تَرَى يَا ابن الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- ما قال أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ ما قُلْتُ))[1].

وفي موقف آخر رواه هِشَام بن عَامِرٍ، قال: ((شَكَوْنَا إِلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- يَوْمَ أُحُدٍ، فَقُلْنَا: يَا رسول الله، الْحَفْرُ عَلَيْنَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ شَدِيدٌ؟ فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-: احْفِرُوا وَأَعْمِقُوا وَأَحْسِنُوا، وَادْفِنُوا الِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ. قَالُوا: فَمَنْ نُقَدِّمُ يَا رسول الله؟ قال: قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا))[2]. وفي الحديث شاهد على مشاركة الصحابة – رضي الله عنهم- في تقديم مقترحات تطويرية تعين على تنفيذ الأوامر النبويّة – صلّى الله عليه وسلّم-. ومن دلالة الحديث التجاوب والتقبُّل من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- مراعاة لحال أصحابه فقد أصابتهم جراحات وكثر فيهم الشهداء؛ فخفف عنهم، وأذن لهم بتغيير طريقة الدفن على غير العادة، فدفنوا الاثنين والثلاثة معًا. وفي قوله – صلّى الله عليه وسلّم-: ((قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا)) تقويم تربوي بالإيحاء، يبين فضل حامل القرآن، ويدفع للعناية بتلاوته وحفظه، كما فيه تجاوز لأي خلاف قد يحدث عند الرغبة بتقديم أحد على آخر أثناء الدفن.

وذكرت السُنّة النبويّة في موقف آخر أن فاطمة – عليها السلام- اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن، فبلغها أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- أُتي بِسَبْيٍ، فأتته تسأله خادمًا يخدمها، لكنه – صلّى الله عليه وسلّم- قدّم بيع ذلك الرقيق للنفقة على أهل الصفة[3]. ثم قال لها: ((أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى ما هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ))[4]. والحديث يبيّن أن السيدة فاطمة – عليها السلام- قد قدَّرت بأنه يمكنها أن تحصل على خادم يخفف عنها، خاصة مع توفر الخدم في

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة، (3/ 1385- ح: 1763).

(2) النسائي: المجتبى من السنن = السنن الصغرى، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من إعماق القبر، (4/ 80- ح: 2010). وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الشهداء، باب ما جاء في دفن الشهداء، وقال حديث حسن صحيح، (4/ 213-ح: 1713).

(3) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (11/ 123).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، (2092/4- ح: 2728).

ذلك الموقف– حسب تقديرها– لكن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومع أن القضية تمسُّ ابنته لكنه لم يلبِّ رغبتها، وقدم لنا صورة عظيمة من إيثاره – صلّى الله عليه وسلّم– لحاجة أهل الصُّفَّة على حاجة أهل بيته الكرام – رضي الله عنهم–. وهو يقدم موازنة لها ولكل المؤمنين مضمونها: أن الاستعانة بالله، وذكره بالتسبيح والتحميد والتكبير تهب المسلم قوة في جسده، وعزيمة في روحه، وذلك خير له وأصلح من خادم.

وفي موقف آخر يستغرب أعرابي طريقة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في ملاطفته للصغار من أحفاده وتقبيلهم، قائلا: ((تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ))[1]. وبهذا التعقيب على هذا النقد يؤسس النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لمبدأ الرحمة في معاملة الأهل والأبناء ومن كان في حكمهم من الضعفاء، والمرضى، والخدم. ويقدِّم – صلّى الله عليه وسلّم– من نفسه أسوة حسنة في ذلك برحمة الأبناء والأحفاد، وحملهم، وتقبيلهم، والتلطف بهم.

وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يغضب من أي أحد يثقل على الناس، حتى لو كان ذلك في صلاتهم؛ فقد أخرج البخاري أن رجلا صلى خلف معاذ بن جبل – رضي الله عنه– فقرأ بسورة البقرة، أو النساء، فقطع الرجل الصلاة وذهب، فبلغه –أي الرجل– أن معاذًا نال منه، فأتى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فشكا إليه معاذًا... الحديث[2]. ثم وضع – صلّى الله عليه وسلّم– معيارًا عامًّا لكل من يؤمُّ الناس في صلاتهم، فقال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ ما شَاءَ))[3]. وفي الحديث مراجعة من الرجل وتقويمه لفعل معاذٍ حين أطال القراءة أثناء الصلاة، كما أن فيه رفض الرجل لتقويم معاذ، وكلامه في حقه بسبب قطعه الصلاة، والخروج من المسجد. ويبدو من ظاهر الحديث تفاعل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مع همِّ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (7/8– ح: 5998).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، (142/1)–: ح705). (بناضحَيْن) مثنى ناضح ويُسْتَعمل في سقي الزرع. (فانطلق الرجل) فارقه ولم يتم صلاته معه.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، (142/1– ح: 703).

الرجل؛ كونه يشكِّل حالة قد تتكرر مع كثير من رواد المساجد. فاحتاج الأمر معيارًا ينظم هذا الأداء، ويمنع من فتنة الناس، أو تنفيرهم عن المساجد بسبب التطويل ونحوه.

ويقدّم بعض الأعراب مراجعة للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– في تقبيله حفيده الحسن – رضي الله عنه–، فقالوا: ((أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالُوا: لَكِنَّا وَاللهِ ما نُقَبِّلُ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ))[1]. وفي رواية: قال فيها الأقرع بن حابس – رضي الله عنه–: "إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم... " الحديث[2].

والشاهد ما كان يحدث من مراجعات، ونقد من الصحابة حول مواقف تربوية يرونها. كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يسمعها ثم يعلِّق عليها مقوِّمًا ومسددًا. وقد مثَّلت هذه المداخلات، والاعتراضات التي كانت تأتي في سياق الحديث تشخيصًا لبعض طباع الصحابة – رضي الله عنهم– وسلوكياتهم. وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بأسلوبه الحكيم يجيب عن الاستفسار الوارد، أو التعليق بما يصحِّح المفهوم ويعدِّل السلوك، كما في هذا الموقف التقويمي الذي تم التأكيد فيه على أهمية الرحمة عمومًا ورحمة الصغار خصوصًا.

المطلب السابع: التثبت من الأخبار والبيانات قبل إصدار الحكم التقويمي

بمعنى أن الأحكام التقويمية حتى تكون صحيحة، وموضوعية، ودقيقة، فلا بد أن يسبقها تَثبُّت، وتشخيص كافٍ مبني على أدلة معتبرة تراعي سلامة، وموثوقية مصدر المعلومة وأدواتها، وخلوها من خطأ الحواس، أو العجلة، أو التحيز، ونحوه. ومنطلق هذا المبدأ يأتي بداية من القرآن الكريم؛ حيث تكرر الأمر الإلهي الصريح الداعي للتبين، وقد تكرر ورود عبارة "فَتَبَيَّنُوا" ثلاث مرات، في سياق تقويم المؤمنين لغيرهم أو لبعضهم، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته – صلى الله عليه وسلم– الصبيان والعيال وتواضعه، (4/ 1808– ح: 2317).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته – صلى الله عليه وسلم– الصبيان والعيال وتواضعه، (4/1808– ح: 2318).

الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تَعْمَلُونَ خبيرا﴾ [سورة النساء: 94].

وقد ذكرت السُنّة النبويّة سبب نزول الآية كما أخرج البخاري عن ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما–: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ [سورة النساء: 94]، قال: ((كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ المُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ [سورة النساء: 94]))[1]. فظاهر الموقف أن هذا الرجل قد قُتِل دون أن يأخذ حقه من التثبت والتبين من حاله. أما قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [سورة الحجرات: 6]، فقد أوردت السُنّة النبويّة أن هذه الآية نزلت تعقيبًا على بعث النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الوليد بن عقبة[2] إلى قبيلة بني المصطلق، وتحديدًا إلى الْحَارِث بن أَبِي ضِرَار الْخُزَاعِي والد جويرية أم المؤمنين – عليها السلام– ليأتي بالزكاة منهم، فلما أتاهم الوليد خرجوا يَتلَقَّونه، فظنهم ارتدّوا، وحسبهم أرادوا قتله، فخاف ورجع، ثم إنه أتى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فأخبره بأن القوم ارتدّوا، وأنهم منعوه الزكاة، وأنهم أرادوا قتله، فبعث النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إليهم خالدًا بن الوليد – رضي الله عنه– في سرية، فتبين أن ما قاله الوليد بن عقبة غير صحيح أبدًا، وأن القوم على خير وصلاح، فَنَزَلَتِ الآية من سورة الحجرات، قال تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ [سورة الحجرات: 6][3]. والشاهد من الآيتين ورود الأمر بالتبين عند تقويم الأخبار، أو حالة الأشخاص وأهميته قبل إصدار الأحكام، لقوله تعالى: (فَتَبَيَّنُوا)، فالأمر نزل تقويمًا لمنهجية إصدار الأحكام،

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) [النساء: 94]، (6/ 47– ح: 4591). وانظر: الوادعِي، مقبل هَادِي، الصحيح المسند من أسباب النزول، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط4، 1408 هـ– 1987م، (ص: 73). (ألقى إليكم السلام) نطق بالشهادتين أو حياكم بتحية الإسلام. (لست مؤمنا) أي: تقولون لم يؤمن حقيقة، إنما نطق بالإسلام تقية. (غُنَيْمته) تصغير غنم أي قطيع صغير من الغنم.

(2) الوليد بن عقبة: صحابي، أسلم يوم الفتح، لا خلاف بين أهل العلم بالقرآن أنه نزل فيه قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات: 6]. وقد ولاه عثمان الكوفة، وبعد قتل عثمان اعتزل الفتنة إلى أن مات في خلافة معاوية. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (11/ 143).

(3) تفاصيل الحادثة وردت في حديث طويل أخرجه: الشيباني: مسند أحمد بن حنبل، حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، (30/ 403– ح: 18459). وحسَّنه الأرنؤوط بشواهده في تحقيقه مسند أحمد.

وتقويم الأشخاص والهيئات؛ وضرورة التثبت من الأخبار، والتحقق من البيانات الواردة قبل أي حكم تقويمي نهائي.

كما جاء التوجيه من الله تعالى لضبط الأحكام الصادرة، والأقوال، وضرورة استنادها لأدلة معتبرة، تحت طائلة المسؤولية والحساب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: 36]، فإما أن يشهد المرء بناءً على علم حقيقي، وفهم دقيق يرده من سمع، أو بصر، أو تجربة، وإما أنه يسعه الصمت، وأن يترك القوس لباريها. وقد نقل الطبري قولي المفسرين في معنى قوله تعالى: (وَلاَ تَقْفُ)، "الأول: لا تقُلْ، والثاني: لا ترمِ، وقال: وهذان التأويلان متقاربا المعنى؛ لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل، حين يدّعي المرء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره. وعليه فالمعنى: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحق، فذلك هو القفو"[1].

وقد ورد في ذات السياق السابق أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عاب على أسامة بن زيد – رضي الله عنه– عجلته حين قوَّم الموقف دون تثبت، فقتل الرجل الذي نطق بالشهادة... فقال له النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مستنكرًا، ((أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قال: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، إِنَّمَا قالهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قال: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ يقول أسامةُ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ))[2]. ومن ممارسات التثبت ما نقل ((أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– كان يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ))[3].

ومن تثبُّتِه – صلّى الله عليه وسلّم– أنه كان لا يحكم بقضاء قبل أن يستمع ويحقق، كما جرى بعد محاولة تسريب خبر جيش الفتح إلى قريش، فبعد أن استعيدت الرسالة وعرف مضمونها؛ سأل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حاطبًا، فقال: ((يَا حَاطِبُ ما هَذَا؟ قال: يَا رسولَ اللهِ، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ

---

[1] الطبري: تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل القرآن، (17/ 447).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، (1/96– ح:96).

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة، (1/ 288– ح: 382).

مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: لَقَدْ صَدَقَكُمْ))[1]. والشاهد أن النبي – صلّى الله عليه وسلّم– أحضر الرسالة وتبين ما فيها بدقة، ثم واجه الرجل بها، وسأله واستمع له وحقق معه قبل أن يقول رأيه أو يحكم عليه.

ما سبق كان بيانًا لشواهد في إطار تأصيل سبعة مبادئ أساسية لعملية التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي من الأهمية بمكان حيث شكَّلت أساسًا لنجاح العملية التربوية النبويّة.

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الجاسوس، (4/ 59– ح: 3007). روضة خاخ: موضع قرب المدينة على طريق مكة. (ظعينة) هي المرأة في الهودج، ثم اتسع فيه وأُطلق على مطلق المرأة. (عقاصها) جمع عقيصة، أو عقصة وهي ضفائر الشعر.

المبحث الثاني: خصائص التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

تمهيد –

الخصائص: جمع خصيصة، بمعنى الصفة التي تميز الشيء وتحدده[1].

وقد ميّز د. عماد الدين الرشيد بين المبادئ والخصائص، فقال بأن: "المبادئ: كليات تدخل في ماهية الفكرة وبنائها وأنها قواعد أساسية يبنى عليها المفهوم ويقوم. أما الخصائص فهي دالة على معانٍ كليةٍ تتصف بها معظم جوانب الفكرة ولا تدخل في بنائها، والفرق بينهما كالفرق بين الجوهر والعرض"[2].

وخصائص التقويم التربوي في هذه الدراسة، هي تلكم السمات التي تميز بها التقويم التربوي في السُنّة النبويّة. وقد أشارت الدراسات السابقة التي ذكرت في بداية هذه الأطروحة جملة خصائص للتقويم التربوي النبوي، نذكر منها ما يأتي:

1– الشمول والتنوع[3]: بمعنى شمول التقويم التربوي النّبويّ لأنماط متنوعة من الأداء، وتنوع مجالاته في تقويم العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والعلاقات، والمعاملات، والسلوك.

2– ربانية مصدر التقويم[4]: بمعنى أن الأمر الرباني للأمة كان يأتي في إطار تقويم عقائد الناس وتصوراتهم، وكذلك ما تم من الإقرار النّبويّ للتقويم من خلال تنفيذه له – صلّى الله عليه وسلّم– وممارسته، وإقراره مبدأ المحاسبة الذاتية عند أصحابه – رضي الله عنهم– ودفعهم لمراجعة أنفسهم.

3– الفورية[5]: وتظهر من ناحيتين: الأولى: فورية استجابة الصحابة – رضي الله عنهم– للتقويم التربوي النبوي، بحكم مقام نبوته – صلّى الله عليه وسلّم– ووجوب طاعته وامتثال أمره. والناحية

---

(1) مختار وآخرون: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، (ج1/ 351).

(2) الرشيد، عماد الدين محمد، في تسجيل له أثناء على الانترنت، مناقشة أطروحة دكتوراه، https: //youtu. be/2zLgQX9ULeo

(3) انظر دراسة: الحسن، مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة، (ص: 39).

(4) انظر دراسة: سوماورو، التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي، (ص: 236). وانظر دراسة: مقبل، التقويم التربوي من منظور إسلامي، (ص: 16).

(5) انظر دراسة: سوماورو، التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي، (ص: 238).

الثانية: فورية تنفيذ التقويم التربوي من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مما يعكس دقة الملاحظة، وحسن المتابعة، ومعالجة الأمر في حينه.

4– استمرارية عملية التقويم[1] فهي لا تتوقف عند سنٍ معينة أو مرحلة.

5– تقويم يقوم على أسس علمية دقيقة[2]، ويتثبت من المعلومات والبيانات قبل إصدار الحكم.

6– المعيارية[3]: بمعنى أنه تقويم ينطلق من معايير واضحة محددة.

7– التلاؤمية[4]: بمعنى أن مستوى التقويم النبوي، ونوعه، وشكله ينبغي أن يتلاءم ويتناسب مع حالة المتعلمين من حيث الفروق بينهم، وتنوع بيئتهم، ومحاضنهم، وطبائعهم، وأعمارهم، وحالهم عند الوقوع في الزلل من حيث الجهل أو التعمُّد أو التكرار؟

8– الوقائية وقيامه على التنبؤ[5]، بمعنى أن التقويم التربوي النّبويّ كان يضع الوسائل ويثبت المبادئ التي تقي الفرد، والجماعة من المفاسد، والانحرافات، من خلال تنبئه بها، وسده منافذها، وتحذيره منها بشكل استباقي وقائي.

9– الجمع بين عوامل الضبط الخارجي (التقويم من الغير) والداخلي (التقويم الذاتي)[6].

10– التعاون بين أطراف العملية التقويمية[7]:

---

(1) انظر دراسة: الحسن، مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة، (ص: 61). وانظر دراسة سوماورو، التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي، (ص: 245). وانظر دراسة: مقبل، التقويم التربوي من منظور إسلامي، (ص: 19).

(2) الحوامدة، سليمان حماد، منهج التقويم في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة كراتشي، كراتشي – باكستان، 2002م، (ص: 72).

(3) انظر دراسة: أبو دف: منهج الرسول – صلى الله عليه وسلم– في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر، https: //slpemad. files. wordpress. com/2014/12/d985d986d987d8ac-d8a7d984d8b1d8b3d988d984-d981d98a-d8aad982d988d98ad985-d8a7d984d8b3d984d988d983. pdf

(4) انظر: المرجع السابق

(5) انظر: المرجع السابق

(6) انظر: الحوامدة، منهج التقويم في القرآن الكريم، (ص: 72).

(7) انظر دراسة: الحسن، مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة، (ص: 71). وانظر دراسة: مقبل، التقويم التربوي من منظور إسلامي، (ص: 19).

وتؤكد هذه الدراسة على دقة ما وصل إليه الباحثون الكرام من استخلاصهم هذه الخصائص العشر السابقة، وتؤكد أنها مما تميز به التقويم التربوي النبوي، وأنها كانت جديرة بالتنويه إليها.

وقد اعتنت الدراسةُ بسبع خصائص للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي:

1. "الشمول والعموم".
2. التنوع.
3. الاستمرارية.
4. تقويم واقعي.
5. تقويم ممتد الأثر
6. تقويم "مَحَكِّي المرجع"
7. تقويم تعاوني.

المطلب الأول: الشّمول والعموم

إن أي دراسة تبحث في خصائص التقويم التربوي النّبويّ ستجد أن سمة الشمول والعموم من أبرز السمات، ولا غرابة فالتقويم التربوي يستمد شموله من المنهج الإسلامي في التربية، والذي يمتد أثره المبارك إلى تقويم عموم جوانب حياة الإنسان، وعلاقاته المختلفة، كما أنه يستهدف عموم المسلمين حيثما كانوا.

وقد شمل التقويم في السُنّة النبويّة جميع عناصر المنهج: من تقويم للأهداف التربوية ولطريقة التعامل مع محتوى المنهج –القرآن والسُنّة– وشمل كذلك تقويم الطرائق والأساليب، وتقويم أطراف العملية التربوية من المعلم، والمتعلم، والبيئة التعليمية، وما فيها من وسائل.

ويظهر شمول التقويم التربوي في عنايته بتقويم المعارف، والمفاهيم، والتصورات، والمعتقدات، وتقويم النواحي الوجدانية، والقيم، وتقويم المهارات، والأداءات، وكذلك منظومة العلاقات، والسلوكات الظاهرة والباطنة للمسلم.

ومن الشواهد على شمول التقويم التربوي في السُنّة النبويّة وعمومه ما يأتي:

1. تقويم علاقة المسلم مع ربه – سبحانه وتعالى– والتي تبنى على أساس نبذ الشرك وتحقيق الإخلاص في الأقوال والأعمال، ويظهر ذلك في شواهد كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله – صلّى الله عليه وسلّم–. نذكر منها على سبيل المثال الحوار التربوي بين النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومعاذ بن جبل – رضي الله عنه– يقول فيه معاذ: "كُنْتُ رِدْفَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ بنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رسول الله، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قال: يَا مُعَاذُ بنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رسول الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قال: يَا مُعَاذُ بنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رسول الله وَسَعْدَيْكَ، قال: ((هَلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قال: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قال: يَا مُعَاذُ بنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رسول الله، وَسَعْدَيْكَ، قال: هَلْ تَدْرِي ما حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ قال: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ))[1]. والشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يؤسس لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه– طبيعة العلاقة مع الله وينظمها ويختصرها في جواب سؤالين: الأول: بيَّن فيه حق الله على عباده، والثاني: بيَّن فيه حق العباد على ربهم – سبحانه وتعالى– بتأمينهم من العذاب يوم القيامة. والثاني مترتب على الأول وجزاء له، كما أن الثاني حافز، ودافع لأداء الأول ومراعاته. ويبدأ أثر جواب السؤال الأول من تحقيق الإيمان به – سبحانه وتعالى– ومعرفته وتوحيده، والإخلاص له بالعبادة والتي يمتد أثرها ليتجاوز الفرائض والعبادات الخاصة إلى عموم نشاطات الإنسان وأقواله، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: 162]، وبذلك تكون الآية والحديث قد تضمنا تقويمًا شاملًا يصل بالمسلم كما يقول قطب نحو: "التجرد الكامل لله، بكل خالجة في القلب، وبكل

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، (1/ 58– ح: 30).

حركة في الحياة، بالصلاة والاعتكاف، وبالمحيا والممات، بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه[1].

2. تقويم منظومة علاقات المسلم مع غيره؛ بالإحسان إلى الوالدين، والأقربين، وصلة الأرحام، وحسن معاشرة الزوجة، ورعاية الأبناء، والإحسان إلى الجيران، وبذل النصح للأصحاب، والوفاء للأمة والمجتمع بأداء الأمانة، وتحمل المسؤوليات.

ومن الشواهد في السُنّة النبويّة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قوَّم علاقة المسلم مع أخيه –عمومًا–، فبيّن أنه ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[2]، وحذر من إيذاء الجار فقال: ((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))[3]، وأكد على صلة الرحم، فقال: ((لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِع))[4]، وفصَّل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في تقويم التعاملات الاجتماعية، فقال: ((لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ))[5]. وفي الأحاديث شواهد يكمل بعضها بعضًا، فلم يترك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مساحة من العلاقات الأخوية، والمجتمعية، والبينية إلا وسعى لتقويمها وتنظيمها.

وحتى العلاقة مع البيئة، فالمسلم فيها لا يسير مسارًا يفسد فيه الحرث، أو يهلك فيه النسل؛ بل هو محسن، ورحيم، وودود، ويكفيه دافعًا للإصلاح أن الله –تعالى– يحب المصلحين، وينبذ الفساد والمفسدين، قال تعالى: ﴿**والله لا يحب الفساد**﴾ [**سورة البقرة**: 205].

---

(1) قطب، في ظلال القرآن، (4/ 148).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (1/ 12– ح:13).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، (1/ 68– ح: 48).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم القاطع، (8/ 5– ح: 5984).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، (4/ 1986–ح: 2564).

وقد ورد في السُنّة النبويّة أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، فقال – صلّى الله عليه وسلّم– ((عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ))[1]. وفي المقابل غفر الله – سبحانه وتعالى– لأخرى حين رحمت كلبًا؛ فسقته شربة ماء، كما يظهر من قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ))[2]. والشاهد أن تقويمًا جرى في إطار تنظيم علاقة المسلم مع بيئته، وأن عليه أن ينظر بعين الرحمة إلى ما فيها من كائنات حية، وفي الحديث: ((قالوا: يا رسول الله: وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)) [3].

3. شمول التقويم للأخلاق الظاهرة والباطنة، كما في حديث عَمْرِو بن تَغْلِبَ – رضي الله عنه–: أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أُتِيَ بِمَالٍ –أو سَبْيٍ– فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: ((أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى ما جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بن تَغْلِبَ، فَوَاللَّهِ ما أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– حُمْرَ النَّعَمِ))[4]. والشاهد في الحديث: شمول تقويم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للأخلاق الخفية في نفوس بعض المتعلمين، بقصد معالجة حالة الجزع والهلع في صدورهم، وتأليف قلوبهم، وتثبيتها على الإسلام من خلال منحهم بعض العطاء، والثناء على من تحلّى بالصفات الحميدة،

---

(1) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، (3/ 112– ح: 2365).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل سقيا البهائم، (4/1761– ح: 2245). (مُوقَهَا) ما يلبس فوق الخُفّ. (بركية) الركية هي البئر.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (8/ 9– ح: 6009).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، (2/ 11– ح: 923). (حمر النعم) الإبل الحمراء وكانت أعجب الأموال وأحبها إلى العرب. (عمرو بن تغلب النَّمري)، العبدي، صحابي من البحرين، هاجر إلى يثرب، نزل الصُفَّةَ وسكن البصرة، وروى عنه الحسن البصري، توفي بعد 40 هـ. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، (8/ 8).

والخصال الكريمة. أما الأخلاق الظاهرة، والسلوكات البينة، فإن مواقف تقويمه – صلّى الله عليه وسلّم– لها كثيرة، ونذكر منها تقويمه لسلوك بعض أصحابه – رضي الله عنهم– عند إحداثهم جلبة أثناء قدومهم لصلاة الجماعة، كما في رواية أبي قتادة، قال: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ، فَلَمَّا صَلَّى قال: ((مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلاَةِ؟ قال: فَلاَ تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا))[1]. والشاهد تقويم النبيّ للسلوك الظاهر، فأمرهم بالسكينة إذا أتوا الصلاة.

4. ومن مظاهر شمول التقويم التربوي وعمومه أنه كان مطلقًا في مكانه وزمانه، يجري حيثما أمكن ووقتما تيسر؛ في البيت، والمسجد، والسوق، وفي الأسفار والغزوات، وأثناء المعايشة مطلقًا. ففي حديث المسيء صلاته الذي رواه أبو هريرة، قوَّم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– صلاة الرجل أثناء جلوسه في المسجد، عندما قال له: ((ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، ثَلاَثًا))[2]. وجرى تقويم تاجر الطعام في السوق، حين مَرَّ – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: ((مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قال أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله، قال: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))[3]. وفي الحديث الأول تقويم تربوي لطريقة أداء الصلاة، ورفض لأدائها ناقصة الأركان. وفي الحديث الثاني رفض لسلوك الغش في عموم المعاملات والعلاقات. وتثبيت معيار أن المسلم لا يغش، وأن انتماءه لدينه، وأمته يحول بينه وبين الغش. وفيه دلالة إمكانية تقويم الجماعة من خلال تقويم حالة فردية، وفيه تقويم الغائب من خلال تقويم حالة حاضرة.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة، (1/ 129– ح: 635). (جلبة) صوت الحركة والكلام والاستعجال. (بالسكينة) الهدوء والتأني في الحركة. (أبو قتادة): هو: الحارث بن ربيعي السلمي الأنصاري، شهد أحدًا وما بعدها، توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين وهو ابن سبعين سنة. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، (12/ 204).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب وجوب القراءة للإمام، (1/ 152– ح: 757).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: ((من غشنا فليس منا))، (1/ 99– ح: 102).

وكثير من التقويمات التربوية النبوية جرت أثناء المعايشة النبوية إطلاقًا دون تقييدها بوقت، سواء كان في حِلّ أو ترحال، كما في حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهم–، قال: كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– فِي سَفَرٍ، فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟ »، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»[1]. والشاهد ما جرى أثناء السفر من متابعة وتشخيص للموقف وحال الرجل الذي ظُلِّلَ عليه، وتقديم التقويم التربوي المناسب له ولكل أمثاله.

وكذلك ما رواه عمرو بن العاص – رضي الله عنه– فقال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ –صلّى الله عليه وسلّم– فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ –صلّى الله عليه وسلّم–: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم، فَقَالَ: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ..."[2]. والشاهد في الحديث ما جرى من تقويم تربوي –استشرافي – أثناء المعايشة في الأسفار، بالتحذير من أمور وقضايا وفتنٍ قد تواجه المرء أثناء حياته، فأوصى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بتذكّر الآخرة –جنّتها ونارها–، والصبر والثبات والموت على الإيمان، وقد تضمن الحديث عبارة: ((وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ))، وهي من جوامع

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم– لمن ظُلِّلَ عليه..، (3/ 34– ح: 1946).

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، (3/ 1472– ح: 1844). (ومنا من ينتضل) هو من المناضلة وهي المراماة بالنشاب. (في جشره) هي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها. (فيرقق بعضها بعضا) أي يصير بعضها رقيقًا أي خفيفًا لعظم ما بعده.

كلمه – صلّى الله عليه وسلّم– وبديع حِكَمه، وهي قاعدة مهمة تسهم في تفعيل التقويم الذاتي عند المسلم لمراجعة تصرفاته أثناء تعاملاته وعلاقاته وأعماله.

5. ومن مظاهر عموم التقويم شموله الصغير والكبير، والرجل والمرأة، والغني والفقير، والعبد والسيد، فقد قوَّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عمر بن أَبِي سَلَمَةَ – رضي الله عنه– وكان غُلاَمًا فِي حجْرِهِ – صلّى الله عليه وسلّم–، وكانت يداه تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ له رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ))[1].

ونحوه ما روته عائشة: أن أختها أسماءَ – رضي الله عنهما– دَخَلَت على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وعليها ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فأعْرَضَ عنها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، وقال: ((يا أسماءُ! إن المرأةَ إذا بَلَغَتِ المَحِيضَ لم يصلُحْ أن يُرى مِنَها إلا هذا وهذا))، وأشار إلى وجهه وكفَّيْهِ[2].

ومرّ النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– في أَضْحًى، أو فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَعَظَ النَّاسَ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا. فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رسول الله؟ قال: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ))[3]. والشاهد في الحديث: عموم التقويم التربوي لشرائح الناس في المجتمع المسلم.

وقد شمل التقويم التربوي النّبويّ فِئات العمال، وأصحاب المسؤوليات، كما في ورد في حديث أبي حميد الساعدي، أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– استعمل عاملا، فجاءه العامل حين فرغ من عمله، فقال: يا رسول الله، هذا لكم وهذا أهدي لي. فقال له: ((أَفَلاَ قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لاَ؟))[4]. والشاهد في الحديث: ما جرى من تقويم

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام..، (7/ 68– ح: 5376).

(2) أبو داود، سنن أبي داود، أول كتاب اللباس، باب فيما تُبدي المرأةُ من زِينَتِها، (6/ 198– ح: 4104). حديث حسن لغيره، كما قال الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، (2/ 120– ح: 1462).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبيّ – صلى الله عليه وسلم–، (8/ 130– ح: 6636).

تربوي لهذا العامل الذي أُرسل لجمع الصدقات، فجاء وقد أهدي له بسبب موقعه ووظيفته، فقدَّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تقويمًا له ولكل أمثاله فصحح التصور حول هدايا العمال، وبيَّن أن الهدايا التي ينالها العامل بسبب الوظيفة العامة لا تحلُّ.

المطلب الثاني: التنوع

تنوعت المجالات التي يعالجها التقويم التربوي ويستهدفها؛ كمجال العقيدة، والعبادة، والمعاملات، والأخلاق والسلوك. كما يظهر التنوع في تعدد استراتيجيات التقويم المستخدمة وطرقه؛ كتقويم الذات، وتقويم الأقران والتقويم من خلال التواصل، والتقويم عقب الأداء والتقويم عقب الملاحظة، كما تتنوع الأساليب، والوسائل، والفعاليات ضمن هذه الاستراتيجيات، ففي الملاحظة تستخدم أنواع الحواس لرصد أداء المتعلمين وتقويمهم، وفي التواصل يستخدم ما تيسر من وسائل الاتصال الشفوية، والإشارية، والكتابية، والمتاح في كل عصر وبيئة.

ويظهر التنوع أيضًا في تعدد الجهات التي تمارس التقويم التربوي، فبالإضافة إلى تقويم الوحي وتقويم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان للصحابة دور كبير في تقويم الأقران.

ويلاحظ التنوع من خلال استخدام النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– أساليب تقويم عديدة بما يناسب الموقف التربوي الذي يشرع في معالجته كالموعظة الحسنة، والترهيب والترغيب، والتحذير، وكذلك الحوار، والمجادلة، والإقناع[1].

ويمكن ملاحظة التنوع في توفير العديد من الخيارات لتصويب الأخطاء، والتكفير عن الذنب، وتعدد بدائل التقويم[2]. كما يظهر واضحًا في كفارات اليمين، والظهار، وكفارة جماع الزوجة في نهار رمضان. وكمثال على ذلك ما رواه أبو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– قَالَ: ((بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: هَلْ تَجِدُ

---

[1] أبو دف: محمود خليل، الاتصال التربوي في السُنّة النبويّة دراسة تحليلية، في أعمال مؤتمر: التواصل والحوار التربوي، نحو مجتمع فلسطيني أفضل، غزة، الجامعة الإسلامية– كلية التربية، 2011م، (ص:16).

[2] انظر: الشطي: المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء، (ص: 300).

رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا. قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ –وَالعَرَقُ المِكْتَلُ– قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا – يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ– أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ))[1]. والشاهد في الحديث توفير ثلاثة خيارات أمام الرجل الذي وقع على زوجته في نهار رمضان؛ فعليه عتق رقبة بداية، فإن عجز عن ذلك أو لم تتوفر الرقبة يصوم شهرين متتابعين، فإن عجز عن الصيام فعليه إطعام ستين مسكينًا. وفي ذلك توسيع على الناس، ورحمة بهم، ومراعاة للفروق الفردية بينهم.

المطلب الثالث: الاستمرارية

من سمات التقويم في السُنّة النبويّة أنه يواكب عملية التعلم، ومستمر معها، ومندمج فيها، كما أنه ليس مؤقتًا ولا محددًا بموعد معين، فلا يشعر المتعلم أثناء تقويمه التربوي بأنه يدخل اختبارًا أو يخرج منه، بل يجري تقويمه من خلال ملاحظة دائمة لأدائه، وأثناء معايشته، وتنفيذه لمهام معينة، ومقابلته والتواصل معه. وهذا ما يسميه التربويون المعاصرون بالتقويم المستمر، ويعرَّف بأنه: "تقويم يُلازم العملية التعليمية من بدايتها حتى نهايتها في جميع خطواتها ومراحلها يُرشِّد خطاها ويُحدد مشكلاتها ويعمل على رفع مستواها"[2].

وكما هو معلوم فقد انطلقت عملية التقويم التربوي النبويّة مبكرًا مع نزول الوحي، تزامنًا مع قوله تعالى: ﴿يأيها المدثر * قم فأنذر﴾ [سورة المدثر: 1–2]، واستمر النبيّ معلمًا ومقوّمًا حتى آخر أيام عمره – صلّى الله عليه وسلّم–. فنجده في حجة الوداع يوصي المؤمنين، فيقول:

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان...، (3/ 32– ح: 1936).

(2) دغمان: نجاة محمد، تطوير أداء معلمات التربية الإسلامية بالمدارس العربية التكميلية في مرحلة التعليم الابتدائي ببريطانيا، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، (ص: 86).

((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا))[1]. ويمكن تصور ما جرى في خطبة الوداع في إطار تقويم ختامي من النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– بعد أن استشعر قرب نهاية مهمته الدعوية والتربوية، فقام بالتأكيد على أمور منها حرمة الدماء والأموال والأعراض.

وقد نقلت السُنّة النبويّة اللحظات الأخيرة من حياته – صلّى الله عليه وسلّم– وكيف استمر يردد التوصية بالصلاة، والتحذير من الاعتداء على حق المرأة والضعيف؛ كما أخرج ابن ماجة عن أُمِّ سَلَمَةَ – رضي الله عنها–، أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: ((الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)) فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى ما يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ[2].

وبالمقارنة مع حجم المطلوب في العملية التربوية النبويّة، فإن حياته – صلّى الله عليه وسلّم– تعد قصيرة؛ لذا نجد حرصه – صلّى الله عليه وسلّم– الكبير على استثمار كل ساعة من حياته في الدعوة والتربية والتقويم، فكان عليه الصلاة والسلام يبدأ يومه بصلاة الفجر جماعة في المسجد، ثم يتوجّه إلى الناس يتخولهم بالموعظة، والتعليم، ويخطب فيهم الجمعة، ويتفقد غائبهم، ويسأل عن أحوالهم، ويزور مريضهم، ويأخذ بمشورتهم، ويقضي بينهم، وأحيانًا يتجول في أسواقهم، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، وسِلمهم وحربهم. في مسار مستمر يجمع بين التعليم والتقويم.

ومن مظاهر استمرار التقويم التربوي استمراره في كل مكان متاح، فنجد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بدأ بدعوته وتقويم أصحابه والناس في المسجد الحرام، وأطراف مكة، وأسواقها، ومواطن الحجيج فيها، وكان قد اختار للمؤمنين دار الأرقم يجتمعون فيها، ويتعلمون، ويُقَوَّمون.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، (2/ 176– ح: 1739).

[2] ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (519/1– ح: 1625). وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. كما قال: البوصيري، أحمد بن أبي بكر، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المحقق: محمد الكشناوي، دار العربية – بيروت، ط2، 1403هـ، (2/ 56– ح: 596).

ولم يقف النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عند حدود مكة المكرمة فهو مبعوث للناس كافة، كما قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [سورة سبأ: 28]، ولذلك تحرك بنفسه لدعوة أهل الطائف، وهاجر إلى يثرب، ووجَّه الرسائل والمبعوثين؛ يهدون، ويعلِّمون، ويقوِّمون كل ذلك على امتداد حياته – صلّى الله عليه وسلّم– في مسعى منه لتقويم عقائد الناس، وتصوراتهم، والارتقاء بأخلاقهم وتعديل سلوكهم.

ومن مظاهر التقويم التربوي النّبويّ أنه يستمر بتقويم المتعلم في مراحل عمره، ولا يمنع شرف المرء، وفضله من دوام طلبه العلم، وقبوله التقويم، وقد كان لنا في موسى – عليه السلام– أسوة حسنة حين رحل يطلب العلم ويتلقى أثناءه التقويم مرات، وكذلك حال نبينا المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– قد قوَّمه ربه – سبحانه وتعالى– في مواقف عديدة، وأرشده لما فيه خيره وخير أمته، كما في قوله تعالى: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما﴾ [سورة طه: 114]. يقول الرازي: "المقصود منه التنبيه على أن العبد قط لا ينتهي إلى حالة يستغني عن التعلم، سواء كان نبيًّا أو لم يكن"[1]. لذلك أقبل جيل الصحابة – رضي الله عنهم– على طلب العلم ونشره، وتبادلوا التقويم والنصح أثناء ذلك.

ويعتبر التقويم المستمر من قواعد التربية والتعليم التي اعتمدها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مع كل متعلم مهما بلغ من العمر والفضل، فكل من وقع منه خطأ، أو ارتكب منكرًا يجب تنبيهه وتقويمه بما يناسبه؛ فقد قوَّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أبا ذَرٍّ – رضي الله عنه– على كبر سنهِ وفضله، فقال له: ((إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ. فقال أبو ذَرٍّ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قال: نَعَمْ))[2].

وقوَّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– معاذ بن جبل – رضي الله عنه– وشدد عليه رغم حبه له، فقال له– صلّى الله عليه وسلّم–: ((يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ، أو أَفَاتِنٌ، ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَلَوْلَا

---

[1] الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 3، 1420 هـ، (6/ 517).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب ما ينهى من السباب، (8/ 16– ح: 6050).

صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ، وَالضَّعِيفُ، وَذُو الحَاجَةِ))[1][2].

وقوَّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– سلوك عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– على فضله ومكانته، حين حلف بغير الله تعالى، كما ورد في رواية البخاري عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما–: أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أَدْرَكَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ، يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: ((أَلاَ إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أو لِيَصْمُتْ))[3].

المطلب الرابع: تقويم واقعي

ويمكن القول بأن الشواهد في السُنّة النبويّة تؤكد أن التقويم التربوي حظي بمستوى كبير من الواقعية، فقد كان يجري بسلاسة ودون تكلُّف في الأدوات والوسائل، وابتعد عن صناعة أجواء التوتر التي تفرضها الاختبارات المعروفة في عصرنا. وتعامل بإيجابية مع ما توفره البيئة من إمكانات ذلك الزمان، فكان اقتصاديًّا ومناسبًا ومتدرجًا ومرنًا يقبل تعديل أدواته وبغيرها كلما دعت الحاجة أو يطوّرها إن أمكن ذلك، ومن واقعيته تعدد طرقه وأساليبه وأدواته لتناسب ظروف المتعلمين والفروق بينهم.

ومما تذكره السُنّة النبويّة استخدام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الأدوات المتاحة في بيئته حتى البسيط منها في عمليات التقويم التربوي، كما في حديث جَابِرِ بن عبد اللهِ – رضي الله عنه– أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ((مَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قال: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: ما نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قال: أَتُحِبُّونَ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، 142/1)–: ح705). (بناضحين) مثنى ناضح ويستعمل في سقي الشجر والزرع من الإبل. (فانطلق الرجل) فارقه ولم يتم صلاته معه.

(2) انظر: اليوسف: عبد الرحمن بن عبد الخالق، الصراط أصول منهج أهل السُنّة والجماعة في الاعتقاد والعمل، المنصورة –مصر، دار الهدي النبوي، ط 4، 1421هـ–2001م، (ص: 95، 98).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، (8/ 132– ح: 6646).

أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ))[1]. وهو بهذه المقارنة والتشبيه، يستثمر المحسوس من أبسط الأشياء وأقلها قيمة؛ ليدلل ويوضح معاني مجردة مهمة تدفع للزهد بالدنيا ومتاعها، وتؤكد –بلا ريب– حقارة هذه الدنيا، وقصرها بالمقارنة مع الآخرة. وهو بذلك يعرِّض بكل من تعلَّق قلبه بها تعلقًا يشغله عن الاستعداد للآخرة وما فيها من لقاء الله تعالى وحسابه.

إن الواقعية في التقويم التربوي النّبويّ تجلَّت بالمرونة في تغيير الوسائل والطرق والأدوات كلما دعت إلى ذلك الحاجة، فالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– استخدم المتيسر منها، فمثلًا رسم على الرمل؛ ليقوِّم تعلق الناس بالدنيا وطول أملهم فيها. واستثمر ما يجري فيها من سنن، وأحداث، وموجودات لبناء قيم، وصياغة توجهات إيجابية عند المتعلمين؛ كما في حديثه عندما سأل عن الشجرة التي تشبه المؤمن من حيث كثرة النفع، واستمرار الخير، كما في حديث عبدالله بن عُمَر– رضي الله عنه– قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ)) فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (هِيَ النَّخْلَةُ)[2].

وقد وافق على اقتراح أصحابه لصناعة منبر خشبي بسيط من ثلاث درجات؛ ليقف عليه عند الخطبة، فيسهل رؤية الناس له حين يخطب بهم معلمًا ومقوِّمًا، وتذكر السُنّة أنه – صلّى الله عليه وسلّم– صعد عليه مرة فصلَّى عليه أمام الناس رجاء تقويم طريقتهم في أداء الصلاة، ثم قال لهم عقب ذلك: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي))[3].

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (4/ 2272– ح: 2957).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدِّث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، (1/ 22– ح: 61). (مَثَلُ المسلم) شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام. (فوقع الناس) ذهبت أفكارهم وجالت. (البوادي) جمع بادية وهي خلاف الحاضرة من المدن. انظر: النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (17/ 154).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، (1/ 386– ح: 544).

ومن الجدير ذكره أن التقويم التربوي في السُنّة النبويّة كان مرتبطًا بواقع المتعلمين وحياتهم العملية وما يحتاجونه من خبرات ومهارات ذات قيمة ومعنى بالنسبة لهم، وتنفعهم في شؤون حياتهم الدنيا، وتحقق لهم رضا الله – سبحانه وتعالى– ورسوله عليهم. فلم يكن اكتساب العلم والمعرفة ترفًا، ولم تكن إجراءات التقويم التربوي شكلية أو فقاعية، فهذا مما يرفضه منهج التقويم في السُنّة النبويّة الذي حرص جدًا على ربط العلم بالعمل والقول بالفعل، بل إن الإيمان في منظور التقويم التربوي النّبويّ لن يكون كاملًا إن لم يقترن بالعمل؛ لذا تعددت النصوص التي ترفع مكانة العمل، وتؤكد على ضرورة الإحسان فيه وتجويده، فقد وردت كلمة "عمل" بتصريفاتها ولواحقها اللغوية في القرآن الكريم (359) مرة، وذكر العمل الصالح فيها (90) مرة، وربط العمل الصالح بالإيمان في (62) مرة[1]، وفي ذلك تأكيد على مكانة العمل، وأهميته وأنه ثمرة الإيمان والعلم.

إن الواقعية في التقويم التربوي النّبويّ تفرض أن يترجم القول إلى عمل، وأن يترجم الإيمان والفهم والعلم إلى سلوك، وقد نبَّه الله – سبحانه وتعالى– إلى هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [سورة الصف: 2–3]. وعليه فواقعية التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، تجعل اهتمام التقويم ينصب على توظيف المعارف والعلوم لبناء المهارات والاتجاهات؛ لتظهر في أداءات حقيقية في واقع الحياة؛ لتعبر بصدق عن الأهداف، والغايات من العملية التربوية النبويّة.

وكذلك الأمر في نصوص السُنّة النبويّة، فقد تعددت الأحاديث التي كانت تدفع الناس إلى العمل دفعًا، فرفعت من شأن العمل الإنتاجي والمعاشي، وأمرت به، وشجَّعت عليه، وقدرت

[1] عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (ص: 483).

صاحبه[1]، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلًا، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَبِيعَ، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهِ وَجْهَهُ؛ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ))[2].

ومن مظاهر الواقعية في التقويم التربوي في السُنّة النبويّة عنايته بالتقويم الذاتي والتعويل عليه كثيرًا في تحقيق الرقابة الذاتية لترك سلوكات خطأ، وتعزيز الدافعية لعمل الصالحات عمومًا، والإحسان فيها، والإقبال عليها، فالنصوص التي تذكر المتعلم بأن الله تعالى يراه عديدة، وأنه يحصي عليه أعماله ويعرضها عليه يوم الحساب، منها قوله – صلّى الله عليه وسلّم– في الحديث القدسي، قول الله تعالى: ((يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))[3].

وفيما يتعلق بإتاحة الفرصة للمتعلم ليكون له دور مؤثر في مسار التقويم، فإن السُنّة النبويّة حفلت بالشواهد على مبادرات الصحابة – رضي الله عنهم– في تقويم أقرانهم، كتقويم أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما– حين: ((بَعَثَ رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم– عَمْرَو بنَ الْعَاصِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ – رضي الله عنهم–، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى مَكَانِ الْحَرْبِ أَمَرَهُمْ عَمْرٌو أَنْ لا يُنَوِّرُوا نَارًا، فَغَضِبَ عُمَرُ وَهَمَّ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ، فَنَهَاهُ أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه– وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَيْكَ إِلَّا لِعِلْمِهِ بِالْحَرْبِ، فَهَدَأَ عَنْهُ عُمَرُ – رضي الله عنه–))[4]. وذكرت السيرة كثيرًا من مراجعات الصحابة للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– فقد كانوا يقترحون عليه أفكارًا داعمة؛ ومما اشتهر من ذلك مراجعات عمر – رضي الله عنه.

---

(1) انظر: أبو محمود: محمود مصطفى، المضامين التربوية في آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم وتطبيقاتها، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية، برنامج أكاديمية باشاك شهير، جامعة اليرموك، إسطنبول، 2019م، (ص: 143).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب بيع الحطب، (3/ 113– ح: 2373).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (4/ 1994–ح: 2577).

(4) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب المغازي والسرايا، (3/ 45– ح: 4357). وقال: صحيح الإسناد.

وفيما يرتبط بتنوع وسائل التقويم التربوي فقد بيَّنت السُنّة النبويّة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لم يترك طريقة متاحة في التعليم أو التقويم إلا كان له نصيب منها، وقد سعت هذه الدراسة لتأصيل خمس من استراتيجيات التقويم التربوي طبقها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وتضمنت العديد من الطرق، والوسائل، والأساليب، والأدوات.

المطلب الخامس: تقويم ممتد الأثر

ومن سمات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة أنه تقويم أثره ممتد، فمع أنه يحدث في إطار مكان وزمان محدودين عاش فيهما النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مع المتعلمين من أصحابه – رضي الله عنهم– إلا أن تقويمه كان يتعدى خصوصية المكان والزمان؛ ليعطي حكم الحالة وتقويمها لأي موقف مشابه، سواء أكان ذلك أثناء حياته – صلّى الله عليه وسلّم– أو بعد مماته، وسواء كان بالقرب منه جغرافيًّا أو بعيدًا عنه، فالتقويم التربوي في السُنّة النبويّة – عمومًا– تقويم يمكن محاكاة مضمونه وأسلوبه مع اختلاف المكان، وطول الزمان. ونذكر فيما يأتي شواهد على ذلك:

- يمكن ملاحظة معالجة التقويم التربوي في السُنّة النبويّة لواقع المتعلم بما يخدم مستقبله من خلال توجيه الطاقات واستثمار الأوقات بالإعداد والحفاظ على المهارات وتنميتها، كما في حديث عقبة بن عامر[1] – رضي الله عنه–، قال: سمعت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وهو على المنبر، يقول: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [سورة الأنفال: 60]، ((أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))[2]. وفي رواية أخرى يقول عقبة – رضي الله عنه–، سمعت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يقول: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ))[3]، وفي رواية أنه – رضي الله

---

(1) عقبة بن عامر الجهني: صحابي، ولي غزو البحر، مات بمصر عام (58 هـ). انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق، محمد عوامة، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط 1، 1413 هـ، (2/ 29).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، (3/ 1522– ح: 1917).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، (3/ 1522– ح: 1918).

عنه– شوهد يخْتَلِفُ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ وهو كَبِير السنِّ، فسئل عن ذلك، فقال: لَوْلَا كَلَامٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لَمْ أُعَانِيهِ، قال: ((مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا. أَوْ: قَدْ عَصَى))[1]. والشاهد في مجموع الأحاديث عن: عقبة – رضي الله عنه– أن التقويم النّبويّ تضمن توجيه السلوك للتدريب، والعناية بالرمي في أوقات السلم، وأوقات الحرب، مظنة دوام الاستعداد لتملك أسباب القوة، كما أن فيه تحذيرًا من الاسترخاء والدعة، ثم يتجاوز التقويم التربوي الحالة الفردية التي عاينها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ويتعداها إلى تعميم التقويم؛ ليشمل أفراد المجتمع المسلم وشرائحه، وحتى الدولة بحكم مسؤوليتها عن توجيه الطاقات نحو الإعداد عمومًا، وللرماية خصوصًا، وأن عليها تسهيل بيئة التدريب، ووضع الحوافز لذلك في حالتي السلم والحرب. فقد تجلى التقويم التربوي في أوقات السلم بتوجيه طاقة اللعب والرياضة نحو النوع الأكثر تأثيرًا، وأهمية وهو الرمي بأنواعه. ويبلغ هذا التقويم التربوي مداه في أثره ونتيجته الظاهرة على راوي الحديث عقبة بن عامر – رضي الله عنه– الذي ما فتِئ يمارس الرماية، ويروح ويأتي بين الأغراض مع كبر سنه وضعف جسده؛ كل ذلك امتثالًا لوصية الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– وتقويمه الذي يمتد عبر الزمان، وليكون قدوة لغيره من شباب المسلمين.

- يمكن ملاحظة أن كثيرًا من المواقف التقويمية التي نفذَّها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وما تضمنته من توجيهاته في حياته تندرج تحت القاعدة الأصولية المشهورة أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب". بمعنى: إذا ورد اللفظ العام على سبب خاصٍّ فهو على عمومه حتى يدل دليل على إرادة القصر على السبب؛ أي إن الآية إذا نزلت جوابًا لسؤال أو فصلًا في واقعة، أو ورد الحديث على نحو ذلك، فلا تأثير لذلك السبب في إجراء الحكم على كل ما أفاده لفظ العموم[2]. ومن الشواهد من السُنّة على هذه القاعدة حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه–: ((أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى رسول الله – صلّى الله

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، (3/ 1522– ح: 1919).

(2) انظر: العنزي، عبد الله بن يوسف، تيسير علم أصول الفقه، بيروت – لبنان، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط 1، 1418– 1997م، (ص: 276).

عليه وسلّم– فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِك ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [سورة هود: 114]. قال الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِهِ؟ قال: لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي))[1].

- في موقف آخر، يحاكي فيه صحابي موقفًا تقويميًّا لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يرويه سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ، فيقول: ((مَرَّ ابنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابن عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابن عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا))[2]. والشاهد محاكاة الصحابي للأداء التقويمي عندما تكرر الموقف أو دعت الحاجة له ولو بعد حين.
- ونحو ذلك ما روي عن عبد الله بن السعدي[3]، ((أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رضي الله عنهما– في خلافته، فقال له عُمَرُ: ألم أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فَإِذَا أُعْطِيتَ العمَالَةَ كَرِهْتَهَا؟ فقلت: بلى، فقال عمر: فما تريد إلى ذلك؟ قلت: إن لي أفراسًا وأعبدًا وأنا بخير، وأريد أن تكون عُمَالَتِي صدقة على المسلمين. قال عمر: لا تَفْعَلْ، فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ، فكان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يعطيني العطاء، فأقول: أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالًا، فقلت: أعطه أفقر إليه مني، فقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: خُذْهُ، فَتَمَوَّلْهُ، وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَإِلَّا فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ))[4]. ومعنى قوله (غير مُشْرِفٍ) أي غير طامع وناظر إليه. ومعنى (إلا) أي: وإن لم يجئ إليك فلا تتبعه نفسك في طلبه واتركه. يقول الكرماني:

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [سورة هود: 114]، (6/ 75– ح: 4687).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصيد، باب النهي عن صبر البهائم، (3/ 1550– ح: 1958).

(3) عبد الله بن عمرو السعدي – رضي الله عنه–: أسلم يوم فتح مكة، وصحب النبيّ – صلى الله عليه وسلم – ثم تحول إلى الشام، فنزل دمشق ومات هناك سنة (57 هـ). انظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة، 1415 هـ – 1995م (31/ 312).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب رزق الحكام والعاملين عليها، (9/ 67– ح: 7163).

"فإن قُلتَ لِمَ مَنَعَهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– من الإيثار؟ قلتُ: إنما أراد الأفضل والأعلى من الأجر، لأن عمر – رضي الله عنه– وإن كان مأجورًا بإيثاره على الأحوج، لكن أَخْذهُ ومباشرته الصدقة بنفسه أعظم لأجره؛ وذلك لأن الصدقة بعد التموُّل تدفع الشُّح الذي هو مستول على النفوس، وفيه أن من اشتغل بشيء من عمل المسلمين له أخذ الرزق عليه"[1]. والشاهد: تكرار الموقف التقويمي لتكرار سببه بعد سنوات من وفاته – صلّى الله عليه وسلّم–، فصار المتعلم في الموقف التالي معلِّمًا ومقوِّمًا، وأفاد من تجربته التقويمية السابقة مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–.

وفي العموم فإن التأسي الذي أمرنا به، والسُنّة النبويّة التي أمرنا باتباعها تجعل المسلم يَتوجَّه باستمرار لتكرار المواقف التقويمية الذي نفذها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– والتي تتميز بإمكانية محاكاتها.

المطلب السادس: تقويمٌ مَحَكِّي المرجع

ومن تتبع التقويم التربوي في السُنّة النبويّة يظهر أنه –غلب عليه – أنه تقويم مَحَكَّي المرجع، بمعنى أنه يركِّز على تتبع أداءات الصحابة وملاحظة سلوكهم – رضي الله عنهم– وتقويمها بطريقة بعيدة عن المقارنة بينهم.

وللتذكير فالتقويم التربوي يصنّف في نوعين بناءً على طريقة تفسير نتائجه، فالنوع الأول: تقويم توافقي يستند عند قراءة نتائجه إلى الأقران ومستوى المتعلم مقارنة بهم، كقولك: إن ترتيبَ فلان الأول في صفه الذي يتكون من عشرين طالبًا، بغض النظر عن مستوى إتقانه المعرفي أو المهاري.

أما النوع الثاني – وهو محل البحث في هذا المطلب– فهو تقويم يقرأ النتائج ويصدر الأحكام استنادًا لمستوى أداء معرفي أو مهاري أو سلوكي معين مرتبط بهدف معلوم مسبقًا،

---

[1] الكرماني، محمد بن يوسف، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، بيروت–لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1401 هـ – 1981م، (24/ 211).

ويوصف هذا النوع من التقويم ويسمى بالتقويم محكّي المرجع؛ فهو يقارن أداء المتعلم وإنجازه بمدى تمثله للأهداف وتحقيقه لمؤشراتها؛ بغض النظر عن مستوى أقرانه.

فالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان يبين لأصحابه الأداءات المطلوبة –والتي يُعبَّر عنها بالمحكَّات المرجعية– وكان يضيف إليها أحيانًا معايير ترفع مستوى جودتها، كدعوته إلى الإتقان، والإحسان، وتحمُّل المسؤولية، والتثبت والدقة في النقل.

ثم نجده – صلّى الله عليه وسلّم– بعد ذلك يقوّم أداء أصحابه، ويصدر أحكامًا بناء على ما بيَّن لهم من معايير.

وفيما يأتي شواهد على بعض المحكَّات الأدائية من السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

- يعتبر حديث جبريل – عليه السلام– الذي أخرجه البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ شاهدًا مناسبًا على جملة من المحكَّات الأدائية تم توضيحها للصحابة المتعلمين – رضي الله عنهم– فقد بينت الرواية أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ– جالسا بينهم– فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ– فجلس بالقرب منه وبدأ بسؤاله على مرأى ومسمع من الصحابة، فَقَالَ: ((ما الإِيمَانُ؟ قال: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ. قال: ما الإِسْلاَمُ؟ قال: "الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ. قال: ما الإِحْسَانُ؟ قال: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))[1]. والشاهد أن الحديث تضمن مجموعتين من المحكَّات المرجعية، الأولى كانت أركان الإيمان التي مكانها القلب، والثانية أركان الإسلام التي تظهر على الجوارح. ثم تضمن الحديث معيارًا يرفع مستوى الأداء وهو الإحسان؛ وهو بهذا المعيار يتجاوز شكلية الأداء إلى مستوى الإتقان وجودة المضمون. وعليه سيكون لاحقا تقويم أداء المتعلمين وفق معيار القيام بجميع هذه الأركان، ومراعاة الإحسان فيها.
- من جانب آخر؛ فيذكر أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في تقويمه كان يحكم على الأداءات دون أن يتعرض لذِكْر اسم المتعلم المُقَصّر –المعنيّ بالتقويم– خاصة إن كان

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل – عليه السلام–، (1/ 19– ح: 50).

جاهلًا أو طالب علم أو سائلًا، فيقول عبارته المشهورة: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ"، أو عبارة " لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ ". كما في قوله – صلّى الله عليه وسلّم: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً))[1]، وقوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ...))[2]، وقوله – صلّى الله عليه وسلّم– ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ))[3]، وقوله – صلّى الله عليه وسلّم– ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، أو لا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ))[4]، وفي تركه – صلّى الله عليه وسلّم– التصريح بأسماء الأشخاص، وتركيزه على الأداء والسلوك ما يؤكد أن التقويم في السُنّة النبويّة محكّي المرجع، وأنه ينظر إلى انعكاس الأهداف على أداء المتعلمين، وليس معنيًّا بعقد المقارنات بينهم، أو ترتيب درجاتهم.

- وكذلك كان الأمر في حكمه وثنائه – صلّى الله عليه وسلّم– فكان كثيرًا ما يمتدح أداء المتعلمين وخاصة الجماعي منه، كما في تقديره للمجاهدين المشاركين في غزوة بدر بقوله: "لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[5] والشاهد في الحديث أنه جعل المشاركة في الجهاد في غزوة بدر شرفًا، ومعيارًا للتقويم والتقديم.
- وفي موقف آخر يقوّم فيه صنيع الأشعريين، ويثنى على تكافلهم، كما في حديث أَبِي مُوسَى، قال: قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))[6]. والشاهد تقويمه – صلّى الله عليه وسلّم– للأشعريين

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب علمه – صلى الله عليه وسلم– بالله تعالى وشدة خشيته، (4/ 1829– ح: 2356).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، (8/ 26– ح: 6101).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، (2/ 591– ح: 865).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الأذان، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء، (1/ 321– ح: 750).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، (4/ 59 – ح: 3007).

(6) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام، (3/ 138– ح: 2486).

–عمومًا– بما أظهروه من صورة رائعة لتكافلهم الاجتماعي، فاستحقوا عليه التقدير والاحترام، وهو بذلك يدفع الناس للتأسي بهم، والسير على نهجهم.

- وحتى لو ذكر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– اسم الصحابي المتعلم – وقد يحصل ذلك أحيانًا– أثناء تقويمه؛ فيكون في معرض الثناء على أدائه وإنجازه ومهارته، كما في ثنائه على عثمان بن عفان – رضي الله عنه– من عظيم جوده وكرمه، كما روى ذلك عبد الرَّحْمَنِ بن سَمُرَةَ – رضي الله عنه– قال: ((جَاءَ عُثْمَانُ – رضي الله عنه– إِلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بِأَلْفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ. قال عبد الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: مَا ضَرَّ عُثْمَانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ، مَرَّتَيْنِ))[1].

إن الأحاديث السابقة وشواهدها تؤكد تقويم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه بناء على محكَّات مرجعية، وأهداف كان قد بيَّنها لهم وعلَّمهم إياها مقدمًا وكان – صلّى الله عليه وسلّم– يكرر التذكير بها كلما سنحت الفرصة. ومن الجدير ذكره أن هذه الطريقة مظنة أن تحدث أثرًا مباركًا على المتعلم بتعزيزه وتثبيته، وعلى من حوله من الأقران فيتأسون بفعله.

المطلب السابع: تقويم تعاوني

بمعنى أن عملية التقويم التربوي التي تمت على جيل الصحابة الأول ما كانت لتتم لولا المستوى العالي من التعاون الذي أبداه الصحابة – رضي الله عنهم– وعظيم مؤازرتهم ومشاركتهم وتفاعلهم مع الإجراءات التقويمية التي كان يجريها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومحاكاتهم لها عند رجوعهم إلى أسرهم، وبين أقرانهم.

فالتقويم ليكون مؤثرًا وناجحًا يَفْرِضُ على المعلم، والمتعلم، وولي الأمر، والمشرفين، والمدراء، والأقران أن يؤدي كلٌّ دوره في عملية التقويم، وأن يستعين بالآخرين لتحقيق النواتج

[1] الترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في مناقب عثمان، (5/ 626– ح: 3701). وحسَّنه الترمذي.

التعليمية المنشودة؛ وهذا يساعد كلًّا من المتعلم، والمعلم على الانتقال من الوضع التعليمي الحالي إلى وضع آخر متقدم[1].

ومن خلال التعاون والتآزر – في تنفيذ إجراءات التقويم التربوي– تتوسع دائرة المشاركة في الأحكام التقويمية وتزداد صوابيتها، ودقتها، ويتقبلها المتعلمون، بالمقارنة مع القرارات الفردية والتي هي أكثر عرضة للرفض بسبب احتمال خطأ الحواس، أو الوقوع في التحيز. كما يزيد التعاون في التقويم التربوي من تفاعل الأطراف، ويتيح فرصة أكبر للمشاركة في إصدار الأحكام لكل المعنيين، فحجم التقويم بصورته الشاملة، وارتباطه بجوانب متعددة من العملية التعليمية، والحياتية يحتم أن يشترك فيه أشخاص بوجهات نظر متعددة[2].

في التقويم النّبويّ يمكن ملاحظة أن العملية التقويمية كان يتم مساندتها، ودعمها من عدة أطراف كالأسرة، والأقران والمجتمع، ومن الشواهد ما جرى في حادثتي الإفك، وحادثة مقاطعة المخلفين الثلاثة عن غزوة تبوك، فقد تضافرت جهود الصحابة – رضي الله عنهم– مع جهود النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– التقويمية في التقصي، والتشخيص، وفي العلاج وإصدار الأحكام.

ومن مظاهر هذا التعاون في التقويم التربوي أنه وفي الوقت الذي كان فيه الكثير من الصحابة – رضي الله عنهم– يخرجون للجهاد لنشر الإسلام كان ثمة من يبقى منهم لسياسة الناس، وإفتائهم، وتربيتهم، وتعليمهم، وتقويمهم، فكان أبو هريرة، وأنس، وعائشة، يحفظِّون الحديث، ويروونه، وكان أبو ذَرٍّ، وأبو الدرداء، وغيرهم يعظون الناس، وينصحونهم، في تعاون مستمر وتوزيع للأدوار[3].

---

(1) انظر: الثوابتة وفريق عمل، استراتيجيات التقويم وأدواته، الأردن، مديرية الاختبارات، (د. ط)، 2004، (ص: 20).

(2) انظر: الربيعي وآخرون، الإشراف والتقويم في التربية والتعليم، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية، (د. ط)، 2020م (ص: 128).

(3) العرعور، عدنان بن محمد، التيه والمخرج، الجيزة – مصر، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع ط2، 1416 هـ - 1995م، (ص: 54).

وإن السُنّة النبويّة مليئة بشواهد على تعاون الصحابة مع الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– ومع بعضهم في مجال تنفيذ التقويم التربوي، وثمة صور عديدة من المؤازرات طبَّقها الصحابة – رضي الله عنهم– أو ندبت لها السُنّة النبويّة كالتعاون في نصرة المظلوم، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الثَّبات على الحقِّ والتمسُّك به، وعند أداء الواجبات وتلبية الاحتياجات. ومن ذلك تعاون كل صحابي بتقويم زوجته، وأقرانه، وعشيرته، وجيرانه، وتعليمهم، وإرشادهم، ونصحهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

وعند الحديث عن تعاون الصحابة ودورهم التعليمي التقويمي تبرز أسماء كمصعب بن عمير – رضي الله عنه– أول مبعوث حمل القرآن الكريم وعلَّمه المؤمنين من أهل يثرب، كما روى البَرَاءُ بنُ عَازِبٍ – رضي الله عنهما–، قال: "أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ"[1].

وقد مارس الصحابة – رضي الله عنهم– التقويم التربوي لبعضهم أمام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وفي حضرته كما في موقف تقويم حَاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَةَ – رضي الله عنه– بعد انكشاف محاولته تسريب أخبار المسلمين إلى قريش، فحقق مع حاطب أمام الصحابة – رضي الله عنهم– فأشار عمر بن الخطاب بعقابه بالقتل، لكن تاريخ حاطبٍ المشرف، ومشاركته في غزوة بدر شفعت له كما أخبر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–[2].

وكان من تعاون الصحابة – رضي الله عنهم– عرضهم أفكارهم التقويمية، وآراءهم العلاجية كلما قدَّروا حاجة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لذلك، أو حين يطلب منهم الرأي والمشورة أو الدعم التربوي، كما حدث في قضية أسرى بدر، وفي حادثة الإفك، فقد سأل – صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه عن تقديرهم للموقف وعن رأيهم، ثم بنى قراره بناء على ذلك.

وأحيانًا كان أفراد المجتمع يندفعون لتنفيذ مشهد تقويمي مبني على رصديهم الكبير من القيم والمبادئ، كما جرى مع العائدين من غزوة مؤتة ونعتهم بالفُرَّار، مما جعل المجاهدين –

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبيّ – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه المدينة، (5/ 66– ح: 3925).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، (4/ 59 – ح: 3007).

لاحقًا- يحسبون ألف حساب قبل أن يفكر أحدهم بالفرار من مواجهة مع الكفار. وتذكر الرواية أن بعض الصحابة - رضي الله عنهم- حبس نفسه في بيته من كثرة ما كان يتعرض له من لوم أقرانه بسبب ما جرى من انسحابهم يوم معركة مؤتة، وقد روى نحوًا من ذلك ابن إسحاق: أن أم سلمة - رضي الله عنها- زوج النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- قالت لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: ((ما لي لا أَرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ؟ -فأجابَتْها- فقَالَتْ: وَاَللَّهِ ما يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ، كُلَّمَا خَرَجَ صَاحَ بِهِ النَّاسُ يَا فُرَّارُ، فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَمَا يَخْرُجُ))[1].

وجرت نحوًا من ذلك مشاركة فاعلة وحاسمة من المجتمع المسلم في مقاطعة الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك فأثمر تعاونهم نجاح التقويم التربوي، وتحقُّق أغراضه.

ومن شواهد تعاون الأمهات في تقويم الأبناء ما روته الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذٍ - رضي الله عنها-، قالتْ: ((أَرْسَلَ النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ: مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَصُمْ، قالتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ العِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ))[2]. والشاهد عظيم استجابة نساء الصحابة - رضي الله عنهن- لتوجيهات النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- وتعاونهن في تقويم أسرهن وأبنائهن، وتحملهن مشقة تدريب الأبناء وتعويدهم العبادات والصيام، مع ملاحظة ما أجمع عليه العلماء -كما يقول ابن بطال- "أنه لا تلزم العبادات والفرائض إلا عند البلوغ، إلا أن كثيرًا من العلماء استحبوا أن يدرب الصبيان على الصيام، والعبادات؛ رجاء بركتها لهم، وليعتادوها، وتسهل عليهم إذا لزمتهم"[3].

---

[1] ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف، (د. ط)، بيروت: دار الجيل، 1411 هـ، (2/ 383).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، (3/ 37- ح: 1960).

[3] ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1423 هـ - 2003م، (4/ 107).

وقريب من ذلك ما رواه أَنَس بن مالك – رضي الله عنه–، قال: ((أَتَى عَلَيَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قال: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قالتْ: ما حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بَعَثَنِي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لِحَاجَةٍ، قالتْ: ما حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قالتْ: لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أَحَدًا))[1].

وفي الحديث دلالة على دعم الأسرة وأمهات الصحابة – رضي الله عنهن– لجهود النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عمومًا وحث الأبناء على طاعته وحفظ سره. وهذه الشواهد من الأحاديث تؤكد على أن التعاون كان سمة أساسية للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة.

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل أنس بن مالك، (4/ 1929– ح: 2482).

المبحث الثالث: مجالات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

إن التقويم التربوي في السُنّة النبويّة عمل في مجالات عديدة ترتبط بعناصر المنهج الأربعة، وبأطراف العملية التربوية من المعلم والمتعلم والبيئة التعليمية، وفي هذا المبحث يتم التركيز على ثلاثة مجالات للتقويم التربوي في السُنّة وهي: التقويم التربوي في مجال أهداف العملية التربوية النبويّة، والتقويم التربوي في مجال التعامل مع محتوى الرسالة النبويّة، والتقويم التربوي في مجال طرائق التربية والتعليم.

وفيما يأتي من مطالب نفصِّل في هذه المجالات الثلاثة:

المطلب الأول: التقويم في مجال أهداف العملية التربوية النبويّة

يرتبط التقويم التربوي بالأهداف ارتباطًا وثيقًا، فهي تشكل معايير الأداء ومؤشراته التي يقاس بها مستوى نجاح العملية التربوية؛ لذا فالتقويم يكون حاضرًا عند وضع الأهداف، سواء أكانت أهدافًا كبرى عامة أو أهدافًا إجرائية؛ ليعتني بتقويم مصادرها، وبتكاملها، وشمولها، وصياغتها، وتقديمها، أو تأخيرها، أو تدرجها، كما يراقب التقويم أيضًا طريقة التعامل مع الأهداف أثناء الإعلان عنها، والتذكير بها ومراجعتها أثناء العملية التربوية.

ويمكن ملاحظة أن أهداف الرسالة النبويّة الكبرى كانت تسير في ثلاث مسارات كبرى، **الأول**: تحقيق أركان الإيمان والتوحيد، **والثاني**: تتميم مكارم الأخلاق، **والثالث**: تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. وكلها تندرج تحت هدف كبير وهو السعي لتحقيق فلاح الإنسان في الدنيا والآخرة[1]. وبلا شك فقد عبّرت السُنّة النبويّة عن هذه الأهداف إجمالًا وتفصيلًا، وذكَّرت بها في أكثر من مناسبة.

وفيما يلي تتبع لطريقة تعامل السُنّة النبويّة مع أهداف المنهج التربوي النبوي:

---

[1] طارق سويدان، أهداف الإسلام الكلية، ملف فيديو على قناته على اليوتيوب، https: //2u. pw/vx9PT.

أ- القرآن الكريم والسُنّة مصدرا الأهداف التربوية

بداية فقد استقى المنهج النبوي أهدافه التربوية من وحي القرآن الكريم والسُنّة بشكل رئيس، فهما كانا منبعًا للأهداف التربوية التي تلقاها المتعلمون بالقبول؛ لإيمانهم أن هذا المصدر المقدّس موحى به من الله تعالى خالق البشر والعالم بما يصلح لهم.

وقد تضمن الوحي بشقيه الأهداف العامة وكثيرًا من مؤشراتها الإجرائية والتي من أشكالها تطبيقات العبادات الخاصة كالصلاة والصيام والزكاة.

ويلاحظ أن الآيات القرآنية نزلت متضمنة لهذه الأهداف ومعبرة عنها بكلام مبين، قال: ﴿قل هو الله أحد* الله الصمد﴾ [سورة الإخلاص: 1-2]، ويقول سبحانه: ﴿وما أرسلنا من قبلك مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: 25]، في إشارة إلى هدفي التوحيد والعبودية له – سبحانه وتعالى- وتلازمهما، وأنهما حق له سبحانه وحده.

وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعهاولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [سورة الجاثية: 18]، في إشارة لهدف كبير وأساسي في المنهج التربوي النبويّ يتمثل في تطبيق تفصيلي شامل لأحكام الشريعة الإسلامية، ورفض ما سواها من شرائع البشر الوضعية.

وقال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: 90]، في إشارة إلى أهداف تفصيلية لمنظومة الأخلاق الحميدة التي تضمنها وحي القرآن الكريم والسُنّة، ودعا الناس لتمثلها من خلال العملية التربوية النبويّة. يقول السعدي: "فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل، أو إحسان، أو إيتاء ذي القربى، فهي مما أمر الله به. وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه"[1].

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ- 2000م، (ص: 447).

ب- الصياغة الواضحة والمحددة للأهداف

عرض القرآن الكريم، وهو محتوى المنهج، بعض الأهداف الرئيسة بصياغة واضحة محددة موجزة، فعلى سبيل المثال أُبْرِز هدف "توحيد الله تعالى بالعبادة" بشكل كبير وواضح كما في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: 24].

كما تم التأكيد على الهدف ذاته بنحو تلك الصياغة الموحدة تمامًا في سبع مواضع في القرآن الكريم، في أربع قصص من قصص الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، وشعيب – عليهم السلام: نحو قوله تعالى: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [الأعراف: 59]، [الأعراف: 65]، [الأعراف: 73]، [الأعراف: 85]، [هود: 50]، [هود: 61]، [هود: 84]. كما ورد التعبير عن ذات المضمون بصياغات قريبة أخرى مرات عديدة في القرآن الكريم. ويظهر الشاهد في هذه الصياغة الرائعة المعبرة والدقيقة لأهم هدف في الرسالة الإسلامية، حيث صيغ بجملة واحدة لم تتعدَّ سبع كلمات، وشملت الإيمان بالتوحيد، وما يترتب عليه من عبادة، وعمل.

وقد استندت السُنّة النبويّة لهذا الرصيد العظيم من الأهداف التي تضمنها القرآن الكريم، وعملت على تفصيلها والتركيز عليها بعبارات جامعة الدلالات. فمما وهبه الله لنبيه محمد – صلّى الله عليه وسلّم– وميَّزه به أن آتاه الحكمة وجوامع الكلم، فقال – صلّى الله عليه وسلّم– ((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ))[1]. بمعنى أنه: "كان يتكلم بالقول الموجز المتضمن للمعاني الكثيرة"[2]. ومن هنا فلا غَرْوَ أن يصوغ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أهداف رسالته وعمليته التربوية بأدق العبارات وأجزلها، فيسهل على الناس حفظها، وتداولها، وإدراك مراميها. ومن ذلك قوله – صلّى الله عليه وسلّم– معبّرًا عن هدف الدين الأسمى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا))[3]. فكان خطابه في هذا الحديث للناس عمومًا على امتداد الزمان والمكان، جاعلًا

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: نصرت بالرعب، (4/54– ح: 2977).

(2) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (1/ 99).

(3) المقدسي: المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم، (8/ 128– ح: 143).

فلاحهم في الدارين هدف رسالته ومبتغاه، وجاعلًا من قول لا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها مؤشرًا ودليلًا على الإيمان بها. ذكر ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما– فقَالَ: ((مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ. قال: وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابنَ أَخِي ما تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قال: إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ العَجَمُ الجِزْيَةَ. قال: كلمةٌ واحدةٌ؟ قال: كلمةٌ واحدةٌ، قال: يا عَمِّ يقولوا: لا إله إلا الله))[1]. وظاهر الحديث أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومن بداية دعوته حدَّد هدفه الرئيس، وبطريقة موفقة، فصاغه بجملة قصيرة واضحة ومعبرة؛ يفهمها العربي، ويدرك ما يترتب عليها من نبذ للشرك، ووضع للأوثان. وفي هذا الموقف إشارة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قدّم تحفيزًا لسادة قريش وفي ذلك تشجيعًا لهم للتعامل بإيجابية مع هذا الهدف الكبير، وراح يبدِّد أي مخاوف قد تدور في أذهانهم نتيجة الإيمان بعقيدة التوحيد. ومن الجدير بالذكر أن تؤكد آيات الوحي العظيم تؤكد فَهْم مشركي قريش لدلالة هذه العبارة الموجزة وأبعادها، فكان لسان مقالهم، قوله تعالى: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ [سورة ص: 5].

ولم يتوقف الأمر عند السادة والمتعلمين بل إن عموم الناس في تلكم البيئة – وعلى تنوع شرائحهم– كانوا قادرين على إدراك دلالة عبارة: لا إله إلا الله؛ فهذا بلال بن رباح – رضي الله عنه– والذي كان يمثِّل شريحة من الضعفاء الذين أقبلوا على الدخول في الإسلام حينها، فقد ثبت أنه وبينما كان أمية بن خلف يعذِّبه بسبب إسلامه، كان – رضي الله عنه– يردِّد وهو تحت التعذيب عبارة، أَحَدٌ[2] أحدٌ. في دلالة على إدراكه هدف الرسالة الإسلامية ومعنى: لا إله إلا الله.

---

[1] الترمذي: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، (5/ 365– ح: 3232)، وقال الترمذي حديث حسن صحيح. وانظر: ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 417).

[2] انظر: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب فضل سلمان، وأبي ذر والمقداد، (1/ 53– ح: 150). هذا إسناد رجاله ثقات. انظر: البوصيري، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، (1/ 23– ح 55).

ومن جوامع الكلم ما رواه سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ – رضي الله عنهما– قَالَ: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ))[1]. قال ابن دقيق العيد: "هذا من جوامع الكلم التي أوتيها – صلّى الله عليه وسلّم– فإنه جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معاني الإسلام والإيمان كلها، فإنه أمره أن يجدّد إيمانه بلسانه متذكرًا بقلبه، وأمره أن يستقيم على أعمال الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات: إذ لا تأتي الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فإنها ضده، وهذا كقوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم اسْتَقَامُوا﴾ [الأحقاف: 13][2].

وكان مما عبَّر عنه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بجوامع الكلم أيضًا من الأهداف التربوية، وصاغه بشكل واضح ومحدد، قوله: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))[3] فهذا الحديث يشير إلى أن العملية التربوية النبويّة معنية بدرجة كبيرة بتتميم ما انتقَصَ من مكارم الأخلاقِ وصالحها. وقد مثَّل تحقيق هذا الهدف أولوية كبرى وصار معيارًا سلوكيًّا يمنح صاحب الخُلق الحسن الأفضلية والخيرية، كما في قوله – صلّى الله عليه وسلّم– ((إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا))[4]. وقوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً))[5]. وبلغ

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، (1/ 65– ح: 38). (سفيان) له صحبة، عداده في أهل الطائف. وكان قد وليها في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما. انظر: معروف، بشار عواد، الأرنؤوط، شعيب، تحرير تقريب التهذيب، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ – 1997م، (2/ 50).

(2) ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبويّة، مؤسسة الريان، ط6، 1424 هـ– 2003م، (ص: 80).

(3) الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، (14/ 512– ح: 8952). وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، (2/ 670– ح: 4221).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ((لم يكن النبيّ – صلى الله عليه وسلم– فاحشًا ولا متفحشًا))، (12/18– ح: 6029).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون، (3/ 99– ح: 2306).

التحفيز حدًا جعل المرء يبلغ بحسن خلقه درجة المستمر على الصيام والقيام، كما قال – صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[1].

ج- الإعلان عن الأهداف واستحداث طرقٍ للتذكير بها

تعد مسألة الإعلان عن أهداف العملية التربوية ضرورة أساسية ومؤثرة قبيل تنفيذ الأنشطة والإجراءات التعليمية والتربوية. وقد ورد في السُنّة تطبيقات تؤكد مراعاة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وحرصه على بيان أهدافه التربوية والإعلان عنها في كل ظرف مواتٍ؛ فقد روى ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما– أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وقف –في بدايات دعوته– على جبل الصفا قرب الكعبة فصرخ في الناس مناديًا: فَقَالَ: ((يَا صَبَاحَاهْ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: مَا لَكَ؟ قالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أو يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ [سورة المسد: 1]))[2]. والشاهد: إعلان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عن انطلاق عملية الدعوة والتربية، وما فيها من أهداف كبرى، فاختار المسجد الحرام، وهو أشرف مكان عند العرب، وعلى جبل الصفا، وهو المكان المرتفع قرب المسعى حيث يراه الناس ويسمعونه، ثم راح ينادي بهم صارخًا بطريقة ملفتة فاجتمعوا حوله، ومن لم يحضر أرسل من يأتي له بالخبر، فعرَّفهم – صلّى الله عليه وسلّم– بنفسه وذكَّرهم بصدقه، وإخلاصه لهم، فشهدوا له بذلك. ثم قال معلنا أنه رسول الله للناس وأنه يدعو إلى "لا إله إلا الله"، وأنه ناصح لقومه، ونذير لهم بين يدي عذاب أليم.

ونتج عن هذا الإعلان والصدح وصول الخبر عن الدين الجديد، وأهدافه الكبرى من توحيد، وعدل، ومساواة إلى زعماء قريش، وإلى ضعفاء الناس، وإلى رجالهم والى نسائهم. وكان

---

[1] أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، (4/ 252– ح: 4798). حديث صحيح لغيره، كما قال الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ﴾ [سبأ: 46]، (6/ 122–ح: 4801).

لطبيعة مكة المكرمة وتاريخها الديني ومكانتها عند الحجيج أثر كبير في إشاعة هذه الأهداف، ونشرها في أنحاء الجزيرة بشكل كبير وسريع.

ثم صار النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يتحرك متقصدًا الناس في بيوتهم، وأسواقهم يعرّفهم بنفسه وبدعوته وبأهدافه؛ انسجامًا وامتثالًا للتوجيه الرباني بالجهر بالدعوة والصدع بأهدافها، قال تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ [سورة الحجر: 94].

وفي المدينة اعتمد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الأذان وسيلة للمناداة للصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، وكان من توفيق الله بأن جعل مضمون الأذان متضمنًا التذكير بالهدف العام لهذا الدين، والمتمثل في تعظيم الله تعالى بقول "الله أكبر" وكلمة التوحيد "لا إله إلا الله". وجاء التوجيه النّبويّ للعناية باختيار أندى الأصوات للأذان وأمدِّها، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَإِنَّهُ أَنْدَى وَأَمَدُّ صَوْتًا مِنْكَ))[1]. وحثَّ الناسَ – صلّى الله عليه وسلّم– على تعظيم شعيرة الأذان، وسماع كلماته، وترديدها. فعن جابر بن عبد الله: أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((مَنْ قال حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ))[2]. والشاهد: بقاء عبارة لا إله إلا الله، التي تتضمن الهدف الأكبر في هذا الدين، حاضرة ومسموعة من المآذن خمس مرات يوميًّا، ودعوة الناس لسماعه وترديد عباراته، والدعاء بالصلاة عن النبيّ عقبه، وفي ذلك تذكير مستمر، وترسيخ للهدف في النفوس.

ولم يترك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وسيلة في زمانه للتواصل، وتبليغ الأهداف إلا ونفَّذها، فأرسل الرسل والمبعوثين، وحرَّك السرايا، وقاد الغزوات، وكتب الرسائل، واستقبل الوفود، وأجرى المقابلات، واتخذ شاعرًا، وسار بنفسه إلى بعض المناطق والأطراف. كل ذلك في سبيل الإعلان عن هذا الدين وما تضمنه من أهداف في مقدمتها التوحيد، والعدل، وتحقيق فلاح الناس في الدارين.

---

[1] الترمذي: سنن الترمذي، باب أبواب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان، (1/ 359– ح: 189). وصحّحه الترمذي.

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، (1/ 126– ح: 614).

د- الثبات على الأهداف

يمكن ملاحظة ثبات النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه على أهدافهم، وتحملهم وصبرهم على الأذى أثناء سعيهم – في بداية عهدهم– لتبليغها وتطبيقها؛ فقد رفضت بعض العقول العربية في تلكم البيئة نبذ تقليد الآباء، وعزّ عليها ضياع مصالحها وفقدان امتيازاتها، فدفعهم الكبر إلى الضغط والتشديد وملاحقة المؤمنين وتعذيبهم؛ ظانين قدرتهم على حجب نور الله تعالى عن عباده.

وقد ورد في السيرة أن قريشًا أرسلت إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقالت: "إن كنتَ إنَّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أَمْوَالِنَا حتَّى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سوَّدناك علينا حتَّى لا نَقْطَعَ أمرًا دونك، وإن كنت تُريد به ملكًا ملَّكناك علينا، وإن كانَ هذا الَّذي يأتيك رِئْيًا تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطِّبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتَّى نُبْرئك منه"[1]. والشاهد محاولة قريش تغيير مسار الأهداف النبويّة وحرفها، وقد قوبلت هذه المحاولات بالثبات والإصرار رغم السيل من محاولات الترهيب والترغيب وأشكالها المتنوعة الذي تعرض لها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه – رضي الله عنهم–.

ومن الجدير بذكره أن مستوى الثبات على الأهداف كان ملفتًا، وملهمًا، وشكّل عند الكثيرين دافعًا للمراجعة الذاتية التي تقود صاحبها للتفكر ثم الانضمام في نهاية المطاف إلى ركب– صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه – رضي الله عنهم–. ومن جهة أخرى فلا تذكر لنا السُنّة النبويّة أن أحد دخل في الإسلام في مكة ثم خرج منه رغم كل صنوف العذاب والتشريد والملاحقة. وردت الإشارة إلى ذلك في حديث أبي سفيان بن حرب – رضي الله عنه– أثناء مقابلته هرقل عظيم الروم بِإِيلِيَاءَ، حين سأله عن أتباع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((فقَالَ:

---

[1] ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 293)، وحسَّنه الألباني في تخريجه كتاب: الغزالي: فقه السيرة، (ص: 12).

أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ))[1].

هـ- تعدد مجالات الأهداف وترابطها

تعددت مجالات الأهداف في العملية التربوية النبويّة، فشملت نواحي الحياة وعلاقات المرء بربه، وبنفسه، وبالآخرين، وبالبيئة، مثل قوله – صلّى الله عليه وسلّم-: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ، فسأله الصحابة – رضي الله عنهم- عن تفصيلها فقال: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[2]. يقول النووي: "ومعنى الحديث أن عماد الدين وقوامه النصيحة"[3]. ونحوه قوله – صلّى الله عليه وسلّم-: ((كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ))[4]. وخطب النبيّ بهذا المعنى في خطبة حجَّة الوداع، فقال: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قال ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما-: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ))[5].

وفي سياق قريب يقول إسحاق بن راهويْه[6]: [أحاديث أربعة هي مِنْ أُصولِ الدِّين: حديث: إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات[7]، وحديث: الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بَيِّنٌ[8]، وحديث: إنَّ خَلْقَ أَحدِكُم يُجْمَعُ في

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-؟ (1/ 8-7).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (1/ 74- ح: 55).

(3) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (2/ 37).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، (4/ 1986- ح: 2564).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، (2/ 176-ح: 1739).

(6) إسحاقَ بن راهَوَيه (ت 238 هـ)، إمام كبير من علماء الدين في زمانه، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ، والصدق، والورع، والزهد، من خراسان، من أبرز شيوخه ابن المبارك. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (1/ 217).

(7) البخاري: صحيح البخاري، كيف كان بدء الوحي، (1/ 6- ح: 1).

(8) البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: الحلال بين والحرام بين، (3/ 53- ح: 2051).

بطنِ أمّه[1]، وحديث: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا ما لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ[2]]. [3] والشاهد تنوع مجالات الأهداف التربوية في السُنّة النبويّة التي تعالجها هذه الوصايا النبويّة، بدءًا من الجوانب النفسية المرتبطة بتوجيه النية وتصحيحها، إلى المعاملات وما فيها من حلال وحرام، إلى العلاقات الممتدة، والمتنوعة، وتنظيمها، وحفظ الحقوق، والموازنة بينها.

وأبرزت السُنّة النبويّة أهمية تحمُّل المسؤولية الفردية، وجعلت منه هدفًا ينبغي أن يسعى إليه كل فرد من المجتمع مهما كانت مكانته، أو تغير عمله، كما بيَّن ذلك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقال: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[4]. وتتمثل المسؤولية بوجوب أداء الأمانة، وإعطاء الحقوق وتجنب الظلم، وتحقيق العدل. كما بيَّن ذلك النووي، فقال: "الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل مَن كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه"[5].

و– تنوع مستويات الأهداف وأنواعها وترتيبها

نجد أن السُنّة النبويّة رتبت الأهداف التربوية فجعلت التوحيد على رأسها، وشرَّعت العديد من العبادات كمؤشر عليها كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: ((يَا رسولَ اللهِ، أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قال: الصَّلاَةُ عَلَى مِيقَاتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّه. فَسَكَتُّ عَنْ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 171]، (135/9– ح: 7454).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح، (184/3– ح: 2697).

(3) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (58/1).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (2/ 5– ح: 893).

(5) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (12/ 213).

لَزَادَنِي))[1]. والشاهد تضمن الحديث ترتيبًا لمؤشرات الأهداف حسب أهميتها وأثرها ومجالاتها، فالصلاة في المقدمة –والحفاظ عليها وأداؤها في وقتها هو معيار جودتها– كونها تبني العلاقة مع الله تعالى وتعطيه حقه في التوحيد، والعبادة والشكر، ومن ثم بر الوالدين –بكل ما في كلمة البر من معنى– وأداء حقهما الكبير وأثر ذلك في تماسك الأسرة، ومن ثم الجهاد، ومعياره أن يكون في سبيل الله، كونه يمنح الحرية للناس، ويرفع الظلم ويمحو الفساد. فالصلاة حق لله تعالى، وبر الوالدين حق للأسرة والمجتمع، والجهاد حق للناس عمومًا.

ونحو هذا الترتيب يظهر في قول جرير بن عبد الله – رضي الله عنه–: ((بَايَعْتُ رسولَ الله – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ))[2]. والشاهد: أن الرجل كان يأتي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فيدخل في الإسلام، ثم يبايعه على شهادة التوحيد، ثم بعد ذلك يتدرج معه بالأعمال الأهم فالمهم.

يظهر واضحًا تكرار الترتيب ذاته في الأحاديث النبويّة في أكثر من مناسبة، مما يؤكد ترتيبها ومكانتها في العملية التربوية النبويّة، ويتضح الأمر من وصيته – صلّى الله عليه وسلّم– لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه– قال: بَعَثَنِي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ))[3]. والشاهد هذا التوجيه المتضمن دقة في الترتيب، ومراعاة لحال المستهدفين بالدعوة والتدرج معهم، بداية من التوحيد ونبذ الشرك، ثم الصلوات الخمس، ثم التأكيد على الزكاة وأن أموالها المجموعة من أغنيائهم ترد على فقرائهم.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبيّ – صلى الله عليه وسلم– الناس إلى الإسلام والنبوة، (1/ 112– ح: 527).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، (3/72– ح: 2157).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، (2/ 128– ح: 1496).

ولا يجد المرء صعوبة في تصنيف مجالات الأهداف التربوية في السُنّة النبويّة، فكثيرة هي الأهداف المعرفية، التي ترنو إلى تعريف الناس بربهم الواحد – سبحانه وتعالى– وبرسولهم خاتم الأنبياء – عليهم السلام– وبيان أركان العقيدة، ونحوه من توضيح للمبادئ والأحكام. ثم الأهداف الوجدانية التي تسعى لغرس قيم الإيمان، والأخلاق، وتنمية مشاعر الحب والانتماء، وبناء التوجهات المنسجمة مع الإسلام عامة، وقيمه السمحة. ثم الأهداف النفس حركية –والتي تحيل المعارف إلى سلوكيات، وتطبيقات، ومهارات عملية لتجعل من المسلم عنصرًا فاعلًا ومؤثرًا ومنتجًا في مجتمعه.

كما يمكن ملاحظة العلاقة بين طبيعة الأهداف التربوية، وتدرجها المرحلي، وبين محتوى الوحي المنزَّل، ففي الفترة المكية تميَّزت سور القرآن الكريم وآياته بتركيزها على غرس العقيدة وأركانها، والدعوة لبناء الذات وتقوية النفس بالصلاة، وقراءة القرآن، وقيام الليل، والصبر، والثبات ونحوه؛ وهذه بمجموعها شكَّلت أساسًا متينًا وداعمًا لتقبل الأهداف السلوكية التي تم التركيز عليها لاحقًا، فقد تميز محتوى الوحي المدني بتفصيل أهداف سلوكية إجرائية تنظم علاقات المسلم وجهاده، ومعاملاته المالية، ونحوه مما يرتبط بواقع الحياة، ومستقبلها.

بقي أن نشير إلى أن طبيعة الأهداف المرحلية فرضت نفسها في تحديد استراتيجيات العملية التربوية، وطرقها، وأساليبها، وأدواتها المناسبة، دون أن تسمح للعواطف، أو الانفعالات بتجاوز المراحل أو تغيير مسار الأهداف المرحلية. ومن ذلك ما يرويه خَبَّاب بن الأَرَتِّ، قال: ((شَكَوْنَا إِلَى رسولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))[1]. والشاهد في الحديث هذه الثقة الكبيرة التي تملكت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وكان يبثها في نفوس أصحابه

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب على الكفر، (20/9–ح: 6943).

مثبِّتًا لهم ومسددًا، دون أن يسمح لهم بتغيير ما يناسب المرحلة من أهداف تركز على قيم الثبات على الحق، والصبر، والاستمرار بالدعوة باللسان والحجة والبيان. وكانت الآيات القرآنية تتنزل لتؤكد هذا المسار وتدعم الموقف النّبويّ كما في قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كُفُّوا أَيدَيكُم وَأَقِيمُوا الصلاة﴾ [سورة النساء: 77].

ز- جعل مؤشرات الأهداف معيارًا للتقويم التربوي

أكد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على أن سماع كلمة التوحيد، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من شخص ما، أو من جماعة يعتبر دليلًا على إسلامه، وعصمة دمه كما روى مضمون ذلك ابن عُمَرَ – رضي الله عنهما– فقال: إنَّ رسولَ الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))[1]. ونحوه في حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال: ((كَانَ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ))[2].

ورفض النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فِعل أسامة بن زيد – رضي الله عنه– حين قتل مشركًا بعد أن نطق بالشهادتين، فَقَالَ – صلّى الله عليه وسلّم– معاتبًا مستنكرًا: ((أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قال: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، إِنَّمَا قالهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قال: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ يقول أسامة: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ))[3]. والشاهد: تعظيم كلمة "لا إله إلا الله" وما تتضمنه من توحيد يعصم دم صاحبها، ويدفع للتعامل معه بطريقة بعيدة عن القتل؛ لأن الخروج للجهاد مقصده ليس قتل الناس، بل هو إعلاء كلمة لا إله إلا الله، ودعوة الناس إليها، وإزالة العوائق التي تحول من اللقاء بالناس، وتربيتهم عليها، فلا ينبغي أن يقتل من يشهد بها، بل يتوقف في شأنه وينظر.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) [التوبة: 5]، (1/14– ح:25).
[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة، (1/ 288– ح: 382).
[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، (1/96– ح:96).

ويوم القيامة أيضًا سوف تعصم "الشهادتان" صاحبهما من دخول النار –إن شهد بهما في الدنيا صدقًا من قلبه– كما روى ذلك معاذ بن جبل – رضي الله عنه– عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وكان رديفه على الرحل، فقال: ((يَا مُعَاذ بن جَبَلٍ، قال: لَبَّيْكَ يَا رسول الله وَسَعْدَيْكَ، قال: يَا مُعَاذُ، قال: لَبَّيْكَ يَا رسول الله وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قال: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قال يَا رسول الله: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قال: إِذًا يَتَّكِلُوا. وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا))[1]. وفي تفاصيل القصة كما بينها ابن حجر، فقال: "إن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أَذِنَ لِمُعَاذٍ فِي التَّبْشِير، فَلَقِيَهُ عُمَرُ، فَقَالَ: لا تَعْجَلْ، ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَنْتَ أَفْضَلُ رَأْيًا، إِنَّ النَّاسَ إِذَا سَمِعُوا ذَلِكَ اتَّكَلُوا عَلَيْهَا. قال: فَرَدَّهُ. وَهَذَا مَعْدُودٌ مِنْ مُوَافَقَاتِ عُمَرَ، وَفِيهِ جَوَازُ الِاجْتِهَادِ بِحَضْرَتِهِ – صلّى الله عليه وسلّم–"[2].

وقد أدرك الصحابة عظيم أثر الشهادتين وأنهما أفضل ما يُدَّخر ليوم القيامة، كما يظهر من موقف عمرو بن العاص – رضي الله عنه– حين حضرته الوفاة، فجعل يبكي طويلًا، وحوَّل وجهه إلى الجدار، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بِكَذَا؟ قال: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: ((إِنَّ أَفْضَلَ ما نُعِدُّ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله))[3]. والشاهد: إدراك الصحابة الكرام – رضي الله عنهم– أن توحيد الله تعالى الذي تتضمنه عبارة الشهادتين هو الأمر الأرجى قبولًا لهم عند الله تعالى، فعبّروا عن ذلك بالإيمان بها ونطقها في حياتهم والعمل بمقتضاها.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خصّ العلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، (1/ 37– 128).

[2] ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (1/ 227). وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن.

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، (1/112– ح: 121).

ح- مراجعة الأهداف ومدارستها

تفيد مراجعة الأهداف في إعادة تصنيفها وترتيبها؛ وتذكير المتعلم بالأهم منها، كما في حديث جبريل – عليه السلام- المشهور الذي يرويه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- فيقول: ((بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وقال: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ،... الحديث))[1]. قال القاضي عياض – رحمه الله- معلقًا: "وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه"[2]. والظاهر من الحديث أن جبريل – عليه السلام- جاء على هيئة رجل، فعلَّم الناس أمورًا كانوا يعرفون بعضها، فجاءت مقابلته هذه في سياق المراجعة والتأكيد على أمور دون غيرها، واختار – عليه السلام- أن يسأل عن كبرى المفاهيم الإسلامية: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وختم بالسؤال عن الساعة وأماراتها؛ تأكيدًا على تحققها، وأن لها أمارات يمكن ملاحظتها. وضرورة أن تصبَّ كل أعمال المرء في إطار الاستعداد لها. ويشكِّل جواب تلك الأسئلة أهدافًا إجرائية ينبغي أن يحرص المسلم العناية بها؛ فجبريل – عليه السلام- لم يأت ليجلس هذا المجلس إلا لأمر عظيم، وإن حضوره اللافت بهيئة بشر، وتنفيذه لموقف تعليمي راقٍ، تميز بدقة السؤال والإجابة المختصرة والواضحة في جو من الإجلال والتقدير بين المعلم والمتعلم، شكَّل فرصة مهمة للنبي – صلّى الله عليه وسلّم- وأصحابه لمراجعة أهداف العملية التربوية من خلال وصف النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- الموقف قائلا: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)). فالحديث لخَّص أهداف الإسلام الكبرى في أهداف مرتبطة بأركان الإسلام، وأخرى مرتبطة بأركان الإيمان، وأخرى مرتبطة بالإحسان، وأخرى مرتبطة بالاستعداد ليوم القيامة.

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، (36/1- ح: 8).

[2] النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (158/1).

وننوه إلى أن الأهداف التربوية كانت واضحة عند النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وكان يعبِّر عنها في كل مناسبة ويوضِّحها لكل من يسأل عنها ويستفسر. كما وتؤكد السُنّة النبويّة اتضاح أهداف الرسالة الإسلامية عند الجيل الأول من الصحابة – رضي الله عنهم– وثباتهم عليها أثناء حملهم لواء الدعوة والجهاد، حتى إنه كان بمقدورهم التعبير عنها دون لجلجة أو تكلف، بل بتلقائية وبكل شجاعة، كما يظهر من أداء رِبعي بن عامر[1] – رضي الله عنه– حين أجاب رستم قائد الفرس، فقال: ((الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام))[2].

المطلب الثاني: التقويم في مجال التعامل مع محتوى الرسالة النبويّة

نتناول في هذا المبحث وصفًا لطريقة تعامل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه مع محتوى المنهج في العملية التربوية النبويّة، من خلال تتبع التوجيهات الربانية، والتوجيهات النبويّة التقويمية في هذا الإطار، والتي سعت لتحقيق أفضل تعاطٍ ممكن مع محتوى المنهج النبوي.

أ- القرآن محتوى المنهج التربوي النظري

من فضل الله تعالى ومنَّته على عبادة أنه – سبحانه وتعالى– أنزل عليهم كتابًا يتلى عليهم؛ ليكون نورًا وبشرى وهداية للناس، فأخرج ببركته الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ [سورة المائدة: 15–16]. وإن هذا الكتاب العظيم رسالة من الله للبشر جميعًا لهدايتهم بدءًا من زمن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وسيظل معجزة خالدة يتلوها الناس، ويتفكرون بها عبر العصور والأجيال إلى أن يشاء الله.

---

[1] ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو التيمي، صحابي، أمدَّ عُمَرُ به المثنى بن حارثة، وكان من أشرف العرب، وولَّاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (2/ 378).

[2] ابن كثير: البداية والنهاية، (39/7).

ويمثِّل القرآن الكريم العظيم محتوى المنهج النظري الأساس في العملية التربوية النبويّة، ومن تعريفه فهو لفظ عربي معجز، متعبد بتلاوته، أنزله الله تعالى منجمًا حسب الحوادث والمناسبات بواسطة جبريل – عليه السلام– قال تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 106]، قال البغوي: "لم يَنْزِل مرة واحدة. لتقرأه على الناس على تُؤَدَةٍ وَتَرَسُّلٍ في ثلاث وعشرين سنة"[1]. ولم يجمع بين دفتي المصحف أثناء حياة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بل تأخر ذلك إلى وقت خلافة أبي بكر – رضي الله عنه–[2]. ورغم ذلك فقد ظلَّ القرآن الكريم حاضرًا كمنهج تربوي، ومتاحًا ومتداولًا في العملية التربوية النبويّة، في سياقات عدة، نذكر منها:

الأول: كان القرآن الكريم محفوظًا في صدر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، وكان من شدة حرصه – عليه السلام– يبذل جهدًا كبيرًا إضافيًّا في تلقيه ومراجعته، حتى جاءه التطمين والتوجيه الرَّباني بألا يقلق بشأن بيانه وتفسيره؛ فقد تكفَّل – سبحانه وتعالى– له بذلك قائلًا: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: 16–17]، قال ابن كثير في تفسيره: "هذا تعليم من الله – عز وجل– لرسوله – صلّى الله عليه وسلّم– في كيفية تلقيه الوحي من المَلَك –فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق المَلَك في قراءته– فأمره الله – عز وجل– إذا جاءه المَلَك بالوحي أن يستمع له، وتكفَّل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبيّنه له ويفسره ويوضحه؛ كما في قوله تعالى: ﴿لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [سورة طه: 114][3].

---

[1] البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1420هـ، (5/ 135).

[2] المقريزي، أحمد بن علي، إمتاع الأسماع، تحقيق: محمد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420 هـ – 1999م، (4/ 239).

[3] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420 هـ– 1999م، (8/ 286).

الثاني: كان القرآن الكريم محفوظًا في صدور الذين أوتوا العلم من الصحابة – رضي الله عنهم– حيث أقبلوا على تلقّيه وسماعه مباشرة من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كما اعتنوا عناية كبيرة بحفظه في صدورهم، وتداوله، وتدارسه بينهم وقيام الليل به، قال تعالى: ﴿إن ربك يَعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾ [سورة المزمل: 20]. كما أسهم ترغيب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وتوجيهاته في زيادة إقبال الصحابة – رضي الله عنهم– على حفظه وتلاوته وتعلّمه وتعليمه ومدارسته، ومما قاله في حثِّهم، وترغيبهم قوله – صلّى الله عليه وسلّم– : ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))[1]. قال النووي: "اعلم أن القرآن العزيز كان مؤلفًا في زمن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: على ما هو في المصاحف اليوم، ولكن لم يكن مجموعًا في مصحف، بل كان محفوظًا في صدور الرجال. فكان طوائف من الصحابة يحفظونه كله وطوائف يحفظون أبعاضًا منه"[2].

الثالث: كانت تجري عملية كتابة ما يتنزل من القرآن الكريم أولًا بأول، على ما تيسر من أدوات الكتابة حينها؛ ["حيث اهتم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– منذ بداية الوحي بكتابة القرآن الكريم من خلال اتخاذه عددًا من كُتَّاب الوحي كما أذن للمسلمين بكتابته لأنفسهم، حيث قال – صلّى الله عليه وسلّم– لأصحابه: ((لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ))[3]][4].

ومن ظاهر الأحاديث النبويّة فيبدو أن كتبة الوحي كانوا قريبين منه – صلّى الله عليه وسلّم– حيث كان يدعو بعضهم فور تنزُّل الوحي؛ ليكتب ما نزل من آيات كريمات كما يوضِّح ذلك عثمان بن عفان – رضي الله عنه– فقال: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– كَانَ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (6/192– ح: 5027).

(2) النووي، يحيى بن شرف، التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: محمد الحجار، بيروت – لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، 1414 هـ – 1994م، (ص: 185).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث، (4/ 2298– ح: 3004).

(4) الميمني، إسماعيل عبد الستار، المدخل لعلوم القرآن الكريم، على المكتبة الشاملة الذهبية، (ص: 45).

يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ عَدَدٍ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُهُ، فَيَقُولُ: "ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا"))[1].

وروى نحوًا من ذلك زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ – رضي الله عنه– قال: ((كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ أَخَذَتْهُ بُرَحَاءُ شَدِيدَةٌ، وَعَرِقَ عَرَقًا شَدِيدًا مِثْلَ الْجُمانِ، ثُمَّ سُرِيَ عَنْهُ، فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقِطْعَةِ الْكَتِفِ أو كَسْرَةٍ، فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ، فَمَا أَفْرَغُ حَتَّى تَكَادَ رِجْلِي تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقْلِ الْقُرْآنِ حَتَّى أَقُولَ: لا أَمْشِي عَلَى رِجْلِي أَبَدًا، فَإِذَا فَرَغْتُ قال: "اقْرَأْ"، فَأَقْرَأَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقْطٌ أَقَامَهُ، ثُمَّ أَخْرُجُ بِهِ إِلَى النَّاسِ))[2].

وروى البخاري نحو ذلك عن البراء – رضي الله عنه– قال: ((لما نزلت الآية: ﴿لا يستوي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء: 95]، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ادْعُوا فُلاَنًا. فَجَاءَهُ وَمَعَهُ الدَّوَاةُ وَاللَّوْحُ، أو الكَتِفُ، فَقَالَ: اكْتُبْ))[3].

وخلاصة القول فإن القرآن الكريم مثَّل أثناء حياة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– محتوى المنهج التربوي النّبويّ النظري، وكان محفوظًا في صدر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وصدور أصحابه – رضي الله عنهم–، ومكتوبًا على متفرقات من رقاع الجلد ونحوه مما تيسر في تلك البيئة، وعلى كل ما يجعله متاحًا، وسهل التداول في ذلك الزمان.

---

(1) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، (2/ 241– ح: 2875). وقال حديث صحيح.

(2) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، (د. ط)، 1414 هـ– 1994م، باب عرض الكتاب بعد إملائه، (1/ 152– ح: 684). وقال رجاله موثوقون.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) [النساء: 95]، (48/9– ح: 4594).

ب- التوجيهات الربانية في التعامل مع القرآن الكريم

اقتضت حكمة الله – سبحانه وتعالى- ورحمته أن قدم لعباده في كتابه الخاتم مفاتيح تساعدهم، وترشدهم للتعامل الأمثل مع هذا الكتاب المنزل من السماء[1]. فهو – سبحانه وتعالى- صاحب هذا الكتاب ومنزِّلُه للبشر، وهو الأعلم بمحتواه، وأثره، وكيفية الإفادة منه، ونذكر بعضها فيما يأتي.

1) الإيمان بالقرآن الكريم من أركان الإيمان؛ حيث دعا – سبحانه وتعالى- الناس إلى الإيمان، والتصديق بكتابه المنزّل من عنده بلا ريب، فقال – عز وجل-: ﴿فآمنوا بالله ورسوله وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة التغابن: 8]، فأول خطوة هي الإيمان بالقرآن الكريم كتابًا معجزًا منزلًا من عند الله – سبحانه وتعالى.

2) الثناء المتكرر على القرآن الكريم بأحسن الأوصاف؛ تعظيمًا له، وتشريفًا، وترغيبًا للناس في الإقبال عليه بالقراءة، والتدبر والعمل، فقد وصفه الله – سبحانه وتعالى- بأعظم الأوصاف، فذكر أنه أحسن الحديث: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾ [سورة الزمر: 23]، وأنه: "نور" ﴿وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ [سورة النساء: 174]، وأنه "موعظة" و"شفاء" و"هدى" و"رحمة"، كما في قوله تعالى: ﴿ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: 57]، وأنه "مبارك" و"مصدِّق" ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق﴾ [سورة الأنعام: 92]، وأنه "بشرى" ﴿وبشرى للمؤمنين﴾ [سورة النمل: 2]، و"عزيز" ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ [سورة فصلت: 41]، و"مجيد" ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ [سورة البروج: 21]، وغيرها من الصفات والمحاسن.

3) حذَّر الله تعالى عباده من الانتقائية في التعامل مع محتوى القرآن الكريم وأحكامه، فأكد – سبحانه وتعالى- على وجوب الإيمان بجميع ما في القرآن، ووجوب الأخذ به كاملًا، وأثنى على الذين يؤمنون به كله، فقال: ﴿هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب

---

[1] انظر ما كتبه شيخنا: صلاح عبد الفتاح الخالدي – رحمه الله تعالى- في كتابه: مفاتيح للتعامل مع القرآن، دمشق، دار القلم، ط 2، 1415 هـ- 1994م.

كله﴾ [سورة آل عمران: 119]. وتوعد – سبحانه وتعالى– بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة كل مَنْ فَعَلَ فِعْل بني إسرائيل الذين تعاملوا بمزاجية وانتقائية مع آيات الله المنزلة عليهم، فأخذوا ببعضها وتركوا أخرى، فقال الله تعالى محذِّرًا من سوء صنيعهم: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَل ذَلِك مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة: 85].

4)إظهار الأهداف الكبرى للقرآن الكريم والتذكير بها، حيث تضمنت الآيات القرآنية بيانًا للأهداف التي نزل القرآن الكريم لأجلها، والتي هي ذاتها أهداف العملية التربوية النبويّة؛ كعبادة الله وحده ونبذ الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إِلَهَ إِلَّا أَنا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: 25]، وإرساء دعائم العدل، كما في قوله تعالى: ﴿لقد أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: 25].

5) تصدِّي القرآن الكريم لتفنيد حجج المنكرين، والمشككين بمعجزته؛ حيث تضمنت آياته محاورات، وخطابات، وإجابات رُدَّ فيها على مقولات المشركين وفُنِّدَت شبهاتهم الواهية حول مصدريته وطريقة تنزُّله، مثل قوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة النحل: 103]، وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ورتلناه ترتيلا﴾ [سورة الفرقان: 32]. وقال تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ [سورة يس: 69].

6(تعظيم القرآن الكريم وتحدِّي الناس أن يأتوا بمثله. كما في قوله تعالى: ﴿قل لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 88]. وقال تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر: 21].

7) التعهُّد بحفظ القرآن الكريم من الضياع أو التحريف، فقال – سبحانه وتعالى–: ﴿إنا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنا لَهُ لحافظون﴾ [سورة الحجر: 9]. وقوله – سبحانه وتعالى–: ﴿لا تحرك بِهِ لِسَانك لِتَعْجَل بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقرآنه﴾ [سورة القيامة: 16–17]. واقتضت حكمته أن يتولى أمين الوحي جبريل – عليه السلام– تنزيل القرآن الكريم، ومراجعته ومقابلته حفظًا وترتيبًا مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وكان ذلك يتكرر في رمضان من كل عام. كما أخبر ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: ((كَانَ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ ما يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ))[1]. ومن ثم تمت مراجعته مرتين في العام الأخير من حياته – صلّى الله عليه وسلّم– كما في رواية عائشة – رضي الله عنها– عن فاطمة – عليها السلام– قالت: ((أسرَّ إليَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي))[2].

8) التوجيه لأخذ تأويل القرآن من المخلصين، والراسخين في العلم، والتحذير من اتباع الذين في قلوبهم زيغ والذين يفسرونه وفق مصالحهم وأهوائهم. قال تعالى: ﴿فأما الذين في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [سورة آل عمران: 7].

9) تصويب المفاهيم الخطأ حول معاني الآيات القرآنية وتفسيرها مع لفت النظر إلى الدليل؛ فلم يكتف النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بالإنكار على الصحابة فهمهم الخطأ للآيات؛ بل كان مع بيانه وتقويمه لفهمهم يشير إلى الدليل من آيات أخرى، في إيحاء منه لضرورة

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (8/1– ح: 6).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (203/4– ح: 3624). (يعارضني القرآن) من المعارضة وهي المقابلة في القراءة عن ظهر قلب.

تأمل سياق الآيات، والمتشابه منها وما يرتبط بها[1]، ومن أمثلة ذلك: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قالتْ: ((سَأَلْتُ رسولَ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ [سورة المؤمنون: 60]، أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قال: "لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أولئك يسارعون في الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) [سورة المؤمنون: 61]))[2].

وفي موقف آخر يصوِّب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لعَدِيّ بن حاتم – رضي الله عنه– فهمه لقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الْفَجْرِ﴾ [سورة البقرة: 187]، حين أَخَذَ عِقَالًا أَبْيَضَ، وَعِقَالًا أَسْوَدَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ نَظَرَ فَلَمْ يَسْتَبِينَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قال: يَا رسول الله! جَعَلْتُ تَحْتَ وِسَادِي عِقَالَيْنِ، فقال: ((إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الخَيْطُ الأَبْيَضُ، وَالأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ. ثم بيَّن له – صلّى الله عليه وسلّم– فقال: ((لاَ بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ))[3].

10(الأمر بتلاوة القرآن، وترتيله، والصلاة فيه، كما في قوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ [سورة المزمل: 4]، أي "اقرأه مرتلًا مبينًا حروفه ومُشْبعًا حركاته متثبتًا في تلاوته متفهمًا لمعانيه"[4]. وقوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب اللهوأقاموا الصلاة﴾ [سورة فاطر: 29]، وقوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ [سورة الإسراء: 79].

---

(1) الجار الله: عبد السلام بن صالح، نقد الصحابة والتابعين للتفسير، أطروحة دكتوراه: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية أصول الدين – قسم القرآن وعلومه، 1428 هـ، (ص: 50).

(2) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب التفسير، باب: ومن سورة المؤمنون، (5/ 328– ح: 3175). وصحَّحه ابن العربي، محمد بن عبد الله، عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، المحقق: جمال مرعشلي، 1418هـ– 1997م. كتاب التفسير، سورة المؤمنون، (12/ 39).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ)، (6/ 26– ح: 4509 وحديث: 4509).

(4) مصطفى البغا، في تعليقه على الحديث في صحيح البخاري، باب قيام النبيّ – صلى الله عليه وسلم– بالليل من نومه، (2/ 52).

11) الحثُّ على تعلُّم القرآن الكريم، وتعليمه، والعمل به، كما في قوله تعالى: ﴿ولكن كونوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [سورة آل عمران: 79].

12) التأكيد على وجوب العمل به، دون الاكتفاء بقراءته، وحفظه، أو سماعه في المناسبات، بل يجمع المسلم بين ذلك كله مع العمل به؛ لأن العمل بالقرآن العظيم هو ذروة حقوق القرآن وسنامها، وهو الغاية الأساس من تنزله، قال الله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لَعَلَّكُمْ ترحمون﴾ [سورة الأنعام: 155]. ولا يفوت المسلم أن يستذكر أن من أعظم أسباب شقاء اليهود أنهم اكتفوا بقراءة التوراة وسماعها دون العمل بمضمونها، فاستحقوا أن يضرب لهم مثل الحمير التي تحمل على ظهرها كتب العلم ولا تنتفع بها. قال تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحمار يحمل أسفارا﴾ [سورة الجمعة: 5][1].

13) جعل الله تعالى كتابه مباركًا فيه شفاء ورحمة، تخشع النفس عند سماعه، وتحلُّ السكينة في مجلس قراءته، وتتنزل الرحمات، قال تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: 23]، وقال تعالى: ﴿ونترل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [سورة الإسراء: 82]، فالقرآن إذا سمعه المؤمن تتحرك مشاعره، ويزداد إيمانه، وكذلك كان حاله – صلّى الله عليه وسلّم– النبيّ كما روى عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه–، قال: قال لِي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: ((اقْرَأْ عَلَيَّ قال: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قال: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، قال: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: 41]، رَفَعْتُ رَأْسِي، أو غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ))[2]. قال أبو حامد الغزالي: "البكاء مستحب مع القراءة، ووجه إحضار الحزن أَنْ يتأمل ما فيه من التهديد، والوعيد، والمواثيق، والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره، وزواجره

---

[1] انظر: الدوسري، محمود أحمد، وجوب العمل بالقرآن العظيم، مقال على الإنترنت في موقع الألوكة، تاريخ إضافة المقال: 16 أكتوبر 2018م، تاريخ التصفح: 13 أكتوبر 2022م.

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، (1/551– ح: 800).

فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية؛ فَلْيَبكِ على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب"[1].

14) أمر الله تعالى عباده بتعظيم القرآن الكريم بالإقبال عليه بالاستماع والإنصات والتدبر في معاني آياته، فقال تعالى: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ [سورة الأعراف: 204]. وقال – سبحانه وتعالى–: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: 82]. وحذّر – سبحانه وتعالى– من هجره في قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ [سورة الفرقان: 30]. كما أوصى – سبحانه وتعالى– بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند تلاوته، فقال: ﴿فإذا قرأت القرآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشيطان الرجيم﴾ [سورة النحل: 98].

ج– التوجيهات النبويّة في التعامل مع القرآن الكريم

قام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في أثناء تزكية أصحابه بتقديم توجيهات مهمة في طريقة التعامل مع القرآن الكريم، نذكر بعضًا منها فيما يأتي:

1. وجوب الإخلاص في تعلم القرآن وتعليمه، والتحذير من فساد النية، والرياء الذي يحبط العمل، كما بيَّن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقال: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ –وذكر منهم– وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قال: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[2].

والشاهد أن فساد نية حافظ القرآن الكريم كفيل بإحباط عمله ودخوله النار قبل غيره والعياذ بالله تعالى.

2. كان النبيّ يتقصد الاستماع بين الفينة والأخرى لتلاوة أصحابه للقرآن الكريم، وكان يثني على المحسن منهم ويعززه، كما في رواية أبي موسى، قال: قال لي النبيّ – صلّى الله عليه

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، (1/ 277).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، (3/ 1513–ح: 1905).

وسلّم-: ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[1]، والجدير ذكره أن هذه المراجعة تحقق فوائد عديدة: كتجويد محفوظات الصحابة – رضي الله عنهم- وتقويمها، والحكم عليهم بما يناسب أداءهم، واكتشاف المتقنين، والحفظة، وأصحاب الأصوات الندية، وفيه تقديم الأسوة الحسنة في مدارسة القرآن الكريم والاستماع إليه.

3. كان النبيّ يعرض تلاوته على القراء من أصحابه – رضي الله عنهم- أثناء الصلوات وخارجها، ونجد عند مسلم في صحيحه بابًا بعنوان: "باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، والحذاق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه"، فقد قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- لِأُبَيٍّ: ((إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ [سورة البينة: 1]، قال: وَسَمَّانِي؟ قال: نَعَمْ. فَبَكَى))[2].

4. توجيه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- الناس لأخذ القرآن الكريم عن ثلة من قُّراء الصحابة – رضي الله عنهم- والذين تميزوا بالحفظ والإتقان لألفاظ القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ((خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بن جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بن كَعْبٍ))[3].

5. ربط النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- الصلاة بالقرآن الكريم برباط وثيق، فلا تصح الصلاة بغير القرآن وتلاوته، وهذا يعزز من حضور القرآن ويدفع كل مسلم أيًّا كان عمره أو لغته لتعلمه وتدبره، فقال – صلّى الله عليه وسلّم-: ((لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ))[4]، وقال وهو يعلِّم الصلاةَ لرجل من المسلمين: ((إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ))[5].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، (546/1- ح: 793).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أُبيّ بن كعب، (5/ 36- ح: 3809).

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أُبيّ بن كعب – رضي الله عنه-، (5/ 36-ح: 3808).

[4] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، (151/1- ح: 756).

[5] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من ردَّ فقال: عليك السلام، (56/8- ح: 6251).

6. حرص النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على أن يكون القرآن الكريم متاحًا لجميع الناس؛ يستمعونه، ويتلونه، وينقلونه، ويجدون من يعلِّمهم آياته وأحكامه ومبادئه. وكان في عهد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من شاء كتب لنفسه بعضًا من القرآن الكريم، ومن شاء أخذه مشافهة، يقول عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه–: ((وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِيِّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً))[1]. وقد كان لنقل القرآن الكريم مشافهة أثر مبارك في تداوله متواترًا صحيحًا ومجودًا كما نزل.

7. ندب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه لترتيل القرآن وتجويده والتغني به وتجميله بالأصوات، فقال: ((زيّنوا القُرآنَ بأصواتِكم))[2]. ونقل النووي عن القاضي عياض: "أن العلماء أجمعوا على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها"[3]. وقال تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ [سورة المزمل: 4]. ومن فوائد الترتيل أنه مدعاة للتدبر، والتفكر، ومظنة تأثر القلب وخشوعه.

وقد حثَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه على المهارة في تلاوته، فعن عائشة – رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: ((الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ))[4]. عن البراء – رضي الله عنه–، قال: ((سَمِعْتُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– "يَقْرَأُ: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فِي العِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أو قِرَاءَةً))[5].

8. حثّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه على قراءة القرآن وتعلّمه وتعليمه؛ فعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه– قال: خرج رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ونحن في الصُّفَّةِ، فقال: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أو إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبيّ – صلى الله عليه وسلم– (6/ 186– ح: 5000).

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبيّ –صلى الله عليه وسلم–: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة»، (9/ 158).

(3) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (6/ 80).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الماهر في القرآن، (1/ 549– ح: 798).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب القراءة في العشاء، (1/ 153–ح: 769).

كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يَا رسول الله نُحِبُّ ذَلِكَ، قال: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أو يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ – عز وجل– خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ))[1]. وقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: ((اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ))[2]. وقال – صلّى الله عليه وسلّم: ((لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ))[3].

9. لفت الانتباه للعناية بحفظ بعض الآيات والسور وتكرار تلاوتها في أوقات معينة من الليل والنهار، كما في حديث عائشة – رضي الله عنها– قالت: ((كَانَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ. قالتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ))[4].

وقد جعل البخاري في صحيحه كتابًا سمَّاه" كتاب فضائل القرآن" أخرج فيه أحاديث عديدة في فضل سور من القرآن كفاتحة الكتاب، والبقرة والكهف، والإخلاص، والمعوذتين.

10. لفت انتباه الناس للرقية بالقرآن، والاستشفاء ببعض سوره وآياته، قال تعالى: ﴿ونُنزل من الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الإسراء: 82]، وحدَّث أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: ((أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أو مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وقال:

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة، (552/1– ح: 803). (الصُّفَّة) موضع مظلل من المسجد الشريف كان فقراء المهاجرين يأوون إليه. (بطحان) اسم موضع بقرب المدينة (العقيق) واد بالمدينة. (كوماوين) الكوماء من الإبل العظيمة السنام.

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، (553/1–ح: 804).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، (192/6–ح: 5026).

[4] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية، (133/7–ح: 5748).

حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَأَتَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رسول الله وَاللهِ ما رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَتَبَسَّمَ وقال: وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ ثُمَّ قال: خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ))[1].

11. حث النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على حفظ القرآن الكريم وتعاهده، ومراجعته واستذكاره، ومن ذلك قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا))[2]. وقال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ))[3].

12. التوصية بقراءة القرآن بالليل فهو مظنة صفاء الذهن، وقلة الانشغالات، أو المُلْهِيات، وأقرب لإجابة الدعاء وأبعد عن الرياء[4]، قال الله تعالى: ﴿قم الليل إلا قليلا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾ [سورة المزمل: 2–4]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما– قال: قال لي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((يَا عَبدَ اللَّهِ، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ))[5]. وقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أو عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))[6]. فقيام الليل مدعاة لاستذكار القرآن وعدم نسيانه، فقد قال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ))[7].

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، (4/1727–ح: 2201).
(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، (1/545–ح: 791).
(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، (6/193–ح: 5031).
(4) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، (ص: 63).
(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل، (2/52– ح: 11).
(6) مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، (1/515– ح: 747).
(7) مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، (1/144–ح: 789).

13. حفظ القرآن يعصم صاحبه، كما في رواية أبي الدرداء، أن النبي – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ))[1].

14. حثّ النبي – صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه على العمل بالقرآن، فعن النواس بن سمعان – رضي الله عنه– قال: سمعت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يقول: سمعت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، يقول: ((يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ))[2]. وقال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((المُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالمُؤْمِنُ الَّذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا))[3]. قال ابن القيم: "أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب. وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم"[4].

15. أخْذ التدابير التي تحفظ للقرآن مكانته، وتمنع من إهانته، كنهي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو بالإهانة ونحوه، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما–: ((أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ))[5]. قال النووي: "فيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث، وهي خوف أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإن أمنت هذه العلة فلا كراهة ولا منع منه"[6].

16. علَّم النبيّ الكريم – صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه كيفية التفاعل مع القرآن الكريم عند تلاوته أو الصلاة به، بأن يردُّوا على سؤال القرآن بجواب، وبالتسبيح والتمجيد عند المرور

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، (1/155–ح: 809).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، (1/554– ح: 805).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن، (6/198– ح: 5059).

(4) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (1/ 327).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو، (4/56– ح: 2990).

(6) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (13/ 13).

بآيات التنزيه، ونحو ذلك من الاستغفار، والتحميد، والتعوذ، والتأمين إذا كان في الآية ما يقتضي ذلك. فعن حذيفة – رضي الله عنه–، ((صَلَّيْتُ مَعَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ذَاتَ لَيْلَةٍ... يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قال: سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ))[1].

وعن جابر قال: ((خَرَجَ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾، قَالُوا: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ))[2].

17. بيَّن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لأصحابه المدة التي يقرأ فيها القرآن الكريم كاملًا، عنْ عبد الله بن عَمْرٍو – رضي الله عنهما–، قال: قال لِي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– : ((اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ. قال قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قال: فَاقْرَأْهُ فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً. قال قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قال: فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ))[3].

18. إكرام أهل القرآن، وإجلالهم، وتقديمهم في حياتهم وبعد مماتهم، فعن أبي مسعود الأنصاري – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ))[4]. وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إنَّ مِن إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرَامَ ذي

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، (1/536– ح: 772).

(2) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الرحمن، (5/399– ح: 3291). وانظر: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة الرحمن، (2/ 515– ح: 3766). وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصوم، النهي عن صوم، (2/814– ح: 1159).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، (1/465– ح: 673).

السُّلطَانِ المُقْسِطِ))[1]. ((وكَانَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ))[2].

19. وفي سياق الإكرام لحامل القرآن ومعلمه، فقد زوَّج النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– رجلًا من أصحابه ببعض سور القرآن الكريم على أن يعلِّمها زوجته، حين عدِم المهر من المال والمتاع، فقال له النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ. قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا، عَدَّدَهَا، فَقَالَ: تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ))[3].

20. حثّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على الاجتماع لمدارسة القرآن الكريم، ومن صورها أن يقرأ الرجل ويستمع إليه معلمه والآخرون، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[4]. كما جاءت الوصية بقراءة القرآن في المنازل، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ))[5].

21. جعل من آداب التلاوة: السجود عند قراءة آية أو سماعها وهي تتضمن سجدة التلاوة، لقول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: ((إِذَا قَرَأَ ابنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلِي، أُمِرَ ابنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ))[6]. وهذا التوجيه بسجود التلاوة يستند قبل ذلك إلى قوله تعالى: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [سورة الإسراء: 107].

---

(1) أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، (7/ 212 – ح: 4843)، وحسَّن إسناده الأرنؤوط في تحقيق سنن أبي داود.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من يقدم في اللحد، (2/91– ح: 1347).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب تزويج المعسر، (7/ 6– ح: 5087).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الذِكر..، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، (4/2074– ح: 2699).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، (1/539– ح: 780).

(6) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، (1/87– ح: 81).

22. الاعتدال في رفع الصوت عند قراءة القرآن الكريم تجنبًا للتشويش على المصلين أو القارئين الآخرين. فقد خرج رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ فَقَالَ: ((إِنَّ الْمُصَلِّيَ مُنَاجٍ رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ ما يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقِرَاءَةِ))[1].

23. اعتماد منهج التعلم للعمل في تلقي القرآن الكريم، كما بيَّن ذلك ابن مسعود، قال: ((كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ))[2]. وعن أَبِي عبد الرحمن السُّلَمِيّ قال: ((إِنَّا أَخَذْنَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ، فَأَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الْأُخَرِ حَتَّى يَعْمَلُوا ما فِيهِنَّ مِنَ الْعِلْمِ، قال: فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا))[3].

د- التوجيهات الربانية في التعامل مع السُنّة النبويّة

يمكن بنقاط الإشارة إلى التوجيهات الربانية التي كانت تأتي في سياق تقويم طريقة التعامل مع السُنّة أثناء حياته – صلّى الله عليه وسلّم– باعتبارها أساسًا لا يُسْتَغْنى عنه في محتوى منهج الرسالة الإسلامية، وكيف انعكست هذه التقويمات والملاحظات على ممارسات الصحابة – رضي الله عنهم– على النحو الآتي:

1) ورد التوجيه القرآني العام، والمبين لعظيم مكانة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأن الذي ينطق به وحي يوحى إليه، قال تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى**﴾

---

[1] الأصبحي، مالك بن أنس. الموطأ، تحقيق: محمد الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد للأعمال الخيرية، ط 1، 1425هـ – 2004م، (345/2–ح: 490). حديث صحيح، انظر: ابن حجر، نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، المحقق: حمدي عبد المجيد، دار ابن كثير، ط2، 1429هـ – 2008م. (2/ 17– المجلس 14).

[2] الطبري: تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل القرآن، (80/1). يقول أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى؛ لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من النبيّ – صلى الله عليه وسلم– فهو يحكي ما كان في ذلك العهد.

[3] ابن وضاح، محمد، البدع والنهي عنها، تحقيق: محمد دهمان، القاهرة، دار الصفا، ط1، 1411هـ–1990م، (170/2). والسلمي: هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة، كوفي تابعي ثقة ثبت، أَقْرَأَ القرآن في المسجد أربعين سنة، توفي 72 هـ. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، (5/ 161).

[سورة النجم: 3-4]، وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يَتَفَكَّرون﴾ [سورة النحل: 44].

2) ورد التأكيد من القرآن الكريم على وجوب طاعته – صلّى الله عليه وسلّم–، وأن ذلك من طاعة الله كما في قوله تعالى: ﴿وأطيعوا اللهوأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة التغابن: 12].

3) ورد الأمر القرآني بوجوب الأخذ بالسُنّة، والعمل بما أمر به النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [سورة الحشر: 7].

4) ورد التأكيد من الله تعالى على وجوب التأسِّي بالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– والأخذ بسنته، وهديه، وطريقته فهو – صلّى الله عليه وسلّم– الموحى له، والمبعوث من ربه تعالى، والأعلم بتفاصيل الرسالة وأهدافها. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كَانَ يَرْجُو اللَّهَوَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كثيرا﴾ [سورة الأحزاب: 21].

5) كان على المسلمين في بداية العهد النّبويّ ضرورة التمييز بين وحي القرآن الكريم، ووحي السُنّة، فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد، المتضمن كلامه – سبحانه وتعالى– وخطابه لعباده المُوحَى به باللفظ والمعنى، وهو المعجز والمتعَبَّد بتلاوته داخل الصلاة وخارجها. وهو كتاب تكفَّل ربنا – سبحانه وتعالى– بحفظه، فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [سورة الحجر: 9]. وفي المقابل كان عليهم أن يدركوا أن السُنّة النبويّة المتضمنة أقوال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأفعاله وتقريراته؛ تتوحد في مصدريتها مع القرآن الكريم، ولها مكانتها العظيمة إلى جانب القرآن الكريم في الحجية والتشريع والاستدلال. كما لا يستغنى بالقرآن عنها ولا بها عن القرآن؛ لما تضمنته من شروحات لازمة لكثير من الأحكام والموضوعات التي أجملها القرآن الكريم، كتفاصيل طريقة الصلاة، والزكاة، والحج، ونحوه.

التوجيهات النبويّة في التعامل مع السُنّة النبويّة

1) جاء التأكيد من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على أمته بوجوب طاعته والأخذ بسنته والعمل بها، في معرض سياق وصيته – صلّى الله عليه وسلّم–: ((فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[1].

2) وَرَدَ التحذير من أي ممارسة، أو أي اجتهاد يسوق صاحبه لترك سنة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أو الرغبة عنها؛ فالسُنّة تمثل المنهج، والنموذج الذي أراده الله تعالى أن يُحْتَذى ويُلْتَزم، كما يُفْهَم هذا المعنى من تحذيره– صلّى الله عليه وسلّم– للرهط الذين جاءوا بيوته يسألون عن عبادته، فقال لهم – صلّى الله عليه وسلّم– مقوّمًا: ((فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[2]. وكذلك ما جاء في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رسولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى))[3].

3) من الجدير بالذكر أن السُنّة النبويّة لم تذكر عناية النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بكتابة أقواله، أو إشرافه على تدوينها، كما كان يجري في طريقة تعامله مع وحي القرآن الكريم الذي كان يكتب فور تنزله. وعليه فكان مضمون السُنّة النبويّة، ومحتواها القولي، والفعلي يتداول وينقل بشكل شفهي في العموم في فترة حياته – صلّى الله عليه وسلّم– إلا من حالات فردية من بعض الصحابة – رضي الله عنهم– الذين استأذنوا في الكتابة.

يجدر الإشارة إلى وُرود النهي من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عن كتابة أحاديثه وأقواله، كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((لَا

---

[1] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديّين، (1/ 16 – ح: 43). وصحَّح إسناده الشوكاني، محمد بن علي، في الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، (5/ 2229).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (7/2– ح: 5063).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، (9/ 92– ح: 7280).

تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ))[1]. وكان السامع من الصحابة – رضي الله عنهم– لهذا النهي النّبويّ لا يسعه إلا الامتثال، فهو نهي صريح، ينهى عن كتابة السُنّة، ويأمر من كتب بعضها أن يمحوه.

وبالمقابل فقد ثبت عنه – صلّى الله عليه وسلّم– أحاديث تأذن بالكتابة وتأمر بها، كحديث عبد الله بن عَمْرٍو– رضي الله عنهما– قال: ((كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ، فَقَالَ: اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ))[2]. وقوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ))[3]، ويأتي هذا الأمر بالكتابة لأبي شاه بعض خطبه، وأحاديثه؛ مراعاة لحاله؛ كونه من بلاد بعيدة، وبناءً على طلبه – رضي الله عنه– ليأخذها معه إلى قومه.

وقد ذكر النووي أقوال العلماء للتوفيق والجمع بين أحاديث النهي والإباحة، ومنها "أن النهي عن كتابة السُنّة كان في حق من يُوثَق بحفظه ويُخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب، وبالمقابل تُحمَل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث "اكتبوا لأبي شاه". وقيل إن حديث النهي منسوخ، وأن النهي كان حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن بالكتابة. وقيل إنما نهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط؛ فيشتبه على القارئ"[4].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، (4/ 2298– ح: 3004).

[2] أبو داود: سنن أبي داود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، (3/ 318– ح: 3646). وصحَّح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، (2/989– ح: 1355). أبو شاه: رجل من أهل اليمن.

[4] النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (18/ 130).

4) ورد تحذير نبوي شديد يتجاوز مسألة الكتابة إلى مسألة الدقة في نقل السُنّة وروايتها للغير مشافهة وترهيبه جدًّا من الكذب عليه – صلّى الله عليه وسلّم– فقال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[1]. يقول الحافظ ابن حجر: "إن تقويله – صلّى الله عليه وسلّم– ما لم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى؛ لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء كان الإيجاب، أو الندب، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه"[2].

5) وفي إطار الهيبة، والخوف من الزلل في التعامل مع السُنّة النبويّة ونقلها، أحجم كثير من الصحابة – رضي الله عنهم– عن رواية السُنّة، وترددوا في ذلك حتى ولو كان ذلك مشافهة، يقول أَنَس بن مالك – رضي الله عنه– وهو يحدِّث أصحابه، فقال: "إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[3]. ومع ذلك فقد قام جملة من الصحابة – رضي الله عنهم– بما عليهم فنقلوا السُنّة إلى من بعدهم وكانوا خلال ذلك يستحضرون تأكيد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على ضرورة تحرّي الدقة عند سماعه، أو النقل عنه، في قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ))[4].

6) غلب الاعتماد على ملكة الحفظ في التعامل مع السُنّة النبويّة خلال الفترة التي عاشها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كما يقول الحافظ ابن حجر في مقدمته: "اعلم علمني الله وإياك أن آثار النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة، لأمرين: أحدهما أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك، كما ثبت في

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، (2/ 80– ح: 1291).
(2) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (1/ 200).
(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبيّ – صلى الله عليه وسلم–، (1/ 33– ح: 108).
(4) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (5/ 34– ح: 2656). وقال حديث حسن.

صحيح مسلم؛ خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم، وثانيهما لِسَعة حفظهم، وسيلان أذهانهم؛ ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة"[1]. ومع كل ذلك فلم يخلُ الأمر –في أواخر العهد المدني– من اعتناء البعض بكتابة السُنّة كعبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما– وهذا ظاهر من رواية أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: ((مَا مِنْ أَصْحَابِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا ما كَانَ مِنْ عبد الله بن عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ))[2]. وظاهر الحديث يشير إلى أن عدد الأحاديث المكتوبة عند عبد الله بن عمرو كان يضاهي الأحاديث المحفوظة عند أبي هريرة – رضي الله عنهما.

المطلب الثالث: التقويم في مجال طرائق التربية والتعليم

نتناول في هذا المبحث التقويم في مجال طرائق التعليم والتربية وأساليبها، وكيف أسهم الوحي في الإرشاد للطرق والأساليب المناسبة في العملية التربوية وتقويمها عند النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وعند صحابته الكرام – رضي الله عنهم– ثم نعرض لدور النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في مراجعة طرقه، وأساليبه التربوية، والدعوية، وتغييرها إن بدا غيرها أصلح منها. كما نورد ملاحظات النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ونقده لطرق وأساليب صحابته – رضي الله عنهم– على التفصيل الآتي:

أولًا: دور الوحي في تسديد العملية التربوية النبويّة

من المعلوم أن الرسول المعلم محمد – صلّى الله عليه وسلّم– كان يتلقى الدعم والتوجيه والتسديد من الله تعالى أثناء مهمته في تبليغ الرسالة، وتعليم الناس وهدايتهم وتزكيتهم، وكان – صلّى الله عليه وسلّم– محتاجًا إلى ذلك ولا يستغني عنه، أثناء تنفيذ مشروعه الرسالي التربوي. وكان جبريل الأمين – عليه السلام– رفيقه في هذه المسيرة والموكل بتنزيل الوحي وتقديم الدعم، كما قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: 193–194]، فكان الوحي يتنزل حسب الحوادث والمناسبات وعند الأسئلة وفي

---

[1] ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (1/ 6).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، (1/ 34– ح: 113).

المُلِمَّات. وربما كان يأتي جبريل – عليه السلام– على هيئة بشر ليسأل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وهو جالس بين أصحابه، كما في حديثه – صلّى الله عليه وسلّم– عندما قال: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ))[1]، وكان جبريل – عليه السلام– يجالس النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ويعرض عليه القرآن الكريم ويراجعه معه في رمضان من كل عام، يقول ابن عباس – رضي الله عنه–: ((كَانَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ ما يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ))[2]. وربما حضر ميكائيل – عليه السلام– بعض هذه الجلسات القرآنية كما ذكر ذلك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقال: ((نَعَمْ، إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ – عليهما السلام– أَتَيَانِي، فَقَعَدَ جِبْرِيلَ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلَ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيلُ – عليه السلام: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. قال مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ...))[3].

فكانت بحق عناية كبيرة ورعاية لا مثيل لها، تلقَّاها النبيّ الكريم محمد – صلّى الله عليه وسلّم– من ربه –سبحانه وتعالى– أثناء تنفيذه لمهمته النبويّة، يقول ابن تيمية: "وقد أيده تأييدًا لا يؤيد به إلا الأنبياء، بل لم يؤيد أحدًا من الأنبياء كما أيد به، كما أنه بعث بأفضل الكتب إلى أفضل الأمم بأفضل الشرائع، وجعله سيد ولد آدم – صلّى الله عليه وسلّم–"[4].

هذه الصحبة القريبة من الملائكة – عليهم السلام– للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– كانت بأمر الله تعالى، وكانت عاملًا ضروريًّا وحاسمًا في تسديد إجراءات الدعوة والتربية، وكان للدعم الإلهي المستمر عبر الوحي أثر كبير في دعم وإنجاح العملية التربوية النبويّة، وتحقق أهدافها.

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب معرفة الإيمان، (36/1– ح: 8).

(2) البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (8/1– ح: 6).

(3) النسائي: المجتبى من السنن = السنن الصغرى، كتاب الافتتاح، جامع ما جاء في القرآن، (154/2– ح: 941)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (ح: 941).

(4) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، السعودية، دار العاصمة، ط 2، 1419 هـ –1999م، (1/ 410).

وقد أظهر القرآن الكريم للناس حالة المتابعة الدائمة والملاحظة لأداء النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأنه على فضله وعظيم مكانته كغيره من الأنبياء –عليهم السلام – يبلغون الرسالة كما هي، بلا زيادة عليها أو نقصان، فقال تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تدرسون﴾ [سورة آل عمران: 79]، وقال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل* لأخذنا منه باليمين* ثم لقطعنا منه الوتين* فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة: 44–47]. وهذا الخطاب الواضح فيه رسالة للناس عمومًا بأن الرسل وخاتمهم – عليهم السلام– تحت مراقبة من الله – سبحانه وتعالى– تقويمًا لهم وعونًا حتى يتم المطلوب وتؤدى الرسالة، وأن على الناس جميعا أن يدركوا أن ما وصلهم من وحي حق لا ريب فيه.

ولم ينحصر الدعم الإلهي للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– في ضبط المحتوى النظري للرسالة المتمثل في آي القرآن الكريم، بل امتد إلى تقويم تطبيقاتها ومواقفها العملية، وينسحب على طرق البلاغ، والدعوة، والتربية، وهذا عبرَّت عنه السُنّة النبويّة في قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ)) [1]. يقول ابن القيم معلقًا على عبارة (وَمِثْلَهُ مَعَهُ): "وهذا هو السُنّة بلا شك"[2].

ومن الجدير بالذكر أن فترة الوحي والرسالة للنبي محمد – صلّى الله عليه وسلّم– كانت قصيرة فهي لم تتجاوز –بعد انتهائها– ثلاثةً وعشرين عامًا، وكان على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أن ينهي مهمته التربوية والدعوية خلال ما تبقى من سني عمره، فلم يكن في الوقت سعة لأن تقع العملية التربوية في أخطاء كبيرة تعطل مسارها أو تحرفه؛ وهذا استدعى أن يتدخل الوحي خاصةً عند التحولات، وضبط بدايات المراحل ونهاياتها؛ ليمنع الانجرار إلى طريق قد يؤخر تحقق الأهداف ضمن الزمن المتاح؛ ومن ذلك: ما كان من الأمر الإلهي بالبدء

---

[1] أبو داود، سنن أبي داود، كتاب السُنّة: باب في لزوم السُنّة، (4/ 200– ح: 4604)، وإسناده صحيح، كما بيّن الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

[2] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة، (ص: 249).

بدعوة العشيرة الأقربين، قال تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [سورة الشعراء: 214]. ثم الأمر بإنهاء المرحلة السرية والتوجيه إلى الجهر والإعلان، قال تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عَنِ المشركين﴾ [سورة الحجر: 94]. وكذلك الإذن بنقل مركز الدعوة والتربية من مكة المكرمة إلى المدينة، يبدو ذلك واضحًا في الحديث الذي أخرجه البخاري أن أَبا بَكْرٍ تَجَهَّزَ مُهَاجِرًا، فَقَالَ لَهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، قال أَبُو بَكْرٍ: هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قال: نَعَمْ، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ))[1]. والشاهد أنه – صلّى الله عليه وسلّم– لم يكن ليهاجر دون إذن من الله سبحانه وتعالى–، ويأتي ذلك في إطار الدعم الإلهي للعملية الدعوية التربوية التي أمر بها. وضبط مسارها. ونحوه ما ورد من الإذن بالقتال بعد الهجرة إلى يثرب في قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [سورة الحج: 39]. ومثله ما جاء من الإعلان عن البراءة من المشركين، بناء على قوله تعالى: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ [سورة التوبة: 1]. وروى أبو هريرة – رضي الله عنه– ذلك، فقال: ((بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنًى: أَنْ لا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ))[2].

والمتتبع للسنة النبويّة يلحظ أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إن حدث وساقه اجتهاد وشورى فاتخذ طريقًا كانت خلاف الأولى، فإن الوحي يسارع بالتدخل بالتقويم المناسب؛ كما حدث في قصة أسرى بدر. وكما حدث عقب رجوعه – صلّى الله عليه وسلّم– إلى بيته بعد انسحاب المشركين من غزوة الخندق، تروي عَائِشَةَ – رضي الله عنها– فتقول: ((لَمَّا رَجَعَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ – عليه السلام– فَقَالَ: "قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللَّهِ ما وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قال: فَإِلَى أَيْنَ؟ قال: هَا هُنَا، وَأَشَارَ

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه إلى المدينة، (5/ 58– ح: 3905)

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما يستر من العورة، (1/ 83– ح: 369).

إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إِلَيْهِمْ))[1]. وحدث مثل ذلك بعد رجوعه من غزوة أُحُد.

مما سبق يتبين عظيم العناية الإلهية بهذه العملية الإصلاحية التربوية الكبرى، والتي من مظاهرها تنزُّل الوحي في الوقت المناسب لدعم جهود النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وتقويم طرق الدعوة والتربية، وتطوير آليات التعامل مع الشرائح المختلفة. ويمكن أن تذكر قصة حَاطِبِ بن أَبِي بَلْتَعَةَ – رضي الله عنه– في هذا السياق حيث تدخل الوحي بتنبيه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بعد الأخذ بكل الأسباب الممكنة؛ رغبة منه في تحقيق هدف المرحلة وفتح مكة المكرمة ودخولها سلمًا.

ويمكن ملاحظة عدة سياقات ورد فيها التقويم الإلهي لأداء النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– نذكر منها:

أ– أنه جاء على شكل توجيهات وخطابات مباشرة بصيغة الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة: 67].

ب– أحيانًا كان يرد بصيغة النهي مثل، قوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وماتوا وهم فاسقون﴾ [سورة التوبة: 84].

ج– وأحيانًا أخرى كان يرد في ثنايا آيات القصص القرآني وتعقيبًا عليها حيث تختم القصة القرآنية بالدروس والعبر والرسائل التربوية التقويمية الضمنية والموجهة، مثل قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾ [سورة القلم: 48]، وقوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ [سورة الأحقاف: 35].

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، باب مرجع النبيّ – صلى الله عليه وسلم– من الأحزاب، (111/5– ح: 4117).

د- وأحيانًا كان يرد التوجيه الإلهي تعقيبًا على موقف أو أداء قام به النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- وتحليلًا لأبعاده وآثاره، نحو قوله تعالى: ﴿عبس وتولى * أن جاءه الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [سورة عبس: 1-4].

هـ- وأحيانًا كان يرد التقويم الإلهي للنبي المعلم في إطار الثناء عليه بما فيه من أخلاق وصفات وأعمال مثل قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وجوههم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [سورة الفتح: 29].

ثانيًا: تقويم الإلهي لطرق النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- وأساليبه التربوية

فيما يأتي شواهد لبعض مواقف التقويم الرباني للطرق والأساليب والمواقف النبويّة:

أ- ما ورد من تقويم إلهي يحمل في ثناياه تخفيفًا عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- **وتيسيرًا عليه، وأحيانًا تطمينًا، ومن ذلك:**

1- ما نزل من توجيه إلهي لطيف للنبي – صلّى الله عليه وسلّم- وبيان للطريقة الأمثل في تلقي الوحي من جبريل – عليه السلام- فقد روي عَنِ ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما-، قَوْله: ((كَانَ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم- إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ، فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ – سبحانه تعالى- قولَه: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه﴾ [سورة القيامة: 16-17]، قال: وَكَانَ -بعدها- إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ))[1]. وفي هذا التوجيه -بدايةً- تقدير من الله تعالى لنبيه – صلّى الله عليه وسلّم- فهو يذكر لنا طرفًا من حرصه، ومبادرته، وقلقه حول سلامة الوحي وتلقيه، كما أن فيه تيسيرًا عليه وتخفيفًا، وفيه أيضًا تطمين له بأن الله تعالى تكفّل له بحفظه فليس عليه أن يقلق خوفًا من نسيانه. قال تعالى: ﴿لا تعجل بالقرآن من

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة، (6/ 156- ح: 5044).

قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ [سورة طه: 114]. قال القشيري: "كان- صلّى الله عليه وسلّم- يتعجل بالتلَقُّف من جبريل - عليه السلام- مخافة النسيان، فأمره بالتثبت في التلقين، وأمّنه من طوارق النسيان، وعرّفه أن الذي يحفظ عليه ذلك هو الله"[1].

2- وجاء التوجيه الرباني يدعو النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- للرفق بنفسه أثناء دعوته، مذكرًا بأن ما على الرسول إلا البلاغ، وأن الهداية منه - سبحانه وتعالى- فقال تعالى: ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ﴾ [سورة الشورى: 48]. وقال تعالى ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ [سورة فاطر: 8]، وقال تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ [سورة الكهف: 6]، وروى السيوطي سبب نزول الآية فقال: "اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو البحيري في نفر من قريش، وكان الرسول - صلّى الله عليه وسلّم- قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه، وإنكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزنًا شديدًا"[2].

ب: ما كان يتنزل من تقويم إلهي عقب الحوادث والمواقف الاجتماعية، ومن ذلك:

1- ما روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها: ((أن النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فدخل على إحداهما، فقالتْ له ذلك، فقال: لاَ، بَلْ شَرِبْتُ

---

[1] القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 2000م، (2/ 480).

[2] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصحَّحه: أحمد عبد الشافي، بيروت - لبنان، دار الكتب الثقافية، 1422 هـ- 2002م، (ص: 101).

عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، فَلاَ تُخْبِرِي بِذَلِكِ أَحَدًا))[1].

فأنزل الله تعالى يعاتب نبيه – صلّى الله عليه وسلّم–قائلًا – سبحانه وتعالى–: ﴿يأيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾ [سورة التحريم: 1]، يقول صاحب الظلال: "فجاء هذا العتاب يوحي بأن ما جعله الله حلالًا، فلا يجوز حرمان النفس منه عمدًا وقصدًا إرضاءً لأحد. وفي التعقيب بقوله تعالى: (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، ما يوحي بأن هذا الحرمان من شأنه أن يستوجب المؤاخذة، لكن تتداركه مغفرة الله ورحمته، وهو إيحاء لطيف"[2].

2– ما روته عَائِشَةَ – رضي الله عنها– قالتْ: ((أُنْزِلَ: عَبَسَ وَتَوَلَّى، فِي ابن أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رسولَ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رسولَ اللهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رسولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ المُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ))[3]. وحصلت هذه المعاتبة الربانية كما ذكر الرازي لأن "ظاهر الواقعة يوهم بتقديم الأغنياء على الفقراء، وانكسار قلوب الفقراء، ونظيره قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [سورة الأنعام: 52][4].

ج: ما يتنزل من تقويم إلهي عقب الغزوات والسرايا، ومن ذلك:

1– ما نزل من عتاب عقب ما جرى في التعامل مع أسارى غزوة بدر الكبرى في العام الثاني للهجرة، حيث كان قد صدر قرار نبوي –بعد مشاورة– بأخذ الفدية من

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حرم طعامه، (8/141– ح: 6691). و(المغافير): هو صمغ حلو له رائحة كريهة ينضجه شجر يسمى العرفط.

(2) قطب، في ظلال القرآن، (9/ 459).

(3) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة عبس، (5/ 432– ح: 3331). وانظر: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة عبس، (2/ 558– ح: 3896). وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(4) الرازي: مفاتيح الغيب، (31/ 53).

الأسارى[1]، فنزل قوله الله – عز وجل–: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُثخن في الأرض﴾ [سورة الأنفال: 67]. يقول القرطبي "فأعلم الله – سبحانه وتعالى– نبيه أن قتل الأسرى الذين فُودُوا ببدر كان أولى من فدائهم"[2].

2– العتاب على قبول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أعذار المنافقين إبَّان غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة، فنزل قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لَك الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَم الْكاذِبِينَ﴾ [سورة التوبة: 43]. يقول صاحب الظلال: "إنه لطف الله برسوله، فهو يعجِّل له بالعفو قبل العتاب؛ فلقد توارى المتخلفون خلف إذن الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– لهم بالقعود حين قدموا له المعاذير، وكانوا سيتخلفون عن الركب حتى ولو لم يأذن لهم؛ فعندئذ تتكشف حقيقتهم ويسقط عنهم ثوب النفاق"[3]. وفي طريقة العتاب الرباني إيحاء تربوي لكل مربٍّ أن يُعجِّل بالعفو قبل المحاسبة أو العتاب فهو يبني جسور الوُدِّ، ويجعل عتابه أدعى للقبول.

ثالثا: ما كان من تقويم إلهي لبعض سلوكات الصحابة – رضي الله عنهم–

كثيرة هي الآيات التي تضمنت توجيهات ربانية، وتقويمات خوطب بها المؤمنون خاصة، والناس عامة في إطار الرسالة الربانية المنزلة، ولكن نقف عند بعض ما نزل تعظيمًا لمقام النَّبوة وتكريمًا للرسول محمد – صلّى الله عليه وسلّم–، على النحو الآتي:

عادة ما كانت تتنزل هذه التقويمات الربانية تعقيبًا على مواقف تضمنت سلوكات لم تكن لائقة في حقِّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كطريقة مخاطبته، أو مناداته، أو سؤاله، ونحوه من أدب الحديث بين يديه أو دخول الناس عليه وإطالة المكوث عنده، وكذلك طريقة مخاطبة نسائه أو أهل بيته – عليهم السلام–. وحيث إنها كانت آدابًا مرتبطة بشخصه الكريم – صلّى الله عليه وسلّم– فيبدو أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان يترك التعليق عليها حياءً منه؛

---

[1] انظر: مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة، (3/ 1383– ح: 1763).

[2] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، (8/ 48).

[3] قطب: في ظلال القرآن، (222/5).

كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [سورة الأحزاب: 53]، لذا نلاحظ أن الوحي الكريم كان يتدخل ويقدِّم التقويم المناسب للمؤمنين؛ ليضع الأمور في نصابها، ويحفظ للنبي حقه ومكانته، ومن ذلك:

أ. ما نزل من آيات قرآنية تضمنت النهي عن رفع الصوت فوق صوت النبيّ أو في حضرته – صلّى الله عليه وسلّم– أو الجهر له بالقول كما يجهر الناس لبعضهم. أخرج نحو ذلك البخاري عن ابن أَبِي مُلَيْكَةَ، قال: ((كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ – رضي الله عنهما– رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ... فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ [الحجرات: 2]. قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ))[1].

ب. وفي موقف آخر حين قدم وفد من أعراب بني تميم على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَنَادَوْا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مِنْ وَرَاءِ حُجْرَتِهِ أَنِ اخْرُجْ إِلَيْنَا، وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– نَامَ لِلْقَائِلَةِ[2]. فأنكر الله تعالى عليهم مناداتهم على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بهذه الطريقة من وراء الحجرات، وبيَّن لهم أنه كان الأجدر بهم الصبر، وانتظار النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حتى يخرج من بيته، قال – سبحانه

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبيّ) [الحجرات: 2]، (6/137– ح: 4845). عبد الله بن أبي مليكة: تابعي، وهذا السياق صورته الإرسال لكن ظهر في آخره أن ابن أبي مليكة حمله عن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه–. انظر: ابن حجر: فتح الباري، (8/ 590).

(2) انظر: الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجرات، (5/ 387– ح: 3267). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وتعالى-: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [سورة الحجرات: 4-5].

ج. ثمة العديد من التقويمات للصحابة – رضي الله عنهم- يمكن تتبعها في قصة أضياف النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- يوم زواجه بزينب – رضي الله عنها- فقد وجّه الله – سبحانه وتعالى- نقدًا لبعض السلوكات وأكد على مجموعة من الآداب، والأحكام ينبغي مراعاتها؛ احترامًا لمقام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- وأهل بيته الكرام، يقول أنس بن مالك – رضي الله عنه: ((لَمَّا تَزَوَّجَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا النَّاسَ، طَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ. قال: فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ مَنْ قَامَ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ وَبَقِيَ ثَلاَثَةٌ، وَإِنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- جَاءَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا القَوْمُ جُلُوسٌ،.. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ [سورة الأحزاب: 53][1]. وقد فصَّل القرطبي[2] في تفسيره هذه الآية فذكر ست عشرة مسألة تضمنت توجيهات وأحكامًا ينبغي مراعاتها تعظيمًا لمقام النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم-.

د. تقويم ظاهرة كثرة السؤال وتطوير منهجية المناجاة مع النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم- حيث كانت معايشته وسماحته ولين جانبه سببًا في كثرة مناجاة الناس له، فجاء التقويم لضبط الأمر على النحو الآتي:

1) تكرر التحذير النبوي الصريح من تكلّف السؤال والإلحاح فيه أو التعنت في السؤال عما سُكت عنه؛ لما قد يترتب على إجابته من تشريع يوجب أمرًا لم يكن واجبًا، أو يُحرّم أمرًا كان مباحًا. كما في دلالة حديث سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه-، أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((إِنَّ أَعْظَمَ المُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من قام من مجلسه أو بيته، (8/ 61- ح: 6271).

[2] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (14/ 223).

شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ)) [1]. ويمكن فهم ذات الدلالة من رواية زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ – رضي الله عنه–: ((أَنَّ النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي المَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فِيهَا لَيَالِيَ حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً، فَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحْنَحُ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "مَا زَالَ بِكُمُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُمْ بِهِ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلاَةِ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ"))[2]. ونحو هذا التقويم التربوي وفي سياق التحذير من التعنت في السؤال ورد في رواية أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم–، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: "لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ"، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ». وفي الحديث: "دليل على أن الأشياء على استصحاب حال الإباحة فيما لم ينزل فيه حُكم"[3]. وقال ابن رجب: "وأمَّا المسكوتُ عنه، فهو ما لم يُذكر حكمُه بتحليل ولا إيجاب ولا تحريم، فيكون معفوًّا عنه ولا يُسأل عنه ولا حرج على فاعله"[4].

2) تنزّلت وحي كريم في إطار التخفيف عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وحفظًا لمقامه ومنعًا من إشغاله بالردّ على أسئلة لا ينبني عليها فائدة أو عمل، كما في

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، (9/ 95–ح 7289). (جرمًا) ذنبًا وإثمًا. (من أجل مسألته) بسبب سؤاله.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، ((9/ 95– ح: 7290). (يتنحنح) من النحيح وهو الصوت يردد في الجوف.

[3] القاضي عياض، عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق، يحيى إسماعيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1419هـ – 1998م، (4/ 443).

[4] ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (2/ 163).

الحديث الذي أخرجه البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– اسْتِهْزَاءً، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ "فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: 101] حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا"[1]. قال الحافظ ابن حجر: "والحاصل أنها نزلت بسبب كثرة المسائل إما على سبيل الاستهزاء، أو الامتحان، وإما على سبيل التعنت عن الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة[2].

ولمّا كثر الناس حول النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم – وازدادت مسائلهم وتنوعت، جاء التقويم الرباني ليرتقي بمستوى أسئلة الصحابة المتعلمين – رضي الله عنهم– لتكون ذات مضمون وأهمية حقيقية تترتب عليها فائدة وعمل لا مجرد أسئلة متكلفة، فشُرعت –في سبيل ذلك– الصدقة لتُقدم بين يدي أي سؤال أو مناجاة مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رحيم﴾[المجادلة: 12]، فشقّ هذا التشريع على المسلمين، ورغم أن الحُكم استمر مدة يسيرة– عَشْر لَيَال– لكنه نُسِخَ[3] في قوله تعالى: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عليكم﴾ [سورة المجادلة: 13].

وكان تشريع هذا الحُكم ونسخه كافيًا لتحقيق التقويم التربوي المطلوب عند الصحابة – رضي الله عنهم– فتوقفوا عن فوضى السؤال وكثرته، وعظُمت في قلوبهم مهابة النبي – صلّى الله عليه وسلّم، وصار من أراد مناجاته يتحرى الارتقاء بأسئلته في مضمونها وطريقتها وتوقيتها.

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: {لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة: 101] (6/ 54–4622). (قوم) أناس من المنافقين واليهود.

[2] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (8/ 282).

[3] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، (17/ 303).

رابعًا: تقويم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لطرق الصحابة وأساليبهم التربوية

مارس النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عملية التقويم، والتعديل في الطرق والأساليب التي كان أصحابه يتبعونها أثناء الدعوة، والتعليم، والتربية. ونذكر فيما يلي شواهد على ذلك:

أ. التيسير بدل التعسير: حيث حرص النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على توجيه الصحابة لمراعاة حال المخطئ ومنطلق فعله، فأمرهم بتجنب الشدة أو التعسير وأمرهم بالتلطف والتيسير، والرفق بالجاهل؛ ومن الشواهد على ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فثار الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أو سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[1].

وقد أثمرت حكمة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ولينه تأليف قلب الأعرابي وتطييب خاطره، فراح يدعو في صلاته للنبي – صلّى الله عليه وسلّم–. ومن الجدير بالذكر أن التيسير كان وصية النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– المتكررة لمبعوثيه من القادة والمعلمين والقضاة، كما في وصيته لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما– قبيل بعثهما إلى اليمن– فقال لهما: ((يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا))[2].

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: ((يسروا ولا تعسروا))، (8/ 30– ح: 6128).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع، (4/ 65– ح: 3038).

ب. المحاكمة العقلية والحوار بدل الإكراه والإلزام، وشاهده حديث الفتى الشَّاب الذي أتى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يستأذنه بالزنا، فأقبل عليه القوم زاجرين ناهرين: مَهْ. مَهْ، فقال له – صلّى الله عليه وسلّم–: ((ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قال: فَجَلَسَ قال: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قال: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قال: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ... قال: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))[1]. وفي هذا الأسلوب التربوي الراقي من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– والمغاير لفعل الزاجرين والحاضرين؛ حيث قدَّر عدم نجاعة الزجر، أو الموعظة، أو سرد الأدلة النقلية في حالة هذا الشاب. فقد ظهر من سؤاله معرفته بتحريم الزنا؛ فاختار النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– طريقة تربوية تتمثل بالحوار الهادئ، والمحاكمة العقلية. ختمها النبيّ بوضع يده المباركة على صدر الشاب والدعاء له؛ مما أسهم بتحقق التغيير الإيجابي فتبدلت القناعات وتغيرت الرغبات.

ج. الرفق بالجاهل وغير القاصد، ومن ذلك ما رواه مُعَاوِيَةُ بنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ، قال: ((بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، ما شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي سَكَتُّ، فَلَمَّا – صلّى الله عليه وسلّم– قال: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))[2]، والشاهد أن الصحابي – رضي الله عنه– كان ينتظر توبيخًا بعد انتهاء الصلاة، لكن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عدل عن الزجر والتأنيب إلى أسلوب التوجيه الحكيم، فرفق بالجاهل غير القاصد، وقدّم توجيها مختصرًا عامًا له ولغيره. وكان لهذا الأسلوب اللين أثر نفسي طيب على الرجل؛ جعله يشهد قائلًا: ((فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، ما رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، ما كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي))[3].

---

(1) الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث أبي أمامة الباهلي، (36/ 545– ح: 22211).

(2) مسلم: صحيح مسلم، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، (1/381– ح: 537).

(3) المرجع السابق.

الفصل السادس:

استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

يتكون هذا الفصل من ستة مباحث، وهي:

المبحث الأول: استراتيجية التقويم المعتمد على الأداء.

المبحث الثاني: استراتيجية التقويم المعتمد على التواصل.

المبحث الثالث: استراتيجية التقويم المعتمد على الملاحظة.

المبحث الرابع: استراتيجية التقويم المعتمد على الأقران.

المبحث الخامس: استراتيجية التقويم المعتمد على مراجعة الذات.

المبحث السادس: استراتيجية التقويم المعتمد على الورقة والقلم.

الفصل السادس: استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة

يتم في هذا الفصل تتبُّع استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، في المباحث الستة الآتية:

المبحث الأول: استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على الأداء

تمهيد

تُعرَّفُ هذه الاستراتيجية في الأدب التربويّ المعاصر بأنها:

قيامُ المتعلم بتوضيح تعلُّمه؛ من خلال توظيف مهاراته في مواقف حياتية حقيقية، أو مواقف تحاكي المواقف الحقيقية، أو قيامه بعروضٍ عملية يُظهِر من خلالها مدى إتقانه لما اكتسب من مهارات، في ضوء النتاجات التعليميَّة المراد إنجازها[1].

ويظهر البعد الاستراتيجي هنا أن تقويم المتعلم والحكم النهائي عليه يكون ضمن خطة تقويمية مبينة على أساس توجيه المتعلم للقيام بأداءات تشكّل مؤشرات على تحقق الهدف التربوي في مجال ما، ثم تقويمها برصدها وتشخيص مستوى جودة الأداء فيها والحكم عليها وتصحيحها وتطويرها خلال الفترة الزمنية المحددة للتعليم والتربية.

وتصلح هذه الاستراتيجية لتقويم أداء أطراف الموقف التربوية، كالمتعلم بالدرجة الأولى، والأقران ثم المعلم والمشرف والمدير والوالدين ونحوهم من العناصر البشرية المؤثرة في العملية التربوية. وتُعرّف الدراسة الحالية استراتيجية التقويم التربوي المعتمِد على الأداء، بأنها: –

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، المبنية على توجيه المتعلم وتحفيزه للقيام بأداءات توضح تعلّمه في مواقف حياتية حقيقية، أو مواقف تحاكي الحقيقية، يُظهِر من خلالها إتقانه لما اكتسبه من معارف ومهارات وقيم، لتستثمر في وزنه وتقديره، أو تتميم نقصه، وتعديل اعوجاجه؛ أو تعزيزه وتطويره؛ بغية تحقيق أهداف تربوية.

---

[1] الثوابتة وفريق عمل، استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 43).

وتزداد فعالية التقويم المعتمد على الأداء إذا أُعلِمَ المتعلِّمون مقدمًا بالعزم على تنفيذ هذا النوع من التقويم، وشرحت أبعاده وأثره في الحُكم على تحصيلهم المعرفي والمهاري؛ فهذا من شأنه أن يتيح فرصة للمتعلم؛ لاقتراح تعديلات على معايير التقويم، مما يزيد من جودة أدائهم من ناحيةٍ ويراعي ظروفَهم والفروق بينهم ويزيد من دافعيتهم للتعلم.

ومما يميز التقويم المعتمد على الأداء؛ أنه يساعدُ على الربط بين أجزاء المعرفة المختلفة لدى المتعلم، وينمّي مبادئ التواصل، والاعتماد على الذات، والثقة بالنفس، والقدرة على الإنتاج؛ في محيط الأسرة والمؤسسة التعليمية والمجتمع، كما أنه يحسِّنُ من مهارات التفكير، ويزيد من القدرة على حلِّ المشكلات[1].

وقد أضاف الفريقُ الوطنيُّ الأردنيُّ للتقويم[2] ميزات أخرى لاستراتيجية التقويم المعتمد على الأداء، كما في النقاط الآتية:

أ- يحدث -من خلالها- تقويمٌ مباشر للأدوار؛ كما هي في واقع الحياة، أو يحاكيها بدرجة كبيرة؛ حيث تُقوَّم فيها المهاراتُ المعرفية والأدائية والوجدانية، وبذلك يستمد مصداقيته وصدقه.

ب- يؤدي إلى تقويم متكامل حين يركز على تقويم العمليات -البينية- والنواتج.

ج- يتيح للمتعلم دورًا إيجابيًّا وفعالًا في البحث عن المعلومات من عدة مصادر ومعالجتها.

د- يمكِّن المتعلم من القيام بعملية التقويم الذاتي في أثناء تنفيذ المهمة أو العمل أو المشروع.

هـ- يمكن أن يشترك المتعلم مع المعلم في وضع وتطوير معايير تقويم الأداء ومستوياتها.

---

[1] انظر: إبراهيم، هنادي عيسى، أساليب وخصائص التقويم المعتمد على الأداء في القرآن الكريم، مجلة كلية التربية- جامعة أسيوط، مجلد (31)، ع (5)، الجزء (2) 2015م، الصفحات (595-642)، (ص: 606).

[2] الثوابتة وفريق عمل، استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 43).

و- يعطي المتعلمَ والمعلم فرصةَ تعديل إجراءات ومهام التقويم؛ بناء على التغذية الراجعة المتبادلة، مما يساعد في الوصول إلى مستوى عالٍ من الجودة.

ز- يعطي المتعلم مجالًا للدِّفاعِ عن أدائه بالحجج والبراهين لتبريرها.

وتتعدد أشكال الأداءات التي يمكن أن يوجّه إليها المتعلم، والتي تندرج تحت هذه الاستراتيجية لتعبر عن إيمان المتعلم وفهمه وإتقانه وتمثّله للقيم. ولا شك أن تنوع هذه الأداءات يتأثر بعوامل كالمجال والتخصص ومستوى المتعلم والفروق الفردية ونحوه. وعليه فلا غرو أن تختلف أشكال هذه الأداءات وتتنوع وتتطور حسب ما تسمح به ظروف البيئة وما توفره من إمكانات وأدوات.

فمن هذه الأداءات المستخدمة في عصرنا ويمكن أن تندرج تحت هذه الاستراتيجية: العروض التوضيحية التي يقدِّمها المتعلم أمام معلمه وزملائه باستخدام أدوات وبرامج مساعدة، أو تقديم المتعلم حديثًا يحكي فيه تفاصيل تجربة خاضها، أو تنفيذه المحاكاة (لعب الأدوار)، وكذلك أداؤه في المناقشة والمناظرة، وتنفيذه المعارض والمشروعات والمهام الخاصة أو اختراع الحلول وصناعة المعدات[1].

وفي المطالب الآتية نعرض لجملة من الأحاديث النبويّة والمواقف التي تتضمن شواهد على تطبيق استراتيجية التقويم المعتمد على الأداء في السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

[1] انظر: دعمس، استراتيجيات التقويم التربوي الحديث وأدواته، (ص: 43).

المطلب الأول: الأداء العملي في العبادات

يُعرَّف الأداء العملي – عمومًا–، بأنه: "مجموعة من الإجراءات لإظهار المعرفة والمهارات والاتجاهات من خلال أداء المتعلم لمهمات محددة ينفذها عمليًّا، كأن يطلب من المتعلم إنتاج مجسم، أو خريطة، أو نموذج، أو استخدام جهاز، أو تصميم برنامج محوسب، أو صيانة محرك سيارة"[1].. ونحوه.

ويمكن تصورها في إطار السُنّة النبويّة بأنها: مجموعة الأداءات التي تعبِّر عن تقبُّل المتعلم –الصحابي– للمعرفة الإيمانية، واستيعابها وتمثِّل القيم الإسلامية، والاتجاهات المرتبطة؛ كأن يطلب منه تنفيذ جملة من الشعائر الدينية المناطة بالمسلم والتحلِّي بالأخلاق الإسلامية، وإظهار مؤشرات تدل على انتمائه، وتقديمه حبَّ الله تعالى ورسوله – صلّى الله عليه وسلّم.

فقد بيَّن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أن أداء الفرائض التي أمر الله – سبحانه وتعالى– بها هو أهم ما على المسلم أن يعتني به، فقال – صلّى الله عليه وسلّم– في الحديث القدسي: قال الله تعالى: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))[2]. ويؤكد ذلك ما رواه طلحة بن عبيد الله – رضي الله عنه– قال: ((جَاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ ما يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فإذا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإسلامِ، فقالَ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. فقال: هل عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قال: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ. قالَ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم: وَصِيَامُ رَمَضَانَ. قال: هل عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قال: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ. قال: وَذَكَرَ له رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– الزكاة، قال: هل عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قال: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ. قال: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قالَ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ))[3].

---

[1] الثوابتة وفريق عمل، استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 37).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، (8/ 105– ح: 6502).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، (1/ 18– ح: 46).

والشاهد تحديد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للمتعلمين من أصحابه – رضي الله عنهم– أبرز الأداءات العملية الدينية المطلوبة التي تراعي حق الله تعالى مع مراعاة أن الفرائض أفضل ما يتقرب به المرء إلى ربه وأنها مقدمة على غيرها من نوافل الأعمال. ومن بعدها يتزود المسلم بنوافل العبادات وأعمال الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. يقول ابن دقيق العيد: "فيه إشارة إلى أنه لا تقدم نافلة على فريضة"[1]. وعليه فإنه: "عند التزاحم يتعين تقديم الفروض على النوافل"[2].

وقد كان أداء الصلاة في مقدمة فرائض الإسلام بعد الشهادتين، ففي بداية الدعوة في الفترة المكية كان المسلم يستخفي بصلاته من المشركين؛ فيصلي في بيته، أو يذهب إلى شِعاب مكة إن رغب في الصلاة مع أخيه. وقد حدث يومًا أن سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– كانوا يصلون في شِعب من شعاب مكة؛ إذ ظهر عليه نفر من المشركين، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم[3]. وذكرت السيرة النبويّة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان يأتي شعاب مكة للصلاة فيها، كما نقل ذلك ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها[4].

وبعد استقرار الحال في يثرب صلَّى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بالناس إمامًا في المسجد النبوي، وكان من تقويمه لأداء الصحابة أن يتفقد الغائب منهم عن صلاة الجماعة، وينكر على المتخلفين عنها، ومن ذلك ما أخرجه مسلم أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَدَ ناسًا في بعض الصلوات، وفي رواية أخرى: قال عن قوم يتخلفون عن الجمعة: ((لَقَدْ هَمَمْتُ أَنَّ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا، فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ،

---

(1) ابن دقيق العيد: شرح الأربعين النووية، (ص: 128).

(2) آل سعدي، عبد الرحمن بن ناص، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، السعودية، وزارة الشئون الإسلامية، ط4، 1423 هـ، (ص: 89).

(3) الحلبي، علي بن إبراهيم، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1427 هـ، (1/ 402).

(4) ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 246).

بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا، يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ)) [1].

ويبدو أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لاحظ تخلفًا عن صلاتي العشاء والفجر، فراح يرغِّب أحيانًا، ويحذِّر أحيانًا أخرى، ويهدد بعقاب المتقاعسين، فكان مما قاله – صلّى الله عليه وسلّم: ((لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))[2]. وعليه فقد كان أداء الصلاة في وقتها ومع الجماعة مؤشرًا على سلامة الإيمان، وقوة الإقْبَال، أما التقصير فيها فهو مؤشرٌ على ركاكة الإيمان، ومظنةُ النفاق.

وكذلك الحال في بقية العبادات كالصوم، والقيام، وقراءة القرآن، والصدقة، فقد كان – عليه السلام– يتابع أصحابه – رضي الله عنهم– في هذه الأداءات، ويرشد إلى القدر المطلوب، وينهى عن التشدد والغلو، كما جرى نحو من هذا التقويم التربوي في حديث الرهط الثلاثة الذين جاءوا بيوت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يسألون عن عبادته فكأنَّهم تَقالُّوها، فجاء رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– إليهم، يصوِّب منهجهم في التفكير، والاستنتاج، والعبادة، ويؤكد على وجوب التزام سنته والاقتداء به– فقال لهم: ((أَنْتُمُ الذين قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[3]. ((ورَأَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– رَجُلًا يُصَلِّي بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ له النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: مَا هَاتَانِ الرَّكْعَتَانِ؟ فَقَالَ: لَمْ أَكُنْ صَلَّيْتُهُمَا قَبْلَ الْفَجْرِ، فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا))[4].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، (1/ 451– ح: 651).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، (657– ح: 1/ 132).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (7/2– ح: 5063).

[4] الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب الطهارة، باب: حديث عبد الرحمن بن مهدي، (1/ 409– ح: 1017). وقال الحاكم: صحيح على شرطهما.

المطلب الثاني: المشروع

يُعرَّف المشروع، بأنه: عمل استقصائي قد يجريه المتعلم بمفرده، أو بالاشتراك مع غيره بهدف حلِّ مشكلة ما أو الإجابة عن سؤال، أو تصميم عمل، أو القيام بتجربة، أو إنجاز مهمة ما، بما يكفل اكتشاف قدرة المتعلم أو إبداعه[1].

وفي دراسة إدارية عرّفت المشروع بأنه: مجموعة أنشطة أو عمليات متسلسلة ومترابطة هدفها إنتاج منتج وحيد وفريد في خصائصه، له بداية ونهاية محددتان، كما أنه ذو صفة مؤقتة ويتم تنفيذه بشكل تدريجي، وقد يضم فريق العمل فردًا واحدًا أو فريق عمل[2].

ومن خلال استقراء السُنّة النبويّة أمكن الوقوف على جملة مشروعات نفَّذها الصحابة – رضي الله عنهم– غالبها بتوجيه من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وتحت إشرافه، وبعضها كان إبداعًا من الصحابي – رضي الله عنه– والتي عبَّرت عن الأداء في إطار دعم جهود النبيّ الدعوية والتربوية، وهي في ذات الوقت أداءات تظهِر إيمان المتعلم وتمثّله للقيم وتُعبّر عن المعارف والمهارات المكتسبة.

ويمكن تصنيفها إلى مشروعات فردية وأخرى جماعية، نورد فيما يأتي شواهد عليها:

أولا: المشاريع الفردية:

أ. مشروع عتق الرقاب: بتحريرها وتخليصها من الأسر أو الرق، ولأنه مشروع كبير يعالج قضية مجتمعية ممتدة قديمة؛ لذا شارك فيه عموم المقتدرين من الصحابة – رضي الله عنهم– وكان ينفذ بشكل فردي حسب طاقة كل مقتدر وإمكاناته المالية. استجابة لتوجيه الله – سبحانه وتعالى– في قوله: ﴿فك رقبة﴾ [سورة البلد: 13]، وامتثالا لتوجيه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–

---

[1] انظر: هياجنة، أحمد ذيب، مدى استخدام معلمي اللغة العربية استراتيجيات التقويم البديل، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، إربد، 2007م، (ص: 61).

[2] العامري: صالح مهدي، الخطر في المشاريع مفاهيم أساسية واستراتيجيات الاستجابة، الأردن، جامعة البتراء، 2007م، (ص: 3).

في حديث أبي هريرة، قال: ((مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ إِرْبٍ مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ))[1].

وقد اشتهر أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– بعتق الرقاب، في إطار التخفيف عن المستضعفين من المسلمين أثناء المرحلة المكية الحرجة، حيث أعتق العديد من الرقاب التي كانت تُعذّب على أيدي كفار قريش، وكان ممن أعتقهم: بلال بن رباح، وحمامة أم بلال، وعامر بن فهيرة، وأبو فكيهة، وزنيرة وابنتها، والنهدية وابنتها، كذا امرأة يقال لها لطيفة. وكذا أخت عامر بن فهيرة – رضي الله عنهم–[2].

وعند ابن إسحاق أن أبا قحافة لامَ ابنه لعتقه من أعتق، فقال: "يا بني، إني أراك تُعْتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلتَ أعتقتَ رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونَك؟ فقال أبو بكر – رضي الله عنه: يَا أَبَتِ، إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ ما أُرِيدُ لله – عز وجل– قال: فيتحدَّثُ ما نزلَ هؤلاء الآياتُ إِلَّا فيه، وفيما قال له أبوه: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ [سورة الليل: 5]، إِلَى قَوْلِهِ – عز وجل: ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ [سورة الليل: 20]"[3].

ب. مشروع دعوة القبيلة إلى الإسلام وهو أن يتحمل الصحابي مسؤولية دعوة قومه إلى الإسلام، وأن يعتبر ذلك مشروعه الذي يأتي به إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– معبرًا بذلك عن وفائه لدينه، وحبِّه لله ولرسوله، وكان منها:

1. مشروع أبي ذَرٍّ الغفاري – رضي الله عنه:

يعتبر ما فعله هذا الصحابي شاهدًا على هذا النوع من المشروعات، فقد نجح في دعوة غفار وإدخالها إلى الإسلام، وكان إنجازه بذلك عظيمًا؛ فقبيلته قبيلة شديدة اشتهرت بالعَدْوِ على الحجيج وسرقتهم[4]. فقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لأبي ذَرٍّ الغفاري – رضي الله عنه– وقد أسلم مبكرًا في مكة: ((إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ، لا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب العتق، باب فضل العتق، (2/ 1147– ح: 1509).

[2] انظر: ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 318).

[3] ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 319).

[4] ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (6/ 545).

أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ- فتحرك أبو ذَرٍّ – رضي الله عنه- مستجيبًا للتوصية النبويّة؛ فأتى أخاه أُنَيْسًا وأمه فأَسْلَما وصدَّقا... ثم ساروا إلى قومهم غِفَار- فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ. وقال نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي. وتبعًا لهم جَاءَتْ قبيلة "أَسْلَمُ" فقالوا: يا رسول الله إِخْوَتُنَا –يَقْصدون غِفَار- نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ))[1].

قال ابن إسحاق: وأبو ذَرٍّ حين أسلم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر، وأُحُد، والخندق، ثم قدم على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- المدينة بعد ذلك[2]. وعند الخطابي: أنه كان مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- يوم حنين من قبيلة أَسْلَمَ أربع مائة ومن قبيلة غِفار مثلُ ذلك[3].

2. مشروع الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيّ – رضي الله عنه:

كان الطفيل رجلًا من أشراف اليمن شاعرًا لبيبًا، وسيِّدًا مُطاعًا في قومه، عندما قدم مكة حاولت قريش عزله عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- وتحذيره من شأن الإسلام. لكن الله – سبحانه وتعالى- قدَّر له الهداية، فالتقى بالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- وسمع منه القرآن ودخل الإســـلام.

ثُمَّ رجع الطفيل فدعا دَوْسًا إلى الإسلام، فأبطئوا عليه، فجاء رسولَ الله – صلّى الله عليه وسلّم- بمكة شاكيًا، فقال: يا رسول الله، إن دَوْسًا قد عصتْ وأَبَتْ فادْعُ اللَّهَ عليها، فظنَّ الناسُ أنّه يدعُو عليهم، لكن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- حثَّه على دوام دعوة قومه والرفق بهم، ودعا لهم بالخير – صلّى الله عليه وسلّم- فقال: ((اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ))[4]. يقول الطفيل:

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، (1919/4- ح: 2473).

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، (4/ 170).

(3) الخطابي: حمد بن محمد، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دمشق، دار الفكر، 1402هـ- 1982م، (1/ 184).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، (8/ 84- ح: 6397).

فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– إلى المدينة، ومضى بدر، وأحد، والخندق، ثم قدمت على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بخيبر– في العام السابع للهجرة– حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس، ثم لحقنا برسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين[1].

ومن الجدير بالذكر أن أبا هريرة كان ممن جاء مسلمًا مع الطفيل – رضي الله عنهما– وكان–أبو هريرة– حينها شابًّا نحيلًا لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره تبدو عليه ملامح الفقر الشديد، لكنه بَعْدَ قليل صار عَلَمًا يفيض عِلْمًا، فكان أكثر مَن نَقل حديث رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– على وجه البرية[2].

3. مشروع أبي بَصير – رضي الله عنه:

تذكر السُنّة النبويّة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عقد صلح الحديبية مع قريش ثم رجع إِلَى المدينة، فجاءه أبو بَصير وهو رجل من قريش جاء المدينة مسلمًا، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، ثم إن أبا بصير استطاع أن يتخلص منهما، فرجع إلى النبيّ في المدينة، فقال: يا نبيَّ الله، قد والله أوفى الله ذِمَّتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: ((وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَر حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ. فَجَعَلَ لا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ ما يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ...))[3].

---

[1] ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 384).

[2] انظر: التُّرباني، جهاد، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، القاهرة، دار التقوى للطبع والنشر، ط1، 1431هـ–2010م، (ص: 335).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (3/ 193– 2731).

ويعتبر ما قام به أبو بصير – رضي الله عنه– بمثابة مشروع إبداعي ناجح، كان له بداية ونهاية، فقد التقط أبو بصير رسالة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومقالته فيه، وأدرك أنّه سيردُّه إليهم إن بقي في المدينة، فخرج صوب ساحل البحر وأخذ مكانه بين الجبال على طريق قوافل لقريش، فصار يتعرض لها فيقطع طريقها مع أصحابه، ويستولي عليها. وقد بدأ أبو بصير مشروعه وهو رجل واحد، ثم نَما تدريجيًّا وكبر حتى صار حالة مقلقة لقريش عجزت عن التعامل معها– فاضطرت لمناشدة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بالله والرَّحم أن يقبل التنازل عن شرطها؛ تخلصًا وفكاكًا من مشروع أبي بصير وأصحابه – رضي الله عنهم.

4. مشروع زيد بن ثابت – رضي الله عنه– لتعلم لغة اليهود:

يأتي تَعلُّم زيد بن ثابت – رضي الله عنه– لغة اليهود في إطار التوجيه النّبويّ له لإنجاز مشروع فردي يساعد في التعامل مع رسائل اليهود التي كانت ترد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بلغتهم، فتصدى – رضي الله عنه– لهذا الأمر وأنجزه خلال فترة وجيزة. يقول زيد بن ثابت، قال: ((أَمَرَنِي رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قال: إِنِّي وَاللَّهِ ما آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ. قال: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ. قال: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ))[1].

ثانيا: المشاريع المشتركة:

والمشاريع الجماعية التي قام بها الصحابة مع الرسول عديدة، نذكر نماذج منها:

أ– مشروع الأشعريين التكافلي: وقد امتدحهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بما يقومون به من مشروع تكافلي يسدُّ حاجة الفقير منهم، وقد روى أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه– عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: قال: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي

[1] الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– باب ما جاء في تعليم السريانية، (5/ 67– ح: 2715)، وقال حديث حسن صحيح.

الغَزْوِ، أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))[1].

ب- بناء المسجد النبوي: يعتبر بناء المسجد النّبويّ من أبرز المشاريع التي نفذها الصحابة – رضي الله عنهم- بتوجيهات من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- وشاركهم بنفسه في الحمل والتوجيه[2].

ج- مشروع حفر الخندق: حول المدينة استعدادًا للتصدي لجيش الأحزاب القادم إلى المدينة لمحاربة المسلمين، فأشار بفكرته سلمان الفارسي – رضي الله عنه- وأنجزه المسلمون في فترة وجيزة بعد أن قسموا أنفسهم إلى مجموعات عمل منظمة تحفر كل مجموعة مسافة معينة، وشارك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- في الحفر، وإزالة العقبات المعترضة، وبالتوجيه، والمتابعة[3].

المطلب الثالث: إدارة المواقف وحلّ المشكلات

وهو نمط متقدم من أداء المتعلم، يمكن تصوره من خلال ما يظهره من حكمة في إدارة المواقف الحياتية المعترضة وقدرته على الصمود وحلّ المشكلات التي تواجهه، أو إسهامه في صناعة حلول إبداعية لها.

ولها شواهد في السُنّة النبويّة، نذكر منها موقف خالد بن الوليد – رضي الله عنه- في معركة مؤتة بعد استشهاد القادة الثلاثة؛ فاستطاع بجيش قليل العدد أن يُثْخِنَ في صفوف جيش الروم الكبير، ثم ينسحب محافظًا على من تبقى من جنوده، ويعيدهم إلى المدينة، فاستحق بهذه الإدارة الحكيمة والقيادة الراشدة أن يوصف بأنه سيف من سيوف الله تعالى، كما روى ذلك

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام، (3/ 138- ح: 2486). (أرملوا) من الإرمال وهو فناء الزاد وقلة الطعام (في إناء واحد) أي: اقتسموه بمكيال واحد حتى لا يتميز بعضهم عن بعض. (بالسوية) متساوين. (فهم مني وأنا منهم) طريقتي وطريقتهم واحدة في التعاون على البر والتقوى وطاعة الله – عز وجل.

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب نبش قبور المشركين، (1/ 94- ح: 428).

[3] أبو شهبة: السيرة النبويّة على ضوء القرآن والسُنّة، (2/ 277).

أنس – رضي الله عنه– ((أَنَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ للناسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُم خَبَرُهُمْ، فقال: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فأصيب، ثم أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثم أَخَذَ ابن رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ من سيوف الله، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيهِم))[1]. ويصف خالد – رضي الله عنه– ما تكسر من أسياف في يده يوم مؤتة فيقول: ((لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ))[2]. وهو بذلك يلفت انتباهنا إلى بسالته وثباته وعظيم صبره وحسن تدبيره – رضي الله عنه–.

ونحوه ما كان من اقتراح أم سلمة زوج النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يوم صلح الحديبية مِن حَلٍّ رفعتْ به الحرج عن المسلمين، وعن الرسول – صلّى الله عليه وسلّم–[3] حين أشارت بأن يبدأ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بنفسه، فيتحلل من إحرامه، ويحلق أمام الناس، ويذبح هديه، فقد حلَّت مشكلة بمشورتها فرفعت الحرج عن المسلمين في ذلك الموقف.

ومن الشواهد على حل المشكلات فيما يستجد من مواقف، ما حدث بين أسماء بنت أبي بكر وأبيها – رضي الله عنهما– أثناء ترتيباتهما لتأمين الطعام قبيل الهجرة، فتقول: ((صنعتُ سُفْرَةَ رسولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– في بَيتِ أَبي بكرٍ، حينَ أرادَ أن يُهاجِرَ إلى المدينةِ، قالتْ: فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ، وَلَا لِسِقَائِهِ ما نَرْبِطُهُمَا بِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللَّهِ ما أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُ بِهِ إِلَّا نِطَاقِي، قال: فَشُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ، فَارْبِطِيهِ: بِوَاحِدٍ السِّقَاءَ، وَبِالْآخَرِ السُّفْرَةَ، فَعَلْتُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ))[4].

ومن الشواهد أيضا أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أراد ذات ليلة العون في إكرام ضيف نزل به، فاستعان برجل من الأنصار فأخذ الضيف ليقوم بواجبه، وفي الصباح قوَّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– صنيع الرجل بالثناء عليه وتقديره، كما روى ذلك أبو هريرة – رضي الله عنه– قال:

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، (5/ 143– ح: 4262).
(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، (5/ 144– ح: 4265).
(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، (3/193– ح: 2731).
(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حمل الزاد في الغزو، (4/ 54– ح: 2979).

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، ما عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ... فَقَالَ: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ – رحمه الله؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رسولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قالتْ: لا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قال: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قال: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ))[1].

المطلب الرابع: المحاكاة ولعب الأدوار

وهو نمط من أداء المتعلم يمارس فيه حركات، أو إيماءات، أو أدوارًا من خلال الحوار، أو المناقشة، أو التمثيل، ضمن مواقف تحاكي الواقع، أو تحلُّ مشاكله، وتكشف عن مهارات معرفية، وأدائية متقدمة. وتعرف أيضًا بأنها: طريقة تمثيلية لأدوار شخصيات يختارها المتعلمون، فيبدعون خلالها في التعبير والحوار[2].

ونجد في السيرة النبويّة مواقف عديدة كان يطلب فيها من بعض الصحابة أداءات في إطار المحاكاة ولعب الأدوار؛ كما حدث مع حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه– حين طلب منه أن يلعب دورًا يمثِّل فيه كأنه فرد من أفراد جيش الأحزاب؛ ليأتي بخبرهم، وقد احتاج النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إلى ذلك أثناء غزوة الخندق، وكان ذلك في ليلة شديدة اجتمع فيها على الناس البرد والتعب والخوف. فسأل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه من يأتيني بخبر القوم؟ فلم يخرج أحد، حتى أَمرَ حذيفةَ بنَ اليمان – رضي الله عنه– أن يقوم فيخترق صفوف العدو، ويجلس بينهم، ويسمع أخبارهم، ويعود دون أن يثير العدو. فذهب حذيفة – رضي الله عنها– وتجاوز التحديات، وأتقن لعب الدور على أحسن ما يكون. يروي حذيفة – رضي الله عنه– تفاصيل ذلك، فيقول: ((لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– لَيْلَةَ

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، (3/ 1624– ح: 2054).

[2] انظر: سالي وآخرون، فعالية استخدام استراتيجية المحاكاة في تنمية بعض المفاهيم، المجلة العلمية لكلية التربية للطفولة المبكرة، مجلد (1)، العدد (2)، 2014م، (ص: 293).

الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم: ((أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم: وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: قُمْ يَا نَوْمَانُ))[1].

وعاد حذيفة بالأخبار سالمًا في أداء مميز استحق – رضي الله عنه– ثقة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ونال تقديره، فألبسه عباءته التي كان يصلي بها، وجعله صاحب سرّه[2].

ولعب نعيم بن مسعود – رضي الله عنه– دور الصديق الناصح، مع عطفان، وقريش، وقريظة وكان يخفي إسلامه، فأتى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي– غطفان– لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– له موجّها: ((إِنَّمَا أَنْت فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْت، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ)). فخرج نعيم بن مسعود – رضي الله عنه– فأوقع بينهم وثبّط من عزيمتهم[3]. فكان لأدائه أثر كبير في التخفيف على المسلمين في يوم الأحزاب.

ومما يذكر في هذا السياق الدور التمثيلي الكبير الذي لعبه محمد بن مسلمة مع ثلاثة من الأنصار – رضي الله عنهم– في التمثيل حتى قتلوا كعب بن الأشرف عدو الله ورسوله، حين قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: ((مَنْ لِكَعْبِ بن الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بن مَسْلَمَةَ: يَا رسولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قال: نَعَمْ، قال: ائْذَنْ لِي، فَلْأَقُلْ، قال: قُلْ،

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، (3/ 1414– ح: 1788). وانظر: ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 232).

[2] ابن كثير: السيرة النبويّة، (4/ 35).

[3] انظر: ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 229). انظر: ابن كثير: السيرة النبويّة، (3/ 214).

فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَذَكَرَ ما بَيْنَهُمَا، وقال: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً، وَقَدْ عَنَّانَا، فَلَمَّا سَمِعَهُ قال: وَأَيْضًا وَاللهِ، لَتَمَلُّنَّهُ، قال: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ، وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ، قال: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا، قال: فَمَا تَرْهَنُنِي؟ قال: ما تُرِيدُ؟ قال: تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ، قال: أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا؟ قال لَهُ: تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ، قال: يُسَبُّ ابن أَحَدِنَا، فَيُقَالُ: رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ، وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ –يَعْنِي السِّلَاحَ– قال: فَنَعَمْ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ، وَأَبِي عَبْسِ بن جَبْرٍ، وَعَبَّادِ بن بِشْرٍ، قال: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ... فَقَتَلُوهُ))[1].

وفي شاهد آخر أتقن فيه أبو بكر الصديق– رضي الله عنه– أثناء الهجرة تمثيل الدور والتورية؛ حماية للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– وتغطية عليه، أخرج البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– إِلَى المَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– شَابٌّ لا يُعْرَفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ، فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ! مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الخَيْرِ))[2]. والشاهد ما قام به أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– من أداء يحاكي فيه دور السيد مع دليله في طريق السفر، وبذلك نجح في كفِّ الطلب عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أثناء الهجرة.

المطلب الخامس: التقديم (العرض والإلقاء)

ويُعرَّف "التقديم" في التربية المعاصرة بأنه "أي نشاط يقوم به الطالب في مواجهة المعلم، وبقية الطلبة في صفِّه؛ بغية إظهار قدرته على أداء مهارة ما بشكل طبيعي دون أن يبدو الموقف وكأنه اختبار"[3]. ومن الأمثلة على ذلك إلقاء الشعر، والتمثيل، والمناظرة، والتعبير، وتلاوة القرآن، والتعبير عن موقف مَرَّ به، أو تجربة شخصية ونحو ذلك.

ومن أشهر التجارب الشخصية التي عرضت على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فجمع الناس لأجلها، تلك الرواية التي عرضها عليه تميم الداري – رضي الله عنه– فيما يعرف

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، (3/ 1425– ح: 1801).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبيّ – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه إلى المدينة، (5/ 62– ح: 3911).

(3) هياجنة: مدى استخدام معلمي اللغة العربية استراتيجيات التقويم البديل، (ص: 61).

بحديث الجسَّاسة، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنِّي وَاللهِ ما جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ؛ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا.. الحديث))[1]. ثم ساق النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ما أخبره به تميم الداري، وما عرضه من تفاصيل تجربته الشخصية. وفي هذا العرض والتقديم من تميم نتيجتان: الأولى: أنه أسهم في تثبيت تميم الداري على إيمانه فهو حديث عهد بالإسلام. والثانية: أسهم في تثبيت المستمعين من الصحابة على إيمانهم، بسبب ما جرى من توافق بين ما أخبر به تميم مع ما أخبرهم به النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم.

ومن التجارب التي عرضت بين يدي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأثنى على صنيع أصحابها؛ ما رواه أبو سعيد – رضي الله عنه– عن نفر من الصحابة عادوا من سفرة سافروها ومعهم قطيع غنم، فذكروا للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– ما حصل معهم من رقية الملدوغ بسورة الفاتحة، وأنهم أعطوا قطيع الغنم مقابل ذلك، فقال – صلّى الله عليه وسلّم– للراقي: ((وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ ثُمَّ قال: خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ))[2]. فهو – صلّى الله عليه وسلّم– استمع لروايتهم، وأقرَّ صنيعهم، وأكَّد جواز الرقية بالفاتحة، وأحلَّ لهم ما أخذوه من أجرة على تلك الرقية.

ومثلها ما عرضه الصحابة من تجربة فريدة أثناء سرية قادها أبو عبيدة بن الجراح – رضي الله عنه– قرب ساحل البحر، فلما عادوا عرضوا تفاصيل تجربتهم لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وما مرُّوا به من معاناة وصبر، وكيف أكرمهم الله تعالى في تلك السرية، فرزقهم حوتًا عظيمًا على ساحل البحر أكلوا منه شهرًا حتى سمنوا، وحملوا إلى المدينة من لحمه وشائق. فقال لهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: ((هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟))[3]. وقد عبَّر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عن تقديره لمعاناة أصحابه في هذه السرية التي سميت بسرية "سِيف البحر" وثمَّنَ صبرهم، وطاعتهم أميرهم، وأن

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجسَّاسة، (2261/4– ح: 2942).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، (1727/4–ح: 2201).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة ميتات البحر، (1935).
الوشائق جمع وشيقة، وهي القديد، أو هي اللحم يؤخذ فيغلى ولا ينضج ويحمل في الأسفار.

ذلك الحوت رزق من الله تعالى لهم. ومن تفاعله مع الموقف سألهم من هذا الرزق المبارك فأرسلوا له فأكل منه – صلّى الله عليه وسلّم.

ومما كان يعرض بين يدي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الشعر، والذي كان آلة نقل الأخبار، وتوثيق الأحداث في ذلك العصر، وقد أدرك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ذلك، فاستمع لما يتناقله الناس من شعر مدحًا وهجاءً ونحوه، ثم إن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– رأى حاجته لانتخاب شاعر من المسلمين؛ لينافح عنه ويهجو عدوه، كما روت عائشة – رضي الله عنها– أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ فَأَرْسَلَ إلى ابن رَوَاحَةَ فقال: اهْجُهُمْ، فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كعْبِ بن مالِك، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بن ثَابِتٍ، فَلَمَّا دخل عليه، قال حَسَّانُ... وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قالت عائشةُ: فَسَمِعْتُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ لِحَسَّانَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، ما نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وقالت: سمعت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يقول: هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى))[1].

والشاهد التشجيع على نظم الشعر القوي المُوَجَّه للذبّ عن حياض الإسلام والمسلمين، وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يسمح بعرضه عليه فيستمع له ويقوّمه. وقد ارتضى شعر حسان بن ثابت – رضي الله عنه– وأثنى عليه، وأتاح الفرصة لغيره من الشعراء ليعرضوا أمامه قصائدهم، فيثني على المجيد ويكرمه.

ومما يذكر في هذا السياق ما أنشده الشاعر كعب بن زهير بن أبي سُلمى بعد إسلامه أمام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من قصيدة "بانت سعاد"[2] امتدح فيها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وأثنى على الصحابة – رضي الله عنهم–[3].

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان، (4/1935– ح: 2490).

(2) ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 503).

(3) قصيدة "بانت سعاد"، عُرِضَت بين يدي الرسول – صلى الله عليه وسلم– ورويت من عدة طرق، كلها ضعيف استقلالًا، إلا أن مجموع طرقها يدل على أن لها أصلًا، وشهرتها معروفة في كتب السير والتواريخ، وقد استدل بها كثير من أهل العلم. انظر: موقع الإسلام سؤال وجواب، على شبكة الإنترنت، منشور بتاريخ 2018/3/19م. https: //2u. pw/LRFJ5b.

المبحث الثاني: استراتيجية التقويم التربوي المعتمد على التواصل

تمهيد

التواصل لغة من: الفعل وصل، فيقال: وَصَلَ الشيءَ بالشيءِ؛ أي: يَصِلُهُ وَصْلًا وَصِلَةً. وَاتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ: لَمْ يَنْقَطِع. وَوَصَّلَهُ تَوْصِيْلًا: لَأَمَهُ. وَفِي التنزيل العزيز: ﴿ولقد وصلنا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 51]؛ أَي: وَصَّلْنا ذِكْرَ الأَنْبِياءِ وَأَقاصِيْصَ مَنْ مَضَى بَعْضَها بِبَعْضٍ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ. ووَصَلَ بمعنى اتَّصَلَ، والوَصْلُ: ضدُّ الهِجران. والتَواصُلُ: ضد التصارُم –والقطيعة–. وكل شيء اتَّصلَ بشيء فما بينهما وُصْلَة، أي اتِّصالٌ وذريعةٌ[1].

ويعرَّف الاتصالُ بأنه: "وسيلة يمكن بواسطتها نقل البيانات، أو المعلومات، أو الحقائق، أو الأفكار بين اثنين أو أكثر؛ عن طريق رسائل شفوية أو مكتوبة أو اعتمادًا على إشارات رمزية لها دلالات معينة يفهمها المستقبِل، من أجل تحقيق فهم جيد بين الأفراد"[2]. وهو يعني أيضًا تفاعلات أو تفاعل بين طرفين أو أكثر في موقف معين لتبادل المعلومات بهدف تحقيق تأثير معين لدى أو كل من الطرفين، أو تبادل رسائل بين طرفين مختلفين باستخدام وسائل – قنوات– للاتصال[3].

ويُعرَّف التقويم بالتواصل في إطاره التربوي: بأنه نشاط تفاعلي بين المعلم وطلبته يقوم على إرسال المعلومات واستقبالها بينهم[4]. وفرّق "القميزي" بين الاتصال والتواصل في إطاره التربوي فقال: الاتصال التربوي هو: عملية موجّهة في البيئة التعليمية لنقل معلومات أو توجيهات أو أفكار من طرف الآخر، ولكن دون وجود تفاعل في العملية؛ أي بدون انتظار ردة الفعل من الطرف الآخر، بهدف إحداث تأثير في النمط السلوكي للمستقبِل... وبما يخدم تحقيق

---

(1) انظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، (31/ 79 – 86).

(2) المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب، مبادئ إدارة الأعمال، 161 دار، السعودية، (د. ط)، (د. ت)، (ص31).

(3) الصرايرة، إسماعيل محمد، التحليل الإستراتيجي في إعادة هندسة العمليات الإدارية، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، (ط1)، عمّان – الأردن، 2012م، (ص: 40).

(4) الظفيري والبشير، درجة توظيف استراتيجيات التقويم وأدواته، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس، مجلد (15)، عدد (1)، 2021م. (ص: 31).

أهداف المؤسسة التعليمية. أما التواصل التربوي فهو: عملية تفاعلية مشتركة في البيئة التعليمية لتناقل المعلومات والتوجيهات والأفكار من طرف لآخر، مع انتظار ردود الفعل، بهدف إحداث تأثير في النمط السلوكي للمستقبل... وبما يخدم تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية"[1].

وعُرِّفت استراتيجية التقويم التربوي بالتواصل بأنها: "جمع المعلومات من خلال فعاليات التواصل عن مدى التقدم الذي حقَّقه المتعلم، وكذلك معرفة طبيعة تفكيره، وأسلوبه في حلِّ المشكلات"[2]. وهذا التعريف ركَّز جهد التواصل على جمع البيانات عن المتعلم، والكشف عن المعلومات المرتبطة بأفكاره وأسلوبه ومستوى تقدُّمِه، دون أن يشير إلى جهود المعلم التقويمية للتأثير في المتعلم بالتوجيه والتعزيز والعلاج، والتي هي غرض التواصل الأساسي.

وتُعرّف الدراسة الحالية استراتيجية التقويم المعتمد على التواصل بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، والمبنية على تحقيق أشمل وأمثل للاتصال والتواصل الموجّه للموقف التربوي أيًّا كان فاعله، واستثماره في وزنه وتقديره، أو تتميم نقصه، أو تعديل اعوجاجه؛ أو تثبيته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف تربوية.

فهي استراتيجية تعتمد على الاتصال أو التواصل لتشكل منه مسارًا تربويًا هادفًا مشتملًا على النشاطات والوسائل والطرق والمهارات والفعاليات المحقِقة للتواصل التربوي المباشر وغير المباشر؛ والذي تُستثمر في جمع المعلومات عن المتعلمين؛ لمعرفة طبيعة تفكيرهم، وميولهم واتجاهاتهم وخلفية مواقفهم، وأسلوبهم في مواجهة المشكلات، بقصد وزن وتقدير حالهم والتأثير الإيجابي عليهم في سياق تقويمي يحقق أهداف العملية التربوية.

وتظهر أهمية هذه الاستراتيجية التقويمية في كون التواصل أساسًا في أي علاقة اجتماعية، وهذا ينسحب على أيِّ عملية تعليمية أو تربوية أو دعوية.

---

[1] القميزي، حمد عبدالله، تقنيات التعليم ومهارات الاتصال، القاهرة – مصر، دار روابط وتقنية المعلومات للنشر، ط2، 2016م، (ص: 123).

[2] انظر: الثوابتة وفريق عمل، استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 75).

وتبرز أهمية التقويم المعتمد على التواصل –أيضًا– في كونه مفيدًا لأطراف العملية التربوية؛ فيكشف المعلم من خلاله طريقةَ تفكير المتعلم وحاجاته وأسلوبه في حلِّ المشكلات، –ويحصل على تغذية راجعة– تعين على التخطيط الأمثل للتدريس. ومن جانب آخر: فهو مفيدٌ للمتعلم ليطور من قدراته على التعلم، ويعينه على مراجعة الذات[1].

ويكون التواصل التربوي فعَّالًا ومحققًا لأهدافه؛ كلما تنوعت أشكاله وأدواته وفعالياته، وكلما كان متاحًا على امتداد الزمان والمكان، وواضحًا بعيدًا عن التشويش، وفي وقته دون تأخير. ويتميز التقويم المعتمد على التواصل عمومًا بأنه:

أ– عمليَّةٌ تعاونية بين المعلم والمتعلم[2]، فكلما رافق التواصلَ تفاعلٌ وحرصٌ من الطرفين على مشاركة المعلومات، والإجابة عن الاستفسارات؛ حقَّقَ التقويم أغراضه بشكل أفضل.

ب– الشمول: للموضوع الذي يُقَوَّم، فإذا أردنا أن نقوِّم أثر المنهج في التلميذ، فعلينا أن نُفعِّل التواصل لرصد مدى التقدم في جميع الجوانب العقلية والمهارية ونحوها[3].

ج– الاستمرار: بتتابع التواصل الفعّال ودون تأخير أو انقطاع، من بداية عملية التعلم حتى نهايتها، مما يسهل الوقوف على مواطن الضعف وعلاجها، ومواطن القوة وتعزيزها[4].

د– المرونة: حيث تتعدد أدوات التواصل، وتتنوع أشكاله وفعالياته؛ مراعاة للفروق بين ظروف المستهدفين ومستوياتهم.

هـ– استيعاب وسائل العصر: باستثمار وسائل التواصل المتاحة ضمن البيئة والعصر، وتوظيفها في عمليات التشخيص والوقاية والعلاج.

---

(1) انظر: المرجع السابق، (ص: 75).

(2) العدوان: زيد سليمان، وداود، أحمد عيسى، استراتيجيات التدريس الحديثة، عمان – الأردن، مركز ديبونو لتعليم التفكير، ط 1، 2016م، (ص: 210).

(3) انظر: خليفة، عبد السلام الشيباني، الاتجاهات المعاصرة في التقويم التربوي ودورها في تطوير العملية التعليمية، مصر، مجلة فكر وإبداع، مجلد (86)، 2014م، الصفحات (485–506)، (ص: 490). https: //2u. pw/403rVE

(4) المرجع السابق.

وفي المطالب الآتية نعرض لجملة من الأحاديث النبويّة والمواقف التي تتضمن شواهد على تطبيق استراتيجية التقويم المعتمد على التواصل وأدواته في السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

المطلب الأول: المقابلة

تعرف بأنها "لقاء بين المعلم والمتعلم، يمنح المعلم فرصة الحصول على معلومات تتعلق بأفكار المتعلم واتجاهاته نحو موضوع معين، ويتضمن سلسلة من الأسئلة المعدة مسبقًا، وقد تكون المقابلة فردية أو جماعية"[1]. وتفيد المقابلة في عمليات التشخيص، والاستيضاح، وجمع المعلومات والتوثق منها. وفي السُنّة النبويّة صور لها وشواهد عليها، نذكر منها ما يلي:

1. مقابلات النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في الطائف

ذهب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إلى الطائف فأقام فيها عشرة أيام لا يَدَعُ أحدًا من أشرافها إلا جاءه وكلَّمه، ومما ذكرته السيرة مقابلته مع الإخوة الثلاثة من أشراف ثقيف، وهم: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، أبناء عمرو بن عمير بن عوف[2]. وفي هذه المقابلة دعاهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إلى الله تعالى، وكلَّمهم طالبًا نصرتهم في نشر الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه. فرفضوا دعوته وأبوا نصرته[3]. والشاهد: أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أمضى أيامًا في الطائف يتواصل مع أهلها، ويقابل أشرافها؛ لأنه يريد الحماية والنصرة إلى جانب الدعوة، ويُعَدُّ تحرك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومبادرته للتواصل مع الناس خارج مكة مهمًّا، فمن خلاله استطاع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فحص مدى صلاحية الطائف لتكون حاضنة بديلة للدعوة، وحصل على معلومات واضحة تعبر عن موقف أهل الطائف، وطريقة تفكيرهم، وردَّة فعلهم تجاه الدعوة وطلبِ النصرة، ومع أن أهل الطائف رفضوا

---

[1] المغذوي، أساليب التقويم في ضوء استراتيجيات التدريس الحديثة، على شبكة الإنترنت، (ص: 52). https: //2u. pw/q4zycJ

[2] انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (165/1).

[3] انظر: ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (419/1).

دعوة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأساءوا معاملته، فإنهم أخذوا حقهم من التواصل المباشر معه – صلّى الله عليه وسلّم– والتعرف على شخصه والسماع منه دون واسطة، فأدركوا أنهم مستهدفون بهذه الدعوة كقريش وسائر العرب.

2. مقابلاته – صلّى الله عليه وسلّم– الوفود القادمة إلى المدينة.

اشتهر في السيرة أن يُسَمَّى العام التاسع عام الوفود؛ لكثرة ما جاء من وفود قبائل الجزيرة العربية؛ لتعلن إسلامها وولاءها، حدث ذلك بعد دخول قريش، وثقيف في الإسلام؛ حيث كان العرب عمومًا يرقبون موقف قريش من أمر الإسلام؛ لأنهم غمام الناس وأهل بيت الله، فلما دانوا، وفُتِحت مكة، وأسلمت ثقيف، عرفت باقي القبائل أنه لا طاقة لهم بهم، فوفدت الوفود من كل وجه يدخلون في دين الله أفواجًا[1].

ومما اشتهر من مقابلاته – صلّى الله عليه وسلّم– والتي جرت في إطار التواصل لتقويم الأفكار وتصحيح العقائد، ما جرى من مقابلات عديدة مع وفد نصارى نجران، حيث كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قد بعث لهم كتابًا يدعوهم فيه إلى الإسلام، فقَدِموا المدينة[2]، وأجريت معهم مقابلات عديدة هدفت إلى تشخيص موقفهم العقدي ودحضه بالحجة. وقد استطاع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– خلال المقابلات أن يهزَّ ما استقر في قلوب القوم من معتقدات باطلة في عيسى – عليه السلام– حتى إنهم خشوا من المباهلة تحسبًا من وقوع أثرها عليهم[3]. ورتَّب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قبل نهاية المقابلة تواصلًا فعَّالًا مع نصارى نجران، وكان بموافقتهم، سواء على الصعيد الاقتصادي بدفع الجزية السنوية، أو على الصعيد الديني حين أرسل معهم أمينَ هذه الأمة أبا عبيدة بن الجراح – رضي الله عنه– يقضي بينهم.

---

(1) الفَتَّنِي، محمد طاهر، مجمع بحار الأنوار. حيدر أباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1387 هـ – 1967م، (ج5/ 272).

(2) انظر: ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 575).

(3) انظر: البخاري: صحيح البخاري، باب المغازي، باب قصة نجران، (5/172– ح: 4380).

المطلب الثاني: الأسئلة والأجوبة

مفهومها في إطار التقويم: أنها أسئلة مباشرة من المعلم إلى المتعلم لرصد مدى تقدمه، وجمع معلومات عن طبيعة تفكيره، وأسلوبه في حل المشكلات[1]. وهي كثيرة في السُنّة النبويّة، وقد كتبت لجمعها رسائل علمية[2]، وفي هذا المقام نذكر نموذجين من هذه الأسئلة فيما يأتي:

1. سؤال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عن شهب السماء

عن عبد الله بن عباس– رضي الله عنهما– قال: أخبرني رجل من أصحاب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: ((مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: فَإِنَّهَا لا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، الحديث))[3]. والشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– استثمر فرصة نزول شهاب من السماء أثناء جلوسه ليلًا مع أصحابه – رضي الله عنهم– فسألهم مستكشفًا ما كان لديهم من تفسيرات ومن تصورات حول ذلك. ويأتي هذا في إطار التواصل المباشر بهدف التقويم. ثم بعد سماعه تفسيراتهم، يُبيّن لهم بطلانها، وأنها لا تعدو أن تكون أوهامًا وخرافات، ثم بيَّن لهم الاعتقاد السليم، والتصور الصحيح المرتبط بالموقف. ويُعَدُّ ما تمَّ من تواصل بالسؤال والجواب في هذا الموقف تقويمًا للصحابة – رضي الله عنهم– في إطار تشخيص التصورات والمفاهيم ثم تصحيحها.

---

(1) الثوابتة وفريق عمل: استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 77).

(2) انظر: الجعفري: نعمات محمد، أسئلة الرسول في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية دراسة حديثية موضوعية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 1427هـ.

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (1750/4– ح: 2229).

2.سؤال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عن الأمل والحياة

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أنه ((خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وقال: هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ –أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ– وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا))[1]. وفي رواية عند ابن ماجة: ((فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا الْإِنْسَانُ الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ إِلَى جَنْبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ – أَوْ تَنْهَسُهُ – مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْمُرَبَّعُ الْأَجَلُ الْمُحِيطُ، وَالْخَطُّ الْخَارِجُ الْأَمَلُ))[2]. والشاهد في الحديث أنه يُظهر شكلًا من التواصل بين النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه – رضي الله عنهم– حين يرسم لهم على الرمل أشكالًا وخطوطًا، ويدعوهم لتوجيه بصرهم إليها، وتأملها، ويسألهم عن دلالتها، وينتظر منهم إجابة، لكنهم يعتذرون بقولهم: الله ورسوله أعلم.

ويأتي هذا الحديث في سياق التذكير بقصر الدنيا وفنائها، وأهمية الاستعداد لما بعدها، والتنبُّه من الغفلة، أو الاغترار بطول الأمل، وهذا الأمر لأهميته كان حاضرًا متكررًا في توجيهات النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– . قال ابن بطال: "في الحديث تنبيه من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لأمته على تقصير الأمل، واستشعار الأجل خوف بغتته، فمن غيّب عنه أجله، فهو حريٌّ بتوقعه وانتظاره؛ خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة... فإن ابن آدم مجبول على الأمل، كما قال – صلّى الله عليه وسلّم: ((لَا يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: في حب الدنيا وطول الأمل))[3][4]".

ويلاحظ تنويع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في أساليبه التعليمية والتقويمية، ففي سؤاله هنا استخدم الرسم على الرمل، فصمم بنفسه وسيلة حسّية، وأعَدَّها أمام المتعلمين من أصحابه، وما يميزها أنها سهلة الإعداد، مستوحاة من البيئة لا تكلّفَ فيها ولا مشقة، مما يسّر على المتعلم محاكاة الموقف التقويمي ونقله كاملًا.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الأمل وطوله، (8/ 89– ح: 6417).

(2) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، (2/ 1414– ح:4231).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، (8/89– ح: 6420).

(4) ابن بطال: شرح صحيح البخاري، (150/10).

المطلب الثالث: الرسل والمراسلات

اعتمد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مراسلة الملوك، والأمراء، وشيوخ العشائر، وإرسال المبعوثين، والدعاة، والمعلمين، والقضاة إلى الدول المجاورة، والقبائل، وتحميلهم في الأثناء رسائل شفوية ومكتوبة تتضمن تعريفًا بالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ودعوته، ومن الأمثلة عليها ما يأتي:

1. المراسلات مع ملك الحبشة

بيَّنت السيرة هجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين، وخلالها أوصلوا للنجاشي حاكمها مقالة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في حقّه وثناءه عليه، حين قال: ((لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا))[1]. ثم كتب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للنجاشي كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، فأسلم وقال: "لو قدرت أن آتيه، لأتيته. وكتب إليه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان – رضي الله عنها– كما كتب إليه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه – رضي الله عنهم– ويحملهم، ففعل"[2].

والشاهد أن التواصل مع ملك الحبشة بدأ مبكرًا من خلال اللقاء المباشر مع المهاجرين المسلمين القادمين إلى الحبشة، ثم تلا ذلك مجموعة من المراسلات المكتوبة من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– والتي أثمرت دخول النجاشي في الإسلام، كما أسهمت بتحسين ظروف حياة المهاجرين المسلمين في الحبشة؛ حيث مكثوا مدة زادت على عشر سنوات، مارسوا خلالها الشعائر الدينية بِحُرّية ودون خوف.

وقد قدَّر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– صنيع النجاشي حين وكَّله تزويجه أم حبيبة– رضي الله عنها– كما أنه صلَّى عليه لَمَّا تُوفِّي وأمر الصحابة – رضي الله عنهم– بالاستغفار

---

[1] انظر: ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (321/1).

[2] ابن سعد: الطبقات الكبرى، (162/1).

له[1]؛ وقد مثّل ذلك رسالة إلى أهل الحبشة عبَّرت عن التقدير لما قامت به الحبشة ممثلة بحاكمها في نصرة الإسلام والمسلمين، وقد ذكر البخاري أحاديث النجاشي في كتاب مناقب الأنصار، ولعل ذلك لاعتبار سبقه غيره بإيواء المسلمين وحمايتهم – رحمه الله.

2. إرسال مصعب بن عمير – رضي الله عنه– إلى يثرب قبل الهجرة

قال ابن سعد في الطبقات: "لما انصرف أهل العقبة الأولى الاثنا عشر، وفشا الإسلام في دور الأنصار أرسلت الأنصار إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وكتبت إليه كتابًا: ابعث إلينا رجلًا يفقهنا في الدين، ويقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير – رضي الله عنه– ... فكان يأتي الأنصار في دورهم وقبائلهم، فيدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، فيُسلِم الرجل والرجلان حتى ظهر الإسلام. ثم كتب مصعب بن عمير – رضي الله عنه– إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يستأذنه في أن يقيم صلاة الجمعة فيهم، فأذن له، وكتب إليه بذلك[2]. والشاهد أن ما جرى من التواصل مع أهل يثرب حقق خيرًا كثيرًا ومباركًا، وتقدمًا مطردًا لصالح الدعوة وانتشارها، فقد بدأ مع ستة رهط خَزْرَجِيّين، ثم صاروا بعد عام اثني عشر، ثم في العام التالي حضر سبعون منهم في بيعة العقبة الثانية، وتكلل النجاح بأن انتشر الإسلام في كل يثرب، كما أن هذا التواصل أحال الأوس والخزرج من قبيلتين متناحرتين على الكفر إلى كيان مؤمن موحَّد، سُمِّي بعد ذلك بـ "الأنصار".

3. إرسال الرسل والمعلمين

كان من عادة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومنهجه إذا أسلم أحد من قبيلة بعيدة أن يمكثه بالقرب منه فترة؛ ليصلي هذا الغريب مع الناس، فيتعلم ما تيسر من أحكام الدين ومبادئ القرآن، ثم يأمره النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بالعودة إلى قبيلته داعيًا فيها. حدث ذلك مع الطُّفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسِيّ – رضي الله عنه– ومع أبي ذَرٍّ الغفاري حين أُرسل كل منهما إلى

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، (51/5– ح: 3877).

[2] ابن سعد، الطبقات الكبرى، (87/3).

قومه داعيًا ومعلمًا. فقد قال – صلّى الله عليه وسلّم– لأبي ذَرّ الغفاري – رضي الله عنه–: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ))[1].

وبعد الهجرة صار النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يرسل المعلمين إلى المدن والأنحاء،

وقد أصيب المسلمون في المعلمين مرتين: الأولى: حين فقدوا عشرة من المعلمين بعد أُحُد، كانوا أرسلوا إلى عَضَلٍ وَالْقَارَّةِ، بعد أن جاء نفر من هذه القبائل فسألوا النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– نفرًا من أصحابه، حتى إذا كانوا على الرجيع، وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز، غدر القوم بهم، فاستشهدوا جميعهم – رضي الله عنهم –[2].

والحادثة الثانية كانت أشد ألمًا، وكانت في صَفَر سنة أربع من الهجرة، حيث أصيب المسلمون بسبعين من القراء، كانوا أرسلوا إلى نجد دعاة ومعلمين، فغُدِر بهم واستشهدوا قرب بئر معونة[3]. يقول أنس بن مالك – رضي الله عنه–: ((دَعَا رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ ثَلاَثِينَ غَدَاةً، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) [4].

وكان ممن بعثهم إلى اليمن وما حولها معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري[5] وعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد – رضي الله عنهم–[6]. وأرسل إلى نجران أبا عبيدة عامر بن

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة زمزم، (184/4– ح: 3528).

(2) انظر: المرجع السابق، (2/ 169).

(3) انظر: المرجع السابق، (2/ 183).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل قول الله تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا} [آل عمران: 170]، (4/ 21– ح:2814).

(5) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع، (ج4/65– ح: 3038).

(6) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، (163/5– ح: 4349).

الجراح – رضي الله عنهم–[1]، وبعث كتابًا إلى عمرو بن حزم واليه على نجران، أمره أن يُفقِّههم في الدين، ويُعلِّمهم القرآن[2].

4.مراسلات النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– المكتوبة إلى الملوك وزعماء القبائل

روى أنس بن مالك – رضي الله عنه– فقال: ((إن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أراد أن يكتب إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، فقيل: إنهم لا يقبلون كتابًا إلا بخاتم، فصاغ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– خاتمًا حلقته فضة، ونقش فيه محمد رسول الله))[3]. والشاهد: تعامل النبيّ – بإيجابية مع عرف الأمراء والملوك في شأن توثيق الكتب والرسائل فاتخذ خاتمًا له نقشه: "محمد رسول الله". وهو شاهد على تقويم الشكل النهائي للرسالة المكتوبة والمصدرة واستحداث خاتم مناسب يؤكد توثيقها وسلامة مصدرها.

كما أرسل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الرسائل إلى القبائل العربية في الجزيرة، وقد ذكر ابن سعد في طبقاته تفصيلًا مطولًا[4] لعشرات الرسائل ووثق نحوًا من (110) رسالة، أشرف رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– على صياغتها، وإملائها، وإرسالها إلى القبائل والزعماء والأمراء في الأنحاء والأطراف، ولم يختلف مضمون هذه المراسلات كثيرًا عن التي أرسلت إلى الملوك، فقد دارت حول نبذ الشِرك، والدعوة لاتباع دين التوحيد.

ومن دلالات ما سبق:

أ– أولى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عناية بالمراسلات المكتوبة، والتي بدأت بعد صلح الحديبية، في إطار دعوة الناس، وتقويم عقائدهم، وتثبيت بعض القبائل على الإسلام.

ب– اعتنى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بالإشراف على صياغة الرسائل بلغة سليمة رصينة مناسبة، وراعى أن يكون مضمونها مناسبًا لما عليه القوم من معتقد.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، (5/172– ح: 4380).

(2) انظر: ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 595).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبيّ – صلى الله عليه وسلم– خاتمًا، (3/1656– ح: 2092).

(4) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (1/204 –222).

ج- كان حامل الرسالة من اللباقة بمكان، وكان قادرًا على الحديث بلغة القوم المرسل إليهم، والتعبير عن محتوى الرسالة والأخذ والردّ، وهذا حقَّق مزيدًا من التفاعل مع الرسائل المكتوبة وكان أدعى لتقدير مرسلها وحاملها. يقول ابن سعد في الطبقات: "وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم"[1].

د- كثرة الرسائل النبويّة المكتوبة الموجهة، تشير إلى معرفة تفصيلية دقيقة بالجغرافيا البشرية عند النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- وأصحابه - رضي الله عنهم.

هـ- كانت الرسائل المكتوبة خطوة مهمة على طريق تقويم معتقد القبائل والأقوام من خلال دعوتهم للدخول في الإسلام.

و- تفاوتت ردود أفعال الزعماء والقادة عند وصول رسالة النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- إليهم، فمثلًا: كسرى مزق الرسالة[2]. والمقوقس اكتفى بإرسال هدية، أما النجاشي فكان الأحسن استجابة حين أسلم.

ز- كانت معايير الاستجابة لرسائل النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- تتمثل في إشهار الإسلام ورفع الأذان، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فقد وردت أحاديث تؤكد جعل الأذان علامة الإيمان، فقد روى مسلم عن أنس - رضي الله عنه- أنه قال: ((كَانَ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ))[3].

ح- أثمرت هذه المراسلات والرسل والتحركات دخولَ الناس في دين الله أفواجًا، وتوافد ممثلو الأقوام والقبائل على المدينة المنورة يعلنون إسلامهم، ويبدءون معه مشوار التربية والتعليم، فيلتقون بالنبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- مباشرة؛ يهبهم من علمه ويزكيهم، ويكتب لبعضهم ويرسل مع بعضهم المعلمين.

---

[1] المرجع السابق، (198/1).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبيّ - صلى الله عليه وسلم- إلى كسرى وقيصر، (8/6- ح: 4424).

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة..، (1/ 288- ح: 382).

المطلب الرابع: الزيارة

وهي تشمل زيارة الرحم، وزيارة الأخ في الله، وزيارات التهنئة بالأفراح والتعزية بالأتراح، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض ونحوها، كل هذا رغّب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فيه، وطبّقه في سياق التواصل التربوي المفضي إلى التناصر والتكافل والتناصح وتوثيق عرى المحبة بين أبناء المجتمع المسلم. ومن أنماط هذه الزيارات ما يأتي:

1. الزيارات الأخوية:

روى أبو هريرة – رضي الله عنه– قال: ((إِنَّ رجلًا زارَ أخًا له في قرية أخرى، فَأَرْصَدَ الله له على مدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله– عز وجل– قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته في))[1]. والشاهد: ترغيب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في التواصل بالزيارة بين الإخوة والأصحاب، وربط ذلك بمحبة الله ورضاه.

وتذكر السُنّة النبويّة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان يخرج من بيته يزور أصحابه – رضي الله عنهم– فيجالسهم في بيوتهم، ويأكل من طعامهم. ومما يروى في ذلك أنه زار ذات يوم –أو ليلة ومعه أبو بكر وعمر– رجلًا من الأنصار، فانطلق فجاءهم بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: ((إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ، فذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[2].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله، (4/1988– ح: 2567).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، (3/1609– ح: 2038). (العِذْق) غصن النخل ذو الفروع الحاملة للثمرة، و(البسر) ثمر النخل قبل أن يرطب.

2. عيادة المريض

عن ثوبان – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: ((مَنْ عَادَ مريضًا لم يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ"، قيل يا رسول الله وما خُرْفَةُ الْجَنَّة؟ قال: جَنَاهَا))[1]. يقول الحافظ ابن حجر: "شبَّه ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه الذي يجتني الثمر"[2]. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ))[3]. وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يعود المريض، فورد أنه زار سعد بن مالك – رضي الله عنه– من مرضٍ أصابه عام حَجَّةِ الوَدَاعِ[4]، وعاد جابرَ بن عبد الله – رضي الله عنه– يقول جابر: ((مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– وَأَبُو بَكْرٍ يَعُودَانِي مَاشِيَيْنِ، فَأُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَأَفَقْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ [النساء: 176]))[5].

وفي شاهد آخر أخرجه مسلم يظهر زيارة جماعية قام بها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وثلة من أصحابه لسعد بن عبادة – رضي الله عنهم– أثناء مرضه، روى ذلك عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ– رضي الله عنهما– قال: ((كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم–إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم: "يَا أَخَا الْأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم: مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟ فَقَامَ، وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ، وَلَا

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، (1989/4– ح: 2568).

[2] ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (113/10).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، الأمر باتباع الجنائز، (71/2– ح: 1240).

[4] البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم– اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، (69/5– ح: 3936).

[5] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، (1234/3– ح: 1616). (الكلالة) قالوا هي اسم يقع على الوارث وعلى الموروث فإن وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وإن وقع على الموروث فهو على من مات ولا يرثه أحد الأبوين ولا أحد الأولاد.

قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ، حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ))[1].

3.زيارات الأفراح والأتراح

حرص النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على مشاركة أصحابه، ومواساتهم وأهليهم وقت الأحزان، ومما ورد في ذلك أنه جاء يعود آل جعفر بعد شهادته في مؤتة – رضي الله عنه– فأتاهم بعد ثلاثة أيام، فقال: ((لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ قال: ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي، فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ، فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رؤوسَنَا))[2]. والشاهد أنه – صلّى الله عليه وسلّم– يقوم بالتعزية بنفسه، ويقدم الدعم اللازم والتوجيه، ويرعى أبناء الشهداء، ويجعل من نفسه القدوة في ذلك.

ومن جهة أخرى كان يلبّي – صلّى الله عليه وسلّم– دعوة الفرح والعرس، فيحضرها ويأكل من طعامها، ويدعو بالخير لأهلها، فقد أخرج البخاري عن سهل، قال: ((لما عَرَّسَ أبو أُسَيْدٍ السَّاعديُّ، دَعَا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابَه – رضي الله عنهم– فما صَنَع لهم طعامًا ولا قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ أُمُّ أُسَيْدٍ، بَلَّتْ تَمَرَاتٍ فِي تَوْرٍ من حجارة من الليل. فلما فَرَغَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من الطعام أَمَاثَتْهُ لَهُ فَسَقَتْهُ، تُتْحِفُهُ بذلك))[3].

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في عيادة المرضى، (2/ 637– ح: 925). (السباخ) هي جمع سبخة وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

[2] أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الترجُّل، باب حلق الرأس، (259/6– ح: 4192). وصحَّح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم، (26/7– ح: 5182). (تور) إناء من نحاس أو غيره. (أماثته) مرسته وأذابته. (تتحفه) تزيد في سروره وإكرامه.

4.زيارات صلة الرحم

تضافرت الأحاديث النبويّة في التأكيد على صلة الرحم والقيام بحقِّها، والتحذير من قطعها، ومنها: ما رواه أبو هريرة عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قال: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قالتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قال: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قال: فَهُوَ لَكِ"[1]. وتتحقق صلة الرحم بطرق كثيرة، كالزيارة، والهدية، وبالمواساة بالمال، وبتقديم المعونة، ودوام السؤال والتواصل بما هو متاح من وسائل.

إن مجموع الأحاديث السابقة يؤكد أهمية التواصل بالزيارة بين المسلمين؛ أرحامًا كانوا أو أصدقاءَ وجيرانًا؛ حيث أمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بذلك، وقام بها بنفسه. فهذه الزيارات تحقق أهدافًا تربوية تقويمية عديدة، على رأسها تعزيز المحبة والتناصح والتكافل.

المطلب الخامس: المؤْتَمر

وهو لقاء مبرمج يعقد بين المعلِّم والمتعلم؛ لتقويم مدى تقدم المتعلم في مشروع معين ضمن تاريخ معين، ثم يقوم المعلم بتوجيه أسئلة للمتعلم يدير من خلالها نقاشًا لتحديد الخطوات اللاحقة واللازمة لتحسين تعلمه[2]. فهو لقاء لمناقشة تقرير مهمة سابقة كُلِّف بها المتعلم لتقويمها والبناء عليها. ونجد للمؤْتَمَر بهذا التعريف تطبيقات في السُنّة النبويّة، نذكر أمثلة منها:

1.مؤتمرات العقبة

بعد عودة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من الطائف صار يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم حَجِّهم، يعرِّفهم بنفسه، ويدعوهم إلى تصديقه والدخول في الإسلام، ويسألهم المنعة. ثم إنه قُدِّر له أن يلتقي بستة رهط خزرجيين، فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا، وواعدهم

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم، (6/8– ح: 5987).

[2] انظر: الثوابتة وفريق عمل: استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 80).

اللقاء في الموسم التالي[1]. ثم تلا ذلك ثلاثة مؤتمرات في مواسم الحج المتتابعة، على النحو الآتي:

أ. المؤتمر الأول: حضره عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، في إشارة إلى أن الرهط الستة نجحوا في رأب الصدع بين الأوس والخزرج، وتوجيه أهل يثرب للدخول في الإسلام[2]. وفي هذا المؤتمر تمت بيعة العقبة الأولى، وعاد القوم لمتابعة مهمتهم في نشر الدين، وتهيئة يثرب لاستقبال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم.

ب. المؤتمر الثاني: مع مصعب بن عمير حين خرج – رضي الله عنه– من المدينة مع السبعين صوب مكة المكرمة، فوافَوْا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– في العقبة الثانية في موسم الحج، فقدم مكة، فجاء منزل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أولًا، فجعل يخبر رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– عن الأنصار وسرعتهم إلى الإسلام... فسُرَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بكل ما أخبره[3]. وكان ما قدَّمه مصعب من تقرير أعمال وإنجاز بمثابة مؤتمر بينه وبين النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– جرى فيه عرض ما تم والترتيب للقادم.

ج. المؤتمر الثالث: روى ابن إسحاق عن كعب بن مالك – رضي الله عنه– قال: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بالعقبة من أوسط أيام التشريق. قال: ((فلمَّا فَرغْنا مِنَ الحجِّ، وكانتِ الليلةُ التي واعدنا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بها... نِمْنَا تَلِكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمَعَادِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا))[4].

---

[1] انظر: ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (425/1).

[2] الغضبان، محمد، المنهج الحركي للسيرة النبويّة، الزرقاء– الأردن: مكتبة المنار، ط6، 1411هـ، (157/1).

[3] ابن سعد: الطبقات الكبرى، (88/3).

[4] انظر: ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (441/1).

الشاهد والدلالات:

أ- حقق ما جرى من التواصل مع أهل يثرب خيرًا كثيرًا، وتقدمًا مُطَّردًا في الدعوة، فقد بدأ بمقابلة مباركة، ثم تلا ذلك عدة لقاءات على شكل مؤتمرات، كانت تقدم فيها تقارير الإنجاز التي تظهر حجم التغيير والتقدم لصالح الدعوة. ثم يأخذ المؤتمرون تعليمات جديدة، ويعودون لمتابعة مهام أخرى.

ب- نتج عن هذه المؤتمرات إنجاز عظيم على المستويين الفردي والجماعي، فقد أحدثت تغييرًا كبيرًا في الأنصار حين أخرجت من نفوسهم الشرك، وأدخلت الإيمان، وطهر ما علق فيها من معتقدات وتصورات جاهلية، كما أنها أحالتهم من قبيلتين متناحرتين على الكفر إلى كيان موحد على الإسلام، فاستحقوا ثناء النبيّ عليهم - صلّى الله عليه وسلّم- حين تمنَّى أن يكون منهم. كما روى أبو هريرة - رضي الله عنه- عن النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا، أو شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ))[1].

ج- وفي تفاصيل بيعة العقبة الثانية: تَكَلَّمَ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- فَتَلَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قال: ((أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُم... فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ أبو الهيثم بن التيهان - رضي الله عنه- فقال: يَا رسول الله، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا- يَعْنِي الْيَهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟ قال: فَتَبَسَّمَ رسولُ اللهِ - صلّى الله عليه وسلّم- ثُمَّ قال: بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ))[2]. فبايعوه.

د- قام النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- بتقسيم المجموعة الكبيرة إلى مجموعات أصغر، فطلب أن يخرجوا من بينهم اثني عشر نقيبًا عنهم... ثم عقد بيعة إضافية مع هؤلاء النقباء

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبيّ - صلى الله عليه وسلم: «لولا الهجرة»، (31/5- ح: 3779).

[2] ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (442/1).

فقال لهم – صلّى الله عليه وسلّم: ((أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلَاءُ، كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابن مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي–يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ– قَالُوا: نَعَمْ))[1]. ثم انفض المؤتمر.

2.أشكال أخرى للمؤتمر في السُنّة النبويّة

وجد الباحث في السُنّة النبويّة أشكالًا أخرى للمؤتمر تتعدى اللقاء لمناقشة تقرير مهمة سابقة بين معلم ومتعلم إلى مؤتمرات ذات أهداف أخرى، تندرج تحت استراتيجية التقويم المعتمد على التواصل. نذكر منها الآتي:

أ– مؤتمر الحج: يمكن تعريفه بأنه: مؤتمر سنوي ختامي لفعاليات المسلمين في نهاية كل عام، يتميز بكثرة الحاضرين، يترقب فيه المسلمون اللقاء بقادتهم وإخوانهم، فينظِّمون مؤتمرات عديدة مصغرة على هامش فريضة الحج تناقش أوضاع المسلمين، وتحاول تقويم أحوالهم، ثم يختمون حجَّهم بمؤتمر عظيم في ساحة عرفة يعلنون فيه عزة دينهم ويؤكدون على مبادئهم، ويفصحون فيه عن قرارات وتعميمات، ويختم ببعض التوصيات. يقول ابن باز: "إن الله – جل وعلا– جعل موسم الحج مؤتمرًا لعباده، يتوبون إليه من تقصيرهم وذنوبهم، ويتعارفون فيه، ويتشاورون ويتناصحون، ويأتمرون بالمعروف، ويتناهون عن المنكر"[2]. ويقول محمود خطاب: "وكان عمر بن الخطاب في خلافته يَعُدُّ مواسم الحج مؤتمرات إسلامية عامة لمحاسبة الولاة والأمراء، والاتصال المباشر بالرعية القادمين من أقطار الإسلام البعيدة والقريبة"[3].

ب– مؤتمر العفو العام، يقول ابن إسحاق: "إن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لما نزل مكة، واطمأن الناس، وقف على باب الكعبة، فخطب في الناس، ومما قاله: ((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم**

---

[1] المرجع السابق، (446/1).

[2] ابن باز، مجموع فتاوى ابن باز، أشرَفَ على جَمْعِه وطَبْعِه: محمد بن سعد الشويعر، على المكتبة الشاملة الذهبية، (277/16).

[3] خطاب، محمود شيت، قادة النبيّ – صلى الله عليه وسلم– دمشق، دار القلم، ط 2، 1420 هـ– 1999م، (ص: 470).

عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [سورة الحجرات: 13]، ثُمَّ قال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، ما تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قال: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ))"[1]. والشاهد: أن ما جرى في هذا الموقف الجامع بعد فتح مكة كان بمثابة مؤتمر كبير تحقق فيه التقويم المعتمد على التواصل المباشر بين النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– والطلقاء من قريش، وقد هدف هذا المؤتمر لمواجهة جموع قريش في دارهم، وإسقاط ما في أيديهم من نخوة الجاهلية والتعصب للآباء. ومن الجدير بالذكر أن الخطاب النّبويّ يوم الفتح لم يأتِ على تذكير قريش بعداوتهم وحروبهم الطويلة مع المسلمين، بل تجاوز ذلك للتأكيد على مبادئ عظيمة في هذا الدين. ويختم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بسؤال لجموع قريش، يُتبعه بعفو عام، فقابلت قريش عفوه بالتخلي عن نخوة الجاهلية، ودخلت في الإسلام طائعة.

ج– مؤتمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مع أنصار يثرب بعد حنين: أخرج البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال: ((قالَ ناسٌ مِنَ الأنصارِ حِينَ أَفاءَ اللهُ على رسولِه – صلّى الله عليه وسلّم– مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ ما أَفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ المِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَدَعُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قال أَنَسٌ: فَحُدِّثَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ،... الحديث))[2]. والشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– دعا الأنصار إلى مؤتمر خاص، ودار بينهم حديث ومصارحة وعتاب، قال لهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– سائلًا: ما كَانَ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟ فقَالَ لَهُ فُقَهَاء الأنصار: أَمَّا ذَوُو آرَائِنَا يَا رسول الله، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ، فَقَالُوا. فأدرك النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– خلفية الموقف وفهم أبعاده، فلم يوبّخ القوم ولم يزجرهم، بل عمد إلى شرح دوافعه فيما فعل، فقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ، ثم راح النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إلى تطييب نفوس الأنصار – رضي الله عنه،

---

[1] ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (412/2).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبيّ – صلى الله عليه وسلم– يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (4/ 94– ح: 3147).

بموازنة عرضها عليهم، فقال: ((أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ. قَالُوا: يَا رسولَ اللهِ قَدْ رَضِينَا)). وخَتَم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مؤتمره معهم بالتوصية والتحذير، فقال لهم: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا))[1].

المطلب السادس: المعايشة

تندرج المعايشة تحت استراتيجية التقويم التربوي **المعتمد على التواصل**، وتُعرّف المعايشة التربوية بأنها: علاقة موجّهة بين المُربّي والمتربي تقوم على القُرب والاحتكاك المباشر، والاتصال القوي الذي يهدف إلى توجيه المتربّي وفق المنهج الإسلامي الصحيح، يُظهر المربّي من خلالها استعداده لمعايشة المتربّين، واستقبالهم، والجلوس معهم، ويشعرهم بتوفر الوقت والمكان لديه لمعالجة قضاياهم، وحلّ مشكلاتهم، والعناية بحاجاتهم[2].

يصف جابر بن سَمُرَةَ – رضي الله عنه– مشهدًا يوميًّا من هذه المعايشة النبويّة بين النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه – رضي الله عنهم– وضحكهم حوله وتبسمه معهم – صلّى الله عليه وسلّم– بعد صلاة الفجر. فيقول: ((كَانَ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَيَتَحَدَّثُ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ حَدِيثَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُنْشِدُونَ الشِّعْرَ وَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ – صلّى الله عليه وسلّم–))[3].

وفي السُنّة النبويّة تأكيد أن المعايشة كانت منهجًا واستراتيجية نبوية، لها فوائد في التربية والتعليم والتقويم، انطلاقًا من قول – صلّى الله عليه وسلّم–: ((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ))[4].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (5/158– ح: 4331).

(2) البطاطي، سالم أحمد، المعايشة التربوية، (د. ط). الرياض: دار الوطن للنشر، 2016م، (ص: 8).

(3) النسائي: المجتبى من السنن = السنن الصغرى، كتاب السهو، باب قعود الإمام في مصلاه بعد التسليم، (3/ 80– ح: 1358). وصحّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (ح: 1358).

(4) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، (2/1338– ح: 4032). وصحّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (4032).

ومن الجدير بالذكر أن المعايشة عملية تشاركية تفاعلية، تتطلب إيجابية وإقبالًا متبادلًا وانفتاحًا، أما العزلة بسبب الخجل أو الكِبْر ونحوه، فتحرم صاحبها من خير كثير، فقد ورد في السُنّة النبويّة ((أَنَّ رسولَ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– سَلَّمَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ))[1]. والشاهد أن الرجل الأول الذي أقبل فجلس بين أقرانه في حضرة النبيّ المعلم– صلّى الله عليه وسلّم– نال ثناء وتعزيزًا وخيرًا كثيرًا وتوفيقًا من الله تعالى.

وعليه فيمكن تتبع العديد من أنماط التطبيقات المندرجة تحت التواصل بالمعايشة، وأثرها التقويمي، نذكر منها ما يأتي:

1. تبادل السؤال عن الإنجازات والأحوال، وسماع الرؤيا وتأويلها

كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يستعلم عن أحوال أصحابه – رضي الله عنهم– ويسألهم مباشرة عن برامجهم الاجتماعية والدينية، ثم يقدم التوجيه المناسب، ومن ذلك أنه – صلّى الله عليه وسلّم– سأل ذات صباح، فقال: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قال أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه–: أَنَا، قال: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً، قال أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه–: أَنَا، قال: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قال أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه–: أَنَا، قال: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قال أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه–: أَنَا، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ما اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[2].

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، (24/1– ح: 6).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، (2/ 713– ح: 1028).

وكان من عادته – صلّى الله عليه وسلّم– كما أخبر أصحابه – رضي الله عنهم– أن يسأل إن كان ثمة من رأى رؤيا، فيسمعها منه، ثم يبسط في تأويلها وبالتوجيه بعدها. روى نحوًا من ذلك ابنُ عباسٍ – رضي الله عنهما– فقال: إن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– كان مما يقول لأصحابه – رضي الله عنهم– ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا فَلْيَقُصَّهَا أَعْبُرْهَا لَهُ))[1]. وأحيانًا كان يقصّ عليهم رؤيا له – صلّى الله عليه وسلّم–[2].

وأحيانًا أخرى كانت تنقل له الرؤيا فيفسرها ويقدّم التوجيه والتقويم التربوي لصاحبها، كما في رواية أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها– حين قصَّت على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– رؤيا لأخيها عبد الله بن عمر – رضي الله عنهم– فقال – صلّى الله عليه وسلّم: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ. فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا))[3]. والشاهد أن التوجيهات النبويّة عقب سؤال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عن الأحوال وسماع الرؤيا وتأويلها كانت تأتي في سياق الدعم النفسي، والتقويم السلوكي للرائي، كما حدث مع ابن عمر – رضي الله عنهما– حيث أحدث تأويل الرؤيا في نفسه دافعًا ليقبل على قيام الليل.

2. تفقد الغائبين

كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يتفقد الغائب من أصحابه، ويبدي اهتمامه به، ومن ذلك تفقده امرأة سوداء أو رجلًا كان يقمُّ المسجد[4]. وكان منهجه أن يتفقد المجاهدين ويسأل عن جرحاهم وشهدائهم، ومن ذلك ما فعله حين افتقد جليبيبًا – رضي الله عنه–[5]. وكذا عندما افتقد غياب كعب بن مالك – رضي الله عنه– عن غزوة تبوك[6]. والشاهد أن هذا التفقد – في

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا، (1777/4– ح: 2269).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا، (1779/4– ح: 2270).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، (49/2– ح: 1121).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن، (2/ 89– ح: 1337).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جليبيب، (1918/4– ح: 2472).

(6) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (11/4– ح: 2769).

إطار المعايشة– يحدث أثرًا عظيمًا في نفس المتعلم فيزيد من إقباله على طلب العلم، ويعزز من انتمائه للجماعة وإخلاصه لها.

3. عمارة المسجد

التشريعات التعبدية التي شرعها الإسلام وربطها بالمسجد لها بُعدٌ تربوي تقويمي كبير لأثرها في تعزيز روح الجماعة، وتزكية نفس المسلم، ففي المسجد يقف المتعلم مع إخوانه وشيوخه ومعلميه بين يدي الله في صفوف الصلاة يذكرون الله ويسبحونه، كما يحدث – في الأثناء– التعارف والتَوَادُّ والتعاون، ويبثُّ الجليس الصالح عِلْمَه إلى أقرانه، وتحمي الجماعةُ بسياجها أبناءَها، وتصونهم من الانحراف أو الضياع.

لذلك حرَص النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على بناء المسجد فورَ هجرته إلى يثرب، وكان يعمر المساجد بنفسه، ويوصي أصحابه – رضي الله عنهم– بالصلاة والاعتكاف فيها والذكر وحضور دروس العلم. وقد رغَّب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في المشي إليها وتلبية أذانها، فقال – صلّى الله عليه وسلّم: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى ما يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رسولَ اللهِ، قال: إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَى إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ))[1]. وهذا التردد اليومي للمسلم على المساجد مظنة تفعيل المعايشة التربوية والتي لها أثرها التقويمي المبارك في صلاح نفس الفرد واستقامتها وتقوية الجماعة وتوحيدها.

4. مجالس القضاء والفتيا والتفسير

من المعلوم أن من مهام الأنبياء "الحكم بين الناس" فيما شجر بينهم، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ [سورة النساء: 105]، وقد كتب

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، (219/1– ح: 251).
أي: الرباط المرغب فيه، وأصل الرباط الحبس على الشيء كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة، قيل: ويحتمل أنه (فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) أي أفضل الرباط كما قيل الجهاد جهاد النفس، ويحتمل أنه الرباط المتيسر الممكن؛ أي: إنه من أنواع الرباط. انظر: النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (3/ 141).

في الصحيفة بين أهل يثرب بعد الهجرة النبويّة مباشرة: "وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عز وجل، وَإِلَى مُحَمَّدٍ – صلّى الله عليه وسلّم–" [1].

وكان يتم الاستثمار التربوي التقويمي لما يرِد من مواقف قضائية، فتزداد فرصة اكتشاف الأخطاء وتعديل السلوكات وتصحيح المفاهيم؛ فعلى سبيل المثال: يمكن ملاحظة تأكيد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على أهمية الوازع الديني الداخلي والخوف من عذاب الله في الآخرة، وتعويله عليه ليكون مانعًا من حرف مسار العدالة، فكان يحذّر قائلًا: ((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ ما أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ))[2].

ومن أمثلة قضائه – صلّى الله عليه وسلّم– ما حكم فيه بشأن المخزومية التي سَرقت، فبعد أن قضى– صلّى الله عليه وسلّم– في حكم قطع يدها؛ جرت تدخلات ومحاولات لتعطيل تنفيذ الحكم لشرف المرأة وعائلتها، فاستثمر ذاك الموقف للتنبيه على داء كان يصيب الأفراد والجماعات ويعجّل في هلاكها، فقال – صلّى الله عليه وسلّم: ((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))[3]. وقد جمع الطلاعي أقضية النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في كتاب، فذكر نحوًا من ثمانين منها[4].

ولم تذكر السُنّة النبويّة تخصيص مجالس للفتيا[5] أو للتفسير فقد كانت المعايشة كفيلة بإتاحة الفرصة للسؤال، والاستفسار، والفتيا في شؤون الدين وأحكامه، وتفسير بعض آي القرآن الكريم، ومن الطبيعي أن تكون للمتعلمين أسئلة كثيرة ويومية حول العقيدة، والعبادات،

---

(1) انظر: ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (ج504/1).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، (69/9– ح: 7168).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، (1315/3– ح: 1688).

(4) الطلاعي، محمد بن الفرج (ت: 497 هـ)، أقضية رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

(5) انظر على الإنترنت كتاب جمعت فيه فتاوى النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: (علويي، ابن خليفة، المنتقى في بيان فتاوى المصطفى – صلى الله عليه وسلم– بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ– 1992م. #https: //ebook. univeyes. com/48520).

وتفصيلات أحكام الشريعة والأخلاق. ومن ذلك ما ورد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– قال: ((كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ: ﴿وآخرين مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: 3]، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلاَثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ –أَوْ رَجُلٌ– مِنْ هَؤُلاَءِ))[1].

ونحوه ما نقل عن استفسار الصحابة – رضي الله عنهم– عن أكبر الذنوب. يقول عَبْدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ – رضي الله عنه–: ((سَأَلْتُ –أَوْ سُئِلَ– رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ، قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ. قَالَ: وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: 68]))[2].

ومنها أيضًا سؤال أَبي مُوسَى الأشعري – رضي الله عنه– ((قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[3].

5. مجالس الشورى

تُعَد الشورى ومجالسها واحدة من التطبيقات العملية التي اعتمد عليها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أثناء معايشته أصحابه، فمن خلالها كان يُري الناس– فِعلًا– أنهم شركاء حقيقيون في حمل الدعوة، فيبادرون لتحمل المسؤولية، ويقدمون أحسن ما لديهم من أفكار داعمة.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، باب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: 3]، (6/ 151– 4897).

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: 68]، (6/ 109– ح: 4761).

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: 68]، (6/ 109– ح: 4761).

وفي مواقف كثيرة كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأثناء معايشته يتواصل مع أصحابه – رضي الله عنهم– فيتبادل معهم الرأي والمشورة فيما لم ينزل به وحي، انطلاقًا من التوجيه الرباني له – صلّى الله عليه وسلّم– بأمره بالشورى، كما في قوله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ [سورة آل عمران: 159].

ومما ذكرته السُنّة النبويّة أنه – صلّى الله عليه وسلّم– شاور أصحابه – رضي الله عنهم– قبيل المضي لملاقاة المشركين في بدر[1] وعند تحديد موقع معركتها، وحين التصرف بأسرى المشركين بعدها، وقبيل غزوة الأحزاب، فحفروا الخندق على إثرها، وكان – صلّى الله عليه وسلّم– قد طلب مشورة الناس حين رُمي أهله بالإفك[2]. وفي وقت آخر أخذ بمشورة أم سلمة يوم الحديبية[3].

6. الملتقيات التربوية

وهي برامج تربوية تواصلية تفاعلية تعايشية هادفة ومنظمة، تستمر أيامًا، يجتمع المعلم فيها بالمتعلمين، في بيئة تربوية معدّة، تتيح فرصة لتواصل أكبر وتعلم أسرع وتدريب وتربية وتقويم مباشر.

ومن صورته في السُنّة النبويّة أن يأتي الرجل وحده أو معه جماعة آخرون من مكان بعيد عن المدينة، فيدخلون الإسلام أو يأتون يطلبون العلم الشرعي وشرف الصحبة والمعايشة النبويّة، فيمكثون في بيئة المسجد وما حوله مدة، قريبين من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يتعلمون منه، ويتزكون، ويختلطون بإخوانهم المسلمين، ويتعايشون معهم، ومن ثم يرجعون إلى قومهم معلمين.

ونجد من الشواهد على هذه الملتقيات ما أخرجه البخاري عن مَالِكِ بنِ الحُوَيْرِثِ – رضي الله عنه– قال: ((أَتَيْنَا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ونَحْنُ شبَبَةٌ مُتقارِبونَ، فأقَمْنا عنده عِشرينَ

---

[1] ابن سعد: الطبقات الكبرى، (10/2).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة، باب قوله تعالى: {وأمرهم شورى بينهم} (113/9– ح: 7369).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (193/3– ح: 2731).

يومًا وليلة، وكانَ رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم– رحيمًا رفيقًا، فلَمَّا ظنَّ أَنَّا قد اشتَهَيْنا أهلَنَا أوْ قَدِ اشْتَقْنَا، سألَنَا عَمَّنْ تركْنَا بعدَنَا، فأخبَرْنَاه، قال: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وصلّوا كما رأيتموني أصلّي، فإذا حضرت الصلاة فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أكبركم))[1]. والشاهد في الحديث: ما تضمنه من بقاء ثلة من شباب الصحابة– رضي الله عنهم– عشرين يومًا بالقرب من النبي – صلّى الله عليه وسلّم – حتى إذا أخذوا حظهم من العلم والتربية والتقويم بالمعايشة عادوا إلى أهليهم معلمين. وفيه إيحاء لفضل الخروج في سبيل الله والرحلة في طلب العلم والصبر على ما يلقاه في أثناء ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الملتقيات التربوية والعلمية يمكن أن تعقد في ظل أجواء النفير في سبيل الله والتدريب؛ استعدادًا للجهاد، مما سيجعل من هذه الملتقيات أكثر عمقًا وتأثيرًا وفائدة، وحتمًا سوف تتعاظم الفائدة الناتجة عن هذه الملتقيات لو كانت في صحبة المصطفى– صلّى الله عليه وسلّم– أثناء حياته، أو في صحبة ثلة من العلماء المجاهدين – بعد مماته – وبهذا سيكون وصف هذه الملتقيات التي تجتمع فيها طائفة من فرقة متعددة: "ملتقيات تربوية جهادية". وبهذا الوصف تكون قد استخدمَتِ الجهادَ والنفيرَ إليه وسيلة للتربية وللتعلم، والتدريب، وتوفير فرصة أكبر للتقويم الذاتي وتقويم الأقران، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إِلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة: 122].

يقول سيد قطب: "والذي يستقيم عندنا في تفسير الآية: "أن المؤمنين لا ينفرون كافة؛ ولكن تنفر من كل فرقة منهم طائفة، على التناوب بين من ينفرون ومن يبقون؛ لتتفقه هذه الطائفة في الدين بالنفير والخروج والجهاد والحركة بهذه العقيدة، وتنذر الباقين من قومها إذا رجعت إليهم بما رأته وما فقهته من هذا الدين في أثناء الجهاد والحركة"[2]. وتبقى الآية كما يقول البغدادي مظلة لكل من رحل في طلب العلم والفقه، ورجع به إلى مَنْ وراءَه فعلّمهم إياه[3].

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، (129/1– ح: 631).

[2] قطب: في ظلال القرآن، (5/ 311).

[3] انظر: البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، (ص: 87).

المبحث الثالث: استراتيجية التقويم التربوي المعتمد على الملاحظة

تمهيد

المُلاحَظَة لغةً: المراقبة والتوجيه، ومنه مُلاحِظ العمَّال، أي: مراقبهم والمشرف عليهم[1].

وفي معجم اللغة العربية، الملاحَظَة هي: "مشاهدة يقظة للظواهر كما هي بدون تغيير، أو تبديل، وتسجيل ما يبدو عليها لغرض علمي أو عملي"[2]. كما وتُعرَّف الملاحظة بأنها: عملية مراقبة أو مشاهدة لسلوك الظاهرات والمشكلات والأحداث ومكوناتها المادية، والبيئية، ومتابعة سيرها واتجاهاتها وعلاقاتها، بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف، بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين المتغيرات، والتنبؤ بسلوك الظاهرة أو توجيهها لخدمة أغراض الإنسان وتلبية احتياجاته[3].

وتُعرَّف الملاحظة تربويًّا بأنها: مراقبةُ استجابات المتعلم لمثيرات معينة، عند قيامه بواجبات وأنشطة محددة. ويمكن استخدامها في مراقبة التفاعل اللفظي في أثناء عملية التعلم، وفي معرفة طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المعلم والمتعلمين، وبين المتعلمين بعضهم ببعض، وفي معرفة التغير في السلوك وطريقة التفكير ومستوياته[4].

ويُعرَّف التقويم التربوي بالملاحظة، بأنه "عملية يتوجّه فيها المعلم أو الملاحظ بحواسه المختلفة نحو المتعلم بقصد مراقبته في موقف نشط، وذلك من أجل الحصول على معلومات تفيد في الحكم عليه وفي تقويم مهاراته وقيمه وسلوكه وأخلاقياته وطريقة تفكيره"[5].

---

(1) قلعجي، محمد. وقنيبي، حامد، معجم لغة الفقهاء، بيروت– لبنان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1408هـ– 1988م، (ص: 457).

(2) أحمد مختار وفريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، (3/ 1998).

(3) دويدري، رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، بيروت – لبنان، دار الفكر المعاصر، ط 1، 2000، (ص: 317).

(4) عيد، يحيى إسماعيل، التقويم التربوي الجامعي في علوم الشريعة، ضمن بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، تحرير فتحي ملكاوي ومحمد أبو سلّ، ص (111–152)، ط 1، 1416–1995م، (2/ 129).

(5) خوالدة، التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، (ص: 66).

وتُعرّف الدراسة الحالية "استراتيجية التقويم المعتمد على الملاحظة" بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، التي تمكّن المعلم أو المربّي من استثمار أشمل وأمثل للحواس وتفعيل أدواتها لرصد ومراقبة الموقف التربوي أيًّا كان فاعله، واستثمارها في وزنه وتقديره، أو تتميم نقصه، أو تعديل اعوجاجه؛ أو تثبيته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف تربوية.

وللملاحظة التربوية ميزات عديدة أهمها:

أ- يحدث من خلال الملاحظة تقويمٌ سلوكي عملي مباشر للمتعلم؛ يتجاوز ويتقدم على وسائل التقويم الكتابية وما فيها من اختبارات معتمدة على الورقة والقلم.

ب- تمكِّن الملاحظة المعلِّمَ من إصدار الأحكام على الميول والاتجاهات، ومدى الالتزام بالقيم والمبادئ، وسرعة تطبيق الأداءات ومستوى الجودة فيها، ونحوه مما يظهر من خلال السلوك ولحن القول، كما في دلالة قوله تعالى: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ [سورة محمد: 30].

ج- يتسع هامش التقويم بالملاحظة فيتجاوز الحيز المكاني للحجرة الصفية أو المؤسسة التعليمية؛ حيث يمكن تفعيلها بالتنسيق مع الوالدين والأقران ومن كان في حكمهم لتمرير تغذية راجعة تصبّ في صالح المتعلم والعملية التربوية.

د- توفر الملاحظة فرصة أكبر للرصد من خلال المراقبة الدائمة أو المراقبة المتقطعة، والتي من خلالها يمكن تتبع أي تقدم أو تراجع أو تغير في سلوك المتعلم أو أدائه، وتوفر فرصة للتشخيص والمعالجة المباشرة.

هـ- تتقدم الملاحظة على غيرها من استراتيجيات التقويم بتجاوزها ما يحدث عادة من الإحساس بالرهبة التي تحدثها أجواء الاختبارات والمقابلات، وبالتالي فهي تزيد فرصة حصول المقوِّمين على معلومات أكثر واقعية، وأعظم مصداقية؛ قد يصعب جمعها بطرق التقويم الأخرى.

وفي المطالب الآتية نعرض لجملة من الأحاديث النبويّة والمواقف التي تتضمن شواهد على تطبيق استراتيجية التقويم المعتمد على الملاحظة في السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

المطلب الأول: الأدلة على الملاحظة التقويمية

يمكن توجيه بعض نصوص السُنّة لتكون دليلًا على الملاحظة التقويمية، نذكر منها قول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))[1]. والحديث يميز بين نوعين من الملاحظة:

– النوع الأول: ملاحظة إيجابية يعقبها اتخاذ موقف يُعبَّر عنه باليد، أو باللسان، أو بالقلب.

– النوع الآخر: ملاحظة سلبية مذمومة يكتفي صاحبها بالمشاهدة ولا يكترث، بل يترك ما عليه من واجب في تحمل المسؤولية لإزالة المنكر وتقويم مرتكبه، كما بيَّن – سبحانه وتعالى– : ﴿كانوا لا يتناهون عَنْ مُنكرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة المائدة: 79]، وخطورة هذا المسلك ما يؤدي إليه من اعتياد مشاهدة المنكرات، وتسهيل انتشارها دون مقاومة، أو إنكار، وهذا مظنة ظهور الفساد في البر والبحر.

وقد جاءت التوصية النبويّة بضرورة أداء مسؤولية التقويم من خلال القيام بواجب الرعاية، في قوله – صلّى الله عليه وسلّم: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[2]. والشاهد: أن الرعاية تتطلب دوام الملاحظة والإرشاد وتحمّل المسؤولية في إسداء النصح والمتابعة والإصلاح.

ويعد حديث "السفينة" دليلًا على أهمية تفعيل الملاحظة، وما يتبعها من إجراءات تقويمية لازمة تحفظ المتعلم والمجتمع، وتصونهما، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: "مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (1/ 69– ح: 49).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (2/ 5– ح: 893).

خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا"[1]. والشاهد أنه يجدر بأصحاب أي مجتمع- صغر أو كبر- الانتباه والحذر من الفساد والمفسدين، وتفعيل الملاحظة لما يدور حولهم، وما يهدد أمنهم، وسلامة دينهم ودنياهم، وتحمل المسؤولية تجاه ذلك.

ويجدر التنويه إلى أن نتائج التقويم بالملاحظة تكون أكثر دقة كلما تكررت خلال فترة زمنية محددة، أو تنوعت مصادرها؛ فهذا مما يدعم مصداقية الملاحظة، ويقيها من خطأ الحواس، أو التحيز، أو التسرع، ويمكن فهم هذا المعنى من التوجيه الإلهي الداعي لتكرار الملاحظة بالنظر مرة بعد مرة، في قوله تعالى: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [سورة الملك: 3-4]، قال ابن جزي: "أي: انظر نظرًا بعد نظر للتثبت والتحقق"[2].

المطلب الثاني: أنواع الملاحظة التقويمية

يمكن تقسيم أنواع الملاحظة بأكثر من طريقة:

- فهي فردية ينفذها ملاحظ واحد كالمعلم مثلًا، أو يشترك فيها مع المعلم معلم آخر أو بعض الأقران، أو الوالدان.

- ويمكن أن تكون خارجية بحيث يبقى الملاحظ على مسافة من المتعلمين غير مختلط بهم فيرصد ويلاحظ دون أن يؤثر أو يتدخل، وبالمقابل يمكن أن ينخرط الملاحظ في فريق المتعلمين المستهدفين؛ فيكون قادرًا على إحداث مثيرات ورصد استجابات مختلفة عن قرب، وإجراء التقويم المناسب بشكل مباشر.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة؟ (3/ 139- ح: 2493).

[2] ابن جزي، محمد بن أحمد، تفسير ابن جُزَي= التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط 1، 1416 هـ، (2/ 395).

– وكذلك يمكن أن تكون الملاحظة بسيطة غير مخطط لها، تتم ضمن المعايشة المجتمعية، أو المدرسية، أو الأسرية، وهي وإن كانت عفوية إلا أنه لا يصح التغافل عن متابعة نتائجها بالتقويم المناسب. وتُعرَّف الملاحظة البسيطة بأنها: "صورة مبسطة من المشاهدة والاستماع بحيث تلاحظ فيها السلوكات وتحدث تلقائيًا في المواقف الحقيقية"[1].

– ثمة ملاحظة منظمة مقصودة مُخطَّط لها تستهدف حالة فردية أو جماعية، وتركز انتباه الحواس صوب جانب معين أو أكثر، وقد تتطلب زيادة في مصادر الملاحظة وقنواتها. فتعرّف بأنها: "ملاحظة مخطط لها مسبقًا ومضبوطة ضبطًا دقيقًا، وتحدَّد فيها ظروف الملاحظة كالزمان والمكان والمعايير الخاصة للملاحظة"[2].

المطلب الثالث: تهيئة البيئة في الملاحظة المقصودة

وتهيئة البيئة بمعنى صناعة المشهد –المرئي والمسموع والمحسوس– الذي نرغب أن يلاحظه المتعلم المقصود، مظنة أن يحدث تغيير معينًا عنده.

ونجد في السُنّة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– استثمر هذا النوع من الملاحظة في تقويم بعض المستجدين من الصحابة – رضي الله عنهم– من خلال تهيئة ظروف معينة خاصة، وصناعة مواقف مرتبطة بزمان ومكان؛ رجاء أن تُعطِي الملاحظة المقصودة المتعلِّمَ المستهدَف مساحة ليرى، أو يسمع ما يكون سببًا في تغيير مواقفه وتوجهاته.

ونذكر موقفين من السُنّة النبويّة شواهد على ذلك:

الموقف الأول: حصل لتقويم موقف أبي سفيان – رضي الله عنه– وتثبيته على الإسلام ودفعه إلى كفِّ يد قريش عن القتال؛ حين أمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بحبسه قرب مضيق وادٍ حيث تمرُّ منه كتائب الجيش المسلم المُتوجِّه لفتح مكة.

يقول العباس – رضي الله عنه–:

---

[1] الثوابتة وفريق عمل: استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 64).

[2] انظر: المرجع السابق.

((فَخَرَجْتُ حَتَّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي، حَيْثُ أَمَرَنِي رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– أَنْ أَحْبِسَهُ. قال: وَمَرَّتْ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قال: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: سليم، فَيَقُول: ما لي وَلِسُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُول: ما لي وَلِمُزَيْنَةَ، حَتَّى نَفِدَتْ الْقَبَائِلُ، ما تَمُرُّ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا يَسْأَلُنِي عَنْهَا، فَإِذَا أَخْبَرْتُهُ بهم، قال: ما لي وَلِبَنِي فُلَانٍ، حَتَّى مَرَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ؛ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَار – رضي الله عنهم– لا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ مِنْ الْحَدِيدِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قال: قُلْتُ: هَذَا رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قال: ما لِأَحَدِ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ وَلَا طَاقَةٌ، وَاَللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا، قال: قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ. قال: فَنَعَمْ إِذَنْ. قال: قُلْتُ: النَّجَاءَ إِلَى قَوْمِكَ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ))[1].

والشاهد أن ما أمر به النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من تهيئة ظروف مناسبة واستعراض لجيش المسلمين وكتائبه، أعطى فرصة لأبي سفيان ليلاحظ ويدرك ما آل إليه حال المسلمين من قوة، فيثبت على إسلامه من جهة، ويحول بين قريش وقتال هذا الجيش الفاتح. وقد أثمرت هذه الملاحظة المقصودة، ونجحت في دخول المسلمين مكة سِلمًا.

– الموقف الثاني: حصل بقصد تقويم موقف ثُمَامَةَ بنِ أُثَالٍ سيد أهل اليمامة – رضي الله عنه– حين أحضرته خيالة للمسلمين، فأمر به النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فحبس أيامًا مربوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فتعرف ثمامة أثناء حبسه على جانب من أحوال المسلمين، فسمع أذانهم، ورأى صلاتهم، ولاحظ حسن تعاملهم فيما بينهم، وكان يخرج إليه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فيسأله كل يوم مستعلمًا عن حاله، فيقول – صلّى الله عليه وسلّم: ((مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ

[1] ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 404)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (6/ 167) رجاله رجال الصحيح.

تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ ما شِئْتَ، ثم إنه أمر به النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقال: أطلقوا ثمامة))[1]. ثم ينطلق إلى نَخْلٍ قريب من المسجد، فيغتسل ثم يعود للمسجد مسلمًا، ويقول: يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ ما كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ ما كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ ما كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ[2].

والشاهد كيف أثمرت هذه الملاحظة المقصودة التي أتيحت لثمامة – رضي الله عنه– فحظي بفرصة للتعرف على الدين الإسلامي وعلى النبيّ الكريم – صلّى الله عليه وسلّم– وعلى سلوكات المؤمنين. وقد كانت ملاحظة عن قرب شديد، وبواقعية، ودونما تمثيل، مما هزَّ كيانه وقلب قناعاته فصححت عنده الصورة الذهنية التي كانت في رأسه عن هذا الدين، وتحول – رضي الله عنه– من مبغض إلى محبّ ومن عدو إلى نصير.

المطلب الرابع: وسائل الملاحظة التقويمية وشواهدها في السُنّة النبويّة

بلا ريب فإن الحواس هي أدوات الملاحظة، وأقواها السمع والبصر، وقد وردت أحاديث تبين استخدام غالب الحواس في الملاحظة النبويّة أثناء عملية التعليم والتربية والتقويم. ونبين بعضًا من شواهدها على النحو الآتي:

أولا: الملاحظة التقويمية بحاسة اللمس

وتكون الملاحظة باللمس حين يتعذر البصر؛ فَيُدْرَى اللين من الخشن، والحجم الصغير من الكبير، أو الساخن من البارد، أو الجاف من الرطب. وقد روى أبو هريرة – رضي الله عنه– ((أَنَّ رسولَ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قال أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله، قال: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، (5/ 170– ح: 4372).

[2] انظر المرجع السابق. (نجل) أي ماء.

الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))[1]. والشاهد أن ملاحظة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– العيب في الطعام جاءت من خلال اللمس، فسأل تاجر الطعام متبينًا السبب، ثم حكم بناء على جواب الرجل: بأن هذا غِش، وقال: (من غش فليس مني).

– وفي شاهد آخر عن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ – رضي الله عنه– قال: ((أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ – صلّى الله عليه وسلّم– ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا، قُلْنَا: نَعَمْ، قال: مَنَادِيلُ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا))[2]. والشاهد تضافر حاستي اللمس والبصر لإدراك عظيم جمال مناديل الحرير، ودقة صنعها، ولين ملمسها. ثم استثمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تعجب أصحابه – رضي الله عنهم– في بيان ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنان من نعيم مقيم.

ثانيا: الملاحظة التقويمية بحاسة الشمّ

نجد شواهد في السُنّة النبويّة على الملاحظة بالشمّ في إطارها التقويمي، ومن ذلك ما ندب إليه المسلم من التطيب تزينًا عند التهيؤ للمساجد، وقبيل حضور اجتماعات الناس، حيث قال تعالى موّجها: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [سورة الأعراف: 31]، وفي هذا السياق كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يوجّه أصحابه – رضي الله عنه– والمرتادين لصلاة الجمعة والجماعات للاغتسال والتطيب؛ لإذهاب ما قد يصدر عنهم من روائح بسبب العرق، أو المهن التي يمارسونها، كما روت ذلك السيدة عائشة – رضي الله عنها– فقالت: ((كَانَ أَصْحَابُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– عُمَّالَ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَوِ اغْتَسَلْتُمْ))[3].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم– «من غشنا فليس منا» (1/ 99– ح: 102). (الصبرة) الكومة المجموعة من الطعام. (أصابته السماء) أي المطر.

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب مس الحرير من غير لبس، (7/150– ح: 5836).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (3/57– ح: 2071)، (عمال أنفسهم) يعملون بأيديهم ويكسبون لأنفسهم. (أرواح) جمع ريح بسبب تعرقهم. (لو اغتسلتم) لحضور الجمعة.

ثم ندبهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للتطيب قبيل الحضور إلى صلاة الجمعة، فقال ((مَنِ اغتَسَلَ يومَ الجُمُعةِ، ومَس مِن طِيبِ امرأتِه إن كانَ لها، ولَبِسَ مِن صالح ثيابِه، ثمَّ لم يَتَخَط رِقابَ الناسِ، ولم يَلْغُ عندَ المَوعِظَةِ، كانت كفَّارةً لِمَا بينهما))[1]. وفي ذات السياق يأتي ترغيبه بقبول الريحان والتهادي به، كما روى أبو هريرة، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: ((مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ))[2]. وقد روت عائشة – رضي الله عنها– اعتناءها بتطيب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– قبيل إحرامه وبعد حله، فقالت: ((كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ))[3].

وجاء تحذير المرأة من خروجها متطيبة من بيتها، فتأتي الرجال في المسجد أو في الأسواق، وعدَّ ذلك من التبرج المنهي عنه، لقول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: ((كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ، وَالمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا)) يعني زانية[4]. ولعل الحكمة من النهي عن خروج المرأة معطرة؛ أنها قد تمرُّ بالرجال فتحملهم رائحة عطرها على الالتفات إليها والنظر، فيكون ذلك مدخلًا للشيطان.

ومن جهة أخرى مرتبطة بأكل الطعام الذي يترك ريحًا في الفم ويؤذي الجلساء، كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إذا وجد من أصحابه ريح الكراث ونحوه، يذّكرهم، فيقول: ((أَلَمْ أَكُنْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ أَكْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الْإِنْسَانُ))[5]. وفي حادثة رواها أبو سعيد الخدري: – رضي الله عنه– ((أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– مَرَّ عَلَى زَرَّاعَةِ

---

(1) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في الغسل للجمعة، (1/26– ح: 347)، وحسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب استعمال المسك..، (4/ 1766– ح: 2253).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الطيب عند الإحرام وما يلبس، (2/ 136– ح: 1539).

(4) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، (5/ 106– ح: 2786). وقال حسن صحيح.

(5) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب أكل الثوم، (2/ 1116– ح: 3365). وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (7/ 365).

بَصَلٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَنَزَلَ نَاسٌ مِنْهُمْ فَأَكَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يَأْكُلْ آخَرُونَ، فَرُحْنَا إِلَيْهِ فَدَعَا الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا الْبَصَلَ وَأَخَّرَ الْآخَرِينَ، حَتَّى ذَهَبَ رِيحُهَا))[1]. والشاهد في الحديث الأول تكرار التقويم منه – صلّى الله عليه وسلّم– والإنكار على من حمل رائحة الثوم ثم جاء بها إلى المسجد، وفي الحديث الثاني تقديم وتأخير ومنع من حضور مجلس النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لحين زوال رائحة الثوم.

أما خلوف الصائم، فكان التوجيه إن لاحظه المرء على نفسه أو على أخيه ألا ينزعج المرء منه، فهو أثر عبادة الصوم ويحدث نتيجة ترك الطعام فترة، فلصاحبه العذر والأجر والمكافأة من الله تعالى، كما قال – صلّى الله عليه وسلّم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تعالى مِنْ رِيحِ المِسْكِ))[2].

ثم يأتي تشريع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لاستعمال السواك عند الوضوء وقبيل الصلاة، وعند قراءة القرآن؛ ليكون مرضاة للرب، ومطهرة للفم، فيذهب ما علق فيه من طعام ويزيل ما بقي فيه من ريح، وعند البخاري عن عامر بن ربيعة – رضي الله عنه– قال: ((رأيت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لَا أُحْصِي أَوْ أَعُدُّ))، وقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: ((لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ)). وقال أيضًا – صلّى الله عليه وسلّم: ((السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ))][3]. يقول ابن عابدين: "فإنه يستحب –السواك– في حالات منها: تغير الفم، والقيام من النوم وإلى الصلاة، ودخول البيت، والاجتماع بالناس، وقراءة القرآن"[4].

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثومًا، (1/ 395– ح: 566). (زَرَّاعَةِ) الأرض المزروعة.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (3/ 24– ح: 1894). (لخلوف) رائحة الفم.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، (3/ 31).

(4) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1412 هـ – 1992م، (1/ 114).

وقد استثمرت حاسة الشم في الجهاد لقتل كعب بن أشرف الذي آذى الله ورسوله، فتولَّى تلك المهمة محمد بن مسلمة – رضي الله عنه– ومعه ثلاث رجال، فأتوا كعبَ بن الأشرفِ وقد نزل إليهم متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب، فقالوا له بدهشة: ما رأينا كاليوم ريحًا أطيب، فقال واحدهم أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قال: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ[1].

وفي سياق آخر يوجِّه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– السائل لتفعيل الملاحظة بسمعه وشمِّه؛ قطعًا للشك الذي قد يحدث أحيانًا مع البعض أثناء الصلاة، حين يخيل للمصلي أن ريحًا خرجت منه، كما في رواية أَبِي هريرة، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: ((إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا، فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا))[2].

ثالثا: الملاحظة التقويمية بحاسة السمع

ملاحظات النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– التقويمية التي كان يدركها بسمعه كثيرة، منها: ومن الشواهد ما روي عن ابن عمر، قال: ((بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم: مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ رَجُلٌ مَنِ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ ذَلِكَ))[3]. فهو – صلّى الله عليه وسلّم– في هذا الموقف أعجبه جدًا ما سمعه، فحرص على معرفة القائل تقديرًا له، فيثني على صنيعه ويقدم له التعزيز المناسب على مرأى ومسمع من الحاضرين.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، (5/ 90– ح: 4037).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب من لا يتوضأ من الشك، (1/ 39–ح: 137).

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام، (1/ 420– ح: 601).

ونذكر أيضًا ما راوه أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه– قال: ((لَمَّا غَزَا رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– خَيْبَرَ، أو قالَ: لَمَّا تَوجَّهَ رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ، قَالَ: وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ))[1]. وفي الحديث شاهدان: الأول: تقويمه لفعل الصحابة الذين كان يجهرون بأصواتهم مهللين ومكبرين يأمرهم أن يرفقوا بأنفسهم وأن يخفضوا أصواتهم، ويذكرهم أن الله قريب منهم يسمع نجواهم. والثاني تعزيزه لأبي موسى الأشعري– رضي الله عنه– وتشجعيه حين سمعه يردد عبارة "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فبين له عظم الأجر المدخر لقائلها يوم القيامة.

وروت عائشة – رضي الله عنها– قالت: ((دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم: "قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"))[2]. وفي رواية قال لها: ((مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ» قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ))[3].

والشاهد: الملاحظة المبنية على السماع وما عقبها من تقويم نبوي النبيّ لمقالة عائشة – رضي الله عنها– في ردّها على اليهود، فأمرها أن التزام الرفق في الأمر كله وتجنب العنف أو الفحش في القول. يقول الحافظ ابن حجر: "والذي يظهر أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، (4/ 2076– ح: 2704). (اربعوا) معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم.

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، (8/ 12– ح: 6024).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبيّ – صلى الله عليه وسلم– فاحشًا ولا متفحشًا، (8/ 12– ح: 6030). (السام) الموت، وقيل: الموت العاجل. (وعليك) ما تستحقه وما أردت لنا.

أراد ألا يتعود لسانها الفحش أو أنكر عليها الإفراط في السبِّ، وفي هذا الحديث جواز انخداع الكبير للمكايد ومعارضته من حيث لا يشعر إذا رجي رجوعه"[1].

وحذَّر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من سماع الغيبة أو قول الكذب والبهتان، عندما سأل أصحابه معلمًا لهم ومبينًا: فقال – صلّى الله عليه وسلّم: ((أَتَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي ما أَقُولُ؟ قال: إِنْ كَانَ فِيهِ ما تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ))[2]. وهو كما قال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بَعْضًا أَيحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [سورة الحجرات: 12]. وفي التوجيه القرآني والنّبويّ دعوة لرفض سماع الغيبة والنميمة والبهتان، وفيه إيحاء لاستثمار المجالس بالحديث النافع بعيدًا عن القيل والقال التي قد ينتج عنها ضغينة وأحقاد وقطيعة أرحام.

وفي السياق ذاته يأتي التوجيه من الله تعالى للتثبت من المسموعات، والتدقيق في مصدر الأخبار، والحذر من ترويج الشائعات، فقال تعالى موجهًا عباده المؤمنين: ﴿ولا إذ سمعتموه ظَنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين﴾ [سورة النور: 12]. وقد نزلت هذه الآية عقب ما تناقله الناس على ألسنتهم وسمعته آذانهم إفكًا في حق عائشة زوج النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الطاهرة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق – رضي الله عنها– وفي حينها كثر لغط الناس وزلَّ من زلَّ، وعصم من عصم. وتضرر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– واستاء أيما استياء مما تناقله الناس في شأن أهل بيته؛ فوقف خطيبًا على المنبر، فتشهد وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: ((أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أبنُوا أَهْلِي، وَأَيْمُ اللَّهِ ما عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ، وَأَبَنُوهُمْ بِمَنْ وَاللَّهِ ما عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا يَدْخُلُ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِي))[3]. ومن شدة الموقف تتدخل عناية الله – سبحانه وتعالى– للذَّوْدِ عن عرض النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فأنزل آيات كريمات من سورة النور

---

[1] ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (11/ 43).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، (4/ 2001– ح: 2589).

[3] انظر الحديث بطوله: البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا)، (6/ 107– ح: 4757). (أَبَنُوا) اتهموهم بفعلة سوء.

تتضمن تبرئة لعائشة – رضي الله عنها– مما نسب إليها من إفك وبهتان. وكان في الموقف عمومًا تربية للمؤمنين لما ينبغي عليهم حال سماع الأخبار والشائعات وأن عليهم كفّ اللسان عن الخوض مع الخائضين، وكما أن الأجدر بهم إحسان الظن والتثبت. فقال تعالى: ﴿إذ تلقونه بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِند الله عظيم﴾ [سورة النور: 15]، يقول صاحب الأساس في التفسير: "الأصل أن يتلقى الإنسان الكلام بإذنه، ثم يستوعبه بعقله وقلبه، ثم يتكلم به بعد ذلك، أو لا يتكلم، ولكن في هذه الحادثة كان التلقي باللسان بدل الأذن والقلب، فهو إشارة إلى سرعة الأخذ، وسرعة النطق دون التعقل والتدبر"[(1)]. ويقول ابن عاشور: "وفيه تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبر، فهم حين يتلقّونه يبادرون بالإخبار به بلا تروٍ ولا تريثٍ. وهذا تعريض بالتوبيخ"[(2)].

ومن التوجيهات النبويّة التربوية المرتبطة بالسماع، ما ارتبط بسماع الأذان والإقامة، فجاء الحضُّ والندب بترديد ما يقوله المؤذن والصلاة عليه، فقال: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ))[(3)]. وفي هذا الحديث المبارك دعوة لملاحظة صوت الأذان المتكرر خمس مرات في اليوم والليلة– وما ينبغي أن يحدث عند المسلم من تعظيم لشعيرة الأذان بالسماع والترديد، مما يوثق مع الوقت والتذكير المستمر رباط المسلم بعقيدته. وفيه توطيد لمشاعر التقدير والحب من المسلم لنبيه الكريم بالإيمان به والصلاة عليه والدعاء له بنيل الوسيلة. وفيه أيضًا استحضار ليوم الحساب وما يكون فيه من حاجة المسلم يومئذ لشفاعة المصطفى – صلّى الله عليه وسلّم.

---

(1) حوّى، سعيد محمد، الأساس في التفسير، دار السلام – القاهرة، ط 6، 1424هـ، (7/ 3726).

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، (د. ط)،1984هـ، (18/ 178).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، (1/ 288– ح: 384).

وفي غزوة الأحزاب، ينتهي إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– خبر نقض قريظة لعهدهم معه، فيبعث سعد بن معاذ، مع ثلاثة – رضي الله عنهم– فقال: ((انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا، أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلَا تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ. وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ. قَالَ: فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ، فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ ... ثُمَّ أَقْبَلَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَه، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالُوا: عَضَلٌ وَالْقَارَّةُ، أَيْ كَغَدْرِ عَضَلٍ وَالْقَارَّةِ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: اللَّهُ أَكْبَرُ، أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ))[1]. والشاهد أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أسمع المسلمين عبارة فيها التكبير والتبشير؛ لأنه قدَّر الظرف الصعب الذي يمرُّ به المسلمون أثناء حصار الأحزاب لهم حيث اجتمع عليهم الخوف والجوع والتعب، كما قال تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [سورة الأحزاب: 10]. فهو– عليه السلام– لم يرد أن يصل إلى مسامع المسلمين أيُّ خبر يُضعِف عزائمهم، فأوصى أصحابه القادمين من قريظة إن هم تأكدوا من غدرهم أنْ يَلْحَنُوا له لحنًا يعرف به خيانة القوم، وحذَّرهم من التصريح خشية أن يفتَّ ذلك في عزيمة المسلمين.

رابعا: الملاحظة التقويمية بحاسة البصر

تكثر الملاحظة التقويمية المعتمدة على النظر، ذلك أن العين مداها واسع فهي ترى المَظاهر، والسلوك، والحركات، والمهارات، وملامح الوجوه، والإيماءات ونحوه، وهي تشمل ملاحظة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– التي كان يراها بنفسه مباشرة، أو تلك التي تُرى له أو غيرها من ملاحظات الناس، وما كان يتبعها من أحكامهم وتعليقاتهم، فكانت تصل إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وتنقل له فيقوم بالتعليق عليها وتقويمها.

فمن الملاحظات التي عاينها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بنفسه ما أخرجه مسلم عن جابر بن سمرة – رضي الله عنه– قال: ((خَرَجَ عَلَيْنَا رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالَ:

---

[1] ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 221).

مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ. قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ: مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ؟ قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ فَقُلْنَا يَا رسول الله، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ))[1]. وفي الحديث يقوّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ثلاثة مشاهد لاحظها في المسجد: فأمر بالسكون في الصلاة ونفّر من كثرة الحركة في الصلاة وشبهها بحركة أذناب الخيل الشُّمْس التي لا تستقر، ثم لم يعجبه ما لاحظه من تفرقهم في الجلوس في المسجد فأمرهم بالاجتماع، وكذا أمرهم بإتمام الصفوف الأُوَل والتراصّ فيها مرغبًا بالاقتداء بالملائكة – عليهم السلام– حين يقفون بين يدي الله – سبحانه وتعالى–.

ورأى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يومًا أولاد ابن عمه جعفر – رضي الله عنه– فأنكر نحالة أجسادهم، فاستعلم من حاضنتهم عن سبب ذلك، فأكدت بأن ليس ثمة حاجة مادية أو نقص، وعلَّلت نحالة أجسادهم بالعين، فأوصى بالعناية بهم ورقيتهم، روى ذلك جابر بن عبد الله قال، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لأسماء بنت عميس– رضي الله عنها: ((مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً؟ تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ؟ قالتْ: لَا، وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قال: ارْقِيهِمْ))[2]. وفي الحديث تأكيد على أهمية رعاية أبناء الشهداء، والعناية بهم وتفقدهم. وفيه تقويم جاء بعد الملاحظة بالنظر.

وعَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ – رضي الله عنه– ((أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ، أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: فَلَمَّا أَنْ رَأَى رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– مَا فِي وَجْهِي، قَالَ: إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد، (1/ 322– ح: 430). (شُمْس) هي التي لا تستقر، بل تستمر بالضرب وتحريك أذنابها وأرجلها، (حَلَقًا) بفتح الحاء وكسرها واللام مفتوحة على كل حال، جمع حلقة بإسكان اللام وفتحها أيضا، (عزين) أي: جماعات في تفرقة جمع عزة، وأصلها عزوة فحُذِفَت الواو، وجُمِعَت جمع السلامة على غير قياس.

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة، (4/ 1726– ح: 2198). (ضارعة) أي: نحيفة، والمراد أولاد جعفر – رضي الله عنه.

عَلَيْكَ، إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ))[1]. والشاهد في الحديث ملاحظة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تغير ملامح وجه الرجل بعد أن ردَّ هديته –من لحم حمار الوحش المذبوح– ثم علَّل رده أنه محرم، وفي الموقف تعليم وتقويم، كما فيه تعبير عن الاحترام المتبادل والتقدير بين المعلم والمتعلم، ومراعاة للجهل بحكم تحريم الاصطياد على المحرم، وتطييب للخاطر يحفظ المودة.

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما– قال: ((رَأَى رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– حِمَارًا مَوْسُومَ الْوَجْهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ))[2]. والشاهد ما تم من إنكار وتقويم عقب الملاحظة البصرية.

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– قال: ((كُنَّا معَ رسولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– في سَفَرٍ، فانطَلَقَ لحاجتِه، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً معَهَا فَرْخَانِ، فأخذْنا فرخَيها، فجاءتِ الحُمَّرة فجعلتْ تفرُشُ، فجاء النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقال: من فَجَعَ هذهِ بولَدها؟ رُدُّوا ولدَها إليها. ورأى قريةَ نملٍ قد حَرَقْناها، فقال: من حَرَق هذه؟ قلنا: نحنُ، قال: إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلا رَبُّ النار))[3]. والشاهد ما جرى من تقويم لسلوكات الناس في تعاملهم مع الطير أو النمل، مراعاة للرحمة بهذه المخلوقات، وتحذيرً من أثر الحرق في الإهلاك العام والإبادة. وقد حصل ذلك كل عقب الملاحظة البصرية منه – صلّى الله عليه وسلّم-.

خامسًا: الملاحظة من خلال الحوار والاستفسار

هذا النوع من الملاحظة مفيد جدًّا في الكشف عن الأفكار والتصورات، وعن الأعذار، والرغبات، والدوافع، والتحديات، والاستعدادات النفسية وغيرها، نجد له شواهد في السُنّة النبويّة،

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، (2/ 850– ح: 1193) (بالأبواء أو بِوَدَّان) هما مكانان بين مكة والمدينة (إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم) حُرُم: أي مُحْرِمُونَ. (الصَّعْب بن جثامة)، حليف قريش، أمه أخت أبي سفيان بن حرب، وكان ينزل ودَّان. مات في خلافة عثمان، وشهد فتح فارس، وله أحاديث في الصَّحيح من رواية ابن عبّاس عنه. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (3/ 344).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه وَوَسْمِهِ فِيهِ (3/ 1673– ح: 2118).

[3] أبو داود: سنن أبي داود، أو كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، (4/ 309– ح: 2675). وصحَّحه الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

ومنها: ما رواه كعب بن مالك – رضي الله عنه– يُحدِّث عن غزوة تبوك، حيث تخلَّف عنها مع بضعة وثمانين رجلًا.

يقول كعب: ((فجئته؛ أي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فلما سلَّمت عليه تَبسَّم تبسُّمَ المُغْضَبِ، ثم قال: (تَعَالَ) فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقال لي: مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ. فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم: أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ))[1].

والشاهد أن المتخلفين جاءوا إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بعد عودته من غزوة تبوك، فكان يسألهم مستفسرًا معاتِبًا ومحاسبًا عن سبب تخلُّفهم، ويستمع لكل منهم. وقد نحا في تقويمه مع المتخلفين مسارين بناء على ملاحظته أجوبتهم وأقوالهم:

- الأول: مع هؤلاء الذين أتوه يحلفون ويعتذرون بأعذار، فما كان منه – صلّى الله عليه وسلّم– إلا أن قبِل منهم وبايعهم واستغفر لهم، ووَكَل سرائرهم إلى الله تعالى.
- وأما المسار الثاني: فكان مع ثلاثة من الصحابة الكرام حضروا فجلسوا بين يدي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– صادقين نادمين، ولم يختلقوا لأنفسهم الأعذار، بل جاءُوا مُقرّين بتقصيرهم، يرجون عفو الله تعالى واستغفار رسوله – صلّى الله عليه وسلّم–؛ وهذا الصنف جرى تقويمه بطريقة شديدة، بعد محاورتهم والاستفسار عن سبب تخلفهم؛ حيث أمر الناس بترك مخالطتهم، أو تكليمهم أو حتى إلقاء السلام عليهم... وبقي حالهم كذلك حتى نزلت توبة الله تعالى عليهم بعد خمسين ليلة في قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ [سورة التوبة: 118].

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله – عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [سورة التوبة: 118]، (6/ 3– ح: 4418).

سادسًا: تصويب ملاحظات الصحابة – رضي الله عنهم–

إنه لا يكفي أن ترد المعلومات دقيقة من خلال الملاحظة، بل لا بد من سلامة توجيهها وعلاجها ضمن أهداف المنهج وغاياته. وعليه فإنه ينبغي مراعاة ثلاثة أمور مرتبطة ومرتبة عند مباشرة التقويم التربوي المعتمد على الملاحظة، الأول: جمع المعلومات من الملاحظة والتثبت منها، والثاني: التفسير الصحيح للمشهد الملاحظ، وفَهْم المعلومات الواردة، وربطها ببعضها، ووضعها في إطارها. والثالث مرحلة تقديم الحكم، والتوجيه بالعلاج أو التعزيز. وهذا منهج سار عليه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقد كان إن لاحظ أمرًا استفسرَ مِن صاحبه عن خلفيته وأبعاده، ثم بعد ذلك يقدم حكمه وتوجيهه المناسب.

وقد ذكرت السُنّة النبويّة ورود ملاحظات من طرف الصحابة – رضي الله عنهم– كان يتم تصويب بعضها، كما في حديث الرهط الثلاثة الذين جاءوا فاستَعْلَمُوا عن عبادته – صلّى الله عليه وسلّم– فكأنهم بملاحظتهم تقالُّوها، فراحوا بتفكيرهم بعيدًا فشدَّدوا على أنفسهم. فلما أخبر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بصنيعهم وقولهم؛ جاءهم مقوّمًا منهجهم ومحذرًا من طريقتهم... فقال: ((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[1]. والشاهد: أن الصحابة السائلين – رضي الله عنهم– قادتهم ملاحظتهم إلى مسار خطأ فجانبوا الصواب في منهج تفكيرهم.

ونجد الحكمة النبويّة تتجلى في المبادرة إلى التقويم بالتوجيه والإرشاد، فذهب إليهم مقوّمًا بنفسه – صلّى الله عليه وسلّم– وتأكد أنهم قالوا ما قالوا، ثم سار في تقويمه معهم مسارهم الذي بدءوه وهو المقارنة، فذَّكرهم بما لا يجادلون فيه، أنه أخشاهم لله وأتْقَاهم له بحكم معرفته بالله تعالى ونبوته، وأكد لهم أنه مع كل ذلك لَمْ يكن ليمنعه مقامُ النبوة من الزواج كباقي الناس، أو النوم في الليل، أو ترك الصيام أحيانًا. وبيَّن لهم أن هذا المستوى من عبادته – صلّى الله عليه وسلّم– هو الدين وهو المنهج الذي دعا الناس إليه. وفي عبارته – صلّى الله عليه وسلّم:

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (7/ 2– ح: 5063).

"ليس مني" تحذير من التشدد والغلو، وترغيب للمؤمن للتأسي بطريقة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– السهلة السمحة التي فيها الموازنة والاعتدال، ولا تتعارض مع الفطرة.

وفي موقف جهادي لاحظ الناس ومعهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تبختر أبي دجانة – رضي الله عنه– قبيل غزوة أحد حين أعطاه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– سيفًا، فأخرج عصابته الحمراء فاعتصب بها، ثم جعل يتبختر بين الصفين. فاستغرب الناس وهم الذين قرءوا قوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ [سورة لقمان: 18]. فتدَخَّل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– معلِّقًا ومقوِّمًا صنيع أبي دجانة – رضي الله عنه– مجيزًا له ما فعل من التبختر في ذلك الموطن، وهو موطن الجهاد والتقاء الصفين، والذي يحتاج فيه لكل ما يرغب الناس بالشجاعة ويدفعهم إلى الإقدام، وكذا كل ما يَبُثُّ الخوف في قلوب العدو، ويبعث الرعب بين صفوفه، فقال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ))[1]. قال الخطابي: "واختيال الحرب أن يتقدم فيها بنشاط نفس، وقوة جنان ولا يكبع[2] ولا يجبن"[3].

وفي موقف آخر يزيل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أي بقايا من المعتقدات الجاهلية التي تقول بتأثير ما يحدث للناس من موت أو حياة على الكواكب والنجوم. حدث ذلك عندما قُدِّر أن يحدث كسوف للشمس متزامنًا مع وفاة ابن لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فقال بعض الناس إنما كسف لموت إبراهيم. فقوَّم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الموقف بقوله: ((هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ، لا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ))[4]. والشاهد ما حصل عقب ملاحظة

---

[1] ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 67).

[2] من الكُبوع، وهو الذل والخضوع.

[3] الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن= شرح سنن أبي داود، حلب، المطبعة العلمية، ط1، 1351 هـ – 1932م، (2/ 276).

[4] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الذكر في الكسوف، أبواب الكسوف، (2/ 39– ح: 1059).

الصحابة – رضوان الله عليهم– وتعليقهم الذي وصل إلى مسامع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وهو بذلك يصحّح ما علق في أفهام الناس من تصور خطأ، ثم يوجّه إلى ما ينبغي من ضرورة الفزع إلى الصلاة والاستغفار. ونقل النووي: أنه كان بعض الضُّلال من المنجمين وغيرهم يقول: "لا ينكسفان إلا لموت عظيم. أو نحو ذلك فبين أن هذا باطل لا يغتر بأقوالهم لا سيما وقد صادف موت إبراهيم – رضي الله عنه– قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: فإذا رأيتموها فكبروا وادعوا الله وصلُّوا"[1].

وفي سياق آخر يرشد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إلى توجيه الملاحظة في مسار يؤدي لصلاح النفوس وزيادة الإيمان، فأمر بتفعيل الملاحظة التي تعزز القناعة والرضا وتمنع ازدراء النعمة من خلال تركيز النظر على حال من هو أقل منا في النعمة، فقال – صلّى الله عليه وسلّم: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ))[2].

أما في حال حصلت المقارنة بين تنعم المؤمنين، والكافرين في الحياة الدنيا، فيأتي التوجيه النّبويّ لاستحضار قصر الدنيا وفنائها، وعظم الآخرة ونعيمها المقيم، كما في التوجيه لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه– عندما دخل على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فبكى. فسأله النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: ((مَا يُبْكِيكَ يَا ابن الْخَطَّابِ؟ قال: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا لِي لا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لا أَرَى فِيهَا إِلَّا ما أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: يَا ابن الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟ قُلْتُ: بَلَى))[3]. وهذا التوجيه النّبويّ عين ما أوصى به ربنا – سبحانه وتعالى– فقال تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى**﴾ [سورة طه: 131].

---

[1] النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (6/ 201).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (4/ 2275– ح: 2963).

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء، (2/ 1108– ح: 1479).

المبحث الرابع: استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمد على الأقران

تمهيد

ورد في كتب اللغة أن: قِرْن الإنسان هو ما كان مِثْلُه في الشجاعة والشدَّةِ والعِلم والقتال ونحوه، ويقال: هو قِرْن صديقه في الوفاء، ويقال: تنافس مع أقرانه في المسابقة العلميّة، واشتهر المَثَلُ القائل: يُعرف المرءُ بأقرانه[1].

ويعرَّف التقويم التربوي المعتمد على الأقران بأنه: "قيام كل متعلم بتقويم أعمال أقرانه". ويطلق عليه تسميات: تقويم الأنداد، وتقويم الزملاء، وتقويم الرفاق، وتقويم الآخرين، وتقويم النظراء[2].

وتُعرّف الدراسة الحالية استراتيجية التقويم المعتمد على الأقران بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، التي تمكّن المتعلم من استثمار أشمل وأمثل لرصيده المعرفي والمهاري وخبراته السابقة، وعلاقاته بأقرانه ومحيطه البشري وتبادله معهم وزن وتقدير الموقف التربوي أيًّا كان فاعله، وتتميم نقصه، أو تعديل اعوجاجه؛ أو تثبيته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف تربوية.

فهي مسار تربوي هادف مشتمل على النشاطات والوسائل والطرق والمهارات ينفذها الأقران المتعلمون تجاه بعضهم البعض، فيستثمرون ما لديهم من خبرات ومعارف للحكم على أداء بعضهم المهاري أو السلوكي أو المعرفي وتقويمه بناء على معايير أو نماذج محددة مسبقًا.

ومن ميزات هذا النوع من التقويم: أنه يعزز دور المتعلم في العملية التربوية؛ فيصير أكثر إيجابية وفاعلية وتواصلًا وتأثيرًا، من خلال مشاركته في دعم زملائه، وتقويم أدائهم تشخيصًا

---

[1] أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، (3/ 1806).

[2] انظر: عبد السميع وآخرون، نظام تقويم الأقران في بيئة نظام مودل. "تكنولوجيا التربية – دراسات وبحوث"، 2014م، الصفحات (147 – 166)، (ص: 151).

وعلاجًا، مما يطور قدرتهم على ملاحظة أخطاء غيرهم، والتمييز بين العديد من الأداءات وَفق المعايير المتعارف عليها.

ويتيح هذا النوع من التقويم فرصةً أكبر للمحاورة وتبادل التغذية الراجعة بين المتعلمين أنفسهم، وفي وقتها دون تأخير. ومن ميزاته أيضًا: أنه يسهم في تنمية القدرة على النقد البَنَّاء، والدفاع عن الرأي، وتقدير الرأي الآخر. ومتوقع من خلاله الوصول لمستوى أفضل في فهم المحتوى التعليمي وتحقيق أهدافه. كما أنه يوثق العلاقة بين الأقران، ويختصر الوقت في عمليات التقويم التربوي؛ مما يخفف من أعباء المعلم، ويوسع من دائرة التشاركية والمسؤولية الفردية– والجماعية– في التعليم والتقويم[1].

ويوجِّه المعلم طلابه، لتنفيذ التقويم بالأقران من خلال إفساح الفرصة لهم للمشاركة في تشخيص أداءات بعضهم وتصويبها، وتعديل بعض السلوكات والمهارات أو تطويرها. ويمكن أن يتم ذلك من خلال نظام مجموعات مكونة من اثنين أو أكثر؛ يوزعها المعلم في الفصل الدراسي، حيث يجري في هذه المجموعات فعاليات تقويمية متبادلة بين الأقران، تتضمن مناقشات ومراجعات وعصف ذهني واستدعاء للتجارب المرتبطة في سياق توجيهات المعلم، كما يحدث التسميع المتبادل للمحفوظات، والعرض للأفكار وتلخيصها ونحوه، ثم تقديم التغذية الراجعة للطالب والنتائج للمعلم المشرف.

في المطالب الآتية نتناول التقويم بالأقران، ببيان مفهومه ومكانته في السُنّة النبويّة، وأنماطه ومجالاته، ثم نعرض لجملة من الأحاديث النبويّة والمواقف التي تتضمن شواهد على تطبيق هذه الاستراتيجية، على النحو الآتي:

---

[1] بتصرف من: خيرى وآخرون، أثر تقويم الأقران ببيئة تعلم إلكترونية في تنمية التفكير الكمبيوتري لدى طلاب تكنولوجيا التعليم. "مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية، العدد (40)، (2022)، الصفحات (455 – 494)، (ص: 467).

المطلب الأول: مفهوم التقويم بالأقران ومكانته في السُنّة النبويّة

عند تناول هذه الاستراتيجية في السُنّة النبويّة، فهذا يعني أننا نتتبع مجموع أداءات الصحابة – رضي الله عنهم– في إطار تقويمهم بعضهم، أو أبنائهم، أو زوجاتهم، أو عشيرتهم ونحوهم من المسلمين الذين كانوا يختلطون بهم في فترة الوحي والرسالة. وإن هذه التقويمات الصادرة عن أفراد الصحابة – رضي الله عنهم– لبعضهم تضمنت عملياتٍ عديدة كالتشخيص والوصف وإصدار الأحكام في إطارها التربوي، وكذلك عمليات الدعوة والإصلاح، وما يتخللها من النقد، والتوجيه، والتعزيز، والتي تستند لجملة من المبادئ والمعايير التي تضمنها وحي القرآن والسُنّة.

ويمكن إدراكُ أهمية استراتيجية التقويم بالأقران عند تصور الأهداف الكبرى للعملية التربوية النبويّة، والتي كانت تستهدف بالدعوة والتربية عمومَ الناس حيثما وجدوا. كما أنه كان على هذه العملية التربوية المباركة أن تبدأ وتنتهي فيما تبقى من حياته – صلّى الله عليه وسلّم– ضمن فترة الوحي والرسالة، والتي لم تتجاوز ثلاثةً وعشرين عامًا. كما يمكن تصور أهميَّةِ ودور الأقران في الدعوة والتعليم والتقويم عند الإجابة عن السؤال: كيف استطاع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ضمنَ وسائل التواصل في عصره أن يصل بجهده الدعوي والتعليمي والتقويمي إلى كل هؤلاء الناس في مناطقهم البعيدة، وفي بواديهم وداخل أنديتهم وبيوتهم؟ فهو – صلّى الله عليه وسلّم– ورغم تحركه الجغرافي المحدود على صعيده الشخصي كان مضطرًا للبقاء في مركز الدعوة؛ ليأتيه الناس من كل مكان، ولأجل ما ذكر ولغيرِهِ أخذت استراتيجيةُ التقويم بالأقران مداها الواسع في العملية التربوية النبويّة، وكانت تمارس حيثما أمكن ذلك.

وعليه فقد استدعى الأمر مساندةً كبيرة من جيل الصحابة الأول؛ ليكونوا دعاة ومعلمين إلى جانب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في تعليم الناس وتزكيتهم، كلٌّ في أسرته وفي مجتمعه وبين أقرانه.

وعلى سبيل المثال: لقد انتقل أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– بعد إسلامه مباشرة من دور المدعو إلى دور الداعية، ومن دور المتعلم إلى دور المعلم المؤثر في أقرانه وفي

محيطه، فدخل الإسلامَ بسببه مجموعةٌ من كبار الصحابة الأوائل، منهم: عثمان، والزُّبير وعبد الرَّحمن وسعد وطلحة[1] – رضي الله عنهم–، وهم بدورهم صنعوا ما صنع على تفاوت بينهم في الأداء.

فالعملية التربوية النبويّة كانت "لا مركزية" في شأن حمل الدعوة وتبليغها وما يتبع ذلك من مهامَّ تقويمية وتربوية وإصلاحية، فكل معتنق لهذا الدين عليه أن يحملَهُ إلى غيره؛ كما قال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))[2]. وقال أيضًا: ((فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))[3]. وحثًّا منه – صلّى الله عليه وسلّم– على توسيع دائرة المشاركة في الدعوة والتربية والتعليم، فقد خصَّ بالدعاء سامع السُنّة النبويّة وحافظها وناقلها، كما روى زيد بن ثابت – رضي الله عنه– قال: سمعتُ رسولَ الله – صلّى الله عليه وسلّم– يقول: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ))[4].

وبناءً على جملة هذه التوجيهات النبويّة الداعية لحمل هذه الرسالة ونقلها ودعوة الناس إليها؛ انطلقَ الصحابة – رضي الله عنهم– يأخذون العلم بدايةً عن الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– ثم ينطلقون ينقلونه ويُعلِّمون أهليهم وأقرانهم، ويقوّمون التصورات ويصححون المفاهيم وَفق معاييرَ كانت تؤكد على سلامة النقل، وتحذر من أدنى تحريف أو كذب، كما في قول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا،

---

(1) ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 250).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (4/ 170– ح: 3461).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، (4/ 60– ح: 3009).

(4) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (5/ 34– ح: 2656). وقال حديث حسن.

فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[1]. لأنَّ الكذب على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كذبٌ على الله، وكذب في التشريع وأثره عام في الأمة، وإثمه أكبر وعقابه أشد[2].

المطلب الثاني: أنماط التقويم التربوي بالأقران في السُنّة النبويّة

تنوعت أنماطُ التَّقويمِ بالأقران عند الصحابة – رضي الله عنهم–، فكان منها تقويم الصحابيّ لصحابي آخر، أو تقويم الصحابي الواحد لجماعة من المؤمنين، وفي بعض الأحيان كانت تتكاتف الجماعة المؤمنة لتقويم فرد منها، وأحيانًا تتصدى الجماعة المسلم لتقويم جماعة أخرى حتى تفيء إلى أمر الله –تعالى.

ونذكر شواهدَ على هذه الأنماط التقويمية، على النحو الآتي:

أوَّلًا: تقويم الصحابي لصحابي آخر:

ومن شواهدها تقويم أبي بكر الصديق موقف عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما– في صلح الحديبية، وقد كان تقويمه مؤثرًا وداعمًا لجهود النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الدعوية والإدارية، يقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قال: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قال: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قال: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قال: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قال: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ به[3]. والشاهد: حاجة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عقب صلح الحديبية إلى مساندة ودعم ممن حوله للتخفيف من احتقان المسلمين بعد حجبهم عن مكة في ذلك العام، وقد مثَّل أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– دورًا كبيرًا مؤثرًا في تقويم المعترضين من الصحابة – رضي

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، باب التحذير من الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، (10/1– ح:4).

(2) انظر: مصطفى البغا، في تعليقه على الحديث، صحيح مسلم، باب التحذير من الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (10/1–ح: 4).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، (3/ 193– ح: 2731).

الله عنهم– على صلح الحديبية وبنوده، وكان تأثيره الأهم حين قوَّمَ اندفاع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–، فذكَّره بمقام النبوة الذي فيه رسول الله محمد – صلّى الله عليه وسلّم– وأنَّ الله ناصره ومسدده، وفنَّدَ أسباب اعتراضه وأذهب مخاوفهم، ودعاه للالتزام بغرز النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم. ويمكن استخلاص دلالات تربوية من هذا الموقف وأداء أطرافه:

- يحتاج الأب في الأسرة إلى مساندة زوجته وبعض أبنائه في أثناء إجراءاته التقويمية التربوية أو الإدارية للحفاظ على الأسرة واستقرارها، وهذا مؤثر جدًا في تماسك الأسرة، وإنجاح الجهود التقويمية. وما يقال في حال الأب مع أسرته، يقال في حال المعلم مع تلاميذه، وحال المدير مع موظفيه، وحال القائد مع جنوده ونحوهم.
- ومن دلالة الموقف هذا الهامش الكبير الممنوح للصحابة – رضي الله عنهم– لتقديم النقد البناء والمراجعة والاستفهام عن الأسباب، وإتاحة الفرصة لأي أحد منهم لعرض الملاحظات صراحة دون غممة أو حديث ينتشر في الخفاء. فهذا الدين العظيم وهذا النبيّ الكريم أسَّسَا دعائم حرية التعبير وحِفظًا للمتعلم حقه في الاعتراض والاستفهام؛ ما دام ذلك ضمن معيار الأدب المتعارف عليه في ديننا الحنيف.

ثانيًا: تقويم الفرد لجماعة من الصحابة:

حدث نحوًا من ذلك مع عبد اللَّهِ بن جُبَيْر – رضي الله عنه– يوم غزوة أُحُد؛ يقول البراء بن عازِب – رضي الله عنهما–: "جَعَلَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عبد اللَّهِ بن جُبَيْر"[1]. قال أنس: "لَقِينَا المُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عبد اللَّهِ"، وقال: ((لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا. فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا، فَقَالَ عبد اللَّهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أَنْ لا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا))[2]. والشاهد: أن قائد الرماة حاول تقويم موقف أصحابه الذين ظنوا أن المعركة انتهت، وأنه حان

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، (5/ 78– ح: 3986).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (5/ 94– ح: 4043).

وقت النزول لجمع الغنائم، فحذَّرهم أميرهم، ونهاهم عن ترك مواقعهم وذكَّرهم بوصية الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– ألا يبرحوا أماكنهم. ولكنهم لم يستجيبوا لنداءاته؛ ولم تنجح محاولاته. وقد تكبد المسلمون جراء ذلك ثمنًا باهظًا لاستعجال بعضهم الغنيمة قبل أوانها فأصيب منهم سبعون – رضي الله عنهم.

ومما يذكر في تقويم الفرد الواحد للجماعة؛ ذلك الموقف الشهير لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه– حين قوَّم المؤمنين عمومًا يوم وفاة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فوقف أمام الناس وأيقظهم من هول المصيبة، وردَّهم إلى كتاب الله تعالى فقد أخرج ذلك البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما– أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ –وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ– يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا – صلّى الله عليه وسلّم– فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾ [آل عمران: 144]، وقَالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا"[1].

ثالثا: تقويم الجماعة المسلمة للفرد فيها:

يُعتبر ما قام به مجموع الصحابة – رضي الله عنهم– من امتثالهم لأمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في مقاطعة الثلاثة المخلَّفين عن غزوة تبوك، وتركِ مخالطتهم أمرٌ عظيم، وهو يعبِّر عن تكاتف عظيم للجماعة لتقويم أفراد منها، أو تقويم ظاهرة معينة، كالتخلف عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– حال نفيره للجهاد في سبيل الله.

إن هذا المستوى من الامتثال أسهمَ جدًّا في نجاح عملية التقويم النّبويّ لحالة الثلاثة المخلَّفين خصوصًا، ولظاهرة اختلاق الأعذار للقعود عن الجهاد عمومًا. فمثَّل ذلك أنموذجًا

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبيّ – صلى الله عليه وسلم– ووفاته، (6/ 14– 4454).

لحالة تقويمية شارك فيها كل الأقران والمجتمع المحيط. وقد حدَّث كعب – رضي الله عنه– عن محاولته اختراق هذا التضافر في المجتمع المحيط به عندما ألحَّ على ابن عمٍّ له أن يقول رأيه فيه أو حتى السلام عليه؛ لكنَّ ابن عمه أبدى التزامًا عاليًا بالتعليمات النبويّة، وبما عليه جماعة المسلمين من الغضب على الثلاثة ومقاطعتهم. يقول كعب: "مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابن عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ ما رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ"[1]. وتضمنت تتمة هذا الحديث تفاصيلَ لقصَّةِ المخلَّفين الثلاثة عن غزوة تبوك، ويمكن من خلالها ملاحظات شواهد عدة على تقويم الأقران نورد بعضها فيما يلي:

أ. حين افتقد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كعب بن مالك – رضي الله عنه– في أثناء غزوة تبوك: ففسَّرَ رجل من بني سلمة غيابه عن الغزوة تفسيرًا سلبيًّا يوحي بأن تخلُّفَهُ كان نفاقًا. فتصدَّى له معاذ بن جبل – رضي الله عنه– مقوِّمًا معترضًا وراح يذكر كعبًا بخير. يقول كعب – رضي الله عنه–: "وَلَمْ يَذْكُرْنِي رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: ((مَا فَعَلَ كَعْبٌ))؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رسول الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ[2]، فَقَالَ مُعَاذُ بن جَبَلٍ: بِئْسَ ما قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رسول الله ما عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم.

ب. قدَّم كعب بن مالك – رضي الله عنه– تقويمًا يصف فيه ويشخِّصُ حالَ المتخلفين في المدينة بعد خروج جيش المسلمين إلى تبوك، فقال: بأنهم إما محتقر مطعون في دينه وإما متهم بالنفاق وإما مريض عاجز. يقول كعب: "فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا[3] عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أو رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ".

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث كعب بن مالك، (6/ 3– ح: 4418).

[2] حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ: أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه ولباسه.

[3] (مغموصًا): محتقرًا مطعونًا في دينه أو متهمًا بنفاق.

ج. بعد أن صدق كعب بن مالك – رضي الله عنه– مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فلم يعتذر كما اعتذر المنافقون؛ ثار خلفه رجال من بني سلمة وتبعوه، فهؤلاء النفر من بني سلمة قوَّموا الموقف على معيارهم، فلم يعجبهم ما كان من صراحة كعب وصدقه وتوقف النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في شأنه ومقاطعته، وقدَّروا أنه كان يسعه ما وسع غيره من المتخلفين بالتعذر بأي عذر، وذكَّروه بأنهم ما علموا عليه من ذنب قبل هذا. وألَّحوا عليه وأكثروا حتى كاد يرجعُ ويكذِّب نفسه. يقول كعب: "وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ ما عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لَكَ، فَوَاللَّهِ ما زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي". وهذا يؤكد دور بطانة المرء وأهميتها في توجيه مساراته وكيف أن لها أثرًا كبيرًا في القرارات والتصرفات والتبريرات.

د. تكرر في المشهد تقويم كعب بن مالك – رضي الله عنه– لحال صاحبيه الاثنين اللذين تخلفا مثله، وأنهما قالا مثل ما قال وصَدَقَا مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مثلما صدق؛ فشهد لهما بدايةً بالصلاح وأنهما أسوة وأنهما ممن شهد بدرًا. وكان لذلك أثره الكبير في تثبيته. يقول كعب: "فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَة". ثم قوَّمَ أداء صاحبيه في محنة مقاطعتهم خمسين يومًا، وكيف أنهما حبسا أنفسهما وظلا يبكيان، وأنه اعتبر نفسه أجلد منهما لشبابه وقوته. يقول كعب: "أَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ".

هـ. قدَّمت امرأة هلال ابن أمية تقويمًا يصفُ حال زوجها – رضي الله عنهما– بأنه شيخ كبير يحتاج إلى من يخدمه، وأضافت مقدمةً شكَّلَتْ تغذية راجعة عن حزنه المستمر وبكائه الذي لا يتوقف. وقالت: "إِنَّ هِلاَلَ بن أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ[1]، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ". وقَالَتْ: "إِنَّهُ وَاللَّهِ ما بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ ما زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، ما كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا".

---

[1] (شَيْخٌ ضَائِعٌ): قاصر عن القيام بشؤون نفسه. "مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ" لا طاقة له بالجماع.

و. ما جرى من تضافر الجماعة المؤمنة في المدينة لتقويم المخلفين الثلاث عن غزوة العسرة في العام التاسع من الهجرة، وقد مثَّل هذا شكلًا من أشكال تقويم الأقران.

رابعًا: تقويم الجماعة لجماعة أخرى:

كما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ [سورة الحجرات: 9]. فقد أخرج البخاري سبب نزولها عن أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ – صلّى الله عليه وسلّم–: لَوْ أَتَيْتَ عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ، "فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ المُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ"، فَلَمَّا أَتَاهُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ، فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ [سورة الحجرات: 9][1]. والشاهد أن الله – سبحانه وتعالى– أمر في هذه الآية بالإصلاح بين جماعات المسلمين إذا تفاسدوا أو تنازعوا، ووجَّهَ للوجوب في حال بغي إحدى الطائفتين أن تقوم جماعة المؤمنين بتقويم الطائفة الباغية بأدوات التقويم المتاحة والتي قد تصل حد مقاتلتها حتى تعود إلى الحق.

ومن ظاهر الرواية فإن الموقف بدأ بتقويمٍ صادر من الصحابيّ المؤمن تُجاه ذلك السفيه الذي أساء الكلام وأظهر قلة الأدب مع مقام النبوة؛ بالرغم من أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– جاءه ضيفًا وداعية إلى الإسلام، فكان التقويم من الصحابة حاضرًا وسريعًا ومناسبًا لمقولة ذلك المنافق. ومن دلالة الحديث كما قال الشيباني: "استحسان حضور الجواب من

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، (3/ 183– ح: 2691). (سبخة): أرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت. (بالجريد) أغصان النخل المجردة من ورقه. (طائفتان) جماعتان. وقد أخرجه مسلم في صحيحه (3/ 1424– ح: 1799) في باب "دعاء النبيّ – صلى الله عليه وسلم– إلى الله وصبره على أذى المنافقين".

المؤمن إذا كان صاحب الحق فيه كرم وحياء يمنعه من إجابة السفيه؛ فإن المؤمن يجيب عنه، كما قال الأنصاري – رضي الله عنه– لابن أُبيّ: "وَاللَّهِ لَحِمَارُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ"، ولم ينكر عليه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ذلك ولا أحدٌ ممن سمعه"[1].

وبلا شكٍّ فقد تحملت الجماعة المؤمنة في الجيل الأول من الصحابة – رضي الله عنهم– على عاتقها مقاومة ظواهر وسلوكيات كانت منتشرة في مجتمع الجيل الأول؛ مثل: ظاهرة النفاق، وظاهرة الرق، وظاهرة الجهل والأمية والفقر، وقد تظافرت نصوص القرآن والسُنّة لتوصيف هذه الظواهر وتحفيز المؤمنين عمومًا؛ ليكون لهم سهم وتحمل للمسؤولية في تقويمها وعلاجها.

وقد أبدع الأشعريون وتميزوا بتحملهم المسؤولية وتصديهم لمعالجة حالة الفقر، حتى ضرب بجماعتهم المثل في ذلك؛ كما روى أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه– عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: قال: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))[2].

المطلب الثالث: انطلاق تقويم الأقران من التوجيه النبوي

كثيرة هي التوجيهات النبويّة التي تدعو إلى قيام المسلم بمسؤوليته الإصلاحية والتقويمية في أسرته ومجتمعه، وأنه راعٍ وكفيلٌ على من تحت يده من أهله وقومه والعاملين معه. وقد ورد تأكيده – صلّى الله عليه وسلّم– على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار

---

(1) الشيباني، يحيى بن هُبَيْرَة، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد أحمد، السعودية، دار الوطن، (د. ط)، 1417 هـ، (5/ 218).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام، (3/ 138– ح: 2486). (أرملوا) من الإرمال وهو فناء الزاد وقلة الطعام، (في إناء واحد) أي اقتسموه بمكيال واحد حتى لا يتميز بعضهم عن بعض. (بالسوية) متساوين. (فهم مني وأنا منهم) طريقتي وطريقتهم واحدة في التعاون على البر والتقوى وطاعة الله – عز وجل.

التقويم التربوي، كما أكد للمؤمنين بأن الدين النصيحة، وأن على المسلم أن ينصر أخاه فيمنعه من التمادي في ظلمه.

ونختار شاهدًا على التوجيه النّبويّ وتفعيلِهِ تقويمَ الأقران في أثناء بيعة العقبة الثانية؛ حين طلب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من أصحابه أن يُخرِجوا نقباء منهم يتحملون مسؤولية تقويم أقرانهم، فقال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للحاضرين: "أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا. فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعَةً مِنْ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنْ الْأَوْسِ. ثم قال – صلّى الله عليه وسلّم– لِلنُّقَبَاءِ: أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلَاءُ، كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابن مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي –يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ– قَالُوا: نَعَمْ[1]. ويقول عُبَادَةَ بن الصَّامِت – رضي الله عنه– : "إِنِّي لَمِنَ النُّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وقال: "بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا نَنْتَهِبَ، وَلَا نَعْصِيَ"[2]. والشاهد: قيام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بتقسيم المجموعة الكبيرة من الحاضرين في بيعة العقبة الثانية، والذين تجاوزوا السبعين إلى مجموعات أصغر من خلال انتخابٍ داخلي أجروه بينهم، ليكون كلُّ نقيب منهم كفيلًا على من معه من قومه، ويتحمل مسؤولية متابعتهم وتقويمهم وضمان أدائهم. يقول الغضبان: "ولقد حدَّد رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– المسؤولية لهؤلاء النقباء الاثني عشر بعد أن اعتبرهم القادة المسؤولين، وواجبهم أن يكونوا كفلاء على قومهم من المسلمين، الذين بايعوا في العقبة، والذين أقاموا في يثرب، هم مسؤولون عن تصرفاتهم وانضباطهم وطاعتهم، والتزامهم بأوامر هذا الدين الجديد، وبعدم الإخلال في أحكامه"[3].

---

[1] ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (443/1 –446)، وانظر: ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (7/ 221).

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، (3/ 1333– ح: 1709).

[3] الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبويّة، (1/ 174).

المطلب الرابع: تقويمات الصحابة في حضرة النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم-

ثمة تقويمات أجراها الصحابة لبعضهم في حضرة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان يراها ويسمعها فيقرُّ بعضها ويردُّ بعضها الآخر، كما في الشواهد الآتية:

أ– فقد أخرج البخاريُّ أن عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ – رضي الله عنه– اسْتَأْذَنَ عَلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فَدَخَلَ عُمَرُ وَرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رسول الله، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ)). فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رسول الله، ثُمَّ قال عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِيهًا يَا ابن الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ))[1]. والشاهد في الحديث ما تم من نقد متبادل بين عمر بن الخطاب ونساء من قريش – رضي الله عنهم– كن جلوسًا عند النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يكلمنه. فوبَّخ "عمر" النساءَ لكونهن أظهرن الهيبة منه حين قمن فابتدرن الحجاب حال سماعهن صوته واستئذانه، مؤكدًا لهن ومقوّمًا بأن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أولى بهذه الهيبة منه. ومن جهة أخرى علَّلت نساء قريش تصرفهن ذلك؛ بأنه لا ينطلق من التقليل من هيبة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وتعظيمه، وقدمن تقويمًا يصفن فيه ما كان عليه حال عمر من الشدة الذي غلبت على طبعه بالمقارنة مع بما كان عليه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من صفات الحلم واللين.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبيّ – صلى الله عليه وسلم– باب مناقب عمر بن الخطاب، (5/ 11– ح: 3683).

ب- في موقف يرويه أَبو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه- أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-: ((دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أو سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[1]. ويمثل هذا الحديث مثالًا على ما كان يحدث أحيانًا في الجيل الأول من مواقف تتضمن سلوكيات تخالف العرف والدين، فكان الصحابة يبادرون لتقويمها على طريقتهم وسجيتهم، ولم يكن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- يختلف معهم في استحقاق كثير هذه المواقف للتقويم، ولكنه – صلّى الله عليه وسلّم- كان يقوّم أسلوبهم أو طريقتهم، فينهاهم عن العجلة أو الغلظة أو التعسير، ويدعوهم إلى التروي والرحمة والتيسير، كما في حادثة الأعرابي الذي بال في المسجد جاهلًا بحرمته وأحكامه.

ج- وأخرج البخاري عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها-[2]. تفاصيل ما كان من حديث الإفك الذي نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة يشهد ببراءتها وعفتها. وفيه شواهد عديدة على تقويم الأقران لبعضهم، نذكر منها:

1. التقويم الذي قامت به أم مسطح بن أثاثة – رضي الله عنها- عندما سبَّت ولدها مسطحًا، وكانت من أشد الناس عليه حين زلَّ فخاض مع الخائضين[3]. فقالت: "تَعِسَ مِسْطَحٌ"، في إشارة تقويمية لإنكارها ورفضها ما صنع. قالت عائشة: "فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ ما قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا". كما يظهر تقويم الأقران في إنكار عائشة – رضي الله عنها- على أم مسطح سبَّ ولدها، وهي الغافلة عما يتحدث به الناس في حقها: فقالت لَهَا: "بِئْسَ ما قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا".

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم-: «يسروا ولا تعسروا»، (8/ 30- ح: 6128).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، (3/ 173- ح:2661).

[3] ابن سعد: الطبقات الكبرى، (8/ 182).

2. التقويم الذي قامت به أمُّ السيدةِ عائشة – رضي الله عنهما– للموقف عمومًا، عندما سألتها عائشة عما يتناقله الناس، فهوَّنت عليها مؤكدة طهارتها وعفتها، وأن ما يقوله الناس –حسب تقديرها– يأتي في سياق كيد النساء الضرائر لبعضهن والحسد. قالت عائشة – رضي الله عنها–: "فَقُلْتُ لِأُمِّي: ما يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا".

3. التقويم الذي قام به كلٌّ من أسامة بن زيد وعَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ – رضي الله عنهما– عندما استشارهما النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وسألهما الرأي. "فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رسول الله، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ؛ فَقَالَ: يَا رسول الله، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ".

4. أخذ النبيّ بتوصية علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– فاستدعى بريرة الجارية المرافقة للسيدة عائشة – رضي الله عنها– وسألها، واستمع لتقويمها ورأيها، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((يا بريرة هل رأيت فيها شيئًا يريبك؟))، فقالت بريرة: "لا والَّذي بعثك بالحقِّ، إن رأيت منها أمرًا أغمصه عليها قطُّ، أكثر من أنَّها جاريةٌ حديثة السِّنِّ، تنام عن العجين، فتأتي الدَّاجن فتأكله". والشاهد أن الجارية، وفي تقويمها لحالِ عائشة قالت كلامًا بينت فيه ما تعرفه من طهر عائشة – رضي الله عنها– وغفلتها وسلامة دينها؛ مما دفع النبيّ الكريم للوقوف على منبره للذبِّ عن أهل بيته الطاهرين، وعن ذلك الصحابي الكريم الذي اتهم في هذه الحادثة أيضًا.

5. قوَّمَ أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– موقف "مسطح" بعدما وقع لسانه وردَّدَ ما قاله المنافقون في عرض عائشة – رضي الله عنها– رغم أنه قريبها، ويعلم سيرتها وطهرها، فكان الأَوْلَى به الذبُّ عنها أو التزام الصمت على الأقل. وكان أبو بكر الصديق يحسن إليه بالعطاء، فرأى أنَّ في خوض مسطح مع الخائضين نكرانًا للجميل

وإساءةً تستدعي قطع الإحسان عنه، فحلف على ذلك حتى نزلت فيه آية تدعوه إلى العفو والصفح، ففعل.

المطلب الخامس: إقرار النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- لتقويمات أصحابه

قد كان الصحابة – رضي الله عنهم– يختلفون –أحيانًا– في تقديراتهم أو حكمهم على المواقف والأحداث، لذا كانوا يرجعون إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فيحكم بينهم، ويقدم لهم التوجيهَ المناسب، ونذكر شواهد على ذلك:

أ. أبو بكر الصديق وتقويمه أقرانه – رضي الله عنهم:

عَنْ عَائِذِ بن عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللهِ ما أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قال فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: ((يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ)). فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي[1]. وفي الحديث يقوّمُ أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– بأسلوب استنكاري مقولةَ أقرانه من الصحابة – رضي الله عنهم– في حقّ أبي سفيان –وكان مشركًا حينها– ولعلَّهُ فعل ذلك يتألف الرجل، فلم يرد أن يضايقه أحدٌ بكلمة تؤذيه فينفره عن دين الله – سبحانه وتعالى– أو لأنه كان يرى أن على أصحابه – رضي الله عنهم– أن يتمنوا لأبي سفيان الهداية للإسلام لا القتل[2].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، باب من فضائل سلمان، وصهيب، وبلال، (4/ 1947– ح: 2504).

[2] انظر: حطيبة، أحمد، شرح الترغيب والترهيب للمنذري، على المكتبة الشاملة الذهبية، أصلها: دروس صوتية مفرغة عددها 50 على الإنترنت، (50/5).

ولمَّا أخبر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بذلك كان تقويمه للموقف أن أصحابه – رضي الله عنهم– قالوا كلمة حق وصدق فيها تحمسٌ للإسلام وعزٌّ لأهله وكبتٌ لأعدائه. وأنه لا ينبغي إغضابهم لأجل ما قالوا[1]. فعاد إليهم أبو بكر معتذرًا – رضي الله عنهم جميعًا.

ب. عمر بن الخطاب – رضي الله عنهم– يحاول تقويم الأحباش:

وفي موقف لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه– حاول فيه منع مجموعة رجال حبشيين من اللعب بحرابهم في المسجد، يروي ذلك أبو هريرة – رضي الله عنه–، قال: "بَيْنَا الحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بِحِرَابِهِمْ، دَخَلَ عُمَرُ فَأَهْوَى إِلَى الحَصَى فَحَصَبَهُمْ بِهَا، فَقَالَ – صلّى الله عليه وسلّم–: دَعْهُمْ يَا عُمَرُ"[2]. قال ابن الجوزي: وَإِنَّمَا حصبهم عمر؛ لِأَنَّهُ رأى ذَلِك عَبَثًا. وَإِنَّمَا نَهَاهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لِأَن كلَ شَيْء يحْتَاج إِلَى المناضلة بِهِ فِي الْحَرْب يجوز اللَّعب بِهِ فِي غير الْحَرْب؛ ليتمرن عَلَيْهِ ويتدرج إِلَى تعلمه لأجل الْحَرْب، كالرمي بِالسِّهَامِ والحراب والمسابقة بِالْخَيْلِ[3].

ج. سلمان وأبو الدرداء – رضي الله عنهما–:

أخرج البخاري أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– آخى بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنهما– فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: ما شَأْنُكِ؟ قالتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قال: ما أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قال سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قال: فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: "إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النبيّ

---

[1] انظر: لاشين، موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مصر، دار الشروق، ط 1، 1423 هـ– 2002م، (9/ 540).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اللهو في الحراب، (4/ 38– ح: 2901).

[3] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، ط 1، دار الوطن، 1418 هـ– 1997م، (3/ 346).

– صلّى الله عليه وسلّم– فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: صَدَقَ سَلْمَانُ"[1].

ويناسب هذا الحديث ليكون من أحسن الشواهد على تقويم الأقران واعتماده وإقراره من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من خلال النقاط الآتية:

1. زيارة سلمان لبيت أخيه أبي الدرداء وملاحظته حال أم الدرداء وكيف أنها مبتذلة، فاستغرب من حالها – رضي الله عنه– فسألها مستفسرًا: "مَا شَأْنُكِ"؟، فكان جوابها وصفًا تقويميًّا مختصرًا معبرًا عن حال زوجها وانشغاله بالعبادة، فقالت: "إنه لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا".
2. أدرك سلمان – رضي الله عنه– أن ثمة ما يستدعي المتابعة، فقام بعدة إجراءات تمثلت بما يلي:

أ– قرر أن يزور أخاه ويبيت عنده ليلة؛ وفي هذه الأثناء وقف بنفسه على حال أخيه ورأى طريقته في العبادة وسبب انشغاله عن أهله.

ب– من خلال المعايشة لأبي الدرداء في بيته عرف طريقته في صيام النهار وقيام الليل، وعمل على تصويبها عمليًّا.

ج– ظهرت حكمة سلمان – رضي الله عنه– فهو رفع الحرج عن زوجة صاحبه حيث بدا الموقف أن تقويمه لم يبن على قولها أو شكايتها، بل ظهر أن تقومه كان بِناءً على معايشته وملاحظته المباشرة.

د– قدَّمَ سلمان – رضي الله عنه– تفسيرًا لأخيه حول ما فعل معه، وبيَّنَ له ضرورة التوازن بين تلبية حاجات الجسد والروح وبين حقوق الزوجة والآخرين. فقال له: "إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَذَكَرَ

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، (3/ 38– ح: 1968).

ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: صَدَقَ سَلْمَانُ"[1]، فأقر قول سلمان – رضي الله عنه–.

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، (3/ 38– ح: 1968).

المطلب السادس: مجالات التقويم بالأقران في السُنّة النبويّة

أدرك أفراد الصحابة – رضي الله عنهم– دورهم في التقويم التربوي لأقرانهم في بيوتهم ومساجدهم وأسواقهم وأعمالهم وفي أثناء سفرهم وجهادهم، وصاروا يمارسون التقويم التربوي حتى لو كانوا على مسافة من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وفيما يلي شواهد على ذلك:

أولًا: تقويم الأقران في المجال التعليمي:

كان يحدث أن الصحابة المعلمين كانوا يمارسون التقويم لأداء بعضهم واختبار مستوى الطلبة في حلقات العلم، وقد وردت إشارة إلى ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري عَنْ عَلْقَمَةَ، قال: "كُنَّا جُلُوسًا مَعَ ابن مَسْعُودٍ، فَجَاءَ خَبَّابٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عبد الرَّحْمَنِ، أَيَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ الشَّبَابُ أَنْ يَقْرءوا كَمَا تَقْرَأُ؟ قال: أَمَا إِنَّكَ لَوْ شِئْتَ أَمَرْتُ بَعْضَهُمْ يَقْرَأُ عَلَيْكَ؟ قال: أَجَلْ، قَالَ: اقْرَأْ يَا عَلْقَمَةُ، فَقَالَ زَيْدُ بن حُدَيْرٍ، أَخُو زِيَادِ بن حُدَيْرٍ: أَتَأْمُرُ عَلْقَمَةَ أَنْ يَقْرَأَ وَلَيْسَ بِأَقْرَئِنَا؟ قال: أَمَا إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِمَا قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فِي قَوْمِكَ وَقَوْمِهِ؟ فَقَرَأْتُ خَمْسِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ، فَقَالَ عبد اللَّهِ: كَيْفَ تَرَى؟ قال: قَدْ أَحْسَنَ، قال عبد اللَّهِ: ما أَقْرَأُ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ يَقْرَؤُهُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى خَبَّابٍ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: أَلَمْ يَأْنِ لِهَذَا الخَاتَمِ أَنْ يُلْقَى، قال: أَمَا إِنَّكَ لن تَرَاهُ عَلَيَّ بَعْدَ اليَوْمِ، فَأَلْقَاهُ"[1].

يتضمن الموقف تقويم خباب – رضي الله عنه– لمستوى الطلبة في حلقة صاحبه المعلم عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– ثم إصدار الحكم بالثناء على الطالب المجيد –وفي تقدير الطالب تقدير لمعلمه– كما تضمن الحديث الاحترام الكبير المتبادل بين الصحابة المعلمين، وأسلوب التقويم المؤدب وتقبله وتبادله بين الطرفين.

وفيه شاهد على تقويم سلوكي بدأ من إنكار عبد الله بن مسعود على خباب ارتداءه خاتمًا من ذهب – رضي الله عنهما.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين، (5/ 174– ح: 4391).

ثانيًا: تقويم الأقران في مجال أداء شعائر العبادات:

يظهر ذلك في رواية أُبَيّ بن كعب – رضي الله عنه– فقد حاول تقويم حال الرجل الذي كان بيته بعيدًا عن المسجد النبوي؛ يقول أُبَيّ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَيْتُهُ أَقْصَى بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: فَتَوَجَّعْنَا لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ، وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ، قَالَ: أَمَ وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ بَيْتِي مُطَنَّبٌ بِبَيْتِ مُحَمَّدٍ – صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَرْجُو فِي أَثَرِهِ الْأَجْرَ، فَقَالَ لَهُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ))[1].

والشاهد: تعاطف الصحابي أُبَيّ – رضي الله عنه– مع حال الرجل، فقصد التخفيف عنه وتقويم حاله، فأظهر تأثره بحاله، واقترح عليه شراء ركوبة تعينه وتخفف من مشقة بعد بيته عن المسجد. لكن الرجل ردَّ ردًا استبشعه أُبَيّ – رضي الله عنه– حتى ذهب للنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأخبره بمقولة الرجل، فاستحق الأمر أن يستفهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من الرجل، فجاء وأوضح مقصده وأنه يرجو أن يكتب الله تعالى له أثر ذهابه ومجيئه إلى المسجد.

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، (1/ 461– ح: 663). (فَتَوَجَّعْنَا لَهُ) أي أظهرنا أنه يصيبنا الألم مما يلحقه من المشقة ببعد الدار. (الرَّمْضَاء) شدة الحر، (أَنَّ بَيْتِي مُطَنَّبٌ) مشدود بالحبال (فحملتُ به حملًا) أي عظم عليَّ وثقل واستعظمته لبشاعة لفظه وهمني ذلك.

ثالثًا: تقويم الأقران في المجال الاجتماعي:

أ. يروي أخرج الإمام أحمد في مسنده، ما صحّ من حديث عن أَنَسُ بن مَالِكٍ قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالَ: ((يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تَبِعَهُ عبد اللهِ بن عَمْرٍو... الحديث))[1].

والشاهد الذي نريده: ما قام به عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه– من متابعة لتقويم حال الرجل –الذي وصف بأنه من أهل الجنة– ليكشف عن سبب شهادة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– له بذلك، وليتعلم منه ويفيد من طريقته.

فجاء بيتَ الرجل وزاره وبات عند ثلاث ليال مراقبًا مستكشفًا حاله؛ فَلَمْ يَرَهُ مكثرًا من صلاة الليل أو صيام النهار، غير أَنَّهُ إذا تعارَّ من الليل ذكر الله وكبَّر، وكان لا يقول إلا خيرًا.

وكان من نتيجة ما دار من الحوار والمصارحة بينهما أن أدرك عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما– ما خفي من حال ذلك الرجل، فأدرك ماهية الأعمال والأخلاق التي رفعت من قدر الرجل فبلغت به ما بلغ حتى صار من أهل الجنة، وهي أنه:

- لا يجد في نفسه على أحدٍ من المسلمين غِشًا.
- ولا يحسد أحدًا على خير أعطاه الله إيَّاه.
- وأنه لا يقول إلا خيرًا.

ب. كان الصحابة يلجؤون إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– طالبين عونه لتقويم بوادر الاعوجاج أو الخطأ عند أقرانهم أو أبنائهم، كما جرى مع عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه– حين حدَّث فقال: "أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ:

---

[1] الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك، (20/ 124–ح: 12697)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. انظر مسند أحمد بتحقيق الأرنؤوط.

نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالَ: القَنِي بِهِ. الحديث"[1]. والشاهد أن الصحابي كان يتفقد أحوال كنته، ويحاول تقويم سلوك ابنه، ولما طال به الأمر ولم يستطع تقويم ابنه لجأ إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فأعانه على تقويم حاله.

والحديث شاهد على جهود الآباء في تقويمهم أبنائهم، وتعهد الأب أهل بيت ولده، والاطمئنان على سلامة أحوالهم، وتصديه لتقويم أي اعوجاج يراه في سلوك ولده في أثناء تعامله مع كنَّته، وجواز الاستعانة بالصالحين والمختصين إن طال الأمر ليعينوه على تقويمه.

ج– وفي محاولة مراجعة الأبناء لمسار والديهم؛ أخرج ابن إسحاق عن والده عنْ أَشْيَاخٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: أَنَّ عَمْرَو بن الْجَمُوحِ كَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلَ الْأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– الْمَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: "إنَّ اللَّهَ – عز وجل–: قَدْ عَذَرَكَ"، فَأَتَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، فَقَالَ: "إنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالْخُرُوجِ مَعَك فِيهِ، فوالله إنّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ"، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ)). وَقَالَ لِبَنِيهِ: ((ما عَلَيْكُمْ أَنْ لا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ))[2]. والشاهد أن الأبناء الأربعة قوَّموا حال والدهم ضمن معيارهم، فهو رجل كبير وعرجه شديد، وقد عذره الله تعالى فعرضوا عليه القعود عن النفير للقتال مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فأبى، فعزموا على حبسه عن ذلك، وما قصدوا سوى برِّ والدهم والتخفيف عنه. لكنه شكاهم إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مؤكدًا عزمه على الخروج للجهاد طمعًا بالشهادة. فعند ذلك أمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أبناءه ألا يحولوا بينه وبين الشهادة في سبيل الله.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كم يقرأ من القرآن، (6/ 196– ح: 5052). (ذات حسب) أي: شرف. (كَنَّتَهُ) أي: زوجة ابنه. (ولم يفتش لنا كنفًا) أي: كناية عن تركه الجماع.

[2] ابن هشام: السيرة النبويّة لابن هشام، (2/ 90)، سنده صحيح فوالد ابن إسحاق تابعي ثقة يروي عن بعض أشياخ الصحابة.

رابعًا: تقويم الأقران في مجال الأسرة والمرأة:

من المعلوم أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تزوج عددًا من النساء، صرن أمهات للمؤمنين ومعلمات للمؤمنات، فكانت النساء يأتين النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يسألنه فيما يخصُّ شؤونهن فيجيب – صلّى الله عليه وسلّم– مختصرًا حياءً؛ لتتولى الحاضرة من أمهات المؤمنين تفصيلَ الإجابة، كما في رواية عائشة – رضي الله عنها– أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عَنْ غُسْلِهَا مِنَ المَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قال: "خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ، فَتَطَهَّرِي بِهَا، قالتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قال: تَطَهَّرِي بِهَا، قالتْ: كَيْفَ؟ قال: سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي، فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ"[1]. والشاهد أن عائشة – رضي الله عنها– تولت شرح التفاصيل لهذه المرأة السائلة عن غسلها من الحيض.

وذكرت السُنّة النبويّة أن الناس كانوا يأتون بيوت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في حياته ولا يجدونه أحيانًا، فيقصدون أزواجه بالسؤال، وقد ذكرت السُنّة شواهدَ على ذلك؛ كحديث الرهط الثلاثة الذين أتوا إلى بيوت أزواجه – صلّى الله عليه وسلّم– يسألون عن عبادته – صلّى الله عليه وسلّم[2]. وشاهد آخر يذكر أن رجلًا جاءَ يسأل عائشة – رضي الله عنها–: كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– في رَمَضَانَ؟ [3].

وحتى كبار الصحابة – رضي الله عنهم– كانوا في حال تنازعهم في مسألة يجدون لها مخرجًا عند أمهات المؤمنين، نقل لنا نحوًا من ذلك أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه– قال: "اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّونَ: لَا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّاهْ –أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ–

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت، (70/1– ح: 314). (فرصة) قطعة من صوف أو قطن. (من مسك) مطيبة بالمسك. (فاجتبذتها) جررتها بشدة.

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (2/7– ح: 5063).

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب أَنَّ النبيّ – صلى الله عليه وسلم– تنام عينه ولا ينام قلبه، (191/4– ح: 3569).

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ، فَقَالَتْ: لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائِلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ، قُلْتُ: فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ؟ قَالَتْ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ))[1].

يقول الصابوني: لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– هي تخريج بضع معلمات للنساء، يعلمن الأحكام الشرعية، فكثيرات كن يستحيين من سؤال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن، كأحكام الحيض، والنفاس، والجنابة، والأمور الزوجية، وغيرها من الأحكام... فكانت نساء الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– خيرَ معلِّمات وموجهات لهن، وعن طريقهن تفقَّهَ النساء في دين الله وتعرَّف الرجال على تفاصيل أحواله وأطواره وأفعاله المنزلية – صلّى الله عليه وسلّم–[2].

وقد أدركت أمهات المؤمنين هذه المهمة المستقبلية لهن فكن يسألن ويستفهمن، ومما روي في ذلك أن عائشة – رضي الله عنها– كَانَتْ لا تَسْمَعُ شَيْئًا لا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حَتَّى تَعْرِفَهُ[3]. وبناء على ذلك مارست المرأة المسلمة دورها التقويمي التربوي، فهذه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– تقوّمُ أداء نساء المهاجرات، فتقول: "يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ [سورة النور: 31]، شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا"[4]. وفي موقف آخر لها تثني فيه على نساء الأنصار فتقول: "نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ"[5]. والشاهد:

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل، (1/ 271– ح: 349).

(2) الصابوني، محمد الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، دمشق، مكتبة الغزالي، ط 3، 1400هـ – 1980م، (2/ 318).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه، (1/32– ح: 103).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31]، (6/ 109– ح: 4758).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة، (1/ 261– 332).

متابعة عائشة – رضي الله عنها– لأداء نساء الصحابة، وحكمها على كل فئة منهن بما تميزت به.

وأخرج الحاكم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ – رضي الله عنها– أَنَّهَا قالتْ لِامْرَأَةِ سَلَمَةَ بن هِشَامِ بن الْمُغِيرَةِ: "مَا لِي لا أَرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ"؟ قالتْ: وَاللَّهِ ما يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ، كُلَّمَا خَرَجَ صَاحَ بِهِ النَّاسُ: يَا فَرَّارُ، أَفَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – عز وجل– حَتَّى قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَمَا يَخْرُجُ، وَكَانَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مَعَ خَالِدِ بن الْوَلِيدِ – رضي الله عنه–[1]. والشاهد ما تم من تقويم بالنقد والإنكار على المتخلف عن صلاة الجماعة مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حيث تظهر الرواية دور المرأة المسلمة في تقويم غيرها من الرجال والنساء من الصحابة – رضي الله عنهم– فهي أنكرت قعود سلمة عن صلاة الجماعة، فسألت تستوضح السبب وترغِّبُ بالصلاة مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وأصحابه في المسجد. يقول: أبو شهبة معلقًا على جانب آخر من الحديث وما أظهره من التقويم المجتمعي لسلوك المجاهدين العائدين من غزوة مؤتة، فيقول: "وهذا يدل على مبلغ ما وصل إليه الخلق الإسلامي آنئذ من حبِّ البطولة وإيثار الشهادة في سبيل الله على الفرار، والاستحياء من المثالب والمساوئ، وتقدير للقيم الخلقية، والمعاني الأدبية"[2].

خامسًا: تقويم الأقران أثناء الأداء الجهادي:

كانت الأنشطة والأداءات المرتبطة بالجهاد ونشر الدعوة وحمايتها على مستوى كبير من الحضور والأهمية في فترة حياة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وقد برزت بشكل واضح في المدينة المنورة. وقد أخذ ذلك حيزًا كبيرًا في حياة الجيل الأول من الصحابة – رضي الله عنهم– ، كيف لا والنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– غزا بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، وبلغت سراياه التي

---

[1] الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب المغازي والسرايا، (3/ 45– ح: 4355). وصحَّحه. وانظر: ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام.

[2] أبو شهبة، محمد بن محمد، السيرة النبويّة على ضوء القرآن والسُنّة، دمشق، دار القلم، ط 8، 1427 هـ، (2/ 430).

بعث بها سبعًا وأربعين سرية[1]. كما أن السُنّة النبويّة اظهرت شدة حرصه – صلّى الله عليه وسلّم– على مشاركة أصحابه الخروج للجهاد، حتى بدا ذلك منهجية في التربية والتقويم تنطلق من أهمية الجهاد في سبيل الله –وهو ذروة سنام الإسلام– وتنبيهًا على أثر الخروج للجهاد ودوره في صقل المهارات وبناء القيادات، وكشف معادن الرجال وإظهار الطاقات والمواهب. وفي هذا السياق يمكن فهم دلالة الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يقول: ((لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ)).

لذا وفي إطار المعايشة الجهادية نجد أن التقويم التربوي يأخذ مداه بين أقران الصحابة أثناء خروجهم في الغزوات والسرايا، فتبرز القدوة الصالحة في الثبات والإقدام والتضحية، ويكون الوعظ بينهم والتحريض والتثبيت، وكذا التحذير من الغلول ومن خطورة التولّي يوم الزحف. ويعتنى بالتدريب الجسدية ورفع القدرة على التحمل والصبر، وكذا تزكية النفوس بالذكر وتلاوة القرآن وسورة الأنفال وآيات الجهاد، وسماع أحاديث الجنة وقصص الشهادة وفضلها ومقام أصحابها، فترتقي نفس المجاهد وتوقن بأن النصر مع الصبر، وأنه من عند الله ينصر من يشاء: ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ۗ والله مع الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249].

وفي السُنّة النبويّة شواهدَ عديدة على تقويم الصحابة بعضهم في إطار تقويم الأداء الجهادي ورصّ الصف المؤمن وتقويته. ونذكر بعض هذه الشواهد على النحو الآتي:

أ. فعن أنَس بن مالك، أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: "غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– المُشْرِكِينَ لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالًا لَلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ كَيْفَ أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ –يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ– وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ –يَعْنِي أَصْحَابَهُ– ثُمَّ تَقَدَّمَ فَلَقِيَهُ سَعْدٌ فَقَالَ: يَا أَخِي، ما فَعَلْتَ أَنَا مَعَكَ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْنَعَ ما صَنَعَ، فَوُجِدَ فِيهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ

[1] ابن سعد، الطبقات الكبرى، (2/ 3).

وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَكُنَّا نَقُولُ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ نَزَلَتْ ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [سورة الأحزاب: 23][1]. والشاهد أن أنس بن النضر – رضي الله عنه– مارس التقويم مرتين:

الأولى: حين تخلف عن غزوة بدر، فعزَّ عليه ذلك، فقال معتذرًا متعهدًا على مسمع من أقرانه أنه سيعوض ذلك في أول قتال يشهده مع المشركين. وتحمل بعبارته التي قالها الكثير من التحريض على الجهاد، فقال: "لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالًا لَلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ كَيْفَ أَصْنَعُ".

والمرة الثانية: حين صدق بما وعد فحضر غزوة أُحد وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وخلالها أنكر فرار بعض أصحابه فاعتذر إلى الله تعالى من صنيعهم، وحاول تثبيت من بقي منهم، حتى كتب الله له الشهادة – رضي الله عنه– في سبيله.

ب. في موقف تقويمي آخر في أثناء معركة مؤتة يرويه عوف بن مالك الأشجعي – رضي الله عنه– قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: ((مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ))؟ قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ادْفَعْهُ إِلَيْهِ، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ: ((لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرِعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ))[2]. والشاهد تقويم الجندي لقائده في أثناء الأداء الجهادي. ومن دلالة الموقف أيضًا ما نبَّهَ إليه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من وجوب إكرام الأمراء واحترامهم وكفِّ اللسان عنهم ونحوهم مما يقلل من هيبتهم. فهو – صلّى الله عليه وسلّم– حكم بداية أن يرد خالد ما أخذه

---

[1] الترمذي: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب، (5/ 349– ح: 3201). وقال: الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، (3/ 1373– ح: 1753).

من الحميري، ولكن لمَّا لاحظ إطلاق عوف بن مالك وصاحبه الحميري ألسنتهما في حق خالد – رضي الله عنهم– وأنهما انتهكا حرمة الوالي ومن ولَّاه أخرَّهُ تعزيرًا لهما –كما قال ذلك النووي–[1].

ج. وفي موقف آخر وفي أثناء جولات القتال في خيبر، يصفُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– رجلًا من المسلمين بأنه من أهل النار، وقد قال ذلك تعليقًا على تقويم سابق للصحابة – رضي الله عنهم– في حقِّ رجل كان معهم في غزوة خيبر أظهر بلاءً حسنًا في قتاله، فشهدوا له مقوِّمين وحاكمين، فقالوا: "مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ"، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)). فتعجب الناس من ذلك، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قال: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قال: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ))[2]. وفي هذا الحديث أكثر من شاهد على تقويم الأقران المجاهدين لبعضهم:

الأول: يظهر من تقويم الصحابة المجاهدين – رضي الله عنهم– لأداء الرجل والثناء على بسالته وبطولته في حضرة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فقالوا ما قالوا عن كثرة إقدامه وحسن قتاله، وبدت شهادتهم كأنها قاطعة بفضل الرجل وكرامته عند الله تعالى فكان من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– تعليق على تقويمهم وتصويب لمقولتهم: ((أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)). وقد قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– هذه المقولة التقويمية، فهو الذي يوحى إليه من ربه – سبحانه وتعالى– أو لعلم سابق بحال ذلك الرجل. والتقويم الثاني: عندما بادر أحد أقرانه لملازمته مستكشفًا حاله عن قرب في محاولة لفهم سبب مقولة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في حقه، فرأى بعد تتبع ما حدث من استعجال الرجل موت نفسه حين نالت منه الجراح. ومن دلالة الحديث أن الأعمال بالخواتيم، وأنه لا يعلم بالخواتيم إلا الله – سبحانه وتعالى– وأن على المسلم في حال تقويمه غيره ألا يشهد لحيٍّ ولا لميت بشهادة قاطعة عند الله تعالى[3].

---

[1] انظر: النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (12/ 64).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، (4/ 37– ح: 2898).

[3] انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (5/ 92).

وهذا مصداق قول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ))[1].

ونختم بموقف يظهر فيه تقويم الأقران في غزوة مؤتة، وهو كما نقله الواقدي في مغازيه عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ – رضي الله عنه– قَالَ: "شَهِدْت مُؤْتَةَ، فَلَمَّا رَأَيْنَا الْمُشْرِكِينَ رَأَيْنَا مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ مِنْ الْعَدَدِ وَالسِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ وَالدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ، فَبَرِقَ بَصَرِي، فَقَالَ لِي ثابت بن أقرم – رضي الله عنه–: يَا أَبَا هَرِيرَةَ، مَا لَك؟ كَأَنَّك تَرَى جَمُوعًا كَثِيرَةً. قُلْت: نَعَمْ، قَالَ: لم تَشْهَدُنَا بِبَدْرٍ؟ إنَّا لم ننصر بالكثرة"! [2].

والشاهد: ما فعله ثابت بن أقرم– رضي الله عنه– في تثبيت وتقوية عزائم أصحابه ممن حضر معركة مؤتة، فأكد لهم ولأخيه أبي هريرة – رضي الله عنهم– بأن النصر من عند الله، وأنه ليس بكثرة العدد والعدة كما يظن كثير من الناس، واستحضر معه مستدلًا تجربته في غزوة بدر الكبرى وكيف كانوا يومها قليلًا فنصرهم الله على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلًا كفاه، (3/ 177– ح: 2662).

[2] الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، دار الأعلمي، ط 3، 1409هـ–1989م، (2/ 760).

المبحث الخامس: استراتيجية التقويم التربوي المعتمد على مراجعة الذات

تمهيد:

بداية يجدر التنويه بأنه يُعَبَّرُ عن هذه الاستراتيجية بمصطلح "التقويم الذاتي"، والذي يُعرَّف بأنه: "إصدارُ الشخصية حُكمًا قيميًّا على ذاتها، أو حكمًا قيميًّا على النشاط الذي تقوم به، والمتعلق بأفعالها وأفكارها ومشاعرها وتصرفاتها وفق معايير التربية الإسلامية؛ لتعزيز السلوك أو تعديله أو تحقيق غاية أخرى منشودة من وراء هذا التقويم"[1].

وفي المجال التربوي يُهتَّمُ بتنمية هذا النوع من التقويم عند المتعلمين وتدعيمه، فمن خلاله يتولى الفرد تقويم نفسه، وتصحيح سلوكه؛ باعتبار أن الوازع الداخلي أبلغ أثرًا في ردع الإنسان وأصدق نتيجة. كما أن التقويمَ بهذه الطريقة يبقى متواصلًا مستمرًا ما دام للإيمان وجود في نفْس الإنسان، منفردًا كان الشخص أم مع الآخرين، وتحت كل الظروف والأحوال[2].

وقد عَرَّف الفريق الوطني الأردني استراتيجية التقويم المعتمد على مراجعة الذات بأنها: مبادرةُ المتعلم إلى تحويل خبرة سابقة إلى تعلُّم، من خلال التمعن الجاد في الآراء، والمعتقدات، والمعارف، والسلوك من حيث أسسها ونواتجها. وفي هذه الاستراتيجية يتكامل دورُ التقويم مع التعلم؛ فتستخلص العبر من الخبرات السابقة بهدف الإفادة منها في بناء الخبرات اللاحقة[3].

وعرّفت أيضًا بأنها: "عملية يتم فيها تقويم الفرد نفسَه بنفسِه، فيصدر أحكامًا على أعماله المختلفة، ومختلف تصرفاته وجوانب شخصيته وحياته، ثم المباشرة باستخدام الوسائل والطرق لتطوير الذات ومعالجة الخلل [4].

وتُعرّف الدراسة الحالية استراتيجية التقويم المعتمد على مراجعة الذات بأنها:

---

(1) أبو إسماعيل، أكرم عبد القادر، التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1414 هـ- 1993م، (ص: ت).

(2) انظر: الحسن: مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة، (ص: 64).

(3) انظر: الثوابتة وفريق عمل، استراتيجيات التقويم وأدواته، (ص: 83).

(4) انظر: حمود، رفيقة سليم، التقويم والقياس التربوي، مصر، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، 2023، (د.ط)، (ص: 223).

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، التي تمكّن المتعلم من استثمار أشمل وأمثل لرصيده المعرفي والمهاري وخبراته السابقة في مراقبة ذاته والتمعن في نفسه لوزنها في جانب معين وتقدير حالها، وتتميم نقصها، أو تعديل اعوجاجها، أو تثبيتها أو وقايتها بناء على نماذج سابقة أو معايير محددة، بغية تحقيق أهداف تربوية.

في المطالب الآتية بيان لأشكال المراجعة الذاتية ومستوياتها، وأدواتها، وخطواتها وعوامل نجاحها، وتفصيل في بعض المصطلحات والتشريعات القرآنية الداعمة لها، ثم استعراض لجملة من الأحاديث النبويّة والمواقف التي تتضمن شواهد على تطبيق استراتيجية التقويم التربوي المعتمد على مراجعة الذات في السُنّة النبويّة، على النحو الآتي:

المطلب الأول: أشكال المراجعة الذاتية التربوية ومستوياتها وأدواتها وعوامل نجاحها

أشكال المراجعة الذاتية التربوية:

تأخذ المراجعة الذاتية شكلًا ثنائيًا ينطلق من شعور المرء أو المتعلم بحاجته للحديث مع غيره والإسرار له، للتشارك في تحليل الموقف وتشخيصه أو للتباحث والتداول في الحكم على خبرة أو موقف معين يتطلب الإمعان والتحليل في إطار الاستشارة والاسترشاد وطلب النصح.

وعليه فقد يحدث تداخل بين استراتيجية التقويم الذاتي مع استراتيجية التقويم بالأقران، بسبب وجود مستويات للمراجعة الذاتية تعتمد على الاستعانة بصديق أو أكثر لتشخيص الحالة ومناقشة الخيارات المتاحة وتبادل التوصيات.

لكن التقويم بالأقران يختلف عن التقويم الذاتي؛ في أنَّ الأول يُشعِر الطالب الذي يُقَوَّمُ بواسطة زميل له بسلطة هذا الزميل –خاصة إن كان تقويمه بناءً على تكليف المعلم له بهذه المهمة– مما قد يجعل القرين المستهدف يتخذ موقفًا رافضًا للإجراء أو النتيجة. – وهذا تسلم

منه المراجعة ذات المنطلق الذاتي-. كما أنَّ العلاقات القائمة بين الطلبة سواء كانت علاقات صداقة أو تفضيل أو تحيز؛ فهي تؤثر في صدق تقديرات الأقران وتقويماتهم[1].

مستويات المراجعة الذاتية التربوية:

للمراجعة الذاتية التربوية مستويات نذكرها على النحو الآتي:

1. مراجعة فردية: يجريها المتعلم أو المتربي وحده مستقلًّا عن مُعلِّمه في أيِّ وقت يشاء، معتمدًا على ملكاته وما يكون لديه من تراكم خبرات سابقة حول الموقف، أو معرفة تسمح له بالتأمل والتفكر في حاله ومدى قربه من المعايير الصحيحة أو بعده عنها. وقد يبدأ بها بعد توجيهٍ من معلم أو قرين أو عقب موقف أو مشكلة أو سؤال.

2. مراجعة ثنائية: فتتم بتشارك المراجعة مع أحد المعلمين أو الأقران، ومن خلالها يرى المرء طريقة غيره في قراءة المشهد وتفسيره، فيفيد من تشخيصهم، ومن مزايا المراجعة الثنائية أنَّ فيها تتطارح الأفكار ويُنظر للأمور من أبعاد مختلفة.

3. مراجعة جماعية: وتتم بتوسيع دائرة المشاركة في المراجعة والتحليل؛ لتقويم حالة معينة في الجماعة وتشخيصها جيدًا، والوصول إلى حكم أو حل مناسب يتفق عليه المشاركون. ويمكن أن نذكر شاهدًا على مراجعة جماعيَّةٍ أجراها كبار الصحابة – رضي الله عنهم- من المهاجرين والأنصار – رضي الله عنهم- وقد دفع إلى هذه المراجعة الفراغ الذي أحدثه موت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-، فاحتاج الناس بعده إلى خليفة يكون رأسًا لهم ومرجعية في الحكم بينهم. فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وجرت مناقشات استُرجع فيها ماضي الشخصيات وسجلاتهم التاريخية، واستُذكرت المواقف، وشخصت القدرات والمواهب والمميزات، وبعد أخذٍ وردٍّ اجتمعت الآراء على أبي بكر – رضي الله عنه- بعد أن أنعموا النظر؛ فقاسوا واستدلوا

---

[1] القرزعي، عبد الله علي، التقويم الذاتي وتقويم الأقران، في مدونة على الإنترنت، تاريخ الناشر 2012/3/19م. http: //child-trng. blogspot. com/2012/03/blog-post_4550. html

باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة، فقالوا: ارتضاه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لديننا أفلا نرضاه لدنيانا[1].

4. مراجعة الشخصية الاعتبارية: وتعرف في عصرنا بالدراسة الذاتية للمؤسسة أو المدرسة أو الجامعة ونحوه، حيث تجد المؤسسة نفسها محتاجة أو مطالبة بإجراء وقفة مع نفسها، لتنفيذ مراجعة ذاتية يشارك فيها الأعضاء والعاملون والمشرفون والطلاب وأولياء الأمور، وقد تشرف عليها جهة خارجية؛ وهذه تجمع الأدلة لتشخيص حالة المؤسسة أو العاملين فيها أو لتقويم الفعاليات والإجراءات، وكل ذلك بهدف صياغة مسارٍ مناسب للمؤسسة على الصعيد التربوي أو الفكري أو الإداري، معتمدين على أهداف المؤسسة ومعايير الجودة المعتمدة. وغالبًا ما تُنَفَّذُ هذه الدراسة الذاتية ضمن ترتيبات المؤسسة التربوية للحصول على الاعتماد لشهادتها أو لبرنامج أكاديمي أو تربوي فيها، وتعتبر من أهم وسائل التطوير والتحسين والتقويم؛ حيث يسهم السير في طريق تحصيل الاعتماد المؤسسي في إحداث التطوير والتغيير والمراجعة بمجالات عديدة عند الأفراد على اختلاف مستوياتهم الإدارية[2]. وبلا شك فإنَّ البعدَ التربوي والتقويمي أساسٌ في أي دراسة ذاتية تجريها المؤسسات التعليمية لنفسها، لكن يجدر التذكير بأن هذا إجراء معاصر، وله أدواته وتنظيماته المحددة في إطار تحقيق جودة المؤسسات والبرامج. ولم يقف الباحث على نحوه في السُنّة النبويّة.

أدوات المراجعة الذاتية:

تُعدُّ "يوميات الطالب وملفه الخاص" من أبرز أدوات المراجعة الذاتية المعاصرة، ففيها يُدوِّن المتعلمُ مراجعاته وخواطره وانطباعاته وإنجازاته وتلخيصاته حول ما شاهده أو سمعه

---

[1] انظر: الكرمي، حافظ أحمد، الإدارة في عصر الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–، القاهرة، دار السلام، ط 1، 1427 هـ، (ص: 112).

[2] انظر: مايكل ج. دوريس، جون م. كيلي، جيمس ف. ترينر، التخطيط الاستراتيجي الناجح، ترجمة: سمة عبد ربه، الرياض – السعودية، مكتبة العبيكان، ط 1، 1427 هـ، (ص: 49).

أو شارك فيه من مناشط. ويمكن أن يعرض هذا الملف أو هذه اليوميات على المعلم أو المربي بين الحين والآخر لتقويمه وتقديم الملاحظات والتوصيات.

ومن الجديرِ أنْ نُنَوِّهَ إلى أنَّ الباحثَ حاول تتبُّعَ مثل هذه الأدوات في السُنّة النبويّة، لكنه لم يقفْ على عنايةِ الصحابة – رضي الله عنهم– بكتابة يوميات لهم أو مراجعات؛ سوى من بعض الصحابة – رضي الله عنهم– وبجهود فردية[1]، مثل الذين كانوا يكتبون لأنفسهم سورًا من القرآن الكريم أو بعضًا من خطب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ودروسه وأحاديثه، كما نقل نحوًا من ذلك عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما–، قال: ((اسْتَأْذَنْتُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فِي كتاب مَا سَمِعْتُ مِنْهُ، قَالَ: فَأَذِنَ لِي فَكَتَبْتُهُ. فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُسَمِّي صَحِيفَتَهُ تِلْكَ الصَّادِقَةَ))[2].

ونخلص إلى القول بأن ما يميز المراجعة الذاتية في السُنّة النبويّة اعتمادُها على المشافهة وحديث المرء مع نفسه أو حديثه مع غيره، وأن الكتابة لم تكن إحدى أدواتها –في الغالب.

خطوات المراجعة الذاتية وعوامل نجاحها:

وحتى تكون المراجعة الذاتية ناجحةً ومثمرةً، فنوصي بمراعاة الخطوات الخمس الآتية:

1. تحديد العنوان أو الموضوع أو المجال المستهدف بالمراجعة الذاتية. وتكرارها بشكل دوري.
2. وجود واستحضار جملة من المعايير والأهداف المرتبطة لتستند إليها المراجعة الذاتية.
3. جمع الأدلة، وعقد المقارنات في إطار توضيح ما هو الوضع الحالي وما يجب أن يكون عليه، اعتمادًا على المعايير والأهداف.
4. كتابة النتائج والملاحظات وإصدار الحكم والتوصيات، واقتراح التحسينات والخطوات المستقبلية.
5. الاستئناس برأي خبير مخلص مطلع على الظروف والأحوال، لضمان سلامة المنهجية ونتائجها وتوصياتها.

---

[1] انظر: الخطيب، محمد عجاج، السُنّة قبل التدوين، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 3، 1400هـ– 1980م، (341/1).

[2] ابن سعد: الطبقات الكبرى، (2/ 285).

ولتحقيق نجاح أكبر للمراجعة الذاتية، نوصي بمراعاة العوامل المؤثرة الآتية:

أولًا: ترتيب جلسات الخلوة الفردية والتفكر في معزل عن صخب الحياة وضجيجها، فقد قيل: إن الازدحام يشوّشُ الخاطر، والخلوة بالنفس مظنة صفائها ومراجعة أحوالها وتوبتها وتزكيتها. يقول ابن تيمية: "ولا بد للعبد من أوقات ينفردُ بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه وما يختص به من الأمور"[1]. ويقول صاحب الظلال: "ولا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية؛ من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض وضجة الحياة وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة، لا بد من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة"[2]. ويقول الغزالي: "الخلوة أصل والخلطة عارض، فيلزم الأصل ولا يخالط إلا بقدر الحاجة، وإذا خالط يلازم الصمت فإنه أصل"[3]. ولا جدال في فضل مخالطة الناس والصبر عليهم في أثناء معايشتهم وتعليمهم، ولكنَّ المرادَ في هذا المقام أن يكون للمرء فرصةٌ متكررة للوقوف مع نفسه فيراجعها ويحاسبها كما يفعل التجار في متاجرهم بين الفينة والأخرى، وإلا فستكون الخسارة نتيجة الغفلة والتسويف وسوء الصحبة.

ثانيًا: حضور جلسات العلم ومعايشة العلماء وتخيُّرُ البيئة التربوية والاجتماعية الأصلح، فقد قيل للرجل الباحث عن التوبة: "ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا"[4]. وهي قرية كثر فيها الصالحون، قال: "فَخَرَجَ مِنْ قَرْيَتِهِ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ"[5].

---

(1) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (10/ 426).

(2) قطب: في ظلال القرآن، (10/ 103).

(3) الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي، (ص: 102).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (4/ 174-ح: 3470).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (4/ 2119- ح: 2766).

ثالثًا: بذل النصيحة والتذكير؛ تنبيهًا للغافل وزجرًا للعاصي، لقوله – صلّى الله عليه وسلّم– : ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))[1]، "فلعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية فيثير فيها وجدان التقوى"، كما يقول صاحب الظلال[2].

رابعًا: الهجر التربوي الجميل للعاصي أو المقصر، ومقاطعته فترة محدودة تأديبًا وتربية، كما قال تعالى، ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا﴾ [سورة المزمل: 10]. قال القشيري: الهجر الجميل "ما يكون لحقّ ربّكَ لا لحظِّ نفسك"[3]، كما أنه هجرٌ لا عتاب فيه، ولا مشادة، ولا غضب[4]. وهذا الهجرُ الهادف مظنة أن يدفع المرء لبدء مراجعة ذاتية ومحاسبة تقويمية تُعيد صاحبها إلى الحق. مع ملاحظة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حدَّدَ سقفًا لمدة الهجر التربوي بين الأخوة والأقران، وهو ثلاثة أيام؛ كما في حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه– أن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((لَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ))[5].

أما هجر الزوجة الناشز تأديبًا لها، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [سورة النساء: 34]، بمعنى: هجرها في المضجع، بأن يوليها في المبيت ظهره، ولا يعاشرها المعاشرة الحسنة التي كانت تلقاها منه، وهذه المرتبة يثقل على المرأة تحملها، ولا بد أن تحثها على التفكير في عواقب عصيانها، وتجعلها تثوب إلى رشدها، وتفيء إلى أمر الله في طاعة زوجها[6]. وقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما–، عن عمر، قال: اعتزل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– نساءه –من أجل

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (1/ 74– ح: 55).
(2) قطب: في ظلال القرآن، (4/ 315).
(3) القشيري: لطائف الإشارات، (3/ 644).
(4) قطب: في ظلال القرآن، (10/ 111).
(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث، (4/ 1984– ح: 2561).
(6) الأهدل: عبد الله قادري، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، على المكتبة الشاملة الذهبية، (د. ط)، (د. ت)، (ص: 141).

ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة- تسعًا وعشرين ليلة، وكان قال: ((مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ، حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ))[1].

خامسًا: استثمار الحوادث الكونية كالكسوف والخسوف ونحوها للتفكر في أسبابها وما وراءها، فهذه الحوادث الكونية المهولة تبعث الخوف في نفوس الناس، وينبغي أن يوجَّه هذا الخوف إيجابيًا لتعظيم الله تعالى خالقها ومجريها، واستذكار نعمه وفضله - سبحانه وتعالى- وحقِّهِ في التوحيد والعبادة والذكر، لقول النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَصَلُّوا))[2].

سادسًا: السير في الأرض بقصد النظر والاعتبار من مصير الماضين وتجارب الحاضرين، والتدبر في أحوالهم؛ قال تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [سورة الحشر: 2]، يقول ابن منظور: "أي تدبَّرُوا وانظُروا فيما نزل... فقايسوا أفعالهم واتعظوا بالعذاب الذي نزل بهم. ويَعتبِر ليستدل به على غيره، والعِبْرة: الاعتبارُ بما مضى"[3].

وفي علم النفس التربوي المعاصر ثمة ما يسمى بـ "العمليات الإبدالية" والتي تعني: "أن الخبرات التي يتم تَعلُمها من خلال الممارسة والتجربة المباشرة، يمكن تَعلُمها على نحو بديلي، يتمثل في ملاحظة سلوك الآخرين والنتائج المترتبة على هذا السلوك، الأمر الذي قد يثير لدى الفرد الدافعية لتعلُّم أو تجنُّب هذا السلوك"[4]. فيكفي في إطار التمهيد للتقويم الذاتي استحضار تجارب الغير؛ بقراءتها أو سماع تفاصيلها، أو رؤيتها حقيقة أو ممثلة في أفلام وصور ونحوه..

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، (5191).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أبواب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، (2/ 34- ح: 1042). (يخسفان) يغلب أن يقال: الخسوف للقمر. وأن يقال: الكسوف للشمس. وهو بمعنى تلك الظاهرة الكونية التي تنتج ذهاب ضوئهما كله أو بعضه.

(3) ابن منظور: لسان العرب، (531/4).

(4) الزغول، عماد عبد الرحيم. علم النفس التربوية، الإمارات، دار الكتاب الجامعي، ط2، 2012م، (ص:118).

فهي كفيلة بدفع الإنسان لفعل أشياء أو ترك أخرى.. دون أن يكون مضطرًا لخوض التجربة بنفسه، فالعاقل من اتعظ بغيره.

ويمكن ملاحظة تكرار التوجيه الرباني للناس للسير في الأرض لأخذ العبر، فقد ورد (14) مرة في القرآن الكريم[1]، نحو قوله تعالى: ﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذلك لآيات لأولي النهى﴾ [سورة طه: 128].

سابعًا: استثمار مواسم العبادة كالحج ورمضان وليلة القدر للخلوة والتفكُّر، والتأمل، ومراجعة النفس ومحاسبتها، يقول عطاء[2]: "إن استطعت أن تخلو بنفسك عشيَّة عرفة فافعل"[3].

ثامنًا: تهيئة البيئة وصناعة المشهد المناسب المفضي لحصول المراجعة الذاتية، وتقويم النفس وتغيير مواقفها وقناعاتها، كما حدث مع أبي سفيان زعيم مكة حين طلب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حبسَهُ في مضيق الوادي؛ ليرى كتائب المسلمين المتوجهة صوب مكة؛ فلما رأى ذلك المشهد المعدَّ تيقن من عجز قريش، مما سهَّل في دخول مكة سلمًا[4]. ونحوه من المشاهد التي أرغم ثمامة بن أثال – رضي الله عنه– على رؤيتها في أثناء ربطه في سارية المسجد النّبويّ بأمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فرأى في أثناء حبسه بهذا الشكل حالَ المسلمين عند سماع أذانهم وإقامة صلاتهم ولاحظ حسن تعاملهم مع بعضهم ومع نبيهم – صلّى الله عليه وسلّم–[5]. مما أحدث في نفسه مراجعة ذاتية غيَّرت موقفه وقناعاته فدخل في الإسلام.

---

(1) عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (مادة: س ي ر/ 374).

(2) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، تابعي فقيه مفسر ومجاهد، (ت 135 هـ). انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405 هـ– 1985 هـ، (6/ 140).

(3) الحسني، محمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م، (5/ 209).

(4) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر، (د. ط)، 1407هـ– 1986م، (4/ 290).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة، (5/ 170– ح:4372).

المطلب الثاني: المراجعة الذاتية التربوية في المنهج التربوي الإسلامي

ينبغي التنويه إلى أن المراجعة الذاتية مطلب ديني، عُبِّرَ عنه بالدعوة إلى النظر والفكر والمحاسبة الذاتية والتوبة والتحذير من نسيان النفس. ويمكن ملاحظة تعزيز القرآن والسُنة لهذه المسارات، على التفصيل الآتي:

التفكر

يلاحَظُ بأن القرآن الكريم قد وجّه لتوظيف النظر والتفكر، والتي هي مظنة استخلاص العبر والدروس سواءً من التاريخ أو من الواقع أو من البيئة، أو من تجارب النفس وخبراتها السابقة؛ وبالتالي تعين على الوصول لحكم تقويمي أكثر دقة، فالمرء طبيبَ نَفْسِه، وهو يدرك من طباعها ما لا يدركه غيره، حتى وإن أفْتَاه الناسُ وأَفْتَوْه. ولعل هذا يُفهم من دلالة الحديث المشهور الذي رواه وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ – رضي الله عنه–، قَالَ: " أَتَيْتُ النَّبِيَّ – صلّى الله عليه وسلّم– وَأَنَا أُرِيدُ لَا أَدَعُ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّى فَقَالُوا: إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ، فَقُلْتُ: دَعُونِي أَدْنُو مِنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ، فَقَالَ: «ادْنُ يَا وَابِصَةُ» فَدَنَوْتُ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتِهِ فَقَالَ: «يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ عَنْ مَا جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ؟» فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا فِي صَدْرِي وَيَقُولُ: ((يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ))[1]. والشاهد في الحديث دعوة للمرء لأن يستفتي نفسه ويسألها، في ويكون ذلك بالتفكر في حالها ومواقفها وأدائها. وقد وضع النبي – صلّى الله عليه وسلّم– في

---

(1) النووي، يحيى بن شرف، الأربعون النووية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1430هـ – 2009م، (1/88– ح:27). قال النووي: حديثٌ حسنٌ رويناه في " مسنَدَي " الإمامين أحمد والدَّارميّ بإسنادٍ حسنٍ. (وابصة بن معبد بن عتبة بن الحارث)، أبو سالم ويقال أبو الشعثاء ويقال أبو سعيد الاسدي. وفد على النبيّ –صلى الله عليه وسلم– سنة تسع ثم رجع إلى بلاد قومه ثم نزل إلى الجزيرة. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (11/ 89).

الحديث معيارًا لا يتعارض مع النصوص والأدلة بل هو داعم لها، ويمكن تفعيله بعد سؤال أهل العلم، أو مشاورة الصالحين، وحال فقد الدليل، كما يقول ابن رجب الحنبلي: "فما ورد النصُّ به، فليس للمؤمن إلا طاعةُ الله ورسوله، وينبغي أنْ يتلقى ذلك بانشراح الصَّدر والرِّضا.. والتَّسليمُ له. وأما ما ليس فيه نصٌّ من الله ورسوله، ولا عمَّن يقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة، فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئنِّ قلبه بالإيمان، .. فهنا يرجعُ المؤمن إلى ما حكَّ في صدره، وإنْ أفتاه هؤلاء المفتون[1].

وننوه إلى أن مفردة "فكر" مع لواحقها قد وردت في القرآن الكريم (18) مرة، وكانت تتضمن الدعوة للتفكر في آيات الله تعالى والوحي والنبيّ المبعوث، وفي آيات الكون والنفس، وفي قصص السابقين، وفي نعم الله تعالى[2]. فالتفكر والتدبر والنظر طريق الوصول إلى الهداية والحقيقة، كما أنها المخرج من الغفلة والتيه والتقليد، قال تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ [سورة سبأ: 46]. يقول النسفي في معرض تفسيره للآية الكريمة: "والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم، وهي أن تقوموا ﴿لِلَّهِ﴾ أي لوجه الله خالصًا لا لحمية ولا عصبية، بل لطلب الحق. ﴿مثنى﴾ اثنين اثنين ﴿وفرادى﴾ فردًا فردًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾. أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصولَ فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر الصدق والإنصاف؛ حتى يؤديهما النظر الصحيح إلى الحق. وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونَصَفة ويعرض فكره على عقله، ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع –بالكثير من الناس– مما يشوش الخواطر، ويعمي البصائر، ويمنع من الرؤية، ويقل الإنصاف فيه، ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب[3].

ويمكننا أن نستوحي من الآية الكريمة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ دلالات مرتبطة بالمراجعة الذاتية، على النحو الآتي:

---

[1] ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (2/ 741).

(2) عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (ص: 525).

(3) النسفي: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (3/ 70).

أ- يستفاد من أسلوب الحصر في الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾، الإشارة لعِظَم هذا المنهج وأهميته وأثره في تحقيق الفلاح في الدارين، فلا أحسن مما يعظنا به ربنا ويوصينا به.

ب- دلَّتْ عبارة الآية: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، على ضرورة أن يكون الدافع من وراء هذا القيام والمراجعة هو طاعة الله تعالى والإخلاص له[1] بما يتضمنه ذلك من صدق في النقد وحرص على الإحسان، بعيدًا عن العصبية والهوى، وهذا سيكون حاسمًا في جعل المراجعة الذاتية حقيقية وفاعلة.

ج- وتدل عبارة: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ على الدعوة للتفكر، والذي هو مظنة التمعن وملاحظة الأخطاء والوقوف عند جوانب التقصير، من ثم التخطيط للمعالجة والعزم على التحسين.

د- من دلالة عبارة: ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ أن عملية المراجعة الذاتية من أبرز مستوياتها أن تكون فردية أو ثنائية.

النفس اللوامة ومحاسبة الذات

يمكن اعتبار مصطلح النفس اللوامة أساسًا لاستراتيجية المراجعة الذاتية ومحاسبة النفس وتقويمها. وهو مصطلح قرآني مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لا أقسم بالنفس اللوامة﴾ [سورة القيامة: 2]، ففي هذه الآية يقسم ربنا – سبحانه وتعالى- بالنفس اللوامة، ومن دلالة ذلك لفت الانتباه لشرفها ودورها في تقويم الذات ومراجعتها. يقول الحسن البصري في وصفه للنفس اللوامة: "إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائمًا، يقول ما أردت بهذا؟ لم فعلت هذا؟ كان غير هذا أولى، أو نحو هذا من الكلام"[2]. فالنفس بهذا الحال من اللوم المستمر مظنة نجاتها من الغفلة، وتبقى دائمة المراقبة لحالها تلوم على التقصير في الطاعة أو فواتها، وتلوم على الوقوع في المعصية أو السير في خطواتها. وهي بهذه الحال سريعةٌ أوبتها ومرجو صلاحها. ويصف سيد قطب النفس اللوامة فيقول هي: "النفس المتيقظة التقية الخائفة المتوجسة التي تحاسب نفسها، وتتلفت

---

(1) انظر: ابن العثيمين: شرح رياض الصالحين، (1/ 576).

(2) ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر، الروح، تعليق: إبراهيم رمضان، بيروت – لبنان، دار الفكر العربي، (د. ط)، 1996م، (ص: 312).

حولها، وتتبين حقيقة هواها، وتحذر خداع ذاتها –هذه– هي النفس الكريمة على الله"[1]. وهذا اللوم المتكرر ضربٌ من ضروب المراجعة الذاتية التقويمية، وهو سبيل للوقوف على الأعمال والأقوال وحتى النيات لتصحيحها.

ويبين ابن القيم بأن: "محاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده"[2]. فيحاسب المرء نفسه قبل الشروع بالعمل، فإن ترجَّح له صحة ما هو مقبل عليه باشر فيه وإلا تركه. ثم يحاسب المرء نفسه بعد العمل؛ هل صلحت نيته وأخلص لربه وهل تحرى الإتقان والإحسان؟ ليستدرك في القادمات ويعتاد استحضار النيات.

التوبة

تُعرَّف التوبة اصطلاحًا بأنها: "ترك الذنب لقبحه والندم على فعله والعزم على عدم العود وردُّ المظلمة –إن ثمة– أو طلب البراءة من صاحبها"[3]. وتعدُّ التوبةُ واحدةً من أهم التوجيهات الربانية من الله تعالى لعباده، فقد تعددت الآيات القرآنية التي تدعو لها، وتؤكد فضلها، وأنها سبب الفلاح، نحو قوله تعالى: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ [**سورة النور**: 31]، وقد سُميت سورة في القرآن بسورة التوبة. ومن الأحاديث في فضلها، قوله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِئَةَ، مَرَّةٍ))[4]. وبهذا جعل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من نفسه أسوةً بتكرار التوبة والاستغفار، فيقول – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ))[5]. والمراد هنا؛

---

(1) قطب: في ظلال القرآن، (10/ 134).

(2) ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد حامد الفقي، لبنان– بيروت، دار المعرفة، ط 2، 1395 هـ–1975، (1/ 81).

(3) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (11/ 103).

(4) مسلم: صحيح مسلم، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، (4/ 2075– ح: 2702).

(5) مسلم: صحيح مسلم، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، (4/ 2075– ح: 2702). (ليغان) ما يتغشى القلب من الفترات والغفلات عن الذكر.

ما يتغشى القلب من الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه – صلّى الله عليه وسلّم– الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل؛ عدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه، وقيل: هو همُّهُ بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم[1].

ويكفي لتصور فضل التوبة أن نستذكر انشغال حملة العرش –عليهم السلام– بالاستغفار للتائبين، كما في قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر: 7]. إن استشعار المؤمن بأن الملائكة الكرام –حملة العرش– يستغفرون للتائب؛ يشكِّلُ حافزًا عظيمًا يدفع المؤمن للتوبة ولا يملُّ من تكرارها.

ومن المناسب أن نشير إلى أسماء الله تعالى المعينة على التوبة، كالغَفور والغفَّار والتواب والرحمن الرحيم، وهي أسماء حسنى ارتبطت بدعوته – سبحانه وتعالى– عباده إلى تكرار التوبة والاستغفار؛ فضعف الإنسان ونسيانه وكثرة خطئه يناسبها سؤال الله التوبة بهذه الأسماء، كما يناسبه أيضًا أن تبقى أبواب التوبةِ مشرعة، فلا تغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّ اللهَ –عز وجل– يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[2]. وفي الحديث تحفيزٌ للمؤمنين على دوام الرجوع إليه –سبحانه– فهو باسط يديه بالرحمة ينتظر توبة التائب ويفرح بها، قال – صلّى الله عليه وسلّم–: ((اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ))[3]. قال الله تعالى في الحديث القُدسي: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ))[4]. وفي الحديث تقويم تربوي يبين طبيعة النفس البشرية وتأكيد أن الاستغفار يجبر ضعفها.

---

(1) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (17/ 23).
(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت، (4/ 2113– ح: 2759).
(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، (8/ 68– ح: 6309).
(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (4/ 1994– ح: 2577).

ومن الجدير أن نؤكد على أن على المؤمن أن يتحرى طاعة الله تعالى ورضاه، وأن يجتنب معصيته، ويحذر من خطوات الشيطان، ويحيط نفسه بمن يذكره إن نسي، ويشجّعه إن أصاب، ويرشده إن ضل، ثم إن زلّت قدمه في المعصية، بادر إلى الاستغفار والتوبة النصوح –التي يكون معها إخلاص وندم وإقلاع عن الذنب وعزم على عدم الرجوع إليه، وردُّ الحقوق لأصحابها– كما ينصح بتعجيل التوبة خشية فوات أوانها[1].

نسيان النفس

تكرر التحذير في القرآن الكريم من نسيان النفس[2]، بمعنى غفلتها عن أداء حق الله تعالى حين تغرق في المعصية أو تترك الطاعة، كما في قوله: ﴿**نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الْفاسِقُون**﴾ [سورة التوبة: 67]، أي "جازاهم جزاء النسيان، وقد فُسِّر؛ تركوه فتركهم"[3]. فالنسيان بهذا المعنى يصير نقمة على صاحبه؛ لأنه نسي ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ونسي واجباته تجاه خالقه، ونسي ما يقرّبه لمرضاة المنعم عليه، ونسي وضَيَّع ما يقوم به أمر دينه ودنياه[4].

أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– قَالَ: قَالُوا: ((يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ:

---

(1) انظر: أبو محمود: المضامين التربوية في آيات الأرض المباركة، (ص:126).

(2) [الأعراف: 51]، [ص: 26].

(3) الدينوري، عبد الله بن مسلم، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، ط 1، 1397 هـ، (1/ 288).

(4) انظر: الحواس، حصة حمد، النسيان في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية وآثاره التربوية، مجلد (32)، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الصفحات (431–496)، (ص:489).

فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي))[1]. والشاهد في الحديث قوله تعالى "فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي" ويكون نسيان المرء لربه بالغفلة وترك الطاعة والغرق في المعاصي، فيكون جزاؤه أن يعامل معاملة المنسي فيبقى في العذاب ويمنع من الرحمة.

ولخطورة أمر نسيان الله تعالى والآخرة، فقد تضافرت الوسائل والأدوات والتشريعات لتذكير المرء المسلم وإيقاظه من الغفلة؛ فكان رفع الأذان خمس مرات في اليوم والليلة صادحًا بكلمة التوحيد ومذكِّرًا بحق الله تعالى والشهادتين، وكانت صلاة الجمعة فرصة متكررة للتذكير والوعظ واللقاء بالصالحين، ويأتي شهر رمضان والحج فرصة للمراجعة السنوي. وكذلك صلاة الجنازة والسير خلفها حتى تدفن؛ وزيارة القبور بين فترة وأخرى، فهي مظنة يقظة النفس وصحوتها حين ترى مآلها، حيث الكفن والحفرة والتراب ونحوه، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا))[2].

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (4/ 2279– ح: 2968).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبيّ – صلى الله عليه وسلم– ربه – عز وجل– في زيارة قبر أمه، (672/2– ح: 977).

المطلب الثالث: تطبيقات عملية للمراجعة الذاتية في السُنّة النبويّة

ونستعرض فيما يأتي جملةً من الأحاديث والتي تضمنت مواقف لمراجعات ذاتية، على النحو الآتي:

التوجيه النّبويّ لإجراء المراجعة الذاتية

عن جَرِيرِ بن عبد الله[1] – رضي الله عنه– قال: كُنَّا عِنْدَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قال: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ[2] أو الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ [سورة النساء: 1]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [سورة النساء: 1]، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة الحشر: 18]، ثم قال: ((تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ –حَتَّى قال– وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)). قال: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قال: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))[3].

---

(1) جرير بن عبد الله البجلي: أسلم وبايع سنة (10 هـ)، أرسله النبيّ – صلى الله عليه وسلم– ليهدم "ذي الخلصة" بيت أصنام كانت تعبدها قبائل دوس وخثعم وبجيلة، تُوُفِّيَ جرير سنة (54 هـ). انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (1/ 582).

(2) مجتابو النمار: جمع نمرة، وهي كساء من صوف مخطط. ومعنى مجتابيها: لابسوها.

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، (2/ 704– ح: 1017).

يتضمن هذا الحديث مشهدًا تقويميًّا نبويًّا، وُجِّهَ من خلاله الصحابة الكرام – رضي الله عنهم– لإجراء مراجعات ذاتية مع أنفسهم بهدف حلِّ مشكلة الفئة الفقيرة المحتاجة.

ومن ظاهر الحديث؛ فإن التقويم التربوي العمليَّ بدأ عندما تغير وجه الرسول الكريم، عندما لاحظت عيناه الكريمتان شدَّةَ فقر وحاجة النفر القادمين إليه من مضر، فأبدى اهتمامه ولم يهمل الأمر، فدخل غرفته وخرج؛ "لعله يلقى شيئًا من زيادة النفقة أو لتجديد الطهارة والتهيئة للموعظة"[1]. ثم خصَّصَ النبيّ الكريم – صلّى الله عليه وسلّم– خطبة لمعالجة هذه الحالة، فصعد المنبر ومهَّد بتلاوة آيات مناسبة للموقف، الأولى: كانت فاتحة سورة النساء التي تذكِّرُ بالتراحم بين البشر عمومًا، فهم خُلقوا من نفس واحدة، مما يستلزم تضامنهم وأداء حقهم. والثانية: من سورة الحشر والتي حضَّت على مراجعة النفس والتفكر والتأمل فيما ادَّخره المرء ليوم القيامة من أعمال صالحة.

ثم أقام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– للسامعين معيارًا للأداء المطلوب، وراعى ما بينهم من فروق في الإمكانات، فقال مسهلًا غير مشترط نوع الصدقة أو حجمها: ((تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ –حَتَّى قال– وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)). وبذلك يكون قد حثَّهم على مراجعة يقوِّمون فيها إمكاناتهم وما يستطيعونه من الصدقة ضمن معيار يسعهم جميعًا. وكانت أول استجابة هي الأهم في هذا الموقف –كعادة الناس يسيرون خلف المبادر الذي يقرع الجرس– حيث جاء رجل كريم مفضال من الأنصار؛ يحمل صرة من مال كادت كفُّهُ تعجز عنها، بل قد عجزت، فلمَّا رأى الناس ذلك تشجعوا وتتابعوا يأتون بما تيسر؛ فتهلَّلَ وجه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حين اجتمع أمامه كَوْمان من طعام وثياب.

وفي معرض تقويمه – صلّى الله عليه وسلّم– لما جرى وثنائه على أصحابه – رضي الله عنهم– خصَّ المبادر الأول وبشَّرَه بقوله: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ)). يقول الساعاتي معقبًا: والسُنّة هي كل عمل صالح فعله الإنسان واقتدى به غيره ففعل مثل فعله، فيكون للفاعل

(1) الهَرَري، محمد الأمين، الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مراجعة: هاشم مهدي، مكة المكرمة، دار طوق النجاة، ط 1، 1430 هـ – 2009م، (12/ 67).

الأول مثل أجور من اقتدوا به في هذا العمل الصالح مهما كثر عددهم ما دام العمل مستمرًا، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. وفيه حثٌّ على الابتداء بالخيرات وسنِّ السنن الحسنة والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات[1].

المراجعة مع أبي حذيفة بن عتبة[2] – رضي الله عنه–:

أخرج أحمد في مسنده عن علي – رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يوم بدر: ((مَنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْسِرُوا مِنْ بَنِي عبد المُطَّلِبِ، فَإِنَّهُمْ خَرَجُوا كُرْهًا))[3]. والمعنى أنه أراد أسرهم تجنبًا لقتلهم. وفي رواية أكثر تفصيلًا –عند الحاكم وابن هشام وابن سعد– عَنِ ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما– أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال يَوْمَ بَدْرٍ: ((مَنْ لَقِيَ مِنْكُمُ الْعَبَّاسَ فَلْيَكْفُفْ عَنْهُ فَإِنَّهُ خَرَجَ مُسْتَكْرَهًا))، فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ بن عُتْبَةَ: أَنَقْتُلُ آبَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَعَشَائِرَنَا وَنَدَعُ الْعَبَّاسَ، وَاللَّهِ لَأَضْرِبَنَّهُ بِالسَّيْفِ، فَبَلَغَتْ –مقولته– رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فَقَالَ لِعمر بن الخطاب: ((يَا أَبَا حَفْصٍ)). قال عُمَرُ – رضي الله عنه: إِنَّهُ لَأَوَّلُ يَوْمٍ كَنَّانِي فِيهِ بِأَبِي حَفْصٍ. ((يُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رسول الله بِالسَّيْفِ))؟ "فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ نَافَقَ. وَكَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ يَقُولُ: ((ما أَنَا بِآمِنُ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ، وَلَا أَزَالُ خَائِفًا حَتَّى يُكَفِّرَهَا اللَّهُ عَنِّي بِالشَّهَادَةِ، قال: فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا))[4].

أقول: وهذه الحادثة تتناسب لأن تكون تطبيقًا عمليًّا على خطوات المراجعة في إطارها التقويمي التربوي؛ فقد حدد رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– المهمة وهي: قتال المشركين

---

(1) الساعاتي: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (9/ 154).

(2) أبو حذيفة: صحابي من السابقين الأولين البدريين، اسمه: "هشيم"، والده عُتبة بن ربيعة من سادات قريش قتل مشركًا يوم بدر، أما أبو حذيفة فقد استُشهد يوم اليمامة عام (12 هـ) وهو ابن ست وخمسين عامًا. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (7/ 74).

(3) الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند علي بن أبي طالب، (1/ 462– ح: 676)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. انظر مسند أحمد بتحقيق الأرنؤوط.

(4) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتابة معرفة الصحابة، ذكر مناقب أبي حذيفة، (3/ 247– ح: 4988). وقال صحيح على شرط مسلم. وانظر: ابن هشام، السيرة النبويّة، (1/ 629). وانظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (4/ 7).

في بدر، ومن ثم وضع معيارًا إضافيًّا في أثناء التنفيذ وهو: التنحي عن رجال معينين من بني هاشم وغيرهم ممن أخرجوا كرهًا، فلا يُقتلون بل يُؤسرون. وعُمِّمَت هذه المهمة على الصحابة – رضي الله عنهم– ممن حضر بدرًا.

ويبدو من ظاهر الحديث أن تغذية راجعة وصلت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حول مقولة أبي حذيفة واعتراضه على المعيار المحدد، والذي يتضمن تجنب قتل العباس وبعض الرجال من قريش حُدِّدَتْ أسماؤهم. وما كان من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إلا أن راجع الأمر مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– لتقدير الموقف والتصرف.

ويبدو من ظاهر الحديث أن أبا حذيفة – رضي الله عنه– قد وصلته مقالة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في حقِّهِ من خلال أقرانه، فراجع نفسه ولامها، بل ظلَّ بعدها نادمًا على مقولته ويعمل لها أعمالًا صالحة رجاء أن يغفرها الله له.

وقد أخرج الحاكم تتمة الموقف في رواية عن عائشة – رضي الله عنها–، قالت: "ولَمَّا أَمَر –بقتلى المشركين– فَسُحِبُوا عُرِفَ فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ بن عُتْبَةَ الْكَرَاهِيَةُ وَأَبُوهُ يُسْحَبُ إِلَى الْقَلِيبِ، فَقَالَ لَهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((يَا أَبَا حُذَيْفَةَ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ سَاءَكَ ما كَانَ فِي أَبِيكَ)). فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا رسول الله، ما شَكَكْتُ فِي اللَّهِ وَفِي رسول الله، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ حَلِيمًا سَدِيدًا ذَا رَأْيٍ، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ لا يَمُوتَ حَتَّى يَهْدِيَهُ اللَّهُ – عز وجل– إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنْ قَدْ فَاتَ ذَلِكَ وَوَقَعَ حَيْثُ وَقَعَ أَحْزَنَنِي ذَلِكَ، قال: فَدَعَا لَهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بِخَيْرٍ"[1].

يقول منير الغضبان: لقد ربى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أبا حذيفة حين أبرز له خطأه عن طريق عمر ودفعه إلى الندم عليه. وتابعه في أشدِّ لحظات انفعاله حيث برز أثر التربية فيه خلال الغزوة نفسها. وانتقل من هيئة من كان يريد قتل عمِّ النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– بسيفه إلى هيئة من يرى مصرع أبيه وعمِّهِ وأخيه فلا يغضبه، بل يحزنه موتهم

(1) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتابة معرفة الصحابة، ذكر مناقب أبي حذيفة، (495/5– ح: 4995). وقال: صحيح على شرط مسلم. (القَلِيب): بئر قديم أقيت فيه جثث قتلى المشركين يوم بدر.

على الكفر. وهي نقلة هائلة ولا شك لا يمكن أن تتم إلا في مصنع العقيدة، وعند مربِّيها عليه الصلاة والسلام[1].

المراجعات مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–:

يجدر التنويه إلى أنه ليس بالضرورة أن تقود المراجعة الذاتية التي يجريها المتعلم مع نفسه إلى نتيجة صحيحة دائمًا، فالعقول تتفاوت في القدرات وتجتهد فترى أمرًا ويخفى عليها آخر، فقد تنحو الأفهام منحى بدافع الحرص ونحوه، وقد يؤثر في القرار عوامل كالعاطفة والتحيز وخطأ الحواس، فينحرف مسار المراجعة والتحليل؛ لذا يكون من المفيد جدًّا أن ينتقل المرءُ من حديثه مع نفسِهِ إلى مراجعة ثنائية مع معلم أو زميل، فهذا مظنة مراجعة البيانات وتثبيت الحقائق وتصحيح الأفهام وإزالة الأوهام.

نذكر في السُنّة النبويّة شاهدًا على ذلك حصل خلال توقيع صلح الحديبية، فقد شقَّ على المسلمين وهم على أبواب مكة أن لا يدخلوها، ومن جانب آخر فقد كان لبعضهم رأيٌ وتحفظ على بعض بنود الصلح؛ ولم يدركوا الحِكم التي قصدها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– من وراء الصلح.

فيبدو من ظاهر الحديث أن مراجعاتٍ للموقف قام بها الصحابة – رضي الله عنهم– فقدَّروا وأنعموا النظر في حالهم وقربهم من مكة وما حصل من بيعتهم حينها تحت الشجرة على الجهاد والمنابذة، فشمروا لذلك ولم يتصوروا أن تسير الأمور صوب تمام الصلح وتنفيذ بنوده، وعودتهم بلا عمرة؛ ويؤيد ذلك ما قاله عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قال: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قال: (بَلَى)، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قال: (بَلَى)، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قال: ((إِنِّي رسول الله، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي)). قُلْتُ: أَوَ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قال: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟ قال: قُلْتُ: لاَ، قال: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. يقول عمر بن الخطاب

(1) الغضبان، منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبويّة، الزرقاء – الأردن: مكتبة المنار، ط 6، 1411هـ، (ص: 707).

– رضي الله عنه–: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قال: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قال: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قال: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قال: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قال: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ به[1]. ثم نزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتحٌ هو؟ قال: نعم[2].

وتشير الرواية إلى مستوياتٍ من المراجعة نفذها عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–:

المراجعة الأولى: كانت مراجعة فردية من عمر – رضي الله عنه– مع نفسه، حاله كحال كثير من الصحابة – رضي الله عنهم–. قال الحافظ ابن حجر يصف هذه المراجعة ويفسر ما أصاب الصحابة من توقف عند توقيع الصلح، فقال: "ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نُسُكهم بالقهر والغلبة"[3]. فقد عزَّ عليهم أن يتراجعوا وهم الذين بايعوا تحت شجرة السمرة على الموت، كما صعب عليهم الرجوع عن مكة وهم يستذكرون أن النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– كان حدثهم بأنهم يأتونها ويطوفون بالبيت الحرام.

المراجعة الثانية: كانت من عمر – رضي الله عنه– مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، حيث توقَّعَ عمر مناجزة قريش وقتالهم، لكن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بحكمته وبتأييد الوحي له؛ عدل عن المقاتلة إلى الصلح تعظيمًا لحرمات الله والبيت الحرام، ولحكم يعلمها الله تعالى، فنتج عن الصلح مدة بينه وبين قريش يخلُّون بينه وبين الناس. ومع ذلك فقد استمع النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– لمراجعة عمر – رضي الله عنه– وأجابه عن أسئلته،

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (3/ 193– ح: 2731).
(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، (3/ 1411– ح: 1785).
(3) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (5/ 347).

ولفت انتباهه لأمرين الأول: أنه رسول الله ولن يعصيه وأنه ناصره، والأمر الثاني أن ما بشَّرهم به –من دخولهم المسجد الحرام والطواف فيه– واقعٌ لا محالة، وإن لم يكن في ذلك العام ففي غيره.

المراجعة الثالثة: نفذها عمر مع أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما– فاستعرضا سويًّا الحقائق المرتبطة بالموقف، وأُجِيبَ عن استفسارات عمر – رضي الله عنه–، وأُكِّدَ من أبي بكر – رضي الله عنه– على لزوم اتباع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فهو رسول الله ولن يعصي ربه، ومن ناحية أخرى أكد على ضرورة الثقة بوعد الله تعالى وتأييده.

المراجعة الرابعة: كانت مراجعة فردية من عمر – رضي الله عنه– مع نفسه، حين أدرك أنه أخطأ بتحفظه على مبدأ الصلح وبنوده، كما أخطأ بأسلوب مراجعة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومجادلته وما أبداه حينها من امتعاض وغضب.

ويظهر الموقف المستوى العالي من حكمة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– حين فتح باب المراجعة معه في شأن بنود الصلح، وهو – صلّى الله عليه وسلّم– كان يعذر أصحابه لما يعرفه من سلامة قصدهم وحرصهم، وأن الحكمة الإلهية من هذا الصلح لم تكن حاضرة في أذهانهم.

كما وتظهر الرواية الانسجام الكامل لموقف أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– مع الخطوات النبويّة في موضوع اتفاقية الصلح، وقيامه – رضي الله عنه– بدور فعَّال في تثبيت أقرانه من الصحابة كعمر – رضي الله عنه– لامتثال غرزِ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وطاعته.

وتبين الرواية أيضًا تراجع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– وانقياده لأمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، وندمه لاحقًا على هذه المراجعة، حتى إنه عمل لها أعمالًا صالحة تكفيرًا عما صدر منه في ذلك الموقف. خاصَّةً بعد أن نزل الوحي الكريم ليؤكد أن ما حدث من صلح كان فتحًا وعزًّا، ظهرت بوادره حين تفرغ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– للدعوة ومراسلة الأمراء والحكام ودعوة القبائل، وكان ما جرى من صلح مقدمة لفتح مكة المكرمة بعد عامين.

مراجعة أخرى مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–:

جرت مراجعة اتضح عقبها معيار العلاقة والحب بين المسلم والنبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم.

يقول عُمَرَ بن الخَطَّاب – رضي الله عنه– للنَّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وهو آخذٌ بيده يومًا: يَا رسول الله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: الآنَ يَا عُمَرُ))[1].

والشاهد في الحديث ما حصل من مراجعة ثنائية وتشارك في تصحيح معيار العلاقة والحب مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، فقد رفض النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– معيارَ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– وبيَّنَ له النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وبوضوح مؤكدًا بالقسم "المعيار الأدق"، من خلال قوله: ((لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)). عندها أجرى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– مراجعة ذاتية سريعة مع نفسه، وأدرك بفطنته مغزى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ومقامه الكريم، وفضله العظيم عليه وعلى أمته؛ فلم يتأخر بالردّ، بل سريعًا عَدَّلَ عن موقفه وغيَّرَ مقولته مؤكدًا بالقسم التزامه بالمعيار النبوي؛ ليصبح الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– عنده أحبَّ إليه من كل شيء ومن نفسه أيضًا.

يقول الخطابي: "حُبُّ الإنسان نفسَه طَبْعٌ، وحبُّهُ غيره اختيار بتوسُّط الأسباب، وإنما أرادَ – صلّى الله عليه وسلّم– بقوله لعُمر: حُبُّ الاختيار؛ إذ لا سبيل إلى قلب الطِّباع وتغْييرها عمَّا

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: كيف كانت يمين النبيّ – صلى الله عليه وسلم–، (8/ 129– ح: 6632).

جُبلت عليه. يقول له: لا تصْدق في حُبي حتى تَفْدي في طاعتي، وتُؤْثِرُ رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك[1].

يقول الحافظ ابن حجر: وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر، فإنَّ الأحبية المذكورة تعرف به، فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فاستحق لذلك أن يكون حظُّهُ من محبته أوفر من غيره؛ ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه[2].

المراجعة مع حنظلة – رضي الله عنه:

يعتبرُ موقف حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيّ[3] – رضي الله عنه–، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– شاهدًا على المراجعة الذاتية في إطار التقويم التربوي، قال حنظلة: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قال: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قال: سُبْحَانَ اللهِ ما تَقُولُ؟ قال: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قال أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رسول الله، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: (وَمَا ذَاكَ؟) قُلْتُ: يَا رسول الله، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رسول الله –

---

(1) الخطابي، حمد بن محمد، أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، تحقيق: محمد بن سعد، السعودية، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط 1، 1409 هـ – 1988م، (4/ 2282).

(2) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (1/ 59).

(3) هذا حنظلة بن الرَّبِيع الْأُسَيِّدِيّ: المعروف بحنظلة الكاتب، لأنه كاتبُ الوحي لرسول – صلى الله عليه وسلم. وهو غير حنظلةُ بن عامرٍ غسيلُ الملائكةِ – رضي الله عنه–. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، (3/ 60).

صلّى الله عليه وسلّم-: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى ما تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً)). ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1].

يقول النووي في شرحه للحديث: "عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات"؛ أي عالجنا معايشنا وحظوظنا، وقوله: "نافق حنظلة" معناه أنه خاف أنه منافق، حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا. فخاف أن يكون ذلك نفاقًا، فأعلمهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلَّفون الدوام على ذلك[2].

والشاهد: دلالة النصّ حول ما كان من حديث حنظلة مع نفسه ومراجعته إياها بالتفكر والمقارنة بين حاله عند رسوله وحاله عند الخروج إلى دنياه وأسرته. فلما وجد فرقًا ظنَّهُ علامة نفاق. ثم إنه وجد فرصةً فعبَّرَ عما يجد لأخيه أبي بكر – رضي الله عنهما- في إطار مراجعة ثنائية وتمعن في الظاهرة، فقال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، دون أن يربط الأمر بالنفاق. فاستدعى ذلك الذي وجداه مراجعة النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم- وهو بدوره استمع واستفهم، ثم قدَّمَ ملاحظاته التقويمية، فصوَّب مسار التفكير، وقوَّم الحديث مع النفس ليكون إيجابيًّا وواقعيًّا، فليس هذا الذي يجدونه نفاقًا، بل هو ما تقتضيه طبيعة النفس البشرية، وهم لا يكلفون بالدوام على حالهم عنده. فالنفس هكذا خلقت، تحتاج للترويح عنها بالمباحات؛ كي لا تضجر أو تملَّ، وقد أكد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- وصيَّتَهُ "ساعة وساعة" ثلاث مرات.

وقبل انتهاء الموقف يضيف النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- توجيهًا يبيّنُ فيه فضل دوام الذكر والانشغال في أمور الآخرة، والذي يرفع المرء لدرجةٍ يقترب فيها من الملائكة الذين لا يَنفكُّون عن عِبادَته – سبحانه وتعالى-، قال تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [سورة الأنبياء: 20].

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب فضل دوام الذكر، (4/ 2106- ح: 2750).

(2) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (17/ 66).

المبحث السادس: استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمد على الورقة والقلم

تمهيد

تُعرّف استراتيجيَّة التقويم التربوي المعتمد على الورقة والقلم في التربية المعاصرة، بأنها: "استراتيجية تقيس قدرات المتعلم ومهاراته في مجالات معينة، وتشكل جزءًا هامًّا من برنامج التقويم في المدرسة، وتعتمد أساسًا على الاختبارات التحصيلية بأشكالها. والتي تشخِّص مدى تحقق الأهداف الموضوعة، وتدلل على مستوى المتعلم في مقرر بعينه أو مجموعة من المقررات الدراسية"[1].

ويمكن للدراسة الحالية تعريف هذ الاستراتيجية، بأنها:

إطار من المبادئ والطرق والأساليب والإجراءات التربوية المنهجية المتكاملة، التي تمكن المعلم أو المربّي من استثمار الكتابة وأدواتها؛ في الكشف عن إنجازات المتعلم المعرفية أو المهارية أو القيمية،واستثمارها في وزنه وتقديره، أو تتميم نقصه، أو تعديل اعوجاجه؛ أو تثبيته وتعزيزه؛ بغية تحقيق أهداف تربوية.

وهي تعتبر استراتيجيَّة مناسبة للكشف عن إنجازات المتعلم المعرفية، ومهاراته في التعبير والتذكر والفهم والتوضيح والتفسير والتعليل والربط والتحليل والتلخيص والاستنتاج وعقد المقارنات وعمل الرسومات وإتمام المخططات وإكمال الجداول ونحوه.

وتندرج الاختبارات التحصيلية الكتابية بأنواعها تحت هذه الاستراتيجية: كاختبارات المقال ذات الإجابات القصيرة أو المفتوحة، واختبار الصواب والخطأ، واختبار التكميل وملء الفراغ، واختبارات الترتيب والتصنيف والتوصيل والمقارنة، والاختيار من متعدد[2].

ويمكن أن تنفذ الاختبارات على الورقة والقلم بأدوات ووسائل تقليدية كالأوراق والألواح والأقلام المعهودة، أو بوسائل حديثة تعتمد الكتابة الإلكترونية وأدواتها.

---

[1] خوالدة، التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، (ص: 58).

[2] انظر: المرجع السابق، (ص: 61). وانظر: العدوان، استراتيجيات التدريس الحديثة، (ص: 207).

وتعد استراتيجية التقويم المعتمِد على الورقة والقلم من الاستراتيجيات الهامة والفعّالة والأكثر شيوعًا بين المعلمين في عصرنا؛ فهي مفضلة في قياس التحصيل الدراسي في المؤسسات التعليمية والتربوية، وعلى أساسها تُمْنَحُ العديدُ من الشهادات والإجازات والترقيات والتوزيعات[1].

ونفصل في هذه الاستراتيجية في المطلبين التاليين، على النحو الآتي:

المطلب الأول: غياب الاختبارات التحريرية عن السُنّة النبويّة

من استقراء السُنّة النبويّة فإننا لا نجد ذِكرًا للاختبارات التحريرية المعهودة في عصرنا بمواقيتها المحددة وما يرافقها من أجواء امتحانية، لاعتبارات منها:

1. أن عملية التعليم والتقويم التربوي في تلكم البيئة وذلك العصر لم تكن قد أخذت شكلها النظامي والمؤسساتي بعد. فقد "عرف التقويم في الفكر التربوي الإسلامي ممارسة دون إعطائه مسمى تقويم أو قياس كما هو معروف حالياً، ولم تكن له صورته الرسمية، أو المؤسسية المطبقة في عالمنا التربوي المعاصر حتى نشأت المدارس وأصبح التعليم نظاميًا وله صورته الرسمية في الدولة الإسلامية""[2].
2. ولأن الأمية كانت ضاربة أطنابها بين العرب آنذاك، كما وصف ذلك الحافظ ابن حجر، فقال: "قيل للعرب: أميون؛ لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة، قال الله تعالى: ﴿هو الذي بعث فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [سورة الجمعة: 2]، ولا يُرَدُّ على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب؛ لأن الكتابة كانت فيهم قليلة نادرة"[3]. ونجد عند "ابن سعد" إشارة تؤكد ما ذهب

---

[1] انظر: دعمس، مصطفى نمر، استراتيجيات التقويم التربوي الحديث وأدواته، عمان – الأردن، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011م، (ص: 64).

[2] الميمات، بدرية صالح. والسالوس، منى علي، النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور، (ص: 240).

[3] ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (4/ 127).

إليه الحافظ ابن حجر، فقال ابن سعد: "وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون"[1].

ويقول الكرمي: لقد كانت الأمية سائدةً بشكل كبير في الجزيرة العربية، ويؤكد ذلك ما أخرجه البخاري من قول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ))[2]، وتُشعِر بذلك الآية الكريمة: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ [العنكبوت: 48][3]. وهذا قد يفسر عناية النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بجعل فداء بعض أسرى بدر –العاجزين عن دفع الفدية– تعليم عشرة من غلمان المدينة الكتابة[4].

3. وقد اشتهر عن العرب في تلكم البيئة اعتمادهم الكبير على ملكة الحفظ والمشافهة والسماع أكثر من اعتمادهم على الكتابة، "فالصحابة كانوا يتلقون الحديث عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– إما بطريقة المشافهة، وإما بطريقة المشاهدة لأفعاله وتقريراته، وإما بطريق السماع ممن سمع منه – صلّى الله عليه وسلّم–، أو شاهد أفعاله وتقريراته؛ لأنهم لم يكونوا جميعًا يحضرون مجالسه – صلّى الله عليه وسلّم–، بل كان منهم من يتخلَّفُ لبعض حاجاته"[5].

4. غلب على أدوات الكتابة البساطة في تلك البيئة العربية التي كانت تكتب القرآن الكريم – على فضله وأهميته–على رقاع من جلد أو أكتاف من عظم وألواح من خشب ونحوه.

وبناءً على ما سبق فإن هذا المستوى من الأدوات والإمكانات والظروف جعلت مسألة الاختبارات التحصيلية في العهد النّبويّ مسألةً ليست باليسيرة، لذا لم يكن يُعتنى بها أو يوجَّهُ إليها.

---

[1] ابن سعد: الطبقات الكبرى، (2/ 16).

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: «لا نكتب ولا نحسب». (3/ 27– ح: 1913).

[3] الكرمي: الإدارة في عصر الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– (ص: 118).

[4] انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (2/ 16).

[5] نجم، عبد المنعم السيد، تدوين السُنّة ومنزلتها، المدينة المنورة، الناشر: الجامعة الإسلامية، ط 11، العدد (3)، 1399هـ، مسترجع من المكتبة الشاملة الذهبية، (ص: 35).

المطلب الثاني: ممارسات تقويمية مرتبطة بالورقة والقلم في السُنّة النبويّة

أمكن تتبع بعض الممارسات التقويمية المرتبطة بالكتابة والرسم في السُنّة النبويّة، ضمن المواقف والشواهد الآتية:

مراجعة وتدقيق مع كتبة الوحي

كان النبي – صلّى الله عليه وسلّم– يشرف بنفسه على تدوين محتوى القرآن الكريم، وهذا استدعى انتخاب ثلة من الصحابة البارعين في الكتابة والأمناء، عِرفوا بعد ذلك بكتبة الوحي، وكان منهم: الخلفاء الأربعة، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، وكانوا يضعون ما يكتبونه في بيت النبيّ عليه الصلاة والسلام، ثم يكتبون لأنفسهم منه صورًا أخرى يحفظونها لديهم[1].

والشاهد: أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– كان يمارس منهج التدقيق والمراجعة لما كان يمليه على أصحابه من كتبة الوحي الكرام من القرآن المنزّل قبل تعميمه على الناس، كما في رواية زيد بن ثابت – رضي الله عنه–، قال: ((فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقِطْعَةِ الْكَتِفِ أو كَسْرَةٍ، فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ، فَإِذَا فَرَغْتُ قال: "اقْرَأْ"، فَأَقْرَأَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقْطٌ أَقَامَهُ، ثُمَّ أَخْرُجُ بِهِ إِلَى النَّاسِ))[2]. ويُعبّر هذا الفعل عن شكل من أشكال التقويم النبوي المرتبط بالورقة والقلم، فالصحابي كان يكتب ما يملى عليه من آيات الوحي المنزّل، ومن ثم يتم تقويم كتابته مباشرة بعرضها مشافهة على النبي– صلّى الله عليه وسلّم–؛ فإن ثمة أي سَقْطٌ أَقَامَهُ، ثم يعتمد هذا المكتوب المراجع، ويحدد له موضعه المناسب بين سور القرآن وآياته ثم تعمم الآيات للحفظ والنشر والتوزيع والتطبيق. ويجدر التنويه أن هذا الأمر لم يكن عارضًا بل كان مستمراً مرتبطًا بالوحي الذي تتابع نزوله على مدار ثلاث وعشرين سنة.

---

[1] انظر: الجلالي، محمد مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 2، 1408 هـ. (1/ 20).

[2] الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بَابُ عَرْضِ الْكِتَابِ بَعْدَ إِمْلَائِهِ، (1/ 152–ح: 684). وقال رجاله موثوقون.

تطور التعامل مع تدوين السُنّة النبويّة

يجدر التنويه بداية أن السُنّة النبويّة لم تذكر عناية النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بكتابة أقواله، أو إشرافه على تدوينها، كما كان حاله مع وحي القرآن الكريم الذي كان يكتب ويراجع فور تنزله. لذا أمكن ملاحظة أن مضمون السُنّة النبويّة ومحتواها –القولي والفعلي– كان يتداول وينقل بشكل شفهي في العموم في فترة حياته – صلّى الله عليه وسلّم– إلا من حالات فردية من بعض الصحابة – رضي الله عنهم– الذين استأذنوا في الكتابة كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

كما يجدر الإشارة إلى وُرود النهي من النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عن كتابة غير القرآن الكريم في بدايات الدعوة؛ احتياطًا لسلامة القرآن الكريم كيلا يختلط به غيره، وحتى لا ينشغل الناس بالسُنّة على حساب القرآن ودراسته وحفظه[1]. كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– قال: ((لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ))[2]. وكان السامع من الصحابة – رضي الله عنهم– لهذا النهي النّبويّ لا يسعه إلا الامتثال، فهو نهي صريح، ينهى عن كتابة السُنّة، ويأمر من كتب بعضها أن يمحوه.

ومع ذلك نجد أن النبي – صلّى الله عليه وسلّم– أذن بالكتابة في حالات خاصة ولأسباب معينة، كقوله: ((اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ))[3]، ويأتي هذا الأمر بالكتابة لأبي شاه "مضمون خطبة" مراعاة لحاله؛ كونه من بلاد بعيدة، وبناءً على طلبه – رضي الله عنه– ليأخذها معه إلى قومه.

---

(1) انظر: الخطيب: السُنّة قبل التدوين، (1/ 340).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، (4/2298– ح: 3004).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، (2/989– ح: 1355). أبو شاه: رجل من أهل اليمن.

"لذا كانت السياسة العامة النهي عن كتابة السُّنَّة، فيما عدا الإذن الخاص أو في مسائل محددة ذات أنصبة وفروض وأرقام، يصعب ضبطها من غير كتاب"[1].

وبالمقابل فقد ثبت عنه – صلّى الله عليه وسلّم– أحاديث تأذن بالكتابة وتأمر بها، كحديث عبد الله بن عَمْرٍو– رضي الله عنهما– قال: ((كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم– بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ، فَقَالَ: اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ))[2]. ويجدر التنويه أن الإذن منه – صلّى الله عليه وسلّم – بالكتابة كان بعد السنة السابعة– للهجرة–؛ لأنّ عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – هاجر مع أبيه بعد الحديبية، ويظهر من النص أن عبد الله أفرد كتابة الحديث في كتاب، ولم يجعله مع القرآن[3].

وقد ذكر النووي أقوال العلماء للتوفيق والجمع بين أحاديث النهي والإباحة، ومنها: "أن النهي عن كتابة السُنّة كان في حق من يُوثَق بحفظه ويُخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب، وبالمقابل تُحمَل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث "اكتبوا لأبي شاه". وقيل إن حديث النهي منسوخ، وأن النهي كان حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن

---

(1) ملحم، همام سعيد، التمهيد في علوم الحديث، دار الفرقان، عمان– الأردن، ط1، 1412هـ–1992م، (ص: 40)

(2) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، (3/ 318– ح: 3646). وصحَّح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) انظر: ملحم، همام سعيد، التمهيد في علوم الحديث، دار الفرقان، عمان– الأردن، ط1، 1412هـ–1992م، (ص: 40)

بالكتابة. وقيل إنما نهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط؛ فيشتبه على القارئ"[1].

والشاهد- مما سبق- متابعة النبي – صلّى الله عليه وسلّم- وتقديره الأنسب في شأن كتابة السُنّة النبويّة، فثبت عنه النهي عن كتابتها بداية، كما ثبت عنه الإذن بكتابتها لأناس إما لحاجتهم وعجزهم عن الحفظ كأبي شاه، وإما لدقتهم وحرصهم على جمعها كعبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما- والذي قال: ((اسْتَأْذَنْتُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- فِي كتاب مَا سَمِعْتُ مِنْهُ، قَالَ: فَأَذِنَ لِي فَكَتَبْتُهُ. فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُسَمِّي صَحِيفَتَهُ تِلْكَ الصَّادِقَةَ))[2].

تأهيل مترجِم للمراسلات

يأتي تَعلُّم زيد بن ثابت – رضي الله عنه- لغة اليهود- في إطار السعي النّبويّ لتوفير كاتب ومترجم، يقرأ ويكتب الرسائل بلغة اليهود. يقول زيد بن ثابت – رضي الله عنه-، قال: ((أَمَرَنِي رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم- أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قال: إِنِّي وَاللَّهِ ما آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ. قال: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ. قال: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ))[3]. والشاهد: الكشف عن مهارة زيد بن ثابت وقوة حفظه وسرعة تعلمه للقراءة والكتابة بلغة اليهود، وتطوير هذه المهارة وتعزيز صاحبها حتى صار ترجمان النبي – صلّى الله عليه وسلّم- وخبيرًا في كتابة المراسلات.

ومن الجدير بالذكر أن أمر كتابة الرسائل- من كثرته وأهميته- تعدى زيد بن ثابت – رضي الله عنه- فقد شاركه في هذا الشأن العديد من الصحابة – رضي الله عنهم- مثل كتبة الوحي وغيرهم.

---

[1] النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (18/ 130).

[2] ابن سعد: الطبقات الكبرى، (2/ 285).

[3] الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- باب ما جاء في تعليم السريانية، (5/ 67- ح: 2715)، وقال حديث حسن صحيح.

تقويم محتوى رسالة حاطب = رضي الله عنه=

حاول حَاطِبِ بن أَبِي بَلْتَعَةَ – رضي الله عنه– تمرير رسالة مكتوبة لقريش فيها معلومات عن تحركات المسلمين لفتح مكة المكرمة. يقول القرطبي: وَكَتَبَ فِي الْكِتَابِ: أَنَّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– يُرِيدُكُمْ فَخُذُوا حِذْرَكُمْ... وَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بِذَلِكَ[1].. وأُحضر الكتاب قبل وصوله لقريش، فاطلع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– على محتواه، ثم سأل: ((يَا حَاطِبُ ما هَذَا؟ قال: يَا رسول الله، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لَقَدْ صَدَقَكُمْ))[2].

والشاهد: هو احضار رسالة حاطب المكتوبة، وقراءة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – لمضمونها، فوزن ما فيها وقدّره، ثم حقّق مع كاتبها واستمع لتبريره. فصدّقه وتجاوز عن زلته لاعتبار سابقته في بدر. ويعد ما جرى شكلًا من أشكال التقويم التربوي المرتبط بالورقة والقلم، فقد تم تشخيص الموقف والحكم على الصحابي بناء على ما ضمنه في كتابه المرسل,

الكتابة على الرمل

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أنه ((خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وقال: هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ –أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ– وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ

---

[1] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، (18/ 51).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الجاسوس، (4/ 59– ح: 3007). روضة خاخ: موضع قرب المدينة على طريق مكة. (ظعينة) هي المرأة في الهودج، ثم اتسع فيه وأُطلق على مطلق المرأة. (عقاصها) جمع عقيصة أو عقصة وهي ضفائر الشعر.

أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا))[1]. والشاهد استخدام الرسم بالعود على التراب وسيلة لتقريب المعاني المجردة كالموت والحياة والأمل إلى أشياء محسوسة تسهم في بناء الفهم وتصحيح التصور أو تثبيته. ويعد هذا شكلًا من أشكال التقويمات البنائية المعتمدة على الكتابة والرسم.

"سَرِيَة نخلة" وكتابها المغلق

نجد عند "ابن هشام" تفصيلًا عن سَرِيَة عبدالله بن جحش – رضي الله عنه– والتي كانت في رجب من السنة الثانية قبل غزوة بدر، فقد بعثه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ومعه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتابًا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدًا، فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: ((إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ)). فلما نظر عبدالله بن جحش في الكتاب، قال: سمعًا وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشًا، حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم. فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد[2].

والشاهد: اعتماد هذه السَرِيَة على رسالة مكتوبة، طُلب أن تُفتح بعد يومين من المسير، وأن ينفَذ ما فيها. ورغم أن لها هدفها المكتوب في الرسالة، فقد مثّلت تدريبًا للصحابة واكتشافًا لمواهبهم وطاقاتهم وامتحانًا لطاعتهم وإقدامهم وحسن إدارتهم للموقف وما فيه من تصد للمشكلات وحل لها. فقد فُتح الكتاب في موعده، وأُعلم الفريق بمضمونه، وانطلق الجميع للتنفيذ، ولم يتخلف منهم أحد.

ومن الدلالات التربوية لسرية نخلة:

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الأمل وطوله، (8/ 89– ح: 6417).

[2] ابن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، (1/ 602).

1. أدى تدوين تفاصيل المهمة في كتاب إلى تحديد المطلوب تمامًا وبوضوح.. وهذا إجراء توثيقي قد يقوم به المعلم أو القائد، ليكون مرجعًا في مرحلتي التنفيذ والتقويم.
2. إن جعل المهمة والأمر في كتاب مغلق يُفتح بعد يومين، إجراء مميز لم يفعله النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – في سرية أخرى. وهو أسلوب متقدم يناسب طبيعة المهمة الأمنية الموجهة لاختراق محيط العدو لترصد أخباره وتجمع المعلومات عنه. وقد أثمر هذا الاجراء الحكيم تحقق أمن المهمة وسلامة المنفذين، ومنع أي احتمال لتسرب المعلومات أو وصول خبر السرية إلى العدو.
3. قدّم قائد السرية ورفاقه صورة مشرقة معبرة عن حسن الطاعة في المنشط والمكره. فقد ساروا يومين، ثم فتحوا الكتاب وتشاوروا في محتواه، ثم ساروا الى نخلة لتنفيذ المهمة.
4. برزت الشورى في هذه السرية وطبقت عمليًا، حيث قال عبد الله بن جحش – رضي الله عنه– لأصحابه: "قد أمرني رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشاً، حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، فمضى ومضى معه أصحابه".

كما برزت الشورى حين ظهرت قافلة لقريش أثناء الرصد، مما دفع الفريق للتشاور، حتى قرروا التعرض لها والاشتباك مع أصحابها.. وكان هذا تجاوزًا للتعليمات المكتوبة، أعقب قتلًا في المشركين وجعل القافلة غنيمة، وأسر رجلين من المشركين. "فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلّى الله عليه وسلّم– الْمَدِينَةَ، قَالَ: مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ"[1]، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وأكثروا عليهم العتاب واللوم حتى نزل قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخراج أهله منه أكبر عند اللهوالفتنة أكبر من القتل﴾ [سورة البقرة: 217]،

---

[1] المرجع السابق

ومع أنه رفع الحرج على عبدالله بن جحش وأصحابه – رضي الله عنهم– إلا أن ما جرى كان درسًا تقويميا يؤكد على ضرورة تنفيذ تعليمات القائد وعدم تجاوزها.

5. شكّلت سرية نخلة بتفاصيلها تجربة ميدانية حية كشف عن المهارات الجهادية للفريق المشارك وما يرتبط بذلك من سمع وطاعة وصبر واجتهاد في حل المشكلات وتحمّل للمسؤولية في اتخاذ القرار. كل ذلك انطلق من مهمة ضُمنت كتابًا مغلقًا طُلب أن يفتح بعد مسير يومين.

الخاتمة

نتائج الدراسة

التوصيات

المراجع

الخـاتمـة

ختامًا لا أملك إلا أن أعلن خضوع عنقي خضوعًا تامًا حمدًا وشكرًا لله تعالى المنعم المتفضّل على تيسيره وتوفيقه وإعانته على إتمام هذه الأطروحة المعنونة بـ: "التقويم التربوي في السُنّة النبويّة".

وكم أستشعر في لحظاتي هذه منّة الله تعالى وفضله عليّ وسعادتي بكل الدرب الذي مشيته من أوله وما زلت في بداياته؛ فقد قضيت أثناء كتابتها أجمل أوقاتي وأمتعها، ومهما وصفت لذة الإبحار بين كتب السُنّة النبويّة وكتب التربية المعاصرة، والغوص في لجّتها واقتناص أصدافها والظفر باللآلئ الثمينة لما استطعت التعبير عن تلكم اللذة.

ولقد كانت النتائج التربوية التي توصلت إليها هذه الدراسة من أعظم ما غنمته في حياتي وما أعظمها من غنيمة تتقاصر أمامها حُمْر النَّعَم ومتاع الدنيا؛ فما غنمته من معرفة سيبقيني في رجاء دومًا عساي أن أحظى بدعوة الحبيب – صلّى الله عليه وسلّم– وهو يدعو بنضارة وجه خادم السُنّة وحافظها وناقلها، ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ)) [1].

فاللهم نضّر وجهي في الدنيا وبيّضه في الآخرة، واغفر لي ولوالدي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ونبرز فيما يأتي أهم نتائج هذه الدراسة وتوصياتها، على النحو الآتي:

---

[1] الترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (5/ 34– ح: 2656). وقال حديث حسن.

نتائج الدراسة

يمكن إبراز أهم نتائج هذه الدراسة على التفصيل الآتي:

1) أصَّلَتْ الدراسة جوانب عديدة من أدبيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، كخصائصه ومبادئه، ووظائفه وضوابطه، ومجالاته، وأنواعه، واستراتيجياته، وما يرتبط بهذه العناوين من تطبيقات تربوية، فأبرزت الدراسة سبعة مبادئ أساسية للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي: *تحرِّي العدل في الأحكام خلال الإجراءات التقويمية ونتائجه. *ومراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين في أثناء تقويمهم التربوي. *والتدرُّج في التقويم التربوي. *ودمج التقويم التربوي في التعلم والتعليم. *ومراعاة اليسر والتيسير في التقويم التربوي. *وتشجيع المتعلم على المشاركة في تقويم ذاته وتقويم مكتسبات تعلمه ومشاركته في تطويرها. *وكذلك التثبت من البيانات قبل إصدار الأحكام والنتائج التقويمية.

2) استخلصت الدراسة سبع خصائص للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة، وهي: *"الشمول والعموم". *والتنوع في المجالات والأساليب. *والاستمرارية. *والواقعية. *وأنه تقويم ذو أثر ممتد يتجاوز خصوصية المكان والزمان؛ فيعطي حكم الحالة وتقويمًا لها لأي موقف مشابه حدث في السُنّة النبويّة. *ومن خصائصه أيضًا أنه تقويم "مَحَكِّي المرجع" يقرأ نتائج تقويمه ويعرضها بطريقة بعيدة عن المقارنة بين المتعلمين، بل هو يقارنها بالأهداف التربوية والمعايير المحدد مسبقًا. *ومن خصائصه كذلك أنه تقويم تعاوني.

3) بينتْ الدراسة أن للتقويم التربوي في السُنّة النبويّة خمس وظائف أساسية، وهي: *الوظيفة الكشفية التشخيصية؛ لجمع البيانات عن المتعلم تمهيدًا للمباشرة في تعليمه وتقويمه. *والوظيفة العلاجية البنائية؛ وكانت الغالبة على وظائف التقويم التربوي النبوي، لأنها تتناسب مع طبيعة المهمة الموكلة للنبي – صلّى الله عليه وسلّم– والتي ركَّزت على التعليم والتزكية وتصحيح العقيدة وتتميم الأخلاق وتصويب المسار السلوكي. *والوظيفة التحفيزية التعزيزية؛ لدفع المتعلمين لمزيد من التقدم أداء المهام وإتقان المهارات والتميز الإيجابي. *والوظيفة الوقائية، لتلافي الأخطاء وتقليل العثرات قبل وقوعها وتخفيف الصعوبات التي قد تعترض.

*والوظيفة التنظيمية، لإدارة المراحل التعليمية وتحديد بداياتها ونهاياتها وأدواتها وما يرتبط بترتيب المتعلمين وفرزهم وتقديمهم وتأخيرهم وتكليفهم.

4) أبرزت الدراسة ثلاثة أنواع من ضوابط التقويم التربوي في السُنّة النبويّة: *ضوابط شرعية؛ تعتني بسلامة النية والإخلاص في فعاليات التقويم التربوي وتحرّي المباح من الوسائل والطرق التقويمية والأساليب المستخدمة. *ضوابط أخلاقية؛ تؤثر في ضبط مصادر البيانات، وترفض الأحكام التقويمية المبنية على التجسس أو تتبع العورات أو سوء الظن، كما أنها حفظت الإجراءات التقويمية والأحكام الصادرة من الغش والتزوير، وأكدت على وجوب الستر. *ضوابط تنظيمية إدارية تَضْمَنُ شفافية التقويم التربوي ووضوح إجراءاته ودواعيه وتوقيتاته ومراحله وتُبقي مرجعية إدارية للبتِّ في صلاحيته حال الاختلاف أو التنازع.

5) أكدت الدراسة على أن التقويم التربوي في السُنّة النبويّة قد عمل في مجالات عديدة ترتبط بعناصر المنهج –أهدافه ومحتواه والطرق التعليمية والتقويم– كما اشتغل بتقويم أطراف العملية التربوية كالمتعلم والمعلم والبيئة التعليمية والوسائل والأدوات.

6) أظهرت الدراسة تطبيقَ السُنّة النبويّة لأنواع التقويم الثلاثة القَبلي والبنائي والختامي، والتي برزت على الصعيد العام للعملية التربوية النبويّة، وعلى صعيد المهمة الواحدة أو الغزوة أو الحادثة؛ فكل واحدة من هذه العمليات التربوية العامة أو الخاصة كان يُجرَى لها في السُنّة النبويّة تقويمٌ يمهِّدُ لإطلاق التعلم من نقطة مناسبة، وتقويمٌ بنائي –تكويني– ينفَّذُ تنفيذًا موازيًا ومتداخلًا مع التعلُّمات والأداءات ويسدِّدها، وتقويمٌ ختامي يشخِّص المخرجات والنهايات ويصدر الأحكام ويبني التوجهات، وقد ذكرت الدراسة شواهد عديدة على ذلك.

7) من أبرز ما تؤكده هذه الدراسة حالة التوافق الكبير بين ما يُعرف باستراتيجيات التقويم الواقعي التي انتشرت في التربية المعاصرة، وبين استراتيجيات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة، فرغم ما بينهما من مسافة زمنية تصل لأربعة عشر قرنًا. فقد أمكن في هذه الدراسة تأصيل خمسًا منها والاستدلال عليها بالشواهد والأحاديث من السُنّة النبويّة، وهي: استراتيجية التقويم المعتمد على الأداء، واستراتيجية التقويم المعتمد على التواصل، واستراتيجية التقويم المعتمد على الملاحظة، واستراتيجية التقويم المعتمد على الأقران، واستراتيجية التقويم المعتمد على

مراجعة الذات. وإن هذا التأصيل لها يعطي: أوّلًا: تأكيدًا على سبق النبيّ الكريم – صلّى الله عليه وسلّم– في استحداث وتطبيق خير الوسائل والاستراتيجيات التقويمية المتاحة في عصره في أثناء عمليته التربوية والتعليمية، وثانيًا: يعطي دعمًا وتأكيدًا على فعالية وأهمية تطبيق استراتيجيات التقويم الواقعي التي أثبتت مكانتها وتقدمها في التربية المعاصرة. وثالثًا: يوجّهُ التربويين والباحثين لزيادة العناية بالسُنّة النبويّة والتمسك بها واستخراج كنوزها التربوية وتطبيقها في مؤسساتنا التربوية وواقعنا المعاصر.

8) أكدت الدراسة على أنَّ محتوى المنهج في العملية التربوية كان وحي القرآن الكريم المحفوظ والمسطور إضافة إلى وحي السُنّة النبويّة، مع ملاحظة أن مضمون وحي السُنّة النبويّة ومحتواها القولي والفعلي كان يُتداول وينقل بشكل شفهي –في العموم– في فترة حياته – صلّى الله عليه وسلّم– ويستثنى من ذلك حالات خاصة عند بعض الصحابة – رضي الله عنهم– ممن كان يكتب لنفسه. فلم تسجِّلْ السُنّة النبويّة عنايةَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– بكتابة أقواله أو إشرافه على تدوين أحاديثه، كما كان حاله في تعامله مع وحي القرآن الكريم الذي كان يُكتب فور تنزله وتحت إشرافه – صلّى الله عليه وسلّم–.

9) أظهرت الدراسة أن التقويم التربوي في السُنّة النبويّة تميزَ بنمط التقويمات عقب الأحداث والمواقف، وكان ذلك يتناسب مع طبيعة التنزُّلِ المفرَّقِ لمحتوى المنهج –القرآن الكريم– كما في قوله تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾ [سورة الإسراء: 106]. فقد تنزَّل منجمًا على الوقائع والأحداث إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– في ثلاث وعشرين سنة، مبينًا ومفسرًا ومقوّمًا لأداءات الناس وسلوكياتهم. وتعتبر هذه استراتيجية تعليمية تقويمية واقعية كانت فاعلة وآتت أُكُلها، فهي جعلت من التجارب الحياتية الحقيقية وأسئلة المتعلمين وتحدياتهم مادة خصبة للتعلم، وجعلت من الأداءات الفردية والجماعية مادة ثرية للتقويم ومنطلقًا للتحسين والتطوير في الأداءات والمهارات.

10) بيَّنت الدراسة أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– والذي نفَّذَ عمليته التربوية قبل أربعة عشر قرنًا قد تلقى المساندة الكاملة من الله – تعالى– وحيًا، وأنه كان يتلقى التوجيهات والدعم

المناسبين مما جعل من التقويم التربوي في السُنّة النبويّة تقويمًا مسددًا وناجحًا حقق أغراضه بأقصر الطرق وبأحسن الأساليب وضمن وقت قياسي بالمقارنة مع حجم الإنجاز التقويمي الذي حصل. ومع ذلك فإن الدراسة تؤكد أن ما جرى من فعاليات وإجراءات تقويمية كان في إطار التعامل مع القدرة البشرية التي يمكن تصورها ومحاكاتها في أي زمان أو مكان.

11) أبرزت الدراسة أن من سمات التقويم التربوي في السُنّة النبويّة أنه تقويم ممتد الأثر، فهو وإن كان يتم في إطار مكان وزمان محدودين عاش فيهما النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– مع المتعلمين من أصحابه – رضي الله عنهم– فإن صلاحيته تتعدى ذلك المكان وتتجاوز خصوصية الزمان؛ حيث ينسحب حكم الحالة وتقويمها على أي موقف مشابه سواءً أكان في أثناء حياته – صلّى الله عليه وسلّم– أم بعد مماته، وسواءً كان بالقرب منه أو بعيدًا عنه. فهو تقويم يمكن محاكاة مضمونه وأسلوبه وأدواته.

12) بينت الدراسة بأن مكوث الصحابي الجديد أو الغريب عن المدينة عند النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أيامًا بعد إسلامه بصحبته في حلّه وترحاله وجهاده يُعدُّ نهجًا نبويًّا يمكن ملاحظته، وقد كان مثمرًا لأنه منح فرصة للكشف عن قدرات المتعلم ومواهبه وسجله التاريخي والعائلي وطرفًا من جوانب شخصيته. ومن جهة أخرى كان ضروريًّا للإعداد والتدريب والتعليم والتقويم قبل أن يُوَّجه المتعلم في مهمة إلى قومه؛ كما جرى مع أبي ذَرٍّ الغفاري والطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيّ – رضي الله عنهما– حين أُرسل كل منهما إلى قومه داعيًا ومعلمًا.

13) أبرزت الدراسة أن عمليات تقويم الأقران بين جيل الصحابة – رضي الله عنهم– انطلقت بداية بتوجيهات النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ودعمه، وكان بعضها يحدث في حضرته – صلّى الله عليه وسلّم– وبعضها الآخر كان يجري بعيدًا عنه، وترِد أحيانًا تقارير تصف ما جرى من تقويمات في أثناء تلكم المواقف فيعلِّقُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– عليها بالإقرار أو التعديل، بالإضافة إلى ما لا يحصى من التقويمات كان يجريها الصحابة – رضي الله عنهم– دون أن يطَّلع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أو يخبر بها، والتي كانت في إطار المنهج التربوي النبوي.

14) أكدت الدراسة على أن التقويم التربوي كان ممارسةً عملية تعتمد بالدرجة الأولى على المعايشة وملاحظة أداءات المتعلم ومهاراته كما يعيشها في حياته فعليًّا. فقد شكَّلت معايشة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– أصحابه – رضي الله عنهم– وتوفره الدائم بينهم؛ فرصةً تربوية كبيرة منحته القدرة على تفقدهم وتشخيص حالهم واستكشاف مواهبهم وطرق تفكيرهم وأثر منهج القرآن فيهم. وفي المقابل أتاحت المعايشة للمتعلمين من الصحابة – رضي الله عنهم– فرصة اللقاء المتكرر بالنبي – صلّى الله عليه وسلّم– والتعلم منه مباشرة والإجابة عن أسئلتهم حول العقيدة والعبادات وتفصيلات أحكام الشريعة والأخلاق وفتح المجال للحوارات التربوية وتقديم النصح والمشورة.

15) أكدت الدراسة أن التقويم التربوي في السُنّة النبويّة كان يبتعد عن ثقافة الاختبارات التي لها مواقيت محددة وإلزامية، إلا من بعض المهرجانات السنوية التي كان يستعرض فيها الفتيان –من أبناء الصحابة رضي الله عنهم– قوتهم ومهاراتهم ومواهبهم لفرزهم لمشاركة الرجال في فعاليات الجهاد والدفاع ونحوه.

16) بينت الدراسة أن الاختبارات التحصيلية – التحريرية– لم تأخذ مداها في السُنّة النبويّة كما في عصرنا، لاعتبارات منها: أن إمكانات التعلم وأدوات التعليم والتقويم في تلك البيئة وذلك العصر النبويّ لم تكن قد أخذت شكلها النظامي والمؤسساتي بعد، كما أن منظومة التصورات والقيم والاتجاهات التي جاء بها المنهج التربوي النّبويّ لم يكن من الممكن تقويمها أو التعبير الصادق عن امتثالها من خلال الاختبارات التحريرية. دون أن تنفي هذه الدراسة وجود بعض التطبيقات العملية لاستراتيجية التقويم المرتبط بالورقة والقلم، كإشراف النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– المباشر على تدوين القرآن الكريم ومراجعته وتخصيص ثلة من كتبة الوحي الذي برعوا وتميزوا بالكتابة والضبط. كما أنه – صلّى الله عليه وسلّم– أشرف على كتابة الكثير من الرسائل ذات المضامين التربوية والدعوية، ووثّق بالكتابة الكثير من العهود مع الأفراد والجماعات بوصفها خطوةً اعتبرت تمهيدية تنظيمية لضبط مسار العملية التربوية وبعض أطرافها. كما أنه استخدم المهام المكتوبة، وراجع بعض ما كتبه الصحابة – رضي الله عنهم–

في إطار تقويم المحتوى والأداء، كما في الكتاب الذي حملته سرية عبدالله بن جحش، أو الكتاب الذي أرسله حاطب بن بلتعة – رضي الله عنهما–.

17) بيَّنت الدراسة أن المراجعة الذاتية في إطارها التقويمي في السُنّة النبويّة تميزت باعتمادها على المشافهة والتواصل اللفظي والبصري المباشر بين المعلم والمتعلم، وأن الكتابةَ والتدوين لم تكن إحدى أدواتها.

18) بيَّنت هذه الدراسة حالة الدمج والتداخل الحاصل في السُنّة النبويّة بين مهام التعلم والتعليم من جهة، ومهام التقويم التربوي من جهة أخرى، حيث كان بينهما تزامن وتقديم وتأخير، دونَ أن يكون هناك حاجة لتنبيه المتعلم بأن هذا الموقف تعليمي أو تقويمي؛ فقد كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يبدأ موقفه بالتعليم أحيانًا ثم يختمه بتقويم مناسب، أو يبدأ بالتقويم ثم يعقِّبُ مفسِّرًا ومرشدًا، أو كان يستخدم طريقة تضيف علمًا ومعرفة وفي نفس الوقت تَبني توجهًا ودافعًا لتقويم ذاتي عند المتعلم.

19) أكدت الدراسة عظيم فضل الرعيل الأول من الصحابة السابقين – رضي الله عنهم– وبينت أن انطلاقة العملية التربوية النبويّة –حتى تمامها– اعتمدت اعتمادًا كبيرًا وواضحًا عليهم؛ فهم شقُّوا طريق الهداية مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-. ولقد كان لتعاونهم وتضافر جهودهم – رضي الله عنه– أثر كبير في إنجاح جهود النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في الدعوة والتعليم والتزكية والتقويم فاستحقوا – رضي الله عنهم– أعلى درجات التقدير من الله تعالى والثناء من رسوله – صلّى الله عليه وسلّم– وقد أخرج الطبري في تفسيره: أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– مرَّ برجل يقرأ: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: 100]، قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أُبيّ بن كعب! فقال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه! فلما جاءه، قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم! قال: أنت سمعتها من رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–؟ قال: نعم! قال: لقد كنت أظن أنَّا رُفِعنا رِفْعَةً لا يبلغها أحدٌ بعدنا! فقال أُبيٌّ: بلى، تصديق هذه الآية: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ [سورة الجمعة:

3][1]. وأقول: تصديق ذلك من السُنّة النبويّة ما أخرجه البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ – رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ))[2].

20) تظهر هذه الدراسة النجاحَ الكبير للتقويم التربوي النّبويّ على الصعيد الجماعي، فأصحاب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الذين التقى بهم وتعلَّموا منه أو نقلوا حديثه بلغوا حدًا لا يجمعهم ديوان، كما بيَّن ذلك البخاري في روايته عن كعب بن مالك حين وصف عدد الصحابة – رضي الله عنهم– قبيل غزوة تبوك، فقال: "وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ –يُرِيدُ الدِّيوَانَ"[3]. ونحو ذلك نقله الإمام أبو زُرْعَةَ الرازي (ت: 264هـ) وهو من علماء الحديث في زمانه، قال: "شَهِدَ مَعَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– حِجَّةَ الْوَدَاعِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَشَهِدَ مَعَهُ تَبُوكَ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَقُبِضَ عَنْ مِئَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ، مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ وَسَمِعَ مِنْهُ"[4]. مما يشير إلى تحول مهيب في حال المجتمع العربي في جزيرة العرب فصاروا بعد ضياع وفرقة وتناحر أمَّةً متوحدةً ترفع لواء العلم والتوحيد والعدل وتنشره إلى غيرها من الأمم.

21) كما تظهر الدراسة نجاح التقويم التربوي النّبويّ مع الصعيد الفردي مع أعيان الصحابة والمتعلمين رجالًا ونساءً كبارًا وصغارًا حيث تغيرت بهم الأحوال، وتصححت عندهم المفاهيم والتصورات وارتقت بهم أخلاق الإسلام، ولا يجد الباحث صعوبةً في تتبع مظاهر التغير الإيجابي الذي حصل عند أفراد الصحابة – رضي الله عنهم– من خلال تصور وملاحظة ما كان عليه الواحد منهم أيام الجاهلية من العصبية القبلية والجهل بالخالق والوقوع في فخ

---

(1) الطبري: تفسير الطبري = جامع البيان، (14/ 438).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبيّ، باب قول النبيّ – صلى الله عليه وسلم–: «لو كنت متخذًا خليلًا» (5/ 8– ح: 3673). (النَصِيفَ هو النصف).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، (6/ 4– ح: 4418).

(4) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، التبصرة لابن الجوزي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1406 هـ – 1986م، (1/ 482).

الأوهام والخرافات والتقليد الأعمى وظلم المرأة ووأد البنات وعبادة الأوثان، وكيف تقوَّم حاله بعد اتباعه للنبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– وانخراطه في العملية التربوية النبويّة وتلقيه التزكية والتعليم والتقويم فصار الواحد منهم كأنه قرآن يمشي على الأرض يفيض علمًا وخُلُقًا.

22) تؤكد الدراسة على أنَّ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة منحَ الصحابة المتعلمين مساحة واسعةً من حرية التعبير وإبداء الرأي والمراجعة والتحفظ والاستفهام والنقد البناء والمشاركة في صنع القرار، بل إنَّ منهج التقويم التربوي النّبويّ أرسى دعائمَ هذه الحرية وجعلها حقًّا للمتعلم يطالب به ولا يتنازل عنه، وقد أوردت الدراسة شواهد على العديد من مراجعات الصحابة ومداخلاتهم وكيف أنهم تحفظوا على بعض الإجراءات واقترحوا بعض التعديلات في الوسائل والأدوات، وكان يقابل ذلك بسعة صدر من النبيّ المعلم – صلّى الله عليه وسلّم– فيستمع ويقدِّمُ للمراجع التفسيرات والتعليلات الشافية والمناسبة للموقف.

23) أظهرت الدراسة تميُّزَ التقويم التربوي بالمرونة والتنويع في خيارات التعامل مع المتغيرات الميدانية التي تفرضها حالة أطراف العملية التعليمية؛ بما يسمح به المحتوى المُنزّل وما تفرضه طبيعة البيئة وإمكاناتها، فكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يستعين بجديد الأدوات والوسائل وينّوع في أساليب التربية وأشكال التقويم، وكان يشرف بنفسه على كتابة المحتوى التعليمي ويتابع عمليات حفظه مكتوبًا وفهمه وتطبيقه. كما استحدث النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– دار الأرقم في مكة لتكون مدرسة تربوية لأصحابه، وبثَّ المعلمين في المنازل والأنحاء يعلمون أقرانهم ويقوّمونهم، وبنى المسجد كحاضنة تربوية وأمر برفع الأذان فيه وبصلاة الجماعة، وجعل رمضان مدرسة للتربية على التقوى والصبر، والحج مدرسة للجهاد ومؤتمرًا سنويًّا عامًّا. واتخذ خاتمًا لرسائله، ووجه لتعلم لغة الآخر، وبصورة يسمح بها ذلك العصر فقد استخدم المؤتمرات والملتقيات التربوية والمقابلات والمشاريع والمهام الخاصة، واستخدم أحسن وسائل التواصل في عصره كتشجيع الشعراء على نظم الشِعر المعبِّرِ عن المبادئ والقيم التربوية، كما أشرف بنفسه على كتابة الرسائل التي حملت في طياتها المضمون التربوي والإصلاحي والتقويمي وتخير لنقلها الأمين ومن يتقن لغة الأقوام ويحسن التصرف حال التبليغ والتعليم والتقويم، وشرع للناس خطبة الجمعة الأسبوعية، ومارس بفاعلية المعايشة التربوية في

المسجد وفي ساحات الجهاد على وجه الخصوص، وعزز التقويم الذاتي ودعم دور الرقابة الداخلية والوازع الديني، واستثمر كثيرًا البيعة بينه وبين المتعلمين في إطار تقويمهم وتثبيتهم. هذا كله ونحوه في سياقه التقويمي؛ أشارت إليه هذه الدراسة وذكرت الشواهد عليه.

وبذلك تكون الدراسة الحالية قد اقتربت من تقديم صورة تفصيلية عن حالة التقويم التربوي في السنة النبوية، وبينت الإجراءات التقويمية التي قام بها النبي – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه – رضي الله عنهم– أثناء تعليمهم وتزكيتهم، وكشفت عن أنماط استراتيجيات استخدمها، وعرضت آثارها ونتائجها التقويمية على العملية التربوية النبوية.

التوصيات

وفي ختام هذه الدراسة والموسومة بـ "التقويم التربوي في السنة النبوية" وعلى ضوء ما توصلّت إليه، فيقترح الباحث جملة من التوصيات، على النحو الآتي:

1. العمل على تعزيز مكانة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– في نفوس الناشئة من الجيل المعاصر، حتى يمتثل الواحد منهم قول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))[1]. ولا يكون ذلك إلا ببيان سيرته العطرة التي تظهر فضله وما قدَّمَهُ من تضحيات وجهود عظيمة في بناء الأمة وتزكيتها وتقويمها.

2. أن تعتني الجامعات ومراكز البحث بترجمة الأدب التربوي النّبويّ المرتبط بالتقويم التربوي والتعليمي إلى ما أمكن من لغات أخرى، دعمًا للبحث العلمي من جانب وتعريفًا بخاتم الأنبياء والمرسلين وبهديه التربوي والتقويمي؛ ليدرك الناس عظيم فضل النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلّم– على هذه البشرية ومدى الرحمة التي اتصف بها وبعث بها للعالمين.

3. تعزيز مكانة الصحابة جميعًا – رضي الله عنهم– في نفوس الناشئة من الجيل المعاصر، وأن يُعَرَّفَ بهم بشتى الوسائل المتاحة والأدوات الممكنة، وبيان مناقبهم ومواقفهم وتضحياتهم وجهودهم العظيمة في فترة الوحي والرسالة وبعدها، ليجدَ الناس أسوة حسنة فيهم؛ فهؤلاء شقُّوا طريقَ الحق والهداية مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– وبايعوه وساندوه وتركوا ديارهم وأموالهم وخرجوا وهاجروا في سبيل نصرته وما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا ولا استكانوا.

4. مراعاة تطبيق أدبيَّاتِ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة والإعلان عنها والتعريف بها؛ فهي حَرِيَّةٌ بالاتباع، فقد أصابتها بركة الوحي المنزَّل، بل هي وحي في كثير من تفصيلاتها، وفي اتباعها تمسُّكٌ بالسُنّة النبويّة وإحياء لها، وتأسٍ محمود بالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– يجلب رضا الله تعالى وتوفيقه والفلاح في الدارين.

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: كيف كانت يمينُ النبيّ – صلى الله عليه وسلم– (8/ 129– ح: 6632).

5.توصي هذه الدراسة المتصدرين لإصلاح المجتمعات الإسلامية والساعين لنهوض هذه الأمة وعزتها أن يسلكوا الطرق النبويّة ويأخذوا بالوسائل التربوية والتقويمية التي طبَّقها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فهي –كما ظهر– آتت أُكُلَها، ونجحت نجاحًا عظيمًا يمكن محاكاته، كما أنها نالت شرعيَّةً من خلال تطبيقها وحضورها في السُنّة النبويّة التي أمرنا باتباعها. وبلا شك فهي بمجموعها تشكِّلُ منهجًا تقويميًّا جديرًا بالدراسة والاقتداء.

6.توصي هذه الدراسة الميدانَ التربويَّ المعاصر بالتنويع في أنماط التقويم التربوي، وتدعو إلى تجاوز الجدلِ بين دعاة التقويم التقليدي والتقويم الحديث، وترى أنه يمكن تجاوز ذلك بينهما إذا توفر الوعي والإيمان بأن التقويم ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة بنائية تكوينية لتحقيق أغراض بعيدة المدى تتلخص في تطوير أداءات المتعلم وصقل مهاراته وإثراء معارفه وتعديل سلوكه وتهذيب أخلاقه. فتحقيق هذا الوعي هو الأساس الذي ينطلق منه المعلم والمربي، وهو الذي سيعطيه مساحة واسعة لاختيار استراتيجية التقويم المناسبة، وما تتضمنه من فعاليات تقويمية وطرق وأساليب وأدوات تفرضها البيئة وتسمح بها الإمكانات.

7.توصي الدراسة باعتماد تطبيق استراتيجيات التقويم التربوي الواقعي، فهي من أحدث مداخل التقويم التربوي المعاصر، وكونها تركّز على الأثر الناتج –والنهائي– عن عملية التعلم والتقويم، كما أنها ترقب الأداءات بأشكالها وتجعل من تجاوز تحديات واقعِ المتعلم والإجابةِ عن أسئلته جسرًا لتجاوز تحديات المستقبل المتوقعة. وقد أكدت هذه الدراسة أن استراتيجيات التقويم التربوي الواقعي تمتلك رصيدًا كبيرًا من المصداقية من خلال تطبيقها في السُنّة النبويّة، فقد ثبت أنها أصلح من غيرها، وأجدى وأقرب لتحقيق أغراض عملية التقويم التربوي.

8.توصي هذه الدراسة بتفريد التقويم التربوي– قدر الإمكان–؛ من خلال استيعاب حالة المتعلم وظروفه الخاصة وبيئته والغايات التربوية من تعليمه، ومن ثم على أساسها يُختَار الطرق والأساليب التقويمية المناسبة له.

9.توصي الدراسة القائمين على المناهج التربوية والبرامج التعليمية بالأخذ بمبادئ التقويم التربوي في السُنّة النبويّة ومراعاة استراتيجياتها عند تصميم المناهج، وصياغة محتواها، وطرق تدريسها وتقويمها.

10. توصي الدراسة الباحثين والتربويين أن يمضوا قدمًا في تأصيل العلوم التربوية والاجتماعية، وإطلاق دراسات أخرى تبحث في عناوين تفصيلية في التقويم التربوي، رجاء أن يسهم ذلك في تتميم نظرية المنهج التربوي الإسلامي.

11. توصي الدراسة الميدان الأكاديمي بعمل مزيد من الدراسات والأبحاث العلمية في مجال التقويم التربوي النبوي، خاصَّةً ما كان يجري قبل وفي أثناء وبعد الهجرات والسرايا والغزوات، فكل واحد من هذه المواقف كان له تقويم يتميز بأسلوبه الخاص ومحتواه المغاير.

وتوصي تحديدًا بتنفيذ دراسات وأبحاث علمية بالعناوين التالية:

- التقويم التربوي في القرآن الكريم.
- التقويم التربوي في عهد الخلفاء الراشدين.
- التقويم التربوي عند علماء السلف وأصحاب المدارس الفقهية.
- التقويم التربوي عقب السرايا والغزوات والمواقف والأحداث.
- العلاقة بين التشريعات الإسلامية والتقويم التربوي.

12. كما توصي الدراسة بضرورة تعزيز التعاون بين المربّين والمختصين من أهل التكنولوجيا والإعلام لتفعيل أدوات العصر في مجال التقويم التربوي والتعريف بها واستثمارها في عمليات التربية والدعوة والإصلاح والتقويم.

13. وأخيرًا توصي الدراسة بمزيد من التتبع لتفاصيل الحالة التقويمية في السُنّة النبويّة ومراعاة مبادئها، وتنفيذ استراتيجياتها وطرقها وأساليبها وأدواتها؛ والتي ستكون كفيلة بوضع التقويم التربوي المعاصر على طريقه الصحيح.

المراجع

القرآن الكريم

1. إبراهيم، السعيد مبروك، إدارة المكتبات الجامعية، القاهرة، المجموعة العربية للنشر والتوزيع، ط 1، 2012م.
2. إبراهيم، هنادي عيسى، أساليب وخصائص التقويم المعتمد على الأداء في القرآن الكريم، مجلة كلية التربية– جامعة أسيوط، مجلد (31)، العدد (5)، الجزء (2)، 2015م، الصفحات (595–642).
3. أبو النصر، مدحت، وياسمين مدحت، أبعاد وأطراف وفلسفة ومبادئ التنمية المستدامة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة– مصر، 2017م.
4. الإسكندراني، أحمد بن محمد، المتواري على تراجم أبواب البخاري، تحقيق: صلاح مقبول، الكويت، مكتبة المعلا، ط1، 1407هـ–1987م.
5. أبو إسماعيل: أكرم عبد القادر، التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة اليرموك، إربد – الأردن، 1993م، نشرتها دار النفائس، عمان –الأردن، 2006م.
6. الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول شرح منهاج الوصول، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ–1999م.
7. الأصبحي، مالك بن أنس. الموطأ، تحقيق: محمد الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد للأعمال الخيرية، ط1، 1425هـ – 2004م.
8. الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط 1، 1412 هـ.
9. الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثة – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُنّة بالإسكندرية. المصدر: الشاملة الذهبية.
10. _____ صحيح وضعيف سنن النسائي، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثة – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُنّة بالإسكندرية. المصدر: الشاملة الذهبية.
11. آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، السعودية، وزارة الشئون الإسلامية، ط 4، 1423هـ.
12. الأهدل: عبد الله قادري، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، على المكتبة الشاملة الذهبية.
13. ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، مجموع فتاوى ابن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، على المكتبة الشاملة الذهبية،
14. بحري، منى يونس، المنهج التربوي (أسسه وتحليله)، عمان– الأردن، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، 1433هـ– 2012م.
15. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط1، بيروت: دار طوق النجاة، (د.ت).
16. بريش، محمد، تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي مدخل إلى التغيير الثقافي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، العدد التاسع، 1418هـ–1997م.

17. البستنجي: مراد أحمد، واقع التقييم في التربية الخاصة في الأردن، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمّان، 2007م.
18. البطاطي، سالم أحمد، المعايشة التربوية، (د. ط). الرياض: دار الوطن للنشر، 2016م.
19. ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ - 2003م.
20. البغدادي، أحمد بن علي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ.
21. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1420هـ.
22. البوصيري، أحمد بن أبي بكر، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المحقق: محمد الكشناوي، دار العربية – بيروت، ط2، 1403هـ.
23. بيج كيلي، التقييم البنائي في العلوم: 75 إستراتيجية لربط التقييم والتدريس والتعليم، ترجمة جبرين الجبر، الرياض، دار جامعة الملك سعود، 2014هـ.
24. البيضاوي، عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1418هـ.
25. الترباني، جهاد، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، القاهرة، دار التقوى للطبع والنشر، ط 1، 1431هـ-2010م.
26. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مصر، مطبعة الحلبي، ط2، 1395هـ-1975م.
27. التويجري وآخرون، علم النفس التربوي، الرياض، مكتبة العبيكان للنشر، ط 9، 1434 هـ- 2014م.
28. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر العقل، بيروت، لبنان، الناشر: دار عالم الكتب، ط7، 1419هـ - 1999م.
29. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، السعودية، دار العاصمة، ط 2، 1419هـ -1999م.
30. مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد، ط 3، 1416هـ-2005م.
31. الثوابتة وفريق عمل، استراتيجيات التقويم وأدواته، الأردن، مديرية الاختبارات، (د. ط)، 2004م.
https: //kenanaonline.
com/files/0074/74172/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%88%D9%8A%D9%85. pdf
32. الجار الله: عبد السلام بن صالح، نقد الصحابة والتابعين للتفسير، أطروحة دكتوراه: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية أصول الدين – قسم القرآن وعلومه، 1428 هـ.
33. ابن جزي، محمد بن أحمد، تفسير ابن جزي= التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط 1، 1416هـ.

34. الجلالي، محمد مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، دار النهضة العربية، ط2، 1408هـ.
35. الجندي، أنور، التربية وبناء الأجيال في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1975م.
36. جيدوري، بشار عوض، والنجم، زياد عبد الكريم، التطور الدلالي لمفهوم فلسفة التربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019م.
37. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، إعلام العالم بعد رسوخه بناسخ الحديث ومنسوخه، تحقيق: أحمد الزهراني، بيروت – لبنان، دار ابن حزم، ط 1، 1423هـ- 2002م.
38. التبصرة لابن الجوزي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط 1، 1406هـ – 1986م.
39. زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1422هـ.
40. كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، ط 1، دار الوطن لنشر، 1418هـ- 1997م.
41. الجيزاني، محمد بن حسين، معالم أصول الفقه عند أهل السُنّة والجماعة، السعودية، دار ابن الجوزي، ط 5، 1427هـ.
42. الحاج خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد- العراق، مكتبة المثنى، (د. ط)، 1941م.
43. أبو الحاج وآخرون، المدخل إلى الفقه الإسلامي وأصوله، الأردن، جامعة آل البيت، ط 1، 2007م.
44. الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1411هـ- 1990م.
45. حجازي، عبد الحكيم ياسين، الهياجنة، وائل سليم، مفاهيم أساسية في التربية، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط 1، 2016م- 1436هـ.
46. حبنكه، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق- دار القلم، ط5، 1420هـ- 1990م.
47. ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ.
48. تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1404هـ – 1984م.
49. فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت – لبنان، دار المعرفة، 1379هـ.
50. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، المحقق: حمدي عبد المجيد، دار ابن كثير، ط2، 1429هـ – 2008م.
51. الحروب، زهير حسن، أساليب حديثة في تقويم أداء المعلم، عمان- الأردن، دار غيداء، ط 1، 2020م.
52. الحريري، رافدة، التقويم التربوي مفهومه أهميته أهدافه ووظائفه، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 1433هـ- 2012م.
53. الحسن: أحمد جوهر، مبادئ التقويم التربوي الأساسية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، 1989م.

54. الحسني، محمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م.

55. الحسن، محمد علي، المنار في علوم القرآن، بيروت– لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ – 2000م.

56. حسين، عبد المنعم خيري، القياس والتقويم في الفن والتربية الفنية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان– الأردن، ط1، 2010م.

57. حطيبة، أحمد، شرح الترغيب والترهيب للمنذري، على المكتبة الشاملة الذهبية، أصلها: دروس صوتية مفرغة عددها (50) على الانترنت.

58. الحلبي، علي بن إبراهيم، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1427هـ.

59. حماد، نزيه، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دمشق– سوريا، دار القلم، ط 1، 1429هـ–2008م.

60. حوّى، سعيد محمد، الأساس في التفسير، دار السلام – القاهرة، ط 6، 1424هـ.

61. حواس، حصة حمد، النسيان في القرآن الكريم دراسة تحليلية موضوعية وآثاره التربوية، مجلد (32)، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الصفحات (431–496).

62. الحوامدة، سليمان حماد، منهج التقويم في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة كراتشي، كراتشي – باكستان، 2002م.

63. حمود، رفيقة سليم، التقويم والقياس التربوي، القاهرة– مصر، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، 2023م.

64. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مفاتيح للتعامل مع القرآن، دمشق، دار القلم، ط 2، 1415هـ– 1994م.

65. خضر، عبد العليم عبد الرحمن، المسلمون وكتابه التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ –1995م.

66. خطاب، محمود شيت، قادة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، دمشق، دار القلم، ط 2، 1420هـ– 1999م.

67. الخطابي: حمد بن محمد، أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، تحقيق: محمد بن سعد، السعودية، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط 1، 1409هـ – 1988م.

68. غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دمشق، دار الفكر، (د، ط)، 1402هـ–1982م.

69. معالم السنن= شرح سنن أبي داود، حلب، المطبعة العلمية، ط1، 1351هـ – 1932م، (2/ 276).

70. خطاطبة، عدنان مصطفى، أصول التربية الإسلامية وتطبيقاتها، عمان– الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط 1، 1440هـ–2019م.

71. الخطيب، محمد عجاج، السُنّة قبل التدوين، بيروت– لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 3، 1400هـ–1980م.

72. خليفة، عبد السلام الشيباني، الاتجاهات المعاصرة في التقويم التربوي ودورها في تطوير العملية التعليمية، مصر، مجلة فكر وإبداع، مجلد (86)، 2014م، الصفحات (485–506). https: //2u. pw/403rVE

73. خليل، عماد الدين، المدخل إلى إسلامية المعرفة، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1427هـ- 2006م.
74. الخليلي: خليل يوسف، التقييم الحقيقي في التربية، مجلة التربية، العدد (126)، 1998م.
75. خوالدة، أكرم صالح، التقويم اللغوي في الكتابة والتفكير التأملي، عمان- الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، (د. ط)، 2012م.
76. خيري وآخرون، أثر تقويم الأقران ببيئة تعلم إلكترونية في تنمية التفكير الكمبيوتري لدى طلاب تكنولوجيا التعليم. "مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية، العدد (40) (2022)، الصفحات (455 – 494).
77. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، ط 1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ.
78. دراز، محمد عبد الله، مبادئ علم الاخلاق، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، (د. ط)، 2021م.
79. درندري، إقبال زيد العابدين، نحو تقييم موجه للتعلم، بحث على شبكة الإنترنت، https: //fliphtml5. com/xtjxv/touj/basic
80. دعمس، مصطفى نمر، استراتيجيات التقويم التربوي الحديث وأدواته، عمان- الأردن، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011م.
81. دغمان: نجاة محمد، تطوير أداء معلمات التربية الإسلامية بالمدارس العربية التكميلية في مرحلة التعليم الابتدائي ببريطانيا، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.
82. أبو دف: محمود خليل، الاتصال التربوي في السُنّة النبويّة دراسة تحليلية، في أعمال مؤتمر: التواصل والحوار التربوي، نحو مجتمع فلسطيني أفضل، غزة: الجامعة الإسلامية – كلية التربية، 2011م.
83. منهج الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر، بحث مقدم لمؤتمر تطوير برامج كليات التربية بالوطن العربي، جامعة الزقازيق، مصر، 2006م. https: //slpemad. files. wordpress. com/2014/12/d985d986d987d8ac-d8a7d984d8b1d8b3d988d984-d981d98a-d8aad982d988d98ad985-d8a7d984d8b3d984d988d983. pdf
84. الدغشي: أحمد محمد، دراسات في أصول التربية الإسلامية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان- الأردن، ط1، 2017م
85. ابن دقيق العيد، محمد بن علي، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، تحقيق: محمد خلوف، سوريا، دار النوادر، ط2، 1430هـ – 2009م.
86. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبويّة، مؤسسة الريان، ط6، 1424هـ- 2003م.
87. الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: تقي الدين الندوي، دمشق – سوريا، دار النوادر، ط 1، 1435هـ – 2014م.
88. الدوسري، محمود أحمد، وجوب العمل بالقرآن العظيم، مقال على الإنترنت في موقع الألوكة، تاريخ إضافة المقال: 16 أكتوبر 2018م، تاريخ التصفح: 13 أكتوبر 2022م.
89. دويدري، رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، بيروت- لبنان، دار الفكر المعاصر، ط 1، 2000م.

90. أبو دية، عدنان أحمد، أساليب معاصرة في تدريس الاجتماعيات، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م.

91. الديلمي، ناهدة عبد زيد، مفاهيم في التربية الحركية، دار الكتب العلمية، 2011م.

92. الدينوري، عبد الله بن مسلم، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، ط 1، 1397هـ.

93. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م

94. سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405هـ – 1985م.

95. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق، محمد عوامة، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط 1، 1413هـ.

96. الرازي: محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ، بيروت، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط 5، 1420هـ– 1999م.

97. الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 3، 1420هـ.

98. الربيعي وآخرون، الإشراف والتقويم في التربية والتعليم، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية، (د. ط)، 2020م.

99. رجب، إبراهيم عبد الرحمن، التأصيل الإسلامي للعلوم المفهوم والمنهج، لجنة التأصيل الإسلامي للعلوم، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1425 هـ–2004م. https: //2u. pw/CGvsp8

100. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 7، 1422هـ – 2001م، (2/ 163).

101. الرشيد، عماد الدين محمد، في تسجيل له أثناء على الانترنت، مناقشة أطروحة دكتوراه. https: //youtu. be/2zLgQX9ULeo

102. زيود، حازم حسني، التربية الوقائية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة النجاح، فلسطين، 1430هـ – 2009م.

103. أبو سالم، طلعت، التقويم الواقعي ضرورة أم حاجة، مقالة على الانترنت، تاريخ المقالة 12\2\2019، تاريخ التصفح 29\9\2022م. https: //www. new-educ. com/?p=25670

104. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن اللويحق، بيروت– لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ –2000م.

105. أبو شارب، سليمان محمد، إستراتيجيات التقويم في التربية المهنية، عمان– الأردن، دار غيداء، ط 1، 1436هـ– 2015م.

106. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم= تفسير المنار، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 1990م.

107. الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1424 هـ.

108. الزعبي، أحمد محمد، سيكولوجية الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية، الرياض، مكتبة الرشد، ط 2، 1435هـ-2014م.
109. الزغول، عماد عبد الرحيم. علم النفس التربوية، الإمارات، دار الكتاب الجامعي، ط2، 2012م.
110. الساعاتي: أحمد البنا، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1396هـ.
111. سالي وآخرون. فعالية استخدام استراتيجية المحاكاة في تنمية بعض المفاهيم، المجلة العلمية لكلية التربية للطفولة المبكرة، مجلد (1)، العدد (2)، 2014م.
112. السباعي، مصطفى حسني، السُنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط 3، 1402 هـ-1981م.
113. سرميني، محمد أنس، منهجية التعامل مع السُنّة النبويّة في عالم ما بعد الحداثة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر – مكتب الأردن، المجلد (26)، العدد (101)، 1442هـ- 2001م، الصفحات (101-142). https: //citj. org/index. php/citj/article/view/5469/4597
114. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عطا، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
115. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ- 2000م.
116. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام، تحقيق: عمر السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1421هـ- 2000م.
117. سوماورو: ساموكا بن داود، التقويم في الدعوة إلى الله وأهميته في العهد النبوي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام – جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- السعودية، 1416هـ- 1995م.
118. سيد، معاوية أحمد، فقه التدرج في التشريع الإسلامي فهما وتطبيقا، اليمن، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 1425هـ- 2004م.
119. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصحَّحه: أحمد عبد الشافي، بيروت – لبنان، دار الكتب الثقافية، 1422هـ- 2002م.
120. شاف، ريال ل، استخدام الألعاب الرقمية كأدوات للتقويم والتعليم، الدمام- السعودية، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، ط 1، 1439هـ.
121. الشامي، صالح أحمد، من معين الخصائص النبويّة، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط1، 1421هـ - 2000م.
122. شحاتة، إلهام محمد، فاعلية استراتيجية البيت الدائري في التحصيل وتنمية الاتجاه، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2015م.
123. شحاتة، حسن سيد، التقويم الواقعي من أساليب التقويم الحديثة نموذج خماسي، في المؤتمر العلمي السنوي، اتجاهات معاصرة في تطوير التعليم في الوطن العربي بني سويف، جامعة بني سويف، مجلد (1)، (2010).
124. شحاتة، حسن، والنجار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003م.
125. الشحود، علي بن نايف، موسوعة الدفاع عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، المصدر: الشاملة الذهبية.

126. موسوعة السُنّة النبويّة، على الموسوعة الشاملة. المصدر: الشاملة الذهبية.

127. الشطي: محمد يوسف، المنهج النّبويّ في تقويم الأخطاء، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، 2010م. طبعتها المكتبة العامرة، ط1، الكويت، 1430هـ- 2009م.

128. أبو شعبان وعطوان، القياس والتقويم التربوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د. ط)، 2019م.

129. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي – الخواطر، القاهرة- مصر، مطابع أخبار اليوم، (د. ط)، 1997م.

130. الشنقيطي، محمد الخضر، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ - 1995م.

131. أبو شهبة، محمد بن محمد، السيرة النبويّة على ضوء القرآن والسُنّة، دمشق، دار القلم، ط 8، 1427هـ.

132. الشوكاني، محمد بن علي، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن، (د. ط)، (د. ت).

133. الشيباني، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421 هـ- 2001م.

134. الشيباني، يحيى بن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد أحمد، السعودية، دار الوطن، (د. ط)، 1417هـ.

135. الصابوني، محمد الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، دمشق، مكتبة الغزالي، ط 3، 1400هـ - 1980م.

136. الصرايرة، إسماعيل محمد، التحليل الإستراتيجي في إعادة هندسة العمليات الإدارية، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط1، عمّان – الأردن، 2012م.

137. طارق سويدان، أهداف الإسلام الكلية، ملف فيديو على قناته على اليوتيوب. https://www.youtube.com/watch?v=KBPAcHWGZCA

138. الطبري: محمد بن جرير، تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ- 2000م.

139. الطلاعي، محمد بن الفرج، أقضية رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-.

140. الطيبي، الحسين بن عبد الله، شرح المشكاة= الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1417 هـ - 1997م.

141. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1998م.

142. الظفيري والبشير، درجة توظيف استراتيجيات التقويم وأدواته، مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس، مجلد (15)، عدد (1)، 2021م.

143. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1412هـ - 1992م.

144. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، (د. ط)،1984هـ.

145. عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، مصر، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، (د.ط)، 2008م.
146. العامري: صالح مهدي، الخطر في المشاريع مفاهيم أساسية واستراتيجيات الاستجابة، الأردن، جامعة البتراء، 2007م.
147. العامري، عبد الله، المعلم الناجح، عمان– الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، (د. ط)، 2019م.
148. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، (د. ط)، 1945م.
149. عبد الحميد، صفاء سعيد، الاختبارات محكية المرجع، على شبكة الإنترنت 4 يونيو 2021م.
https: //2u. pw/ldPiU
150. عبد الرزاق: ريم عبد الرزاق، النمو المعرفي في التربية الإسلامية وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعه اليرموك، 2019م.
151. عبد السميع وآخرون، نظام تقويم الأقران في بيئة نظام مودل. "تكنولوجيا التربية – دراسات وبحوث"، 2014م، الصفحات (147 – 166).
152. عبد الغفار: هشام، الفرق بين التقويم والتقييم، على شبكة الانترنت 2021/11/23م.
153. ابن العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، الرياض، دار الوطن للنشر، 1426هـ.
154. _____ فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، تحقيق: صبحي رمضان، القاهرة، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط 1، 1427هـ – 2006م.
155. العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2004م.
156. العدوان: زيد سليمان، وداود، أحمد عيسى، إستراتيجيات التدريس الحديثة، عمان– الأردن، مركز ديبونو لتعليم التفكير، ط 1، 2016م.
157. ابن العربي، محمد بن عبد الله، عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، المحقق: جمال مرعشلي، 1418هـ– 1997م.
158. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ – 1995م.
159. العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: بيت الله بيات، قم – إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ط 1، 1412هـ.
160. عمادة ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي، استراتيجيات التعلم والتعليم والتقويم، (ص: 17). على شبكة الانترنت. https: //2u. pw/f8YE1.
161. العنزي، عبد الله عقيل، التربية الوقائية في السُنّة النبويّة وتطبيقاتها على تلاميذ المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، كلية التربية، السعودية، 2018م.
162. العنزي، عبد الله يوسف، تيسير علم أصول الفقه، بيروت – لبنان، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط 1، 1418هـ– 1997م.

163. العياصرة، وليد رفيق، التربية البيئية وإستراتيجيات تدريسها، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، (د.ط)، 2012م.

164. عيد، يحيى إسماعيل، التقويم التربوي الجامعي في علوم الشريعة، ضمن بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، تحرير فتحي ملكاوي ومحمد أبو سل، ص (111–152)، ط 1، 1416هـ–1995م.

165. العيني، محمود بن أحمد، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط 1، 1429هـ – 2008م.

166. _____ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت).

167. الغامدي، عبد الرحمن محمد، التقويم البديل، السعودية، (د. ط)، 2019م.

168. الغزالي، محمد السقا، فقه السيرة، دمشق، دار القلم، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، 1427هـ، (ص: 160).

169. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، (د، ط)، 1402هـ– 1982م.

170. الغضبان، منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبويّة، الزرقاء– الأردن: مكتبة المنار، ط 6، 1411هـ.

171. أبو فار، يوسف، إدارة الأزمات في المنظمات العامة والخاصة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، (د. ط)، 2020م.

172. ابن فارس: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.

173. الفاروقي، إسماعيل راجي، أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل، ترجمة: عبد الوارث سعيد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 1404هـ– 1984م.

174. الفتني، محمد طاهر، مجمع بحار الأنوار. حيدر أباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 3، 1387هـ– 1967م.

175. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د. ت).

176. فلاحة، سوسن فريد، الإمام سفيان الثوري وآراءه الفقهية، الرياض– السعودية، دار العبيكان، ط 1، 2007م.

177. القاضي عياض، عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق، يحيى إسماعيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1419هـ – 1998م.

178. _____ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، الطبعة القديمة، 1333هـ.

179. القرضاوي، الرسول والعلم، القاهرة، دار الصحوة، (د، ط)، 2001م.

180. القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت: 656 هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ميستو وآخرون، دمشق– بيروت، دار ابن كثير، ط 1، 1417هـ – 1996م.

181. القرطبي، محمد بن أحمد بن فرح (ت: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية ط 2، 1384هـ – 1964م.

182. القرزعي، عبدالله علي، التقويم الذاتي وتقويم الأقران، في مدونة على الانترنت، تاريخ الناشر 2012/3/19م. http: //child-trng. blogspot. com/2012/03/blog-post_4550. html

183. القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 2000م.

184. قطب، سيد إبراهيم، في ظلال القرآن، بيروت- القاهرة، دار الشروق، ط 17، 1412 هـ.

185. قطب، محمد إبراهيم، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1418هـ-1998م.

186. _____ نهج التربية الإسلامية، مصر، دار الشروق، ط 16، 2019م.

187. قلعجي، محمد وقنيبي، حامد، معجم لغة الفقهاء، بيروت- لبنان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ- 1988م.

188. القميزي، حمد عبدالله، تقنيات التعليم ومهارات الاتصال، القاهرة – مصر، دار روابط وتقنية المعلومات للنشر، ط2، 2016م.

189. ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: مشهور حديثة، السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 1، 1423هـ.

190. _____ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المحقق: محمد حامد الفقي، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ط 2، 1395هـ- 1975م.

191. _____ الروح، تعليق: إبراهيم رمضان، بيروت- لبنان، دار الفكر العربي، (د. ط)، 1996م.

192. _____ زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 27، 1415هـ- 1994م.

193. _____ شفاء العليل، تحقيق: محمد الحلبي، بيروت، دار الفكر، 1398هـ – 1978م.

194. الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُنّة المشرفة، المحقق: محمد المنتصر الزمزمي، بيروت – لبنان، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط 6، 1421هـ-2000م.

195. الكتاني، محمد عبد الحي، التراتيب الإدارية = نظام الحكومة النبويّة، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم للنشر، ط 2، (د. ت).

196. كتبي: أحمد إسماعيل، المنهج التربوي النّبويّ في معالجة مواقف من أخطاء أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب السيرة النبويّة لابن هشام المتوفى عام 218هـ، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، كتاب شهري محكم، إدارة الدعوة والتعليم، رابطة العالم الإسلامي، السُنّة الثالثة، العدد (222)، 2007م.

197. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر، (د. ط)، 1407هـ- 1986م.

198. _____ السيرة النبويّة، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت – لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1395هـ - 1976م.

199. _____ تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419هـ.

200. الكرماني، محمد بن يوسف، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1401هـ - 1981م.

201. الكرماني، محمود بن حمزة، غرائب التفسير وعجائب التأويل، جدة – السعودية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، (د. ط)، (د. ت).
202. الكرمي، حافظ أحمد، الإدارة في عصر الرسول – صلى الله عليه وآله سلم–، القاهرة، دار السلام، ط1، 1427هـ.
203. الكريمين، رائد إبراهيم، إستراتيجيات التدريس الفعال بين الكفايات التعليمية ونظريات التعلم، عمان– الأردن، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط 1، 2017م.
204. كولانجيلو، نيكولاس، وديفيز، غازي، المرجع في تربية الموهوبين، ترجمة صالح أبو جادو، السعودية، دار العبيكان، 2012م.
205. لاشين، موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مصر، دار الشروق، ط 1، 1423هـ– 2002م.
206. اللجمي وآخرون، المعجم المحيط، المراجعة والتنسيق: أديب اللجمي– نبيلة الرزاز، 1993م.
207. لجنة معيار التدريس والتعلم، استراتيجية التدريس والتعلم والتقويم، وحدة ضمان الجودة، كلية التربية النوعية، مصر، جامعة المنيا، (د. ط). (د. ت). https: //2u. pw/vVwG4B
208. لويس ورد، الفرق بين الهدف والغرض، مقالة على الانترنت، 5 فبراير 2021م، https: //ar. natapa. org/difference-between-goal-and-purpose-3234
209. العرعور، عدنان بن محمد، التيه والمخرج، الجيزة – مصر، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع ط 2، 1416هـ – 1995م.
210. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، (د. ط)، (د. ت).
211. الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية، القاهرة، دار الحديث، (د. ط)، (د. ت).
212. مايكل ج. دوريس، جون م. كيلي، جيمس ف. ترينر، التخطيط الاستراتيجي الناجح، ترجمة: سمة عبد ربه، الرياض– السعودية، مكتبة العبيكان، ط 1، 1427هـ.
213. المبروك، فرج عمر، مدير المدرسة والادارة المدرسية، دار حميثرا للنشر والترجمة، القاهرة، مصر، 2017م. https: //2u. pw/iGhUgz
214. أبو محمود: محمود مصطفى، المضامين التربوية في آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم وتطبيقاتها، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية، برنامج جامعة اليرموك في أكاديمية باشاك شهير، إسطنبول– تركيا، 2019م.
215. مختار، أحمد عمر وآخرون، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، القاهرة– الأردن، عالم الكتب، ط 1، 1429هـ – 2008م.
216. _____ معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، 1429هـ – 2008م.
217. مدانات، أوجيني، الإشراف التربوي لتعليم أفضل، عمان– الأردن، دار مجدلاوي، ط 1، 1423هـ–2002م.
218. مدكور، علي أحمد، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، (د. ط)، 2001م.
219. مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، 1425هـ– 2005م.
220. مسلم: ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت– لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت).

221. المطلق، إبراهيم بن عبد الله، التدرج في دعوة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1417هـ.

222. معروف، بشار عواد، الأرنؤوط، شعيب، تحرير تقريب التهذيب، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 1، 1417هـ – 1997م.

223. المغذوي، عادل عائض. أساليب التقويم في ضوء استراتيجيات التدريس الحديثة، السعودية، جامعة المجمعة، (د. ط). (د. ت). على شبكة الانترنت. https: //2u. pw/q4zycJ

224. مقبل، أحمد إسماعيل، التقويم التربوي من منظور إسلامي، "مجلة جامعة الملك خالد للعلوم التربوية، مجلد (2)، العدد (1)، 2015م.

225. المقدسي، عبد الله محمد، المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم، تحقيق: عبد الملك دهيش، بيروت – لبنان، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، 1420هـ – 2000م.

226. المقريزي، أحمد بن علي، إمتاع الأسماع، تحقيق: محمد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1420هـ – 1999م.

227. ملحم، همام سعيد ملحم، التمهيد في علوم الحديث، دار الفرقان، عمان– الأردن، ط1، 1412هـ–1992م.

228. _____ وآخرون، موسوعة التصنيف الموضوعي للسنّة النبويّة، موسوعة أحاديث التربية والتعليم – موسوعة منهجية لتصنيف أحاديث كتب السُنّة النبويّة الشريفة– غير منشورة، إعداد مركز دراسات السُنّة النبويّة الشريفة، عمّان– الأردن، إشراف: د. محمد همام، الوصول من خلال: د. محمد همام ملحم، تاريخ التصفح: 15 تموز 2021م.

229. ملكاوي، فتحي حسن، بحوث المؤتمر التربوي، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان– الأردن، 1411هـ–1990م.

230. المناوي، عبد الرؤوف بن تاج، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة– مصر، عالم الكتب، ط1، 1410هـ–1990م.

231. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ.

232. المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب، مبادئ إدارة الأعمال، 161 دار، السعودية، (د. ط)، (د. ت).

233. موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية، ط 1، 1430هـ – 2009م.

234. موسى، فؤاد محمد، علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي، مكتبة زهرة المدائن، (د. ط)، (د. ت).

235. الميمات، بدرية صالح. والسالوس، منى علي، النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور، المدينة المنورة، السعودية، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، ط 1، 1435هـ–2014م.

236. الميمني، إسماعيل عبد الستار، المدخل لعلوم القرآن الكريم، على المكتبة الشاملة الذهبية.

237. نجم، عبد المنعم السيد، تدوين السُنّة ومنزلتها، المدينة المنورة، الناشر: الجامعة الإسلامية، طبعة السُنّة الحادية عشر، العدد (3)، 1399هـ، مسترجع من المكتبة الشاملة الذهبية.

238. النسائي، شعيب بن علي، المجتبى من السنن= السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط 2، 1406هـ– 1986م.

239. النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط 1، 1419هـ - 1998م.

240. نصر، ياسمين، أنواع التقويم التربوي التي تجعل العملية التعليمية غير تقليدية، مقالة في مدونة كوركت على الإنترنت، تاريخ النشر: 2021/5/10، تاريخ التصفح 2022/11/29.
/https: //arblog. qorrectassess. com/types-of-assessment

241. النووي، يحيى بن شرف، الأربعون النووية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ط1، 1430هـ - 2009م.

242. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1392هـ.

243. التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: محمد الحجار، بيروت - لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، 1414هـ - 1994م.

244. الهاشمي، عبد الرحمن عبد وآخرون، استراتيجيات معاصرة في تدريس التربية الإسلامية، عمان- الأردن، دار عالم الثقافة، ط 1، 2010م.

245. الهرري، محمد الأمين، الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مراجعة: هاشم مهدي، مكة المكرمة، دار طوق النجاة، ط 1، 1430هـ - 2009م.

246. هشام عبد الغفار، الفرق بين التقويم والتقييم، على شبكة الانترنت 2021\11\23م. https: //rs. ksu. edu. sa/issue-1206/7232

247. ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبويّة لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف. (د. ط). بيروت: دار الجيل.

248. الهوش، أبو بكر محمود، إدارة الجودة الشاملة في المجالين التعليمي والخدمي، دار حميثرا للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2018م.

249. هياجنة، أحمد ذيب، مدى استخدام معلمي اللغة العربية استراتيجيات التقويم البديل، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، إربد، 2007م.

250. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، (د. ط)، 1414هـ- 1994م.

251. الوادعِي، مقبل هَادِي، الصحيح المسند من أسباب النزول، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط 4، 1408هـ- 1987م.

252. الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، دار الأعلمي، ط 3، 1409هـ-1989م.

253. وصوص، ديمة، والجوارنة، المعتصم بالله، الإشراف التربوي ماهيته تطوره أنواعه أساليبه، دار الخليج دار الخليج للنشر والتوزيع، 2014م.

254. ابن وضاح، محمد، البدع والنهي عنها، تحقيق: محمد دهمان، القاهرة، دار الصفا، ط 1، 1411هـ- 1990م.

255. اليوسف: عبد الرحمن بن عبد الخالق، الصراط.. أصول منهج أهل السُنّة والجماعة في الاعتقاد والعمل، المنصورة - مصر، دار الهدي النبوي، ط 4، 1421هـ-2001م.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

التَقويم التَربويّ
في السُنّة النبويّة

إعداد الباحث
محمود مصطفى أبو محمود